الموازنة

بين أبي تمام والبحتري

تأليف

الإمام أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى

الآمدي البصري

المتوفى سنة ٣٧٠هـ

قدم له ووضع حواشيه وفهارسه

إبراهيم شمس الدين

Title: AL-MUWÂZANAH BAYN ABI TAMMÂM WAL-BUḤTURI

(the comparison between abou Tammam and al-Buhturi)

Author: Al-Ḥasan ben Bišr al-ʾAmidi

Editor: Ibrāhīm Šamseddīn

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 424

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الموازنة بين أبي تمّام والبحتري

المؤلف: الحسن بن بشر الآمدي

المحقق: إبراهيم شمس الدين

الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

عدد الصفحات: 424

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-3503-1

9 782745 135032 90000

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م ـ ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية

Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٨١٠١٨١٠ ٥ ٩٦١+ | ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ | رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد تعوّد دارسو الأدب أن يفرقوا بين ثلاثة مواقف يقفها الإنسان من الأدب: فهو إما أن يكون في موقف المبدع الذي ينتج الأدب، أو في موقف المتذوق الذي يتفاعل معه وجدانياً بالرضى والنفور، أو في موقف الناقد الذي يحلله ويتفحص جوانبه، ويتبين محاسنه ومساوئه، لكي ينتهي بحكم نقدي عليه.

ولعلّ سقراط كان أوّل من فرّق بين تأليف الأدب ونقد الأدب وميّز بينهما، وذلك حين ذهب إلى أنه قلما كان يجد من الشعراء من يستطيع أن يشرح ما كان يعنيه بشعره، وكأنما كان يقول في هذه العبارة: إنه لم يكن ثمة من بين الشعراء من يستطيع أن ينتقد شعره، وهذا يؤدي إلى وجود ثلاثة أنواع من المقدرات، هي: المقدرة على تذوق الأدب، والمقدرة على تحليل الأدب تحليلاً منطقياً، ثم المقدرة على نقد الأدب. هذه المقدرات الثلاث تقود إلى وجود ثلاث ملكات مختلفة، هي: ملكة الإنشاء أو الإنتاج الأدبي، وملكة التذوق، ثم ملكة النقد. وهذه الملكة الثالثة يمكن أن تكتسب وأن تنمّى بالدرس والممارسة، فالناقد عادة يكون مدركاً للخطّة التي يتبعها في نقده، وهذه الخطة لا بد وأن تعتمد على قواعد منطقية خالصة، قابلة لأن ترتّب بحيث يتألف منها نظام خاص. ومن الممكن دراستها وتطبيقها في دقة وعناية. بينما ليس هناك قواعد ترشدنا إلى كيفية ابتكار الأدب، ولا كيفية الاستمتاع به[1].

هذه إحدى الاتجاهات في النظرة إلى الأدب والنقد الأدبي، غير أنه يوجد اتجاه آخر في نقد الأدب والشعر خصوصاً، منهم قدامة بن جعفر الذي يعتبر الشعر صناعة عقلية.

---

(١) انظر: «الاتجاهات الرئيسية في النقد الأدبي» د. شكري نجار، مجلة الفكر العربي، العدد ٢٥، ص٢٠٤ ـ ٢٠٩.

يقول في كتابه «نقد الشعر» ص١٦: «ولما كان للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل به على غاية التجويد والكمال، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهد فله طرفان: أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمّى الوسائط... كان الشعر أيضاً ـ إذ كان جارياً على سبيل سائر الصناعات ـ مقصوداً فيه وفيما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد، فكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء، إنما هو من ضعفت صناعته. فإن قد صحّ أن هذا على ما قلناه، فلنذكر صفات الشعر التي إذا اجتمعت فيه كان في غاية الجودة، وهو العرض الذي تنتحيه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات، والغاية الأخرى المضادة لهذه الغاية، التي هي نهاية الرداءة...».

وقد شكّل الشعر للعرب خزانة أساس لثقافتهم الجمعية ومصدراً غنياً لرصد تفاعلاتهم مع الحياة، فالشعر ديوان العرب، إليه كانوا، وما زالوا، يرجعون، لا في تاريخهم ونظم أفكارهم ومشاعرهم وأوضاع عيشهم وحسب، بل حتى في ضبط لغتهم وحفظ قيمهم، إنه مرآة وجودهم الأصفى، وأساسٌ قيّمٌ لرصد حركية حياتهم ونظمهم العقلية.

ونحن نجد منذ أيام الجاهلية، أحكاماً على الشعر، قد تبدو ساذجة أو خالية من التعليل، بتحديد أهجى بيت، أو أغزل بيت، أو أفخر بيت... إلخ، وتحديد الأغلاط في الوصف أو في المعاني. وبقيت هذه الأحكام على الشعر حتى وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٧٠هـ) علم العروض، حيث قدم بهذا العلم أول مقياس موضوعي لنقد الشكل، وواكبه نقد الرواة الذين كان أبرزهم عبد الملك بن قريب الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٥هـ) الذي وضع مقياسين استمر النقد عليهما مدة طويلة: أولهما: أنه فصل بين الشعر والدين (أو الأخلاق)، وثانيهما: أنه حدد صفات الشاعر المبدع تحت مصطلح «الفحولة».

يقول الأصمعي: «طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان»[1].

(١) انظر: الموشح، للمرزباني، ص٨٥.

الآمدي وكتابه «الموازنة بين أبي تمام والبحتري»:

حدد الآمدي منهجه منذ البداية، فيقول: «. . . وأنا أبتدىء بذكر مساوىء هذين الشاعرين لأختم محاسنهما، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، ومساوىء البحتري في أخذ ما أخذه من أبي تمام وغير ذلك من غلطه في بعض معانيه، ثم أوزان من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتنكشف، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه وباباً للأمثال أختم بهما الرسالة، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه وتقع الإحاطة به إن شاء الله تعالى. . ».

وكان الآمدي يحس بصعوبة مهمته لاختلاف مذهب الشاعرين في النظم، فيقول: «. . . لأن البحتري أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام، فهو أن يقاس بأشجع السلمي ومنصور النمري وأبي يعقوب الخريمي المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى، ولأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ويستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه شعر الأوائل ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة، فهو أن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحقّ وأشبه، وعلى أني لا أجد من أقرنه به لأنه ينحط عن درجة مسلم، لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته. . . ».

ومع ذلك فإن الآمدي قام بالموازنة، لكن ما أفسد عليه موازنته ليس تحامله على أبي تمام وتعصبه للبحتري فحسب، وإنما تصوره المسبق بأن عمود الشعر العربي ومتذوقيه. . «لا يكون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف، وإنما يكون الفضل عندهم في الإلمام بالمعاني وأخذ العفو منها كما كانت الأوائل تفعل، مع جودة السبك وقرب المأتى، والقول في هذا قولهم وإليه أذهب. . ».

فما دام الآمدي يوازن بين شاعرين مختلفي المذهب فليس له أن يتحيز لمذهب دون الآخر، وكان أولى به أن يتقيد بوعده في المقدمة حيث قال: «وأنا أذكر بإذن الله في هذا الجزء أنواع المعاني التي يتفق فيها الطائيان وأوازن بين معنى ومعنى، وأقول أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه. . ».

وللبحث في المعاني قسم الآمدي الشعر إلى موضوعات: كالوقوف على الديار، والغزل، والمواعظ، والآداب، والمدح، والوصف، والفخر، والعتاب، والرثاء. وتحت الأبواب أقسام، فتحت باب البأس والنجدة تقع فصول كثيرة، مثل: وصف الجيش وكثافته، والرأي والتدبير في الحرب، ووصف الحرب، ووصف الدروع، ووصف الرايات، ووصف الخيل في الحرب.. إلخ.. ولكل موضوع ابتداء يشرع به الآمدي في الموازنة. فلو أخذنا الابتداء بذكر الوقوف على الديار لوجدناه قد أورد فيه لأبي تمام خمسة أبيات وللبحتري سبعة، وكان حكمه النقدي هو التالي: «.. فهذا ما ابتدآ به من ذكر الوقوف، وأجعلهما متكافئين من أجل براعة بيتي البحتري الأولين، وأنهما أجود من سائر أبيات أبي تمام، ولأن البحتري في الباب التقصير الذي ذكرته وليس لأبي تمام مثله..».

وحين يصل الآمدي إلى الموازنة بين المعاني في شعر الطائيين، يقول: «...فإني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب وأنص على الجيد وأفضله، وعلى الرديء وأرذله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص، وتحيط به العبارة، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهو علة ما لا يعرف إلاّ بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة. وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَنْ سواهم ممن نقصت قريحته وقلّت دربته، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبُّلٌ لتلك الصناعة وامتزاج بها، وإلا لا يتم ذلك..».

أما عملنا في هذا الكتاب فهو:

أولاً: وضع بحور الشعر.

ثانياً: تخريج شعر أبي تمام والبحتري على ديوانيهما المطبوعين (طبعة دار الكتب العلمية).

ثالثاً: تخريج جميع الشواهد الشعرية الأخرى في مظانها.

رابعاً: شرحنا في الحاشية ما في الأشعار من غريب اللغة، استناداً إلى المعاجم اللغوية المعتبرة.

خامساً: وَضع فهارس عامة لجميع الأشعار الواردة في الكتاب.

وأخيراً نرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، ولله الكمال وحده، وهو ولي التوفيق.

إبراهيم شمس الدين

ترجمة الآمدي[1]

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى[2]، الآمدي الأصل، البصري المولد والمنشأ والوفاة.

كان حسن الفهم، جيد الدراية والرواية، أخذ العلم عن الأخفش، والزجاج، وابن السراج، والحامض، وابن دريد، ونفطويه، ومن في طبقة هؤلاء، وله شعر حسن، وتآليف جيدة تدل على بصرٍ صحيح واطلاع واسع، وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يصنعه من التآليف.

كتب في بغداد لأبي جعفر هارون بن محمد الضبّي، وكتب في البصرة لأبي الحسن أحمد بن الحسن بن المثنّى، ولأخيه أبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنّى، ثم كتب بعدهما للقاضي أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي يليها القضاة، وكان يكتب له بحضرته في مجلس حكمه، ثم من بعده كتب لأخيه القاضي أبي الحسن محمد بن عبد الواحد حين ولي قضاء البصرة، واشتهر بهما حتى لقبوه «كاتب بني عبد الواحد الهاشميين»، ثم لزم بيته.

توفي بالبصرة سنة ٣٧٠هـ.

---

(١) انظر ترجمته في:
١ ـ الأعلام للزركلي ٢/ ١٨٥.
٢ ـ هدية العارفين ٥/ ٢٧١، وفيه: وفاته سنة ٣٧١هـ.
٣ ـ المؤتلف والمختلف: مقدمة الناشر.
٤ ـ معجم الأدباء ٨/ ٧٥.
٥ ـ إنباه الرواة ١/ ٢٨٥.
٦ ـ بغية الوعاة ص٢١٨، وفيه: وفاته سنة ٣٧١هـ.

(٢) في هدية العارفين «الحسن بن بشر بن بحر».

له من المصنفات:

١ ـ تبيين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر.

٢ ـ تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين.

٣ ـ كتاب الحروف من الأصول والأضداد.

٤ ـ شرح الحماسة لأبي تمام.

٥ ـ ديوان شعره، نحو ١٠٠ ورقة.

٦ ـ الفرق بين الخاص والمشترك من معاني الشعر.

٧ ـ كتاب في إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا.

٨ ـ كتاب الرد على ابن عمار فيما خطّأ فيه أبي تمام.

٩ ـ كتاب في أن الشاعر لا تتفق خواطره.

١٠ ـ كتاب في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف قدر نفسه.

١١ ـ كتاب فعلت وأفعلت.

١٢ ـ المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء.

١٣ ـ معاني شعر البحتري.

١٤ ـ الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري (وهو الذي بين أيدينا).

١٥ ـ نثر المنظوم.

ترجمة أبي تمام(١)
١٨٨ - ٢٣١ هـ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ الشاعر المجيد المتقدم البارع صاحب ديوان الحماسة سابق الشعراء ومخجل الفصحاء الذي طار ذكره في الآفاق وحاز به الشرق بهجة الإشراق وهو أول من كسا معاني الشعر رونقاً جديداً لم تهتدِ إليه جماعة المتقدمين وأعجبت به ونسجت على منواله أفواج المتأخرين ودلّ كتاب الحماسة على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره وجمعُه بهمدان في فصل الشتاء بدار وزيرها وله مجموع آخر سمّاه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلام وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره وقيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وتموّل وجاب البلاد ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف ثم جمعه علي بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع ونشأ أبو تمام في مصر وكان أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة وجالس في أول أمره وطليعة عمره الأدباء بمصر وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطناً

---

(١) انظر ترجمته في:
١ - الأعلام ٢/ ١٦٥.
٢ - هدية العارفين ٥/ ٢٦٢.
٣ - وفيات الأعيان ١/ ١٢١.
٤ - معاهد التنصيص ١/ ٣٨.
٥ - شذرات الذهب ٢/ ٧٢.
٦ - تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٨.
٧ - دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٢٠.

ذكياً محباً للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعاني الشعر حتى ملكه وسار ذكره في العصر وبلغ المعتصم إذ ذاك خبره فرحل إليه سرًّا برأي بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدّمه على شعراء وقته وزمنه وترقّت حاله وبعد مدى صيته وسارت شهرته. وكان الحسن بن رجاء يقول: ما رأيت أحداً قط أعلم بجيّد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمَّام. وسئل البحتري عنه فقال: مدّاحة نواحة ويوجد لأبي تمّام من الشعر الذي يتمثل به ويجري على ألسنة العامة وكثيرين من الخاصة مائة وخمسون بيتاً كما أحصاه بعض الفضلاء وهذا الفاضل لا أعرف شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يتمثل له بهذا المقدار من الشعر وقال بعض العلماء بالشعر لما سئل عن أبي تمام كأنه جمع شعر العالم فانتخب جوهره. وكان يقال: في طيىء ثلاثة حاتم في كرمِه وداود الطائي في زهده وأبو تمام في شعره. وولد أبو تمام سنة تسعين ومائة بقرية يقال لها جاسم من أعمال حوران من بلاد دمشق وتوفي بالموصل سنة ثمانٍ وعشرين ومائتين وكان على بريدها ولاه الحسن بن وهب وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة وقبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعامة تقول: هذا قبر أبي تمام الشاعر. وأبو تمام أحد الثلاثة الذين اتُّفِق على تقديمهم من الشعراء المحدثين بل على المولدين والجاهلية عند البعض لتفننهم في جميع فنون الشعر وإحسانهم فيها وغزارة مادة أشعارهم وكثرة فائدتها كما يظهر للناقد الممارس وهم أبو تمام والبحتري وأبو الطيب وأبو تمام أشعر الثلاثة عند الأكثرين بمعنى أنه أشعر الأولين والآخرين ولا غرابة في ذلك عند من له رسوخ قدم في الأدب وترك التقليد ونظر بالنظر الصحيح نظر الاجتهاد والترجيح وحكى البحتري قال: دخلت على سعيد بن أسلم الطائي فأنشدته قصيدتي في مدحه التي أولها:

أأفاق صب من هوى فأفيقا

وإلى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل عليَّ ذلك الشخص وقال: أما تستحي أن تنتحل شعري وتنشده بحضوري ثم مرَّ في القصيدة فأنشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت إليَّ وقال أيا ابن أخي قد كان في الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل أنه أبو تمام الطائي فلما بعدت لحقني الحاجب وأمرني بالعود وإذا أبو تمام يضحك فاستدناني وقال: يا سيدي الشعر لك وإنما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة واحدة ولقد نعيت لي نفسي فإنّه ما نبغ من قبيلة مجيد أو شريف إلا مات من كان قبله مثله أو ما سمعت قول الشاعر:

إذا مغرمٌ منا ذرا حدّ نابهِ تخمّط منا ناب آخر مفرمِ

فقلت: بل يجعلني الله فداك ثم لزمته وكان محسناً إليَّ إلى أن مات ومدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدة سينية فلما انتهى في إنشادها بحضرته إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاءِ إياسِ

قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي الفيلسوف وكان حاضراً: الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلاً ثم قال:

لا تنكروا ضربي لهُ من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَّ لنورهِ   مثلاً من المشكاة والنبراس

ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعته وفطنته ولما أنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته البائية التي أولها:

على مثلها من أربعٍ وملاعب   أُزيلت مصونات الدموع السواكب

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له: والله إنها لدون شعرك ثم قال له: والله ما مثل هذا القول في الحسان إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي فقال أبو تمام: وأي ذلك أراد الأمير؟ قال: قصيدتك الرائية التي أولها:

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمرُ   فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ

وددت والله أنها لك فيَّ فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله فقال إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر، ولما مدح أبو تمام محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها:

ديمة سمحة القياد سكوبُ   مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعت بقعة لإعظام أخرى   لسعى نحوها المكان الجديبُ

قال له ابن الزيات: يا أبا تمام إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يُذخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة.

ومن بارع شعر أبي تمام قصيدته اللامية من مدائحه في المعتصم مطلعها:

أجل أيها الربع الذي خفّ آهله   لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

ولا يخفى على اللبيب ما على قوله خف آهله من مسحة البلاغة ورشاقة التعبير وفي شعره من هذا كثير.

ومن غرائبه قصيدته البائية في فتح عمورية وهي من الشهرة بمكان يسمو على كيوان وقد رد فيها على أرباب النجوم حتى ألزمهم الوجوم مطلعها:

السيف أصدق إنباءً من الكتبِ ... في حدّه الحدّ بين الجِدّ واللعبِ

ولما أتى أبو تمام الحسن بن رجاء فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى إلى قوله:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

قام قائماً وقال: والله ما سمعتها إلا وأنا قائم لما تداخله من الأريحية فلما فرغ قال: ما أحسن ما جلوت هذه العروس. فقال أبو تمام: لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها.

وقال إبراهيم بن العباس الصولي أشعر أهل زماننا هذا الذي يقول:

مطر أبوك أبو أهلة وائل ... ملأ البسيطة عدّة وعديدا

نسبٌ كأن عليهِ من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

ورثوا الأبوة والحظوظ فأصبحوا ... جمعوا جدوداً في العلى وجدودا

وهو أبو تمام. وقال محمد بن عبد الملك الزيات: أشعر الناس طرًّا الذي يقول:

وما أبالي وخير القول أصدقهُ ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

وهو أبو تمام فاتفقا أنه أشعر أهل زمانه ولما قدم عمارة بن عقيل بغداد اجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار فقال بعضهم: ههنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طرًّا ويزعم غيره ضد ذلك فقال أنشدوني قوله فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غدِ ... وعاد قتاداً عندها كل مرقدِ

وانقذها من غمرة الموت إنهُ ... صدود فراقٍ لا صدود تعمدِ

فأجرى لها الإشفاق دمعاً مورداً ... من الدم يجري فوق خدٍّ موردِ

هي البدر يغنيها تورد وجهها ... إلى كل من لاقت وإن لم تودِ

ثم قطع المنشد فقال له عمار: زدنا من هذا، فوصل نشيده وقال:

ولكنني لم أحو وفراً مجمَّعاً ... ففزتُ بهِ إلا بشملٍ مبدّدِ

ولم تعطني الأيام نوماً مسكناً ... ألذُّ بهِ إلا بنوم مشرّدِ

فقال عمارة لله درهُ لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب ثم أنشده:

وطول مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيهِ فاغترب تتجددِ
فإني رأيت الشمس زيدت محبة   إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

فقال عمارة: كمل والله ولئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس وقد فضَّل أبا تمام على الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وإن جدُّوا آثاره وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جدّه نظيراً ولا شكلاً.

وكان علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إن كيد مطّرف الإخاء فإننا   نغدو ونسري في إخاءٍ تالدِ
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا   عذب تحدر من غمام واحدِ
أو يفترق نسبٌ يؤلف بيننا   أدبٌ أقمناهُ مقام الوالدِ

وسمع إبراهيم بن العباس الصولي أبا تمام ينشد شعراً له في المعتصم فقال له: يا أبا تمام أمراء الكلام رعية لإحسانك. وكان محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله ويقول: لو لم ينل إلا مرثيته التي أولها. أصم بك الناعي وإن كان أسمعا. وقوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم   وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه وحدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً سمع مؤدباً كان لولد أخي يرويهم قصيدة أبي تمام. الحق أبلج والسيوف عوار. فلما بلغ إلى قوله:

سود اللباس كأنما نسجت لهم   أيدي السموم مدارعاً من نارِ
بكروا وأسروا في متون ضوامر   قيدت لهم من مربط النجارِ
لا يبرحون ومن رآهم خالهم   أبداً على سفرٍ من الأسفارِ

فقال عمارة: لله دره ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه.

توفي أبو تمام بالموصل سنة ٢٣١هـ.

له من المصنفات:

١ ـ فحول الشعراء.

٢ ـ ديوان الحماسة.

٣ ـ مختار أشعار القبائل.

٤ ـ نقائض جرير والأخطل. نسب إليه ولعله للأصمعي.

٥ ـ الوحشيات، وهو ديوان الحماسة الصغرى.

٦ ـ ديوان شعره.

٧ ـ الاختيارات من شعر الشعراء.

ترجمة البحتري(١)

٢٠٠هـ وقيل ٢٠٦هـ ـ ٢٨٤هـ

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر، ينتهي نسبه من ناحية أبيه إلى طيىء، ومن ناحية أمه إلى شيبان فهو عربي صريح، وقد لقب بالبحتري نسبة إلى أحد أجداده وهو بحتر بن عتود.

ولد سنة ٢٠٠، وقيل سنة ٢٠٦هـ بمنبج، وقيل بِزَرْدَفِنة، وهي قرية من قراها ومنبج، بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء وبعدها جيم، بلدة بالشام بين حلب والفرات، بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها منبه فعربت فقيل منبج ونشأ بها نشأة عربية خالصة، وبدأ ينظم الشعر صغيراً، ويمدح به أبناء بلده، وقد قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي: رأيت البحتري هاهنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب ـ وأومأ إلى جنبتَي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه، ثم كان منه ما كان.

وأحبّ البحتري علوة الحلبية وشبّب بها في كثير من شعره، ولكنه لم يشتهر إلا بعد اتصاله بأبي تمام الطائي، ولقد اختلفت الروايات في صورة هذا الاتصال ومداه، وحكى أبو بكر الصولي في كتابه «أخبار أبي تمام الطائي» أن البحتري كان يقول: أول

---

(١) انظر ترجمته في:
١ ـ الأعلام ٨/ ١٢١.
٢ ـ هدية العارفين ٦/ ٥٠٠.
٣ ـ وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥.
٤ ـ تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦.
٥ ـ مفتاح السعادة ١/ ١٩٣.
٦ ـ المنتظم ٦/ ١١، وفيه: وفاته سنة ٢٨٥هـ.
٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٦٥.

أمري في الشعر ونباهتي فيه أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل عليّ وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت إليه خلَّة. فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق، وشفع لي إليهم، وقال لي: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

وقال البحتري أيضاً: أول ما رأيت أبا تمام ـ وما كنت رأيته قبلها ـ أني دخلت إلى أبي سعيد محمد بن يوسف، فامتدحته بقصيدتي التي أولها:

أأفــاق صــبٌّ مــن هــوى فــأفــيــقــا أم خــان عــهــداً أم أطــاع شــفــيــقــا

فأنشدته إياها، فلما أتممتها سُرَّ بها، وقال لي: أحسن الله إليك يا فتى. فقال له رجل في المجلس: هذا أعزّك الله شعري علقه هذا الفتى، فسبقني به إليك. فتغير أبو سعيد وقال لي: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمتّ به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا. فقلت: هذا شعري أعزّك الله. فقال الرجل: سبحان الله يا فتى لا تقل هذا. ثم ابتدأ فأنشد من القصيدة أبياتاً. فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغك ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا. فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردّني أبو سعيد، ثم قال لي: جنيت عليك فاحتمل، أتدري مَن هذا؟ فقلت: لا. قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه. فقمت إليه فعانقته. ثم أقبل عليّ يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك. فلزمته بعد ذلك وكثر عجبي من سرعة حفظه.

ومهما يكن من أمر هذا الاتصال فإن أثره في البحتريّ كان كبيراً، حتى ليمكن القول إن أبا تمام هو الأستاذ الكبير لشاعرنا.

ولما استوثق البحتري من قوة شاعريته، وألقت إليه القوافي مقاليدها يمّم شطر بغداد ـ عاصمة الدولة الإسلامية آنئذ ـ ومدح بها ابن الزيات وزير الخليفة الواثق، والحسن بن وهب، وهما من ممدوحي أبي تمام، ولكنه لم يتصل بالواثق، بل اتصل بابنه المتوكل حين أصبح خليفة بعد وفاة أبيه.

وباتصال البحتري بالخليفة المتوكل وبوزيره الفتح بن خاقان تبدأ في حياته مرحلة جديدة، فقد لقي منهما الحفاوة والإكرام، وقال فيهما أفضل قصائده في المديح.

ولكن أبت الأيام أن تترك الشاعر يعب من كأسه الصافي طويلاً فقتل المتوكل ووزيره، وحضر الشاعر مقتلهما، فكان ذلك مثار حزن شديد له، وعاد إلى بلده منبج.

ومنذ ذلك اليوم كان يتردد بين بغداد ومنبج، ولا يستقر بعاصمة الدولة رغم تعدد مدائحه للخليفة المعتز.

وأخيراً حطّ رحاله في بلده منبج واستقرّ بها زمن خلافة المعتضد، ومات بها بالسكتة سنة ٢٨٤هـ عن عمر يقرب من الثمانين أو يزيد.

وقد أفاد شاعرنا من شعره ثروة كبيرة، وأصبحت له ضياع، ورمي بالبخل والحرص.

وقد قيل إنه كان أقذر الناس ثوباً، ومع ذلك كان حريصاً على اللذات ينفق على اللهو والخمر والمجون الكثير، كما كان شديد الغرور بشعره، سيىء الإنشاد، يتشادق فيه، ويزعم أن شياطين الشعر تعجز عن أن تقول مثله.

وقد وصفه الرواة بالغدر والخيانة، ولكن يظهر من خلال شعره وتاريخ حياته أنه كان وفياً لأقربائه وذويه وللمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان.

كلمة في شعره:

أجاد الشاعر في أكثر فنون الشعر، وقصر في الهجاء، غير أن أروع شعره كان في فن الوصف.

وقد ذكر عن المعرّي أنه قال: المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر هو البحتري.

والحقيقة أن البحتري أشعر الثلاثة عند من يفضلون رونق الديباجة، وسهولة المعنى، ووضوح التركيب، وقرب الخيال وتحليقه، وتآلف الألفاظ.

فقد كان مطبوعاً على الشعر، مولعاً بالجمال، واسع الخيال بعيداً عن التكلف، وقد ساعدته على النبوغ في الشعر بيئته التي عاش فيها حيث انطلق خياله انطلاق جو البادية، وتلألأت ألفاظه تلألؤ ذلك الجوّ السحري في بلده منبج.

ولعل أهم ميزات شعر البحتري حلاوة موسيقاه وانسجامها مع العواطف والمعاني، وخصب الخيال، والإبداع في تصوير الألوان، والصورة الفنية الرائعة التي تناسقت فيها ثقافته العربية وتأثير نشأته الأولى في بلده منبج وتأثره بالحضارة الرفيعة في عاصمة الدولة بغداد.

ولم يَغُصْ البحتري على المعاني الدقيقة، ولم يطلب المعاني الفلسفية شأن أستاذه أبي تمام، فكان نتيجة لذلك أن خلص شعره من الغموض، وظهر فيه الطبع واضحاً.

ومن ميزات شعره حسن الديباجة، وقرب المعنى، وسهولة الألفاظ، وعدم التكلف، وجودة الطبع، وتلاؤم الأفكار، وحسن حوك القصيدة وترتيب أقسامها.

ولعل هذا الذي دعا النقاد لأن يصفوا شعره بالسحر الحلال، وبالسهل الممتنع. قال عنه ابن خلكان:

«وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة، والسهل الممتنع، فللّه درّه ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه، وأحسن سبكه وألطف مقاصده، وليس فيه من الحشو شيء، بل جميعه نخب».

وقيل للبحتري: أيما أشعر أنت أم أبو تمام؟ فقال: جيده خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه.

وكان يقال لشعر البحتري: سلاسل الذهب.

آثاره:

وأخيراً لا بد أن نختم الكلام عن الشاعر بما ترك لنا من آثار تشهد له بالسبق وهي:

١ ـ الحماسة، وقد عارض بها أستاذه أبا تمام في كتابه المسمى بالحماسة أيضاً، وقد جمع فيه البحتري مختارات من أشعار العرب، جعلها في مائة وأربعة وسبعين باباً، ضمنها أكثر المعاني الشعرية الواردة في شعر المتقدمين.

٢ ـ وللبحتري كتاب آخر اسمه «معاني الشعر» ولكنه لم يصل إلينا.

٣ ـ وأهم آثاره ديوانه الذي لم يجمع في زمنه، فقام أبو بكر الصولي فجمعه ورتبه بحسب حروف الهجاء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رُسُلِ الله

قال أبو القاسمِ الحسنُ بنِ بشْرِ بنِ يَحْيَى الآمِدِيُّ:

هذا ما حَثَثْتَ ـ أدام الله لك العز والتأييد، والتوفيقَ والتسديدَ ـ على تقديمه من الموازنة بين أبي تمَّامٍ حبيبِ بن أوْسٍ الطائيّ وأبي عُبَادةَ الوليدِ بن عُبَيْد الْبُحْتُرِيّ في شعريهما، وقد رَسَمْتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عزّ وجل قد وَهَب فيه السلامةَ، وأحْسَنَ في اعتماد الحقِّ وتجَنُّب الهوى المعونةَ منه برحمته.

ووجَدْتُ ـ أطال الله عمرك ـ أكثرَ مَنْ شاهدتُه ورأيته من رُوَاة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمامٍ حبيبِ بن أوسٍ الطائي لا يتعلّق بجيده جيدُ أمثالِه، ورديُه مطروحٌ ومرذول؛ فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه، وأن شعر الوليدِ بن عبيد البحتري صحيحُ السَّبْك، حَسَنُ الدِّيبَاجَةِ، وليس فيه سَفْسافٌ ولا رَدِيّ ولا مَطْروح، ولهذا صار مُسْتَوِياً يُشْبِه بعضُه بعضاً. ووجدتهم فَاضَلُوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما، ولم يتفقوا على أيهما أشعر، كما لم يتفقوا على أحدٍ ممن وقع التفضيلُ بينهم من شُعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين، وذلك كمن فَضَّل البحتريَّ، ونسبه إلى حلاوة اللَّفْظِ، وحسن التخلص، ووَضْع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقُرْب المأتي، وانكشاف المعاني، وهُمُ الكُتَّابُ والأعرابُ والشعراء المطبوعون وأهلُ البلاغة، ومِثْلُ من فَضَّل أبا تمام، ونسبه إلى غُمُوض المعاني ودِقّتها، وكثرة ما يورد، مما يحتاج إلى استنباط وشرحٍ واستخراج، وهؤلاء أهلُ المعاني والشعراءُ أصحابُ الصَّنعة ومَنْ يميل إلى التدقيق وفلسفيّ الكلام. وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً، وذهب إلى المساواة بينهما. وإنهما لمختلفان؛ لأن البحتري أعرابيُّ الشعر، مطبوعٌ، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عَمُودَ الشعر المعروف، وكان يتجنَّب التعقيدَ ومُستَكرَهَ الألفاظ ووَحْشِيَّ الكلام؛ فهو بأن يُقَاس بأشْجَعَ السُّلَمِي ومنصور وأبي يعقوب المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى، ولأن أبا تمامٍ شديدُ التكلف،

صاحبُ صنعةٍ، ومستكرهُ الألفاظ والمعاني، وشِعرُه لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم؛ لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولَّدة، فهو بأن يكون في حَيِّز مسلم بن الوليد ومَنْ حَذَا حَذْوَهُ أَحَقُّ وأشْبَهُ، وعلى أني لا أجد مَنْ أقرِنه به؛ لأنه يَنْحطّ عن درجة مسلم؛ لسلامة شعر مسلم وحُسْنِ سبكه وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر مَنْ ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته.

ولست أحِبُّ أن أطلق القولَ بأيهما أشعر عندي؛ لتباين الناس في العلم، واختلاف مذاهبهم في الشعر، ولا أرى لأحَد أن يفعل ذلك فَيَسْتَهْدِفَ لذم أحد الفريقين؛ لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر في امرىء القيس والنابغة وزُهير والأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشّار ومَرْوَان [والسَّيدِ]، ولا في أبي نُوَاس وأبي العتاهية ومُسْلم؛ لاختلاف آراء الناس في الشعر، وتباين مذاهبهم فيه.

فإن كنت ـ أدام الله سلامتك ـ ممن يُفَضِّلُ سَهْلَ الكلام وقريبه، ويُؤثر صحة السَّبْك وحسنَ العبارة وحُلْو اللفظ وكثرة الماء والرَّونق فالبحتريُّ أشعر عندك ضرورةً. وإن كنت تميل إلى الصَّنْعة، والمعاني الغامضة التي تُسْتَخرج بالغَوْص والفكرة، ولا تَلْوِي على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة.

فأما أنا فلست أُفْصِح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازِنُ بين قصيدتين من شعرهما إذا اتَّفَقَتَا في الوزنِ والقافيةِ وإعرابِ القافية، وبين مَعْنًى ومَعْنًى، فأقول: أيهما أشْعَر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احكُمْ أنت حينئذٍ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحَطْتَ عِلماً بالجيد والرديء.

* * *

وأنا أبتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذَيْنِ الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بَعْضٌ على بعض؛ لتتأمل ذلك، وتزداد بَصِيرةً وقُوةً في حكمك إن شئتَ أن تحكم، أو اعتقادك فيما لعلك تعتقدهُ مع احتجاج الخصمين به:

١ ـ قال صاحبُ أبي تمام: كيف يجوز لقائل أن يقول إن البحتريَّ أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ، وعلى حَذْوه احتَذَى ومن معانيه استَقَى؟ وبَارَاهُ حتى قيل: الطائي الأكبر، والطائي الأصغر، واعترف البحتري بأن جَيِّد أبي تمام خيرٌ من جيده، على كثرة جيد أبي تمام؛ فهو بهذه الخصال أن يكون أشعَرَ من البحتري أولى من أن يكون البحتري أشعر منه.

٢ ـ قال صاحب البحتري: أما الصحبة فما صَحِبه ولا تَلْمَذَ له، ولا روى ذلك أحدٌ عنه، ولا نَقَله، ولا رأى قَطّ أنه محتاج إليه، ودليلُ هذا الخبرُ المستفيضُ من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيدٍ محمدٍ بن يوسفَ الثَّغْري وقد دخل إليه البحتريُّ بقصيدته التي أولها: [الكامل]

* أَأَفَــاقَ صَــبٌّ مِــنْ هَــوًى فــأُفِيــقَــا[1]؟ *

وأبو تمام حاضر، فلما أنشدها عَلّق أبو تمام أبياتاً كثيرةً منها، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير، ما ظَنَنْتُ أحداً يُقْدم على أن يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم، ثم اندفع يُنشد ما حَفِظه. حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة، فبُهِتَ البحتريُّ، ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف، فحينئذٍ قال له أبو تمام: أيها الأمير، والله ما الشعرُ إلا لهُ، وإنه أحْسَنَ فيه الإحسانَ كلَّه، وأقبل يُقَرظه ويَصِف معانيه، ويذكر محاسنه، ثم جعل يَفْخَر باليمن، وأنهم يَنْبُوع الشعر، ولم يَقْنَع من محمد بن يوسف حتى أضْعَفَ للبحتريّ الجائزة.

فهذا الخبر الشائع يُبطل ما ادعيتم؛ إذ كان مَنْ يقول هذه القصيدةَ التي هي من عَيْن شعره وفاخر كلامه، وهو لا يعرفُ أبا تمام إلا أن يكون بالخبر، يستغني عن أن يَصْحبَه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر.

وقد أخبرني أنا رَجُلٌ من أهل الجزيرة ـ ويكنى أبا الوضاح، وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما ـ أنَّ القصيدةَ التي سمعها أبو تمام من البحتري عند محمد بن يوسف وكان أول اجتماعهما وتعارفهما القصيدةُ التي أولها: [الكامل]

* فِــيــمَ ٱبْــتِــدَارُكُــمَــا الْــمَــلاَمَ وَلُــوعَــا[2]؟ *

---

(١) عجزه:

أمْ خــان عــهــداً أم أطــاع شــفــيــقــا

والبيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٠٨ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) عجزه:

أبــكــيــت إلاّ دمــنــةً وربــوعــا

والبيت في ديوانه ١/ ٢٤٤.

وأنه لما بلغ إلى قوله فيها: [الكامل]

فِـي مَـنْـزِلٍ ضَـنْـكٍ تـخَـالُ بـهِ الْـقـنَـا بَـيـنَ الـضُّـلُـوعِ إِذَا انْـحَـنَـيْـنَ ضُـلُـوعَـا[١]

نهض إليه أبو تمام فقبَّل بين عينيه: سروراً به، وتَحَفُّياً بالطائية، ثم قال: أبى الله إلا أن يكون الشعر يمَنيًا.

٣ ـ قال صاحب أبي تمام: إلا أنه ـ مع هذا ـ لا يُنْكَرُ أن يكون قد استعار بعضَ معاني أبي تمام؛ لقرب البلدين، وكثرة ما كان يَطْرُق سمعَ البحتريِّ من شعر أبي تمام فيُعَلِّق شيئاً من معانيه، معتمِداً للأخذ أو غيرَ معتمد.

٤ ـ [قال صاحب البحتري]: ليس ذلك بمانع من أن يكون البحتريُّ أشعَرَ منه؛ فهذا كُثَيِّر قد أخذ من جَميل، وتَلْمذ له، واسْتَقَى من معانيه، فما رأينا أحداً أطلق على كُثَير أن جَميلاً أشعر منه، بل هو ـ عند أهل العلم بالشعر والرواية ـ أشعر من جميل. وهذا ابنُ سَلاّم الْجُمَحِي ذكره في كتاب الطبقات في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، وجعله مع الْبَعيث والْقُطَامي، وذكر أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعرُ من جرير والفرزدق والأخطل، وجعل جَميلاً في الطبقة السادسة مع عبد الله بن قَيسِ الرُّقَيَّاتِ والأَحْوَص ونُصَيْب، إلا أنه قال: إن جميلاً يَتَقَدَّمه في النسيب. وهذا غير مقبول منه؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه، وأهلُ الحجاز إنما قدّموا كُثَيراً من أجل نَسيبه، وحُسْن تَصَرفه فيه. وقد حكى عن جرير أنه قال في بعض الروايات: كُثَير أنْسَبُنا. ويدلّ على تقدمه في النسيب قولُ أبي تمام في قصيدة يمدح بها أبا سعيد الكاتبي أولها: [الخفيف]

* مِـنْ سَـجَـايَـا الـطُـلـول أنْ لا تُـجِـيـبَـا[٢] *

لَـوْ يُـفَـاجِـي رُكْـنُ الْـمَـدِيـح كَـثِـيـراً بِـمَـعَـانِـيـهِ خَـالَـهُـنَّ نَـسِـيـبـا
طَـابَ فِـيـهِ الْـمَـدِيـحُ وَالْـتَـذَّ، حَـتَّـى فَـاقَ وَصْـفَ الـدِّيَـارِ وَالـتـشْـبِـيـبَـا[٣]

---

(١) ديوانه ١/٢٤٦.

(٢) عجزه:

فـصـواب مـن مـقـلـتـي أنْ تـصـوبـا

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٢ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) البيتان في ديوانه ص٣٣، بتقديم الثاني على الأول، وفي الديوان: «لو يفاجا ركن النسيب كثيراً».

أراد أن كُثَيراً لو فاجأه هذا المديحُ ـ على حُسْن نسيبه ـ لَخَالَه نسيباً، وخصَّ كُثَيراً لشهرته بالنسيب وبراعته، واحتمل ضرورةَ الشعر، وَرَدَّ كُثَيِّراً إلى التكبير فقال كَثِيراً ولم يقل جَميلاً ولا جريراً ولا غيرَهما، مما لا ضرورة في اسمه. وعلى أنَّ «كُثَيِّراً» قد ذكر اسمه في شعره مكبراً: إما ضرورة، وإما اعتماداً لتفخيمِ اسمه وأن لا يأتي به مُحقَّراً، فقال: [الطويل]

وَقَالَ لِيَ الوَاشُونَ: وَيْحَكَ! إنَّهَا بِغَيْرِكَ ـ حَقًّا يا كَثِيرُ ـ تَهِيمُ[(١)]

وقد ذكر أبو تمام كُثَيِّراً في مواضِعَ أُخَرَ فجاء به مكبراً في قصيدة يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب ويصفه بالبلاغة، وهو قوله: [الكامل]

فَكَأَنَّ قُسًّا في عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنٍ يَنْسُبُ[(٢)]

وذلك لعلم أبي تمام بتقدُّم كُثَيِّر في النسيب على غيره، وشهرته بالتجويد فيه، على أن جَمِيلاً لا شعر له مما يُعتدُّ به إلا في النسيب والغَزَل.

فقد علمتم الآن أن هذه خَلَّةٌ[(٣)] لا توجب لكم تفضيلَ أبي تمام على البحتري من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه.

وأما قول البحتري «جَيِّدُه خير من جَيِّدي، ورديئي خير من رديئه» فهذا الخبر ـ إن كان صحيحاً ـ فهو للبحتريِّ، لا عليه؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعْرَ أبي تمام شديدُ الاختلاف، وشعرَه شديدُ الاستواء، والمُسْتَوِي الشعرِ أولى بالتَّقْدِمة من المختلف الشعر، وقد اجتمعنا ـ نحن وأنتم ـ على أن أبا تمام يَعْلُو عُلُوًّا حَسَناً ويَنْحَطّ انحطاطاً قبيحاً، وأن البحتريَّ يعلو بتوسُّطٍ، ولا يسقط، ومن لا يسقط ولا يُسَفْسِفُ أفضَلُ ممن يسقط ويسفسف.

---

(١) البيت في ديوان كثير عزّة، من قصيدة مطلعها:
لعزّة من أيام ذي الغصن هاجني بضاحي قرار الروضتين رسومُ
ورواية صدر البيت في الديوان:
وقال لي البلاّغ ويحك إنّها

(٢) البيت ملفّق من بيتين، هما:
فكأن قسّا في عكاظ يخطب وكأنّ ليلى الأخيلية تندبُ
وكثير عزّة يوم بين ينسب وابن المقفع في اليتيمة يسهبُ
والبيتان في ديوان أبي تمام ص٤٤.

(٣) الخلّة: الخصلة.

والذي نرويه عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني ـ وكان صديق البحتري ـ أنه قال: سُئل البحتريُّ عن نفسه وعن أبي تمام، فقال: هو أغْوَصُ على المعاني مِنِّي وأنا أقْوَمُ بعَمُود الشعر منه. وهذا الخبر هو الذي يعرفه الشاميون، دون غيره.

وسمعت أبا عليٍّ محمدَ بن العلاء أيضاً يقول: كان البحتريُّ عند نفسه أشعَرَ من أبي تمام ومن سائِرِ الشعراء المحدَثِين.

وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه الذي ذكر فيه أخبارَ الشعراء نحواً من ذلك.

قال أبو علي محمد بن العلاء: كان البحتري إذا شَرِبَ وَأَنِسَ أنشدَ شعرَه، وقال: ألا تسمعون؟ ألا تعجبون؟ قال: وكان ـ مع هذا ـ أحسنَ الناس أدبَ نفسٍ، لا يُذكر شاعر مُحْسنٌ أو غيرُ محسنٍ إلاَّ قَرَّظَه، ومدحه، وذكر أحْسَنَ ما فيه.

قال أبو علي: ولِمَ لا يفعل ذلك؟ وقد أسقط في أيامه أكثرَ من خمسمائة شاعر، وذهب بخيرهم، وانفرد بأخذِ جوائز الخلفاء والملوك دونهم؟ فلو لم يفعل ذلك إلا اسْتِكْفَافاً وحَذَراً من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له أن يفعَلَه.

قال: وكذلك كان أبو علي دعْبِلُ بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا يكاد يعرض لشاعر إلا ضرورة، وقد حَذَّر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر، ولو كان من أدْوَنِ الناسِ صنعةً في الشعر، وقال: رُبَّ بيت جرى على لسان مُفْحَم قيل فيه «رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ» فسارت به الركبان، وذلك يقول في بعض شعره: [البسيط]

لاَ تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامْرِىءٍ طَبِنٍ ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أجْرَاهُ في الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بالمَزْحِ جَارِيَةٍ ... مَشْئُومَةٌ لم يُرَدْ إنمَاؤُهَا نَمَتِ[1]

ثم نرجع إلى قول الخصمين:

(١) البيتان في ديوان دعبل الخزاعي، من قصيدة مطلعها:
إذا غزونا فمغزانا بأنقرةٍ ... وأهل سلمى بسيف البحر من جُرُتِ
والبيتان في ذيل أمالي أبي علي القالي ص١١١ ـ ١١٢، والعمدة في محاسن الشعر والأدب لابن رشيق القيرواني ١/٧٧.

٥ ـ قال صاحب أبي تمام: فأبو تمام انفرد بمذهبٍ اخترعه، وصار فيه أوَّلاً وإماماً متبوعاً، وشُهر به حتى قيل: هذا مَذْهَبُ أبي تمام، وطريقَةُ أبي تمام، وسَلَكَ الناسُ نَهْجَه، واقْتَفَوْا أثَرَهُ، وهذه فضيلة عَرِي عن مثلها البحتري.

٦ ـ قال صاحب البحتري: ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته، ولا هو بأوَّلٍ فيه، ولا سابقٍ إليه، بل سلك في ذلك سبيلَ مُسْلم، واحتذى حَذْوه وأفرط وأسرف، وزال عن النَّهج المعروف، والسَّنَن المألوف، وعلى أن مسلماً أيضاً غيرُ مبتدع لهذا المذهب، ولا هو أوَّلٌ فيه، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع ـ وهي: الاستعارة، والطِّباق، والتجنيس ـ منشورةً متفرقة في أشعار المتقدمين، فقَصَدها، وأكثر في شعره منها، وهي في كتاب الله عزّ وجل أيضاً موجودة، قال الله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ فهذه من الاستعارة التي هي مَجاز في القرآن. وقال امرؤ القيس: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ ... وَأرْدَفَ أعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[1]

فجعل الليل يتمطّى، وجعل له إردافاً وكَلْكَلاً. وقال زهير: [الطويل]

صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمىٰ وَأقْصَرَ بَاطِلُهْ ... وَعُرِّيَ أفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[2]

فجعل للهوى أفراساً ورَوَاحل. وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيّ: [الكامل]

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ ... يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ[3]

فجعل الرَّحْلَ يقتات السنام. وقال لَبيدٌ الْجُعْفِيّ: [الكامل]

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرَّةٍ ... إذْ أصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا[4]

فجعل للشّمَال يداً، وللغَدَاة زماماً؛ فهذه كلها استعارات.

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٨، ولسان العرب (كلل)، والمقاصد النحوية ٤/١٢٧. وفي الديوان: «بصلبه»، بدل: «بجوزه».

(٢) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمة ص١٢٤، ولسان العرب (أجل)، (رحل)، وبلا نسبة في كتاب العين ٣/٢٦٨.

(٣) البيت في ديوان طفيل الغنوي ص١٠٨، ولسان العرب (قوت).

(٤) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة ص٣١٥، وأساس البلاغة (يدي).

وقال الله جلّ وعز في التجنيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] وقال النبي ﷺ: «**عُصَيَّةُ عَصَتِ اللّهِ ورسُولَهُ، وغِفَارُ غَفَرَ الله لها، وأسْلَم سَالَمَهَا الله**»[١]. وقال القُطَامي: [الوافر]

ولَـمّـا رَدَّهَـا فـي الـشَّـولِ شَـالَـتْ ... بِـذَيَّـالٍ يـكـونُ لـهَـا لـفـاعَـا[٢]

وقال أيضاً: [البسيط]

كنِيَّةِ الحيِّ مِنْ ذِي القَيْظِ فاحتَمَلُوا ... مُسْتَحْقِبِين فؤاداً ما لَهُ فادِ[٣]

وقال جرير: [الطويل]

وما زَالَ مَغْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى ... وما زالَ مَحْبُوساً عَنِ المَجْدِ حَابِسُ[٤]

وقال ذو الرمة: [الطويل]

كأنَّ البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ ... على عُشَرٍ يَرْمي بِهِ السَّيْلَ أبْطَحُ[٥]

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

لقدْ طَمَحَ الطّماحُ مِنْ بُعْدِ أرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ ما تَلَبَّسَا[٦]

وقال الفرزدق: [الطويل]

خُفَافٌ أخَفَّ الله عنهُ سَحَابَهُ ... وَأوْسَعَهُ مِنْ كلِّ سَافٍ وحَاصِبِ[٧]

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٦، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٨٢ ـ ١٨٧.

(٢) البيت في ديوان القطامي ص٤٤، والشول: هي الناقة التي خفّ لبنها، والذيال: الطويل الذيل، واللفاع: الملحفة أو الكساء.

(٣) البيت في ديوان القطامي ص٧٨. ومستحقبين فؤادا: أراد أخذوه معهم كما يأخذون متاعهم في حقائبهم.

(٤) البيت في ديوان جرير ص١١٩. من قصيدة مطلعها:

مـا ذات أوراق تـصـدّى لـجـؤذرٍ ... بـحـيـث تـلاقـى عـازبٌ فـالأواعـسُ

(٥) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٢٠٠، ومقاييس اللغة ١/ ٢٦٠، والكامل ص٨٧٢، وفي الديوان: «على عُشَرٍ نهّى»، بدل: «على عشر يرمى». والبرى: جمع برة، بوزن كرة، وهي حلقة تجعل في أنف البعير، وعيجت: عطفت.

(٦) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٠٨، والصناعتين ص٣٢٣، ٣٢٥، والكامل ٢/ ١٢.

(٧) البيت في ديوان الفرزدق ١/ ٩٦، والصناعتين ص٣٢٥، ونقد الشعر ص٦١، والبديع ص٢٧.

ذكر ذلك كله أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتاب البديع. قال: ومن الطِّبَاقِ قولُ الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقال النبي ﷺ: «**إنكم لَتَكْثُرُونَ عندَ الفَزَعِ، وتَقِلُّونَ عند الطَّمَع**». وقال زهير: [البسيط]

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إذا ... ما كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أقْرَانِهِ صَدَقَا[(١)]

فطابق بين الصدق والكذب. وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ: [البسيط]

بِسَاهِمِ الوَجْهِ لم تُقْطَعْ أبَاجِلُهُ ... يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[(٢)]

فطابق بين قوله «يصان» وبين قوله «مبذول».

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواعَ، واعتدَّها، ووشَّح شعره بها، ووضعها في موضعها، ثم لم يَسْلم مع ذلك من الطعن، حتى قيل: إنه أول من أفسد الشعر، رَوَى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح، قال: وحدثني محمد بن قاسم بن مهرويه، قال: سمعت أبي يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، ثم اتبعه أبو تمام، واستحسن مذهبه، وأحبَّ أن يجعل كل بيت من شعره غيرَ خالٍ من بعض هذه الأصناف، فسلك طريقاً وَعْراً وَٱسْتَكْرَه الألفاظ والمعاني، ففسد شعره، وذهبت طِلاوته، ونَشِفَ ماؤه؛ وقد حكى عبد الله بن المعتز في هذا الكتاب الذي لَقَّبه بكتاب البديع[(٣)] أن بَشَّاراً وأبا نُوَاس ومُسلم بن الوليد ومَنْ تَقَيَّلهم[(٤)] لم يَسْبِقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم. ثم إن الطائي تَفَرَّعَ فيه، وأكثر منه، وأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعضٍ، وتلك عُقْبى الإفراط، وثمرة الإسراف.

قال: وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرىء في شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يُوجَدَ فيها بيتٌ واحدٌ بديعٌ، وكان يُسْتَحسن ذلك منهم إذا أتى قَدَراً، ويزداد حُظوة بين الكلام للرسل. وقد كان بعضهم يُشَبِّه الطائيَّ في البديع بصالح بن عبد القُدُّوسِ في الأمثال، ويقول: لو كان صالحٌ نثرَ

---

(١) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٥٤، ولسان العرب (كذب)، (عثر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٦١، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٤، وجمهرة اللغة ص٤٢١. وفي الديوان: «إذا ما الليل كذّب عن أقرانه».

(٢) البيت في ديوان طفيل الغنوي ص٦٠، والصناعتين ص٣١٢، والبديع ص٣٩، وساهم الوجه: متغيره، والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في الفرس بمنزلة الأكحل في الإنسان.

(٣) انظر كتاب «البديع» ص٣.

(٤) تقيّلهم: أي تبعهم واقتفى أثرهم.

أمثاله في تضاعيف شعره وجعل منها فصولاً في أبياته لسبق أهلَ زمانه، وغلب عَلَى مَيْدَانه. قال ابن المعتز: وهذا أعْدَلُ كلامٍ سمعته.

قال صاحب البحتري: فقد سقط الآن احتجاجُكُمْ باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسَبْقِهِ إليه، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه، وأكبر عيوبه، وحصل للبحتري أنه ما فارق عَمُودَ الشعر وطريقته المعهودة، مع ما نجدهُ كثيراً في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة، وانفرد بحسن العبارة، وحلاوة الألفاظ، وصحة المعاني، حتى وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته، ورَوَى شعرَهُ واستحسنه سائرُ الرواة عَلَى طبقاتهم واختلاف مذاهبهم؛ فمن نَفَقَ على الناس جميعاً أوْلى بالفضيلة، وأحقّ بالتقدمة.

٧ ـ قال صاحب أبي تمام: إنما أعْرَضَ عن شعر أبي تمام مَنْ لم يفهمه؛ لدقّة معانيه، وقُصور فهمه عنه، وفَهِمَه العلماء والنقَّادُ في علم الشعر، وإذا عَرَفَتْ هذه الطبقةُ فضيلته لم يَضُرّه طعنُ مَنْ طعن بعدها عليه.

٨ ـ قال صاحب البحتري: إن ابن الأعْرَابِيّ وأحمَدَ بن يحيى الشيباني ـ وقبلهما دِعْبِل بن عليٍّ الْخُزَاعي ـ قد كانوا عُلماء بالشعر وكلام العرب، وقد علمتم مذاهبهم في أبي تمام، وازدراءهم بشعره، وطَعْن دِعْبِلٍ عليه، وقولَهُ: إن ثُلُث شعره محال. وثلثه مسروق، وثلثه صالح. ورَوَى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دِعْبِلٍ أنه قال: ما جَعَله الله من الشعراء، بل شعره بالخُطَبِ والكلام المنثور أشبه منه بالشعر، ولم يُدْخله في كتابه المؤلّف في الشعراء. وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام: إن كان هذا شعراً فكلامُ العربِ باطلٌ، رَوَى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود عن البحتري عن ابن الأعرابي. وحكى محمد بن داود أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد ـ وكان عالِماً بالشعر ـ أنه قال: أبو تمام يريد البديع فَيَخْرُج إلى المحال. ورَوَى عنه أنه قال: دخل إسحاقُ بن إبراهيم الْمَوْصِلي عَلَى الحسن بن وهب وأبو تمام يُنْشِده، فقال له إسحاق: يا هذا لقد شَدّدْتَ عَلَى نفسك. وذكره أيضاً أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتاب البديع. وغيرُ هؤلاء العلماء ممن أسْقَطَ شعره كثيرٌ: منهم أبو سعيد الضرير، وأبو الْعَمَيْثل الأعرابي صاحبا عبد الله بن طاهر القَيِّمانِ بأمر خزانة الحكمة بخراسان، وكانا من أعلم الناس بالشعر، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امْتَحَناه وأنشدهما شعره ورضياه، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها: [الطويل]

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهْ فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ النُّجْحَ طَالِبُهْ[(١)]

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه، وأسقطا القصيدة، حتى عاتبهما أبو تمام، وسألهما النظر فيها، فلولا أنهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح، وخابت سَفْرَته، وخَسِرَت صَفْقته، والبيتان: [الطويل]

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ[(٢)]

أخذ معنى البيت الأول من قول الْبَعيث: [الطويل]

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالأَسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخَاشِعَةِ الأَصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا[(٣)]

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر: [الوافر]

غُلامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بَلاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ
وَكَانَ عَلَى الْفَتَى الإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ الْمَنُونُ[(٤)]

ولما أوصلا إليه الجائزة قالا له: لِمَ تقول ما لا يفهم؟ فقال لهما: لِمَ لا تفهمان ما يقال؟ فكان هذا مما استحسن من جوابه.

وهذا أبو العباس محمدُ بن يَزيد المبردُ، ما علمناه دَوَّنَ له كبير شيء، وهذه كتبه وأماليه وإنشاداته تَدُلُّ على ذلك، وكان يفضل البحتريَّ، ويستجيد شعره، ويكثر إنشاده، ولا يُمْلِيه؛ لأن البحتري كان باقياً في زمانه، أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال: سمعت أبا العباس محمدَ بن يزيدَ المبرِّدَ يقول: ما رأيت أشعر من هذا الرجل، يعني البحتري، لولا أنه ينشدني لِما أنشدكم لملأتُ كتبي وأماليَّ من شعره.

قال صاحب البحتري: فقد بطل احتجاجكم بالعلماء، وتفضيلكم شِعْرَهُ.

---

(١) ديوان أبي تمام ص٤٧، وفيه: «أدرك السُّؤْلِ»، بدل: «أدرك النجح».

(٢) ديوان أبي تمام ص٤٨.

(٣) البيت بلا نسبة في أخبار أبي تمام ص٥٢، والشعث: جمع أشعث، وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر، والأسنّة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وهجد: جمع هاجد، وهو النائم، والأصواء: جمع صوى، وصوة، وهو حجر يوضع في الطريق ليهتدي به السائر.

(٤) البيتان بلا نسبة في أخبار أبي تمام ص٥٢، والصناعتين ص٢٠٦، ولسان العرب (منن)، وأساس البلاغة (منن)، وتاج العروس (منن).

٩ ـ قال صاحب أبي تمام: أما احتجاجكم بدعْبِلٍ فغيرُ مقبولٍ ولا مُعَوَّلٍ عليه؛ لأن دِعْبِلاً كان يَشْنأ أبا تمام ويحسُده، وذلك مشهور معلوم منه؛ فلا يقبل قول شاعر في شاعر، وأما ابن الأعرابي فكان شديدَ التعصُّبِ عليه؛ لغرابة مذهبه، ولأنه كان يَرِد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه، فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنَفُ أن يقول لا أدري فيعدل إلى الطعن عليه، والدليلُ على ذلك أنه أُنْشِدَ يوماً أبياتاً من شعره، وهو لا يعلم قائلها، فاستحسنها وأمر بكَتْبها، فلما عرف أنه قائلها قال: خَرِّقوه، والأبيات من أرجوزته التي أولها: [الرجز]

وَعَاذِلٍ عَذَلْتُهُ فِي عَذْلِهِ ... فَظَنَّ أنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ[1]

وكان ابن الأعرابي ـ على علمه وتقدُّمِهِ ـ قد حَمَل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر، فما تُنكرون أيضاً أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه مثلَ حاله؟

١٠ ـ قال صاحب البحتري: لا يلزم ابنَ الأعرابي من الظلم والتعصب ما ادَّعيتم، ولا يلحقه نقصٌ في قصور فَهْمه عن معاني شاعرٍ عَدَل في شعره عن مذاهب العرب المألُوفَةِ إلى الاستعارات البعيدة المُخْرِجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة، بل العيبُ والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام؛ إذ عدل عن المَحَجَّة إلى طريقَةٍ يجهلها ابْنُ الأعرابي وأمثاله، وأما ما استحسنه ابن الأعرابي من شعر أبي تمام على أنه لأعرابيٌّ فأمر بكَتْبه، ثم أمر بتخريقه لَمَّا علم أنه قائلُه، فذلك غير مُنْكَر، ولا يُدْخِل ابْنَ الأعرابي في التعصُّب والظلم؛ لأن الذي يورده الأعرابي ـ وهو محتذٍ على غير مثال ـ أحلى في النفوس، وأشهى إلى الأسماع، وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتَذِي على الأمثلة، وعُذْرُ ابن الأعرابي في هذا وَاضِحٌ، وقد سبقه الأصمعي، وذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشد الأصمعي: [الخفيف]

هَلْ إلَى نَظْرَةٍ إلَيْكَ سَبِيلُ ... فيروّي الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ؟
إنَّ مَا قَلَّ مِنْكِ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ[2]

فقال الأصمعي: لمن تنشدني؟ فقال: لبعض الأعراب، فقال: هذا والله هو الدِّيبَاجُ الخسرواني، قال: إنهما لليلتهما، فقال: لا جرمَ والله إن أثر الصنعة والتكلُّف

---

(١) ديوان أبي تمام ص٥٣٣، قاله في هجاء صالح بن عبدالله الهاشمي.

(٢) البيتان في الصناعتين ص٣٩٥، والوساطة ص٤٧، والأغاني ٥/٣٢٨.

بَيِّنٌ عليهما. حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ النحويُّ، قال: حدثنا أبو الحسن المهراني، قال: حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: أنشدت الأصمعي، إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه قال له: إنهما لليلتهما، فقال الأصمعي: أفسدتهما؛ فالأصمعي في هذا غيرُ ظالم؛ لأن إسحاق ـ مع علمه بالشعر، وكثرة روايته ـ لا ينكر له أن يُورِدَ مثلَ هذا؛ لأنه يقول في النفس أنه قد احْتَذَاه على مثال، وأخذه عن متقَدِّم، وإنما يُسْتَطْرف مثلُه من الأعرابي الذي لا يُعَوِّل إلا على طبعه وسليقته، وابْنُ الأعرابي في أبي تمام أعْذَرُ من الأصمعي في إسحاق؛ لأن أبا تمام كان مُغْرَماً مشغوفاً بالشعر، وانفرد به، وجعله وُكْدَه، وألَّفَ كتباً فيه، واقتصر من كل علم عليه، فإذا أورد المعنى المستغرَبَ لم يكن ذلك ببِدْع له؛ لأنه يأخذ المعانِيَ ويحتذيها، فليس لها في النفوس حَلاَوَةُ ما يورده الأعرابي القُحُّ.

١١ ـ قال صاحب أبي تمام: فقد أقررتم لأبي تمام بالعلم والشعر والرواية، ولا محالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم.

١٢ ـ قال صاحب البحتري: فقد كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً، وكان الأصمعي عالماً شاعراً، وكان الكسائي كذلك، وكان خَلَفُ بن حَيَّان الأحمر أشعرَ العلماء، وما بلغ بهم العلم طبقةَ مَنْ كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء؛ فقد كان التجويد في الشعر ليست علتُه العلمَ، ولو كانت علته العلم لكان مَنْ يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم؛ فقد سقط فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري، وصار البحتريّ أفضلَ وأولى بالسبق؛ إذ كان معلوماً شائعاً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء، ومع ذلك فإن أبا تمام تَعَمَّدَ أن يَدُلَّ في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب؛ فيعمد لإدخال ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره، وذلك نحو قوله: [الكامل]

هُنَّ الْبَجَارِيُّ يا بُجَيْرُ ... أهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الْغُوَيْرُ[1]

---

(١) البيت ليس في ديوان أبي تمام، وهو في الوساطة ص٢٦. والبجاريّ: الدواهي والأمور العظيمة.

وقوله: [الكامل]

* قَــدْكَ اتَّــئِــبْ أَرْبَــيْــتَ فــي الْــغُــلَــوَاءِ[١] *

وقوله: [البسيط]

* أَقَــرْمَ بــكــرٍ تُــبَــارِي أَيُّــهَــا الْــحَــفْــضُ[٢] *

وهذا في شعره كثير موجود، والبحتري لم يقصد هذا، ولا اعْتَمَدَهُ، ولا كان له عنده فضيلة، ولا رأى أنه علم؛ لأنه نشأ ببادية مَنْبِجَ، وكان يتعمّد حذف الغريب والوَحْشِيِّ من شعره؛ ليقربه مِنْ فهم مَنْ يمتدحه، إلا أن يأتيه طبعُه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها، ويرى أن ذلك أنْفَقُ له؛ فَنَفَقَ، وبلغ المراد والغرض؛ ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عُبَادة، ولما دخل العراق تكنّى أبا الحسن؛ ليزيل العُنْجُهية والأعرابية، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة، ويتقرّب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكتَّاب من الشيعة، وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعَرف مذهبه عَدَلَ إلى أبي عُبَادة، والأول أثبَتُ، وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء أن أبا عُبَادة كنية البحتري القديمة، فشتّان ما هما، مِنْ حَضَرِيٍّ تشبَّه بأهل البدو فلم ينفق بالبادية، ولا عند أكثر الحاضرة، وبَدَوِيٍّ تحضَّرَ فَنَفَقَ في البدو والحضر.

١٣ ـ قال صاحب أبي تمام: فقد عَرَّفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بمعانٍ فلسفية، وألفاظٍ غريبة، فإذا سَمِع بعضَ شعره الأعرابيُّ لم يفهمه، فإذا فُسِّر له فهمه واستحسنه.

---

(١) عجزه:

كــم تــعــذلــون وأنــتــم ســجــرائــي

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٤، وقدْكَ: أي حسبك، أو يكفيك، واتئب: استمح، وأربيت: زدت، والغلواء: مجاوزة الحد، والسجراء: جمع سجير، وهو الصديق والأنيس، وأبو تمام يمدح في هذه القصيدة يحيى بن ثابت.

(٢) عجزه:

ونــجــمــهــا أيــهــذا الــهــالــك الــحــرضُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٦٩، وفيه: «تباهي»، بدل: «تباري»، والقرم: السيد، والحفض: الجمل الضعيف، وتباري: تفاخر، والحرض: الذي أضناه المرض. وأبو تمام في هذه القصيدة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، ويهجو رجلاً فاخره في المجلس.

١٤ ـ قال صاحب البحتري: هذه دعاوٍ منكم على الأعراب في استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان، ولكنكم معترفون ومُجْمعون مع مَنْ هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناتٍ وإساءاتٍ، وأن الإحسان للبحتري دون الإساءة، ومَنْ أحْسَنَ ولم يسيء أفضلُ ممن أحسن وأساء.

١٥ ـ قال صاحب أبي تمام: ما أجمعنا معكم أن صاحبكم لم يُسيء، بل هو قد أساء في قوله: [الكامل]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا ... فِي الكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ[١]

وهذا وصف للإناء لا للشراب؛ لأنه لو مَلأ الإناء دِبْساً لكان هذا صفته.

وقال: [الخفيف]

ضَحِكَاتٌ فِي إثْرِهِنَّ العَطَايَا ... وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ[٢]

فأقام البرقَ مُقَامَ الضحك، والرعدَ مقام العطايا، وإنما كان يجب أن يُقيم الغيثَ مُقام العطايا، لا الرعد، ولهُ لُحُون في شعره معروفة نحو قوله: [الكامل]

* وَنَصَبْتَهُ عَلَماً بِسَامُرَّاءِ[٣] *

وقوله: [الكامل]

* نبرَاتُ مَعْبَدَ فِي الثَّقِيلِ الأوَّلِ[٤] *

وقوله: [الكامل]

عَرِّجْ بِذِي سَلَمٍ فَثَمَّ المَنْزِلُ ... لِيَقُولَ صَبٌّ ما يشاءُ وَيَفْعَلُ[٥]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٢٩، من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف، والضمير في: «لونها»، عائد إلى الخمرة، وهو يريد أن هذه الخمرة صفت وراقت حتى شاكلت الكأس.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٦٨، من قصيدة يمدح فيها الخضر بن أحمد الثعلبي.

(٣) صدره:

أخليت منه البذَّ وهي قرارَهُ

والبيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٣٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. والبذّ: الفرد.

(٤) صدره:

هزج الصهيل كأنّ في نغماته

والبيت في ديوان البحتري ٢/٣١٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب.

(٥) البيت ليس في ديوان البحتري، وهو بلا نسبة في «الزهرة» لابن داود الأصفهاني ص١/٦٧٦.

وأشباه لهذا كثيرة؛ فقد تساويا في الغلط.

١٦ ـ قال صاحب البحتري: ما نَعَيْنَا على أبي تمام اللحنَ ـ وهو في شعره كثير لو تتبِّع ـ فتنعوا مثله على البحتري؛ لأن اللحن لا يكاد يَعْرَى منه أحد من الشعراء المُحْدَثِينَ، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين؛ وقد جاء في أشعار المتقدمين ما علمتم من الإقْوَاء وغير الإقوَاءِ مما لا يقوم العذرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة، وعلى أنه ليس شيء مما عبتم به البحتري من اللحن خارجاً عن مقاييس العربية، ولا بعيداً من الصواب، بل قد جاء مثله كثير في أشعار القدماء والأعراب والفصحاء، ولو كان هذا موضع ذكرهِ لذكرناه، ونحن لو رُمْنَا أن نُخْرج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه، ولا يجد المتأوِّلُ له مخرَجاً منه إلاّ بالطلب والحيلة والتمحل الشديد، وذلك مثل قوله: [الكامل]

ثَانِيهِ في كَبِدِ السَّمَاءِ، ولم يَكُنْ لاِثْنَيْنِ ثَانٍ إذْ هُمَا في الغَارِ[1]

معنى هذا البيت أن بابَكَ صار جاراً في الصَّلْبِ لمازيَّار، وهو ثانيه في كبد السماء، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما في الغار: أي هو ثاني اثنين في الصَّلب لمازيَّار الذي هو رَذيلة، وليس هو ثانياً في الغار؛ لأن هذه فضيلة؛ فكان يجب أن يقول في البيت «ولم يكن لاثنين ثانياً»؛ لأنه خبر يكن، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها؛ فليس إلى غير النصب سبيل في البيت، وإلا بطل المعنى وفسد، وفسادُهُ أنك إذا أخليت «يكن» من ضمير بابك وجعلت قوله «ثاني» اسْمَهَا كان ذلك خطأً ظاهراً قبيحاً؛ لأنك إذا قلت: كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان، كنت مخطئاً؛ لأن كلّ اثنين أحدهما ثانٍ للآخر، وكذلك إذا قلت: كانوا ثلاثةً ولم يكن لهم ثالث، كنت مخطئاً؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم، وإنما تكون مصيباً إذا قلت: كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث، وثلاثةً ولم يكن لهم رابع، وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة البتة؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذٍ أن بابك ثاني مازيّار، فأيُّ فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش؟ وأيُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت[2]؟

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٥، من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفشين.

(٢) البيت الذي قبله:

ولقد شفى الأحشاءَ من برحائها أن صار بابك جار مازيار

وقال في آخر قصيدة: [البسيط]

شَامَتْ بُرُوقَكَ آمَالِي بِمِصْرَ، وَلَوْ أَضْحَتْ على الطُّوسِ لم تَسْتَبْعِدِ الطُّوسَا[1]

فأدخل في طوس الألفَ واللامَ، وهي اسم بلدة معروفة، وقال: [الكامل]

* إحْدَى بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاهِ[2] *

وإنما هي مَنَاة في الإدراج، كما قال الله بارك وتعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم: ٢٠] وإنما تكون بالهاء في الوقف، لا في الحركة والدَّرْج.

وقال في هذه القصيدة: [الكامل]

* لَوْلاَ صِفَاتٌ فِي كِتَابِ الْبَاهِ[3] *

وإنما هي الباءة بالمد في تقدير الباعة، وإن كان قد حكى الباه في بعض اللغات الرديئة، والرديء لا يُعْتَدُّ به.

وقال: [الوافر]

فكَمْ لِيَ مِنْ هَوَاءٍ فِيكِ صَافٍ غَذِيٌّ جَوُّهُ، وَهَوًى وَبِيّ[4]

فقال غذيّ وهو غَذٍ بالتخفيف.

وقال في قصيدة: [البسيط]

* عَلَى الأعَادِي مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ[5] *

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٢، من قصيدة يمدح بها عياش بن لهيعة، ورواية عجز البيت في الديوان:

أضحت بطوسٍ لما قصّرت عن طوسا

(٢) عجزه:

بين الكثيب الفرد فالأمواهِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٢٣، مطلع قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله، وكتبها إليه مع سهم أخيه ليصله ويسأله في أمره.

(٣) صدره:

لم يجتمع أمثالها في موطنٍ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٢٤، والباه: لغة في الباءة.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢٧، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، وفي الديوان: «عذيّ»، بدل: «غذيّ». والعذي: الطيب الهواء. والوبيّ: الكثير الوباء.

(٥) الشطر لم أجده في ديوان أبي تمام.

فأوقع الإعراب على الياء من الأعادي، وذلك غير جائز لمتأخر. وقال: [البسيط]

سِتِّينَ أَلْفاً وَسَبْعِيناً وَمِثْلُهُمَا كَتَائِبُ الْخَيْلِ تَحْمِيهَا الأَرَاجِيلُ(١)

فَنَوَّنَ النون من «سبعين» وهذا لا يُسَوِّغُهُ محدَثٌ، ونحو هذا مما ليست بنا حاجة إلى ذكره؛ لأنا لم نتتبعه ولا عبناه به؛ لِمَا وصفناهُ في باب اللحن وكثرته في أشعار المتأخرين، وإنما عبناه بخطئه في معانيه، وإحالته في استعاراته، وكثرة ما يورده من الساقط والغَثِّ البارد، مع سوء سَبْكه، ورداءة طبعه، وسخافة لفظه، مما سنذكره في باب آخر من الاحتجاج عليكم.

فأما ما عبتم به البحتري من قوله: [الكامل]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ(٢)

فما زالت الرواة وشيوخُ أهل الأدب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له، وذكَرَهُ عبدُ الله بن المعتز بالله ـ وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر ـ في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبه إلى البديع، ولكنكم أبيتم إلا إفساده، ثم أجْلَبْتُمْ وأكثرتم أن تَنْعَوْا على شاعر مُحْسِن بيتاً واحداً، فما زلتم تبحثون وتتمحلون حتى وجدتم أبياتاً تحتمل من التأويل ما يحتمله الأول، وهو قوله: [الخفيف]

ضَحِكَاتٌ فِي إثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ(٣)

وكلا البيتين إلى الصواب أقرب، ومن الخطأ أبعد، فأما قوله: [الكامل]

يخْفِي الزجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأنهَا فِي الْكَفِّ قَائمةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ

فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب في الإناء، ولم يقصد إلى وصف الشراب خاصة، ولا إلى الإناء، كما ادعيتم، ولو أراد وصف الإناء لكان مُصِيباً؛ لأن الزجاجة أيضاً يُوصَفُ ما فيها، وتقع المبالغة في نَعْتها، وقد جاء في وصف أواني الشراب ما جاء، ومن أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن العباس بن جُرَيج الرومي يصف قَدَحاً: [مجزوء الخفيف]

---

(١) البيت ليس في ديوان أبي تمام.
(٢) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.
(٣) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

تَـنـفُـذُ الـعـيـنُ فـيـه حـتـى تـراهـا أخـطـأتْـهُ مـن رقـة الْـمُـسْـتَـشَـفُّ
كـهـواء بـلا هَـبَـاءٍ مَـشُـوب بـضـيـاء، أرَقّ بـذاك وأصْـفِ
وَسَـطُ الـقَـدْر: لـم يُـكَـبَّـرْ لـجَـرْعٍ مُـتَـوالٍ، ولـم يُـصَـغَّـر لـرَشْـفِ
لا عـجـول عـلـى الـعـقـول جـهـول بـل حـليـم عـنـهـنَّ مـن غـيـر ضَـعْـفِ[١]

فالزجاجة إذا رقّت وصَفَت وسلمت من الكدر اشتدَّ صفاؤها وبَريقها، فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان، وامتزج الضوءان، فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر، ولو صَبَبْنَا دِبْساً أو عَسَلاً أو لبناً أو ماءً كَدِراً في إناء هذه صِفَتُهُ في الرقة لما خَفِيَ الإناء على الناظر؛ لأن هذه الأشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه، وقد سبقه إلى هذا المعنى عليُّ بن جَبَلَة فقال: [الوافر]

كـأنَّ يَـدَ الـنَّـدِيـمِ تُـدِيـرُ مِـنـهَـا شُـعـاعـاً لا تُـحِـيـطُ عَـلَـيْـهِ كـاسُ[٢]

وقال الآخر، أنشده أبو الحسن عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ: [الرمل]

وَإذا مَـا مُـزِجَـتْ فِـي كـأسِـهَـا فَـهْـيَ وَالْـكـأسُ مَـعـاً شَـيْءٌ أَحَـدْ[٣]

فأنتم في هذه المعارضة بالخطأ أجْدَرُ، وبالعيب أحْرَى.

فأما قوله: [الخفيف]

* وَبُـرُوقُ الـسَّـحَـابِ قَـبْـلَ رُعُـودِهْ[٤] *

فإنه أقام الرعد مُقامَ الغيث؛ لأنه مُقَدّمة له، وعَلَم من أعْلاَمه، ودليل من أقوى دلائله، ألا ترى أن بَرْق الْخُلَّب لا رَعْدَ له، وقد قال الأعشى: [المنسرح]

وَالشِّعْـرُ يَسْتَنْـزِلُ الْكَـرِيـمَ كـمـا اَسْـتَنْزَلَ رَعْـدُ السَّحَـابَـةِ السَّبَـلاَ[٥]

فجعل الرعدَ هو الذي يستنزل المطر، وقال الكميت: [المنسرح]

---

(١) الأبيات في ديوان ابن الرومي، من قصيدة مطلعها:
وبـديـع مـن الـبـدائـع يـسـبـي كـلَّ عـقـل ويـطـبُ كـل طـرف
(٢) البيت لعلي بن جبلة (العكوك) في كتاب التشبيهات لابن أبي عون، باب ٣٤ في الخمر.
(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي.
(٤) تقدم البيت بتمامه مع تخريجه قبل قليل.
(٥) البيت في ديوان الأعشى ص٢٨٥.

وَأَنْـتَ فـي الـشَّـتْـوَةِ الـجـمـاد إذا أَخْـلَـفَ مِـنْ أنْـجُـمٍ رَوَاعِـدُهـا[١]

وإذا كان البرق ذا رَعْدٍ فقلَّما يُخْلِفُ. ومثل هذا في كلام العرب ـ مما يَنُوب فيه الشيء عن الشيء، إذا كان متصلاً به، أو سبباً من أسبابه، أو مجاوراً له ـ كثيرٌ؛ فمن ذلك قولهم للمطر: سماء، ومنه قولهم: ما زلنا نَطَأ السماءَ حتى أتيناكم، قال الشاعر: [الوافر]

إذا نـزَلَ الـسـمـاءُ بِـأَرْض قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ وَإنْ كـانُـوا غِـضَـابَـا[٢]

يريد إذا سقط المطرُ رعيناه، يريد رعينا النَّبْتَ الذي يكون عنه، ولهذا سمى النبت نَدّى؛ لأنه عن النَّدَى يكون، وقالوا: ما به طِرْقٌ، أي ما به قوة، والطِّرْقُ: الشَّحْمُ، فوضعوه موضع القوة؛ لأن القوة عنه تكون، وقولُهم للمَزَادة: راوية، وإنما الراوية البعيرُ الذي يسقى عليه الماء، فسمى الوعاء الذي يحمله باسمه، ومن ذلك الحفَضُ متاعُ البيتِ، فسمى البعير الذي يحمله حفَضاً.

ومن ذلك قول المسيَّبِ بن عَلَسٍ: [الكامل]

* وَتَـمُـدُّ ثِـنْـيَ جَـدِيـلِـهـا بِـشِـرَاعِ[٣] *

أراد بدَقَلٍ، فقال: بشراع؛ لأن الشراع عليه يكون.

وهذا باب واسع، وأيْسَرُ من أن يحتاج إلى استقصائه.

وبعد؛ فلو كان هذان البيتان خطْأ ـ كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجتَمَع على إحسانه غلطاً من غيرهما في شعره ـ لمَا كان بذلك داخلاً في جملة المسبوقين، ولا الخاطئين في الشعر؛ لجودة نظمه، واستواء نَسْجِه، ووقوع لفظه في

---

(١) البيت في ديوان الكميت ١/ ١٥٢.

(٢) البيت لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) في لسان العرب (سما)، وللفرزدق في تاج العروس (سما)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٩٨، والمخصص ٧/ ١٩٥، ١٦/ ٣٠، وديوان الأدب ٤/ ٤٧.

(٣) صدره:

وكـأنّ غـاربـهـا ربـاوةُ مـخـرمٍ

والبيت في ديوان المسيب بن علس ص٦١٦، وكتاب الجيم ٢/ ١، وشرح اختيارات المفضّل ص٣١١. والغارب: ما بين السنام والعنق. والرباوة ـ مثلث الراء ـ منقطع الغلظ من الجبل. والمخرم: منقطع أنف الجبل. والجديل: الزمام. وثنيه: ما انثنى منه باليد. وأراد تمد جديلها بعنق طويل، فشبهها بشراع السفينة، ولكنه أراد الدقل (الصاري).

مواقعه، ولأن معانيه تصح بالنقد، وتخلُصُ على السبك. وأبو تمام يَتَبَهْرَجُ شعرُهُ عند التفتيش والبحث، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح.

١٧ ـ قال صاحب أبي تمام: لئن أسرفتم في الذمّ، وبالغتم على صاحبنا في الطعن، وتجاوزتم الحدَّ الذي يقف عنده المحتَجُّ المُنَاظر، إلى مذهب المسْقِط المغالِطِ، والمتعصِّب المتحامل ـ فلسنا نمنع أن يكون صاحبُنا قد وهِمَ في بعض شعره، وعَدَل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه، وغيرُ منكَرٍ لفكر نَتَج من المحاسن ما نَتَج، وولَّد من البدائع ما ولَّد، أن يلحقه الكَلاَلُ في الأوقات، والزلل في الأحيان. بل من الواجب لمن أحسن إحسانَه أن يُسامَحَ في سهوه، ويُتَجاوز له عن زَلَله، فما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن، ولا مِنْ أَخْذِ الرُّوَاة عليه الغلطَ والعَيْبَ.

هذا الأصمعي قد عاب امرأ القيس بقوله: [المتقارب]

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ... كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ[(١)]

وقال: شبَّه شعَرَ الناصية بسَعَف النخلة، والشَّعَر إذا غطّى العينَ لم يكن الفرس كريماً، وذلك هو الغَمَم، والذي يُحمَد من الناصية الجَثْلةُ، وهي التي لم تُفْرط في الكثرة فتكونَ الفرسُ غَمَّاء، والغَمَم مكروه، ولم تُفرِط في الخِفَّة فتكونَ الفرس سَفْواءَ، والسفا أيضاً مكروهٌ في الخيل، والجيِّدُ ما قال عَبيد: [مجزوء البسيط]

مُضَبَّرٌ خَلْقُهَا تَضْبِيراً ... يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ[(٢)]

ورَوَى ذلك عنه أبو حاتمٍ سَهْلُ بن محمد السِّجِسْتَاني.

وقال أيضاً: سمعت الأصمعي يقول: أخطأ امرؤ القيس في قوله: [المتقارب]

لَهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا ... أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ[(٣)]

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٦٣، وشرح شواهد المغني ٢/٦٣٦، ولسان العرب (خيف)، (سعف)، وأساس البلاغة (سعف).

(٢) البيت في ديوان عبيد بن الأبرص ص١٧، وجمهرة أشعار العرب ص٤٦٦. والمضبّر: الملزّز الخلق المكتنز اللحم. والسبيب: شعر الذنب والعرف والناصية.

(٣) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٦٤، والأشباه والنظائر ٥/٤٦، وإنباه الرواة ١/١٨٠، والحيوان ١/٢٧٣.

لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم، ويُستحب منه التَّعريق، وكذلك الوجه كما قال طُفَيْلٌ: [الطويل]

* مُـعَـرَّقَـةُ الألْـحِـي تَـلُـوحُ مُـتُـونُـهَـا[١] *

وأُخِذَ عليه في قوله في وصف الفرس: [الطويل]

فَـلِـلـسَّـوْطِ أُلْـهُـوبٌ، ولِـلـسَّـاقِ دِرَّةٌ ولِـلـزَّجْـرِ مِـنْـهُ وَقْـعُ أَخْـرَجَ مُـهْـذِبُ[٢]

وقال: هذه الفرس بطيئة؛ لأنها تحوجُ إلى السوط، وإلى أن تُرْكَضَ بالرِّجْلِ وتُزْجَرَ؛ ويقال: إن أول مَنْ عابه بهذا البيت زوجتَهُ لمّا احتكم إليها هو وعَلْقَمةُ الفَحْلُ، فغلَّبت علقمةَ، فطلَّقها. وقد أُخِذَ أيضاً عليه قولُه: [الطويل]

* أَغَـرَّكِ مِـنِّـي أنَّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلِـي[٣] *

وقال: إذا لم يَغُرَّ هذا فأيُّ شيء يغر؟

وعِيبَ زهير بن أبي سُلْمى بقوله: [البسيط]

يَـخْـرُجْـنَ مِـنْ شَـرَبَـاتٍ مـاؤُهَـا طَـحِـلٌ على الْجُذُوعِ يَخَفْنَ الغَمْرَ والغَرَقَا[٤]

---

(١) عجزه:

كـثـيـر الـقـطـا فـي مـنـهـلٍ بـعـد مـقـربِ

والبيت في ديوان طفيل الغنوي ص٣٤، ولسان العرب (قرب)، وتهذيب اللغة ٩/١٢٦، وتاج العروس (قرب).

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص٣٨٧، وديوان الأدب ١/٢٧٥، ورواية البيت في الديوان:

فـلـلـزجـر ألْـهـوبٌ ولـلـسـاق درّةٌ ولـلـسـوط مـنـه وقـعُ أخـرج مـهـذبُ

والأُلهوب: شدة الجري. والدرة: أصلها اسم لما درّ من اللبن، والأخرج: الظليم، وهو الذكر من النعام، والمهذب: الشديد العدو.

(٣) عجزه:

وأنّـك مـهـمـا تـأمـري الـقـلـبَ يـفـعـلِ

والبيت في ديوان امرىء القيس ص١٣، والدرر ٦/٣٠٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/٣٣٨، وشرح قطر الندى ص٨٥، والكتاب ٤/٢١٥، وشرح شواهد المغني ١/٢٠.

(٤) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٤٠، ولسان العرب (شرب)، (طحل)، وتهذيب اللغة ٤/٣٨٦، وديوان الأدب ١/٢٣٤. والشربات: جمع شرب ـ بفتح الشين والراء ـ وهو حويض يصنع حول النخلة بقدر ما يسع ريها. والطحل ـ بفتح الطاء وكسر الحاء ـ الماء الفاسد المنتن من حمأة ونحوها.

وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء خوفَ الغَمْر والغَرَقِ، وإنما ذلك لأنها تَبيض في الشطوط.

وعِيبَ على كعبٍ ابْنِهِ قولُه: [البسيط]

* ضَـخْـمٌ مُـقَـلّـدُهَـا فَـعْـمٌ مُـقَـيَّـدُهَـا(١) *

وقالوا: إنما توصف النجائب برقة المَذْبَحِ.

وأُخِذَ على النابغة قولُه يصف عُنُقَ المرأة بالطول: [الطويل]

إذَا ٱرْتَـعَـشَـتْ خَـافَ الْـجَـبَـانُ رِعَـاثَـهَـا   وَمَـنْ يَـتَـعَـلَّـقْ حَـيْـثُ عُـلِّـقَ يَـفْـرَقِ(٢)

وهذا قريب من قول أبي نُوَاس: [الكامل]

وَأَخَـفْـتَ أَهْـلَ الـشِّـرْكِ حَـتَّـى إنَّـهُ   لَـتَـخَـافُـكَ الـنُّـطَـفُ الَّـتِـي لَـمْ تُـخْـلَـقِ(٣)

بل أبو نُوَاس أعْذَرُ؛ لقوله «لتخافك» يريد لتكاد تخافك، والشعراء تُسْقِطُ «تكاد» في الشعر وهي تريدها.

وجاء في القرآن مثل ذلك، قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وقال الشاعر: [الكامل]

يَـتَـقَـارَضُـونَ إذَا الْـتَـقَـوْا فِـي مَـوْطِـنٍ   نَـظَـراً يُـزِيـلُ مَـوَاطِـىءَ الأَقْـدَامِ(٤)

أي: نظراً يكاد يُزيل، فأضمر «يكاد»، واللام إذا جاءت كانت أدلَّ عليها، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] أي: كادت.

---

(١) عجزه:

فِـي خَـلْـقِـهَـا عَـنْ نَـبَـاتِ الـزَّوْرِ تَـفْـضِـيـلُ

والبيت في ديوان كعب بن زهير ص١٠، ولسان العرب (زور)، (فعم)، وكتاب العين ٢/ ١٦٤، وتاج العروس (زور). والمقلد: العنق، سمي العنق بذلك لأنه موضع القلادة، والفعم: الممتلىء، والمقيد: أراد الرجلين، لأنهما موضع القيد.

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص١٨١، وكتاب الجيم ٢/ ٣١.

(٣) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

خـلَـقَ الـشـبـاب وشـرّتـي لـم تـخـلـقِ   ورمـيـت فـي غـرض الـزمـان بـأفـوقِ

(٤) البيت بلا نسبة في لسان العرب (قرض)، (زلق)، وتاج العروس (قرض)، (زلق)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٢١، وكتاب الصناعتين ص٣٥٧.

وأُخِذَ على النابغة قولُه: [الوافر]

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلاً سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي[(١)]

وقالوا: قوله «ألكني» أي: كُنْ لي رسولاً، فكيف يكون ألكني إليك عني؟ فاعتذر له الأصمعي، وقال: هذا مما حملته الرواة على النابغة! كأنه يدفع أن يكون قاله.

وأُخِذَ على المسَيب قولُه: [الطويل]

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[(٢)]

قال: الصيعرية صفةٌ للنوق، لا للفحول، فسمعه طَرَفَةُ بن العَبْدِ - وهو صبي - فقال: اسْتَنْوَقَ الجملُ، وضحك منه، ويقال: إن المسيب قال: أَخْرِجْ لسانك يا فَتَى، فأخرَجَهُ، فقال: وَيْلٌ لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه.

وأُخِذَ على المرقّش قوله: [الطويل]

صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَةً إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قَائِمَا[(٣)]

قالوا: مَنْ إذا ذَكَر دارت به الأرضُ ليس بِصَاحٍ.

وأُخِذَ على عديّ بن زيد قوله: [الطويل]

* يَبُذُّ الجِيَاد فَارِهاً مُتَتَابِعَا[(٤)] *

---

(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص١٢٦، ومقاييس اللغة ١/ ١٣٣.

(٢) البيت للمسيب بن علس في ديوانه ص٦٣٤، ولسان العرب (صعر)، (نوق)، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٩، وتاج العروس (صعر)، (نوق)، والمستقصى ١/ ١٥٨، وللمتلمس في ملحق ديوانه ص٣٢٠، وجمهرة اللغة ص١١٦٩، والمعاني الكبير ص٥٧٥، والشعر والشعراء ص١٨٩، وللمسيب بن علس أو للمتلمس في فصل المقال ص١٩١، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/ ١٤٩.

(٣) البيت للمرقش الأصغر (ربيعة بن سفيان بن سعد) في الإنصاف ١/ ١٠٠، وشرح اختيارات المفضل ص١٠٩٠، والشعر والشعراء ١/ ٢٢٠، وكتاب الصناعتين ص٧٣.

(٤) صدره:

مُضَافٍ يُفَرِّي جُلَّهُ عَنْ سَرَاتِهِ

والبيت في ديوان عدي بن زيد العبادي ص١٤١، ولسان العرب (خنز)، (فره)، (فرا)، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٠٩، والمخصص ٢/ ١٥٦، ٦/ ١٦٢، وتاج العروس (فره)، وفي الديوان: «متتايعا» بالياء، بدل: «متتابعا» بالباء.

وقالوا: لا يقال للفرس فَارِهٌ، وإنما يقال له: جواد، وكريم، والفارهُ: البغل والحمار.

وأُخِذَ عليه أيضاً قولُه في صفة الخمر: [السريع]

والْـمُـشْـرِفُ الْـهَـيْـدَبُ يَـسْـعَـى بِـهِ أَخْـضَـرَ مَـطْـمُـوثـاً بِـمَـاءِ الْـحَـرِيـصْ[1]

الحريص: سحابة تحرص وجه الأرض: أي تَقْشره لشدَّتها، ويقال: الحريص اسم نهر بناحية الحِيرَة، فوَصَف الخمر بالخضرة، وما وصفها بذلك أحد غيره.

وأُخِذَ على الأعشى قوله: [البسيط]

وَقَـدْ غَـدَوْتُ إِلَـى الْـحَـانُـوتِ يَـتْـبَـعُـنِـي شَـاوٍ شَـلُـولٌ مِـشَـلٌّ شُـلْـشُـلٌ شَـوِلُ[2]

وقالوا: هذه الألفاظ كلُّها التي بعد «شَاوٍ» متقاربة في المعنى.

وقرىء على الأصمعي قولُ أبي ذُؤَيْبٍ الهذلي: [الكامل]

قَـصَـرَ الـصَّـبُـوحَ لَـهَـا فَـشُـرِّجَ لَـحْـمُـهَـا بِـالـنَّـيِّ فَـهْـيَ تَـثُـوخُ فِـيـهَـا الإِصْـبَـعُ

تَـأْبَـى بِـدِرَّتِـهَـا إِذَا مَـا اسْـتُـكْـرِهَـتْ إلا الْـحَـمِـيـمَ فَـإِنَّـهُ يَـتَـبَـضَّـعُ[3]

فقال: هذه الفرس تُسَاوي دِزهمين؛ لأنه جَعَلَهَا كثيرة اللحم، رِخْوَةً، يدخل فيها الإِصبعُ، حَرُوناً، إذا حُرِّكت قامت، إلا العرق فإنه يسيل.

وقرىء على الأصمعي قولُ أبي النجم: [الرجز]

---

(١) البيت في ديوان عدي بن زيد العبادي ص٧١، برواية:

والـمـشـرف الـمـشـمـول يُـسْـقَـى بـه أخـضـر مـطـمـوثـاً كـمـاء الـخـريـض

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص١٠٩، ولسان العرب (حنت)، (شلل)، (شول)، وتهذيب اللغة ٢٧٧/١١، ٤١٢، وجمهرة اللغة ص٨٨٠، وتاج العروس (حنت)، (شلل)، (شول). وغدوت: أصله الذهاب غدوة، ثم أريد منه مطلق الذهاب. والحانوت: دكان الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم. والشلول والمشل والشلشل والشول: كلهن بمعنى الخفيف في العمل والخدمة والحاجة.

(٣) البيتان في شرح أشعار الهذليين ص٣٤، ولسان العرب (بضع)، (حمم)، ومقاييس اللغة ١/ ٢٥٢، ٢/ ٢٣، والمخصص ١٤/ ٣٧، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨٧، ٢/ ٥٣، وشرح اختيارات المفضل ص١٧٢٠، وتاج العروس (بضع)، (حمم). وكتاب الصناعتين ص٧٨، والوساطة ١٧. وقصر: حبس. والصبوح: شرب الغداة، وشرج: خلط، والنيّ: الشحم، وتثوخ: تغيب، وتأبى بدرتها: أي تمتنع، لا تعطيه كل جريها. والحميم: العرق. ويتبضّع: ـ بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة ـ يرشح ويجري قليلاً قليلاً. يقول: إن جلدها يرشح بالعرق.

* يَـسْـبَـحُ أُولاهُ وَيَطْـفُو آخِـرُهْ[(١)] *

فقال: حِمَار الكُسَاح إذاً أقْرَهُ منه.

وعاب الأصمعيُّ ذا الرّمّة في قوله: [البسيط]

حَتّى إذَا دَوَّمَتْ فِي الأرْضِ أدْرَكَهَا ... كِبْرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ[(٢)]

وقال: الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ في الأرض، وإنما يقولون: دَوَّمَ في الهواء، إذا حَلَّقَ، ودَوَّى في الأرض، إذا ذهب.

وكان الأصمعي أيضاً يَعِيبُه في قوله: [الطويل]

* ونَقْرِي عَبِيطَ الشَّحْمِ والماءُ جَامِسُ[(٣)] *

وقال: إنما يقال للجامد من السَّمْنِ وما أشبهه جامس، ورَوعي ذلك عنه أبو حاتم.

وحكى أبو نصر عن الأصمعي قال: كنا نظن الطِّرِمَّاحَ شيئاً حتى قال: [الوافر]

وَأكْرَهُ أنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي ... هِجَائِي الأرْذَلِينَ ذَوِي الْحِنَاتِ[(٤)]

لأنها إحْنَةٌ وإحَنٌ، ولا يقال حَنَاتٌ.

وأخذ على الآخَرِ قوله: [الطويل]

فَمَا رَقَدَ الوِلْدَانُ حتى رَأيْتُهُ ... عَلى البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وحافِرِ[(٥)]

---

(١) الرجز في الصناعتين ص٨١، وديوان المعاني ٢/ ١٠٨، والوساطة ص١٧، والشعر والشعراء ص٥٨٦.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٠٢، وجمهرة اللغة ص٦٨٤، والخصائص ٣/ ٢٨١، ٢٩٦، ولسان العرب (دوم)، (دوا)، ورواية صدر البيت في الديوان:

حتّى إذا دوّمت في الأرضِ راجَعَهُ

(٣) صدره:

نغار إذا ما الروع أبدى عن البُرَى

والبيت في ديوان ذي الرمة ص١١٤١، ولسان العرب (جمس)، وجمهرة اللغة ص٤٥٠، ٤٧٥، ١٢٤٩، والمخصص ٥/ ٥٠، ٩/ ١١٩، وتاج العروس (جمس)، والصناعتين ص١١٠، وحماسة ابن الشجري ص٥٤. ونغار: مضارع من الغيرة. والروع: الفزع. وأبدى: أظهر. والبرى: يقال: هو كالورى وزناً ومعنًى. ونقرى: من القرى وهو إطعام الضيف، وأراد بقوله: والماء جامس: حين اشتداد البرد، لأن وقت الشتاء عندهم هو زمان القحط الذي يعز فيه الجود ويندر.

(٤) البيت في ديوان الطرماح ص٣٥، وتاج العروس (أحن).

(٥) البيت لجبيهاء الأسدي في لسان العرب (حفر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١١٠، وتاج العروس (حفر)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٣١٣، والمخصص ٦/ ١٣٤.

فسمَّى رِجْلَ الإنسان حافراً، وهذه استعارةٌ في نهاية القبح. وكذلك قول الآخر: [المتقارب]

قَـدْ أفْـنَـى أنـامِـلَـهُ عَـضُّـهُ فَأضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفا(١)

فجعل له وظيفاً مكان الرِّجْل. وكذلك قول الآخر: [الطويل]

سَأمْنَعُها أوْ سَوْفَ أجْعَلُ أمْرَها إلى مَلِكٍ أظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ(٢)

وقال الحُطيئة: [الطويل]

قَرَوْا جارَكَ الْعَيْمانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وقَلَّصَ عن بَرْدِ الشَّرابِ مَشافِرُهْ(٣)

وعيب على أيْمَنَ بن خُرَيْم قوله يمدح بشر بن مروان: [الوافر]

فإنَّا قَدْ وَجَدْنا أمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكاراً وَلُودا(٤)

وقالوا: أخطأ في أنْ جَعَلَ أم الأسد وَلُوداً؛ لأن الحيوانات الكريمة عَسِرَةٌ نَزْرَة النتاج، والصوابُ قول كُثَيِّر: [الوافر]

بَغاثُ الطَّيْرِ أكْثَرُها فِراخاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ(٥)

وقال جرير: [البسيط]

صارَتْ حَنِيفَةُ أثْلاثاً؛ فَثُلْثُهُمُ مِنَ الْعَبِيدِ، وَثُلْثٌ مِنْ مَوالِيها(٦)

---

(١) البيت لصخر الغي الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٢٩٩، وللهذلي في لسان العرب (يدي)، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٤٢، ويروى صدر البيت بلفظ:
قد أفنى أنامله أزْمَهُ

(٢) البيت لعقفان بن قيس بن عاصم في لسان العرب (ظلف)، وسمط اللآلي ص٧٤٦، وتاج العروس (ظلف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٣١٢، وأمالي القالي ٢/ ١٢٠.

(٣) البيت في ديوان الحطيئة ص٢٥، وجمهرة اللغة ص١٣١٢، والعيمان: وصف من العيمة، وهي اشتهاء اللبن.

(٤) البيت في ديوان أيمن بن خريم ص١٢٦.

(٥) البيت للعباس بن مرداس في ديوانه ص٥٩، ولسان العرب (بغث)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٨٠، وجمهرة اللغة ص٢٦٠، ٧١١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١١٥٣، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ٨٩، ولكثيّر عزّة في ملحق ديوانه ص٥٣٠، وتاج العروس (قلت)، (نزر)، وكتاب العين ٥/ ١٢٨، ٧/ ٣٦٠، ولسان العرب (قلت)، (نزر)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٤١٩، والمخصص ٨/ ١٤٤.

(٦) البيت في ديوان جرير ص٥٦٩ من قصيدة مطلعها:
قد غلبني رواة الناس كلهم إلا حنيفة تفسوا في مناحيها
وانظر البيت أيضاً في الموضح ص١٢٦، وكتاب الصناعتين ص٢٤٣.

فقيل لرجل من بني حنيفة: من أي الأثلاث أنت؟ فقال: من الثلث الملْغَى.

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عمارة بن عقيل ينشد لجرير: [البسيط]

لَمَّا تَذكَّرْتُ بالدَّيْرَيْنِ أرَّقَنِي صَوْتُ الدَّجاجِ وَقَرْعٌ بالنَّوَاقيسِ[1]

فقال: أخطأ والله أبوك، التأذينُ لا يكون في أول الليل، وقال مَنْ طلب العذر لجرير: أرقني انتظار صوت الدجاج.

وعاب الأخطل الفرزدقَ في قوله: [الكامل]

أَبَنِي غُدانَةَ إنَّنِي حَرَّرْتُكم فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعالِ
لَوْلاَ عَطِيَّةُ لاجتَدَعْتُ أُنُوفَكم مِنْ بَيْنِ ألامِ أعْيُنٍ وَسِبالِ[2]

قال: وكيف وهَبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء؟ وقال عطية حين بلغه الشعر: ما أسْرَعَ ما رجع أخي في هبته!

ومدح الفرزدَقُ الحَجاج وقد دخل عليه ببيت واحد، فقال: [الطويل]

وَمَنْ يَأمَنُ الْحَجَّاجَ ـ وَالطيْرُ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ ـ إلاَّ ضَعِيفُ الْعَزائمِ[3]؟

فقال له الحجاج: الطير تتَّقي الثوبَ، وتتقي الصبيَّ، ما جِئتَ بشيء! وإنما أراد الفرزدق الطائر الذي يطير في السماء فليست تناله يدٌ.

وأُخِذَ على الأخطل قولُه في عبد الملك بن مروان: [الطويل]

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْخلاَفَةَ مِنْهُمُ لأبْيَضَ لا عَارِي الْخِوَانِ وَلا جَدْبِ[4]

وهذا لا يُمْدَح به خليفة.. وأراد أن يمدح رجلاً من بني أسد كان أجاره، فهجاه؛ وكان يقال لقوم الرجل: الْقُيُون، يُعَيَّرون بذلك، فقال: [البسيط]

قَدْ كُنْتُ أحْسِبُهُ قَيْناً وَأنْبَؤُهُ فَالْيَوْمَ طُيِّرَ عَنْ أثْوَابِهِ الشَّرَرُ[5]

---

(١) البيت في ديوان جرير ص١٢٦، والحيوان ٢/٣٤٢، وخزانة الأدب ٣/١٠٧، وسمط اللآلي ص٥٤، وشرح شواهد الإيضاح ص٤٥٢، وشرح شواهد المغني ١/١٦٧، ولسان العرب (دجج)، (نقس)، والمعاني الكبير ص٨٧، ومعجم ما استعجم ص٩٦.

(٢) البيتان للفرزدق في الأغاني ٨/٣٠٦، وليسا في ديوانه، ولجرير في الصناعتين ص٨٨، والأغاني ٨/ ٣٩٥، وليسا في ديوانه.

(٣) البيت ليس في ديوان الفرزدق، وهو في كتاب الصناعتين ص١٠١.

(٤) البيت في ديوان الأخطل ص٩٧، والموشح ص١٤١، وكتاب الصناعتين ص٧٥.

(٥) البيت في ديوان الأخطل ص٢١٣، وكتاب الصناعتين ص٨٦، والموشح ص١٣٤.

أي: فاليوم نَفَى ذلك عن نفسه، فما زاد على أن نبَّه عليه، وقد كان له في الممادح مُتَّسعٌ. وأراد أن يهجو سُوَيْدَ بن مَنْجُوفٍ فمدحه، وذلك قوله: [الطويل]

فَما جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ وَسْطَهُ لِمَا حَمَّلَتْهُ وَائِلٌ بِمُطِيقِ[1]

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبي سويد: [الطويل]

إذا الْتقَتِ الأبْطالُ أبصَرْتَ وَجْهَهُ مُضيئاً، وَأعناقُ الْكُماةِ خُضوعُ[2]

فقالوا: أساء القِسْمة، وأخطأ الترتيب؛ وإنما كان يجب أن يقول: أبصرته سامياً وأعناق الملوك خضوع، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان الكُمَاة كاسفةً.

ومن خطأ الشعر قولُ عَدِي بن الرِّقاع يذكر الباري تبارك وتعالى: [الوافر]

وَكَفُّكَ بَسْطَةٌ وَنَدَاكَ سَحٌّ وَأنْتَ الْمَرْءُ تَفْعَلُ ما تقولُ[3]

فجعل ربه مَرْءاً، وعابه الأصمعي في قوله: [الطويل]

لَهُمْ رَايةٌ تَهْدِي الجموعَ كأنَّهَا إذا خَطَرَتْ فِي ثَعْلَبِ الرُّمْحِ طائرُ[4]

وقال: الراية لا تخطر، إنما الخَطَران للرمح.

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذي الرمَّة: [الطويل]

فأضحَتْ مَبَادِيها قِفاراً رُسُومُهَا كأنْ لَمْ ـ سِوَى أهْلٍ مِنَ الْوَحْشِ ـ تُؤْهَلِ[5]

أراد: كأن لم تُؤْهَلْ سوى أهل من الوحش.

ومن خطأ المديح قولُ الكميت يمدح النبي ﷺ: [المنسرح]

إلى السِّرَاجِ الْمُنِيرِ أحْمَدَ لاَ تَعْدِلُ بي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ

---

(١) البيت في ديوان الأخطل ص٣١٤، وكتاب الصناعتين ص٨٦، والموشح ص١٣٥.

(٢) البيت في ديوان الفرزدق ١/ ٤٣٢، والبيت للأخطل في كتاب الصناعتين ص٣٤٣، وليس في ديوانه.

(٣) البيت في ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص٩٢، ورواية صدر البيت فيه:
وكفك سبطة ويداك سحٌّ
وكتاب الصناعتين ص١٠١، ورواية صدر البيت فيه:
وكفك سبطة ونداك غمرٌ

(٤) البيت في ديوان عدي بن الرقاع ص٨٢، وكتاب الصناعتين ص٩٦.

(٥) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٤٦٥، وخزانة الأدب ٩/ ٥، والخصائص ٢/ ٤١٠، والدرر ٥/ ٦٣، وشرح شواهد المغني ٢/٦٧٨، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٤٥.

عَـنْـهُ إلـى غَـيْـرِهِ، وَلـوْ رَفَـعَ النَّـاسُ إلـيَّ الْـعُـيُـونَ وَارْتَـقَـبُـوا
وَقِـيـلَ أفْـرَطْـتَ، بَـلْ قَـصَـدْتُ، وَلَـوْ عَـنَّـفَـنِـي الْـقَـائِـلُـونَ أوْ ثَـلَـبُـوا
لَـجَّ بِـتَـفْـضِـيـلِـكَ الـلِّـسـانُ، ولَـوْ أُكْـثِـرَ فِـيـكَ الـضَّـجَـاجُ وَالـلَّـجَـبُ[1]

فمن يعنفه ويؤنبه على مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجَب؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صَدْرِ الإسلام لعل العذر كان يتسع له فيه، وقد اعتذر له معتذر واحتجَّ محتج بأن قال: لم يرد النبي عليه الصلاة والسلام خاصةً بهذا الخطاب، وإنما أراد أهلَ بيته؛ لأنه قد قال فيهم من الشعر ما قال، ولأن بني أمية كانت تعنف من يمدحهم، وتنكر أشَدَّ الإنكار على من يَتَخَوَّنهم، ويُغْرِقُ في الثناء عليهم والوصفِ لهم.

وعيب أيضاً الكُمَيْتُ بأن جمع كلمتين لا تُشْبِه إحداهما الأخرى، وذلك قوله: [البسيط]

وَقَـدْ رَأيْـنَـا بِـهَـا حُـوراً مُـنَـعَّـمَـةً رُوداً تَـكَـامَـلَ فـيـهـا الـدَّلُّ وَالـشَّـنَـبُ[2]

وقال: الدَّلُّ إنما يكون مع الْغَنَج أو نحوه، والشَّنَبُ إنما يكون مع اللَّعَسِ أو ما يجري مَجْرَاه من أوصاف الثغر والفم؛ والجيِّدُ ما قاله ذو الرمة: [البسيط]

لَـمْـيَـاءُ فـي شَـفَـتَـيْـهـا حُـوَّةٌ لَـعَـسٌ وفـي الـلـثـاتِ وفـي أنـيـابـهـا شَـنَـبُ[3]

ولو استقصينا هذا البابَ لطال جداً، وإنما أوردنا ههنا منه مثالاً لتعلموا أن فحولَ الشعراء ـ الذين غلبوا عليه، وافتتحوا معانيه، وصاروا قُدْوة، واتبعهم الشعراء، واحتذَوْا على حَذْوهم، وبَنَوْا على أصولهم ـ ما عُصِمُوا منَ الزلَلِ، ولا سلموا من الغلط.

هذا في المعاني التي هي المَقْصِدُ والمرمى والغرض، فأما ما بَوَّبه النحويون من عيوب الشعر في الإقواء والإكفاء والسِّناد، وغير ذلك مما هو عَيْبٌ في اللفظ دون المعنى، فليست بنا حاجةٌ إلى ذكره؛ لكثرته وشهرته. وكذلك ما أخذَتْه الرُّوَاة على المحدَثين المتأخرين ـ من الغلط والخطأ واللحن ـ فَاشٍ أيضاً وأشهرُ أيضاً من أن

(١) الأبيات في هاشميات الكميت ص٨٢ (طبعة ليدن).
(٢) البيت في الموشح ص١٩٣، وفيه: «بيضاً تكامل»، بدل: «روداً تكامل».
(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٣٢، والخصائص ٣/٢٩١، والدرر ٦/٥٦، ولسان العرب (شنب)، (لعس)، (حوا)، والمقاصد النحوية ٤/٢٠٣، وهمع الهوامع ٢/١٢٦.

يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندلَّ على ذلك؛ فلم يك أحد من متقدِّم ولا متأخر في خطئه ولا سَهْوه وغلطه مجهولَ الحق، ولا بمجحود الفضل، بل عَفَّى عندكم إحسانُه على إساءته، وعلا تجويدُه على تقصيره، فكيف خَصَصْتم أبا تمام دون غيره بالطعن، وعِبْتُمُوهُ دون مَنْ سواه بالزلل والوهن؟ ولم يكن بذلك بِدْعاً، ولا منفرداً، ولا إليه سابقاً؛ فَبَخَسْتم حقَّ الإحسان الذي انتشر في الآفاق، وسارت به الرُّكْبَانُ، وتمثل به المتمثل، وتأدَّبَ بحفظه وإنشاده المتأدبُ، مما إنْ ذكرناه لم تنكروه، وأقررتم بفضله، وأجمعتم على استجادته واستحسانه، فهل الظلم المستقبَحُ والتعصُّبُ المستهْجَن إلا ما أنتم مُرْتكبوه وخابطون فيه؟

١٨ ـ قال صاحب البحتري: أما أخذ السهو والغلط على مَنْ أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين؛ ففي البيت الواحد، والبيتين، والثلاثة؛ وربما سَلِمَ الشاعر المكثِرُ من ذلك بتَّةً، وتعرَّى منه، حتى لا تؤخذ عليه لفظة؛ وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدةٌ واحدةٌ من عِدَّة أبيات يكون فيها مخطئاً، أو مُحيلاً، أو عن الغرض عادلاً، أو مستعيراً استعارة قبيحة، أو مفسداً للمعنى الذي يَقْصِدهُ بطلب الطِّباق والتَّجْنيس، أو مُبْهِماً بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم، ولا يوجد له مخرج، مما لو عَدَدْناهُ لكان كثيراً فاحشاً، فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوَهْم وقليلِ الغلطِ عذراً لمن لا تُحْصَى معايبُه ومواقعُ الخطإِ في شعره؟... وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُموهُ ـ مما أخذته الرواة على الشعراء ـ صحيح، والسهو فيه إنما دخل على الرواة، ولو كان هذا موضعَ ذكره لذكرناه.

١٩ ـ قال صاحب أبي تمام الطائي: فَبِمَ تدفعون قول البحتري يرثي أبا تمام وَدِعْبِلاً، ويذمُّ مَنْ بقي بعدهما من الشعراء: [الكامل]

قَدْ زَادَ في حُزْنِي، وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي … مَثْوَى حَبِيبٍ ـ يَوْمَ مَاتَ ـ وَدِعْبِلِ
وَبَقَاءُ ضَرْبِ الخَثْعَمِيِّ وَشِبْهِهِ … مِنْ كلِّ مُضْطَرِبِ القَرِيحَةِ مُجْبِلِ
أهلُ المعاني المستحيلة إن هُمُ … طَلَبُوا البرَاعَةَ بالكلام المُقْفِلِ
أَخَوَيَّ لاَ تَزَلِ السماءُ مُخِيلَةً … تَغْشَاكُمَا بحَيا السَّحَابِ المُسْبِلِ
جَدَثٌ لَدَى الأهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ … مَسْرَى النَّعِيِّ وَرِمَّةٌ بالمَوْصِلِ[1]

---

(١) الأبيات ليست في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهي في أخبار أبي تمام ص٢٧٤، ومعاهد التنصيص ص٢٧٧.

فمحال أن يرثي البحتري أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْدَه من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة، وعنده أن أبا تمام تلك صفته، فلِمَ تنكرون فضلَ مَنْ يعترف البحتريُّ بفضله، ويشهد في الشعر له، وتنسُبون العيبَ إليه وهذه صفته عنده، وتُلْحِقُونه به وهو يبرئه منه؟

٢٠ ـ قال صاحب البحتري: ولِمَ لا يفعل البحتري ذلك وقد كان هو وأبو تمام ـ بعد اجتماعهما وتعارفهما ـ متصافِيَيْنِ على القرب والبعد، متحابين متلائمين على الدنو والشَّحَط، يجمعهما الطلب والنسَبُ والمكْتَسَب، ولم يكن في زمانهما شاعر مشهور يَفِدُ على الملوك ويَجْتَدِي بالشعر وينتسب إلى طَيِّيء سواهما، فليس بمُنكَرٍ أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل، ويصفه بأحسن ما فيه، ويَنْحَله ما ليس فيه، وخاصةً في الشعر؛ ثم في تأبينِ الميت فإن العادة جرت بأن يُعْطَى من التقريظ، والوصف، وجميلِ الذكر، أضعافَ ما كان يستحقه، فلا تَدْفَعُوا العِيان؛ فلن يَمْحَقَ وصفُ البحتري أبا تمام في حياته وتأبينُه إياه بعد وفاته ما ظهر من مَقَابِحه وفضائح شعره.

٢١ ـ قال صاحب أبي تمام: فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيراً من العلماء بالشعر يقولون: جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يؤثَرُ من رديئه.

٢٢ ـ قال صاحب البحتري: إنما صار جيد أبي تمام موصوفاً لأنه يأتي في تضاعيف الرديء الساقط؛ فيجيء رائقاً لشدة مباينته ما يليه، فيظهر فضله بالإضافة، ولهذا قال له أبو هَفَّان: إذا طَرَحْتَ دُرَّةً في بحر خُرْءٍ فمن الذي يغوص عليها ويخرجها غيرك؟ والمطبوعُ الذي هو مستوِي الشعرِ قليل السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونَةً شديدةً، ومن أجل ذلك صار جيد أبي تمام معلوماً وعَدَدُهُ محصوراً.

وهذا عندي ـ أنا ـ هو الصحيح؛ لأني نظرت في شعر أبي تمام والبحتري وتلقَّطت محاسنهما، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مَرِّ الأوقات؛ فما من مرة إلا وأنا أُلحِقُ في اختيار شعر البحتري ما لم أكن اخترته من قبل، وما أعلم أني زِدْتُ في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً.

٢٣ ـ قال صاحب أبي تمام: أفتنكرون كثرة ما أَخَذَهُ البحتريُّ من أبي تمام، وإغراقَهُ في الاستعارة من معانيه؟ فأيهما أولى بالتقدمة: المستعيرُ، أو المستعارُ منه؟

٢٤ ـ قال صاحب البحتري: قد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا، ونحن نُتِمُّه في هذا الموضع إن شاء الله تعالى: أما ادِّعاؤكم كثرةَ الأخذ منه فقد قلنا إنه غير منكَرٍ أن يكون أخذ منه مِنْ كثرة ما كان يرد على سمع البحتري من شعر أبي تمام؛ فيتعلق معناه: قاصداً الأخْذَ، أو غيرَ قاصدٍ، لكن ليس كما ادعيتم وادعاه أبو الضياء بشر بن يحيى في كتابه؛ لأنا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه، وتجري طباع الشعراء عليه، فجعله مسروقاً، وإنما السَّرَق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك، فما كان من هذا الباب فهو الذي أخذه البحتري من أبي تمام، لا ما ذكره أبو الضياء وحَشَا به كتابه، وأنا أذكر هذين الشيئين في موضعهما من الكتاب، وأبين ما أخذه البحتري من أبي تمام على الصحة، دون ما اشتركا فيه؛ إذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا في كثير من المعاني، لا سيما ما تقدم الناس فيه، وتردد في الأشعار ذكره، وجرى في الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله.

وبعد؛ فينبغي أن تتأملوا محاسن البحتري، ومختار شعره، والبارعَ من معانيه والفاخرَ من كلامه؛ فإنكم لا تجدون فيه على غَزْره وكَثْرته حرفاً واحداً مما أخذه من أبي تمام، وإذا كان ذلك إنما يوجد في المتوسط من شعره فقد قام الدليل على أنه لم يعتمد أَخْذَه، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيوردُه.

تَمَّ احتجاج الخصمين بحمد الله.

* * *

وأنا أبتدىء بذكر مساوىء هذين الشاعرين؛ لأختم بذكر محاسنهما، وأذكر طَرَفاً من سرقات أبي تمام، وإحالاته، وغَلَطه، وساقط شعره، ومساوي البحتري في أَخْذِ ما أَخَذَه من معاني أبي تمام، وغير ذلك من غلطٍ في بعض معانيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنًى ومعنًى؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوَّده من معنًى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفرد باباً لما وَقَعَ في شعريهما من التشبيه، وباباً للأمثال، أختم بهما الرسالة، وأُتْبِعُ ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم؛ ليقرب مُتَنَاوَلُه، ويسهل حفظه، وتقع الإحاطة به، إن شاء الله تعالى.

سرقات أبي تمام

كان أبو تمام مشتهراً بالشعر، مشغوفاً به، مشغولاً مدةَ عمرِه بتخيره ودراسته، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة؛ فمنها: الاختيار القبائليّ الأكبر اختار فيه من كل قبيلٍ قصيدةً، وقد مرّ على يَدَيَّ هذا الاختيار، ومنها اختيارٌ آخَرُ ترجمته القبائلي، اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل، ولم يُوردْ فيه كبيرَ شيء للمشهورين؛ ومنها: الاختيار، الذي تلقط فيه محاسنَ شعرِ الجاهلية والإسلام، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هَرْمَةَ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول، ومنها اختيار تلقَّطَ فيه أشياء من الشعراء المُقِلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبَوَّبه أبواباً، وصَدَّره بما قيل في الشجاعة، وهو أشهر اختياراته، وأكثرها في أيدي الناس، ويُلَقب بالحماسة، ومنها اختيار المُقَطَّعَات، وهو مُبَوَّب على ترتيب الحماسة، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم والقدماء والمتأخرين، وصَدَّره بذكر الغَزَلِ، وقد قرأتُ هذا الاختيار، وتَلَقَّطْتُ منه نُتَفاً وأبياتاً كثيرة، وليس بمشهور شهرة غيره، ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدَّثِينَ، وهو موجود في أيدي الناس؛ وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر، وأنه اشتغل به، وجعله وُكْدَه، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه؛ فإنه ما شَيْء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه، ولهذا أقول: إن الذي خفي من سرقاته أكثرُ مما قام منها، على كثرتها.

وأنا أذكر ما وقع إليَّ في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته؛ فإن ظهرتُ بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها، إن شاء الله.

١ ـ قال الكُمَيْتُ الأكبر، وهو الكميت بن ثعلبة: [الطويل]

وَلاَ تُكْثِرُوا فِيهِ اللَّجَاجَ؛ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا(١)

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

---

(١) البيت للكميت بن معروف في ديوانه ص١٩٥، وله أو للكميت بن ثعلبة الأكبر أو لزميل الفزاري في لسان العرب (دور)، وللكميت بن ثعلبة أو للكميت بن معروف في لسان العرب (قزع)، والتنبيه والإيضاح ٢/١٢٣، وتاج العروس (قزع)، وللكميت بلا تحديد في المستقصى ٢/٣٤٢، وجمهرة الأمثال ٢/٢٨٩، وبلا نسبة في فصل المقال ص٢٦، ويروى صدر البيت بلفظ:

فلا تكثروا فيه الملامة إنّه

* السَّيْفُ أصْدَقُ أنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ[(١)] *

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يَفْتَح عَمورية، وراسَلَتْهُ الرومُ: إنا نجد في كُتُبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا في وقتِ إدراكِ التينِ والعنبِ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقَامِ فيها البردُ والثلج، فأبى أن ينصرف، وأكبَّ عليها حتى فتحها وأبطل ما قالوه؛ فلذلك قال الطائي: [البسيط]

* السَّيْفُ أصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ *

وهو أحسن ابتداءاته.

٢ ـ وقال النابغة يصف يوم الحرب: [البسيط]

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ   لاَ النُّورُ نُورٌ وَلاَ الإظْلاَمُ إظْلاَمُ[(٢)]

أخذه الطائي، فقال وذَكَرَ ضوءَ النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه: [البسيط]

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ   وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا، وَقَدْ أَفَلَتْ   وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا، وَلَمْ تَجِبِ[(٣)]

٣ ـ وقال الأعشى: [الطويل]

وَإنَّ صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ   ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ[(٤)]

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

مِنَ الْقِلاَصِ اللَّوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا   بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ[(٥)]

---

(١) عجزه:

فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٨، وهو مطلع قصيدة يمدح بها المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية.

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص٨٣، وخزانة الأدب ١٣٣/٢، وبلا نسبة في رصف المباني ص٤١٨، ولسان العرب (روح).

(٣) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٩. والشحب: المتغير اللون، والشمس واجبة: أي غائبة.

(٤) البيت في ديوان الأعشى ص٢٧٣، وبلا نسبة في لسان العرب (غرب)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٢٠، وتاج العروس (غرب).

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٢، والمزجاة: الردية أو القليلة.

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد في صفة الخمر: [الكامل]

قُتِلَتْ وَعَاجَلَهَا المدير ولم يُقَدْ ... فإذا به قد صَيَّرَتْهُ قَتِيلا[١]

أخذه الطائي وأحسن الأخذ فقال: [الطويل]

إذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَفَّرَتْ ... علَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ[٢]

فإن كان أخذها من دِيكِ الْجِنِّ فلا إحسان له؛ لأنه أتى بالمعنى بعينه، قال ديك الجن: [الطويل]

تَظَلُّ بأيدينا تُقَعْقِعُ رُوحَهَا ... وتأخذ مِن أقدامنا الرَّاحُ ثَارَهَا[٣]

كذا وجدته فيما نقلته، وليس ينبغي أن يُقْطَع على أيهما أخذ من صاحبه؛ لأنهما كانا في عصر واحد.

٥ ـ وقال الأعشى: [الكامل]

وَأَرَى الْغَوَانِيَ لاَ يُوَاصِلْنَ امْرأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ، وَقَدْ يَصِلْنَ الأمْرَدَا[٤]

أخذ الطائي المعنى والصفة فقال: [الكامل]

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً ... مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا[٥]

٦ ـ وقال البَعِيث: [الطويل]

وَإِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرَفِيَّةَ حَقَّهَا ... فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ[٦]

فقال الطائي: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
هلا بكيت ظعائناً وحمولا ... ترك الفؤاد فراقهم مخبولا

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤١٨، من قصيدة يصف فيها تقتير الرزق عليه وهو بمصر. والوتر: العداوة بسبب القتل. وتوقرت: رزنت وثبتت. والضغن: الحقد. واستقادت: طلبت القود: وهو قتل القاتل.

(٣) البيت في ديوان ديك الجن الحمصي، من قصيدة مطلعها:
بها غير معدول فداو خمارها ... وصلِ بعشيات الغبوق ابتكارَها

(٤) البيت في ديوان الأعشى ص٢٧٧.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٧، وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني.

(٦) البيت في أخبار أبي تمام ص١٠٠.

فَمَا كُنْتُ إلاّ السَّيْفَ لاَقَى ضَرِيبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَا[١]

٧ ـ وقال الطائي: [الطويل]

وَرَكْبٍ كأطْرَافِ الأسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ

لأمْرٍ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ[٢]

أخذ صَدْرَ البيت الأول من قول كُثَيِّر: [الطويل]

وَرَكْبٍ كأطْرَافِ الأسِنَّةِ عَرَّجُوا قَلائِصَ فِي أصْلابِهِنَّ نُحُولُ[٣]

ويشبه قول البَعِيث: [الطويل]

أطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالأسِنَّةِ هُجَّدٍ بِخَاشعة الأصْوَاءِ غُبْرٍ صُحُونُهَا[٤]

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر: [الوافر]

غُلامَ وَغًى تَقَحَّمَهَا فَأبْلَى فَخَانَ بَلاءَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ

فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الإقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَتِ الْمَنُونُ[٥]

٨ ـ وقال جِرَانُ الْعَوْدِ يصف الخيال: [البسيط]

سَقْياً لِزَوْرِكَ مِنْ زَوْرٍ أتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهْوَ مَشْغُولُ[٦]

فذكر العِلَّةَ في طروق الخيال، وهو السابق إلى هذا المعنى، فأخذه العباس بن الأحنف فقال: [الوافر]

خَيَالُكِ حِينَ أرْقُدُ نُصْبُ عَيْنِي إلَى وَقْتِ انْتِبَاهِي مَا يَزُولُ

وَلَيْسَ يَزُورُنِي صِلَةً، وَلَكِنْ حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكِ هُوَ الْوَصُولُ[٧]

فتبعه الطائي فقال: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦٢، من قصيدة يرثي بها أبا نصر محمد بن حميد الطائي.
(٢) ديوان أبي تمام، وتقدما مع تخريجهما.
(٣) البيت في ديوان كثير عزّة ص٣٣١.
(٤) البيت بلا نسبة في أخبار أبي تمام ص٥٢، وتقدم مع تخريجه.
(٥) البيتان بلا نسبة في أخبار أبي تمام ص٥٢، وتقدما مع تخريجهما.
(٦) البيت في ديوان جران العود ص١٠٣.
(٧) البيتان في وفيات الأعيان ٣/ ٢٤.

زَارَ الْـخَـيَـالُ لَـهَـا، لاَ، بَـلْ أَزَارَكَـهُ فِكْـرٌ إِذَا نَـامَ فِكْـرُ الْـخِـلْـوِ لَـمْ يَـنَـمِ[1]

وقال في هذا المعنى أيضاً: [الخفيف]

نَـمْ فَـمَـا زَارَكَ الْـخَـيَـالُ، وَلٰـكِـنَّـكَ بِالْفِكْـرِ زُرْتَ طَيْـفَ الْـخَـيَـالِ[2]

٩ ـ وقال أبو تمام الطائي: [الكامل]

أَمَّـا الْـهِـجَـاءُ فَـدَقَّ عِـرْضُـكَ دُونَـهُ وَالْمَدْحُ فِيكَ، كَمَا عَلِمْتَ، جَلِيلُ

فَـاذْهَـبْ فَـأَنْـتَ طَـلِـيقُ عِـرْضِـكَ؛ إِنَّـهُ عِـرْضٌ عَـزَزْتَ بِـهِ وَأَنْـتَ ذَلِـيـلُ[3]

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو أحد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد: [الوافر]

بِـذِلَّـةِ وَالِـدَيْـكَ كَـسَـبْـتَ عِـزًّا وَبِـالـلُّـؤْمِ اجْـتَـرَأْتَ عَـلَـى الْـجَـوَابِ[4]

فأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن: [المتقارب]

نَـجَـا بِـكَ عِـرْضُـكَ مَـنْـجَـى الـذُّبَـابِ حَـمَـتْـهُ مَـقَـاذِرُهُ أَنْ يُـنَـالا[5]

١٠ ـ وقال الطائي: [الكامل]

وَالـشَّـيْـبُ إِنْ طَـرَدَ الـشَّـبَـابَ بَـيَـاضُـه كَـالـصُّـبْـحِ أَحْـدَثَ لِـلـظَّـلاَمِ أُفُـولا[6]

أراد قول الفرزدق: [الكامل]

وَالـشَّـيْـبُ يَـنْـهَـضُ فِـي الـشَّـبَـابِ كَـأَنَّـهُ لَـيْـلٌ يَـصِـيـحُ بِـجَـانِـبَـيْـهِ نَـهَـارُ[7]

فقصَّر عنه.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٢، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٦٥، من قصيدة في الغزل.

(٣) البيتان ليسا في ديوان أبي تمام، وهما لمسلم بن الوليد في ديوانه ص٢٤٢، وأخبار أبي تمام ص٤١.

(٤) البيت لأبي هشام في أخبار أبي تمام ص٤٢، وللبحتري في المنتحل ص١٤٤، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في نهاية الأرب ٣/ ٢٥٩.

(٥) البيت لابن الزيات في يتيمة الدهر ٣/ ٩٧، ومعاهد التنصيص ٤/ ٥٣، ولإبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين الصولي في أخبار أبي تمام ص٤٣.

(٦) البيت لمروان بن أبي حفصة في ديوانه، من قصيدة مطلعها:
أمسى المشيب من الشباب بديلا ضيفاً أقام فما يريد رحيلا

(٧) البيت في ديوان الفرزدق ١/ ٣٧٢، ولسان العرب (نهر)، (ليل)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٢٠، وتاج العروس (نهر)، (ليل)، وأساس البلاغة (صيح)، (نهض).

١١ ـ وقال قيس بن ذَرِيح: [الطويل]

بَلِيغٌ إذا يَشْكُو إلى غَيْرِها الْهَوَى وَإِنْ هُوَ لاقاها فَغَيْرُ بَلِيغِ[(١)]

أخذه الطائي فقال: [الكامل]

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِراقِ تَبَلُّدِي وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاقِ أنْ يَتَبَلَّدَا[(٢)]؟!

١٢ ـ وقال الحطيئة: [الطويل]

إذَا هَمَّ بالأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَان عَلَيْهَا لُؤْلُؤٌ وَزَبَرْجَدُ[(٣)]

فأخذه كُثَير فقال: [الطويل]

إذا هَمَّ بِالأعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيهَا عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُهَا[(٤)]

أخذه الطائي فخلَطَ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ، فقال: [البسيط]

عَدَاكَ حَرُّ الثغُور الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثغُورِ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصِبِ[(٥)]

١٣ ـ وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فِي كلِّ مُرْتَحَلِ[(٦)]

أخذه الطائي فقال: [الطويل]

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعلاَمِهِ ضُحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ في الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أقامتْ معَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأنَّها مِنَ الْجَيْشِ، إلاَّ أنَّها لَمْ تُقَاتِلِ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان قيس بن ذريح ص١٠٨، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٩، من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الكريم. والتبلّد: التلهّف.

(٣) البيت ليس في ديوان الحطيئة، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان كثير عزّة ص٢٤١.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠، من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ويذكر فتح عمورية. وعداك: صرفك. والثغور الأولى: جمع ثغر، وهو الموضع الذي يخشى أن يأتي منها العدو، والثغور الثانية: جمع ثغر وهو المبسم. والسلسال: العذب البارد.

(٦) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
أجررت حبل خليع في الصبا غزلِ وشمّرت همم العذال في العذلِ

(٧) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٣٣، من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر الأفشين. والعقبان الأولى: الرايات.

فأتى في المعنى زيادةً، وهي قوله «إلا أنها لم تقاتل» وجاء به في بيتين.

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى؛ فأولُ من سبق إليه الأفوَهُ الأوْدِيّ، وذلك قوله: [الرمل]

وَتَـرَى الـطَّـيْـرَ عَـلـى آثـارِنـا رأْيَ عَـيْـن ثِـقَـةً أنْ سَـتُـمَـارُ[1]

فتبعه النابغة فقال: [الطويل]

إذا مَا غَـزَوْا بـالْـجَـيْـشِ حَـلّقَ فَـوْقَـهُـمْ عَـصـائِـبُ طَـيْـرِ تَـهْـتَـدِي بِـعَـصَـائِـبِ
جَـوَانِـحُ قَـدْ أيـقَـنَّ أنَّ قَـبِـيـلَـهُ إذا مـا الْـتَقَـى الْـجَـمْـعَـانِ أوَّلُ غَـالِـبِ[2]

فأخذه حُمَيْد بن ثور فقال يصف الذئب: [الطويل]

إذَا مَـا غـدَا يَـوْمـاً رَأيْـتَ غـمَـامَـةً مِـنَ الـطَّـيْـرِ يَـنْـظُـرْنَ الـذِي هُـوَ صَـانِـعُ[3]

وقال أبو نُوَاس: [المديد]

تَـتَـأيَّـا الـطَّـيْـرُ غَـزْوَتَـهُ ثِـقَـةً بـالـشِّـبْـعِ مِـنْ جَـزَرِهْ[4]

أي: تتعمد وتقصد.

١٤ ـ وقال منصور النَّمَرِيُّ يمدح الرشيد: [الطويل]

وَعَـيْـنٌ مُـحِـيـطٌ بِـالْـبَـرِيَّـةِ طَـرْفُـهَـا سَـوَاءٌ عَـلَـيْـهِ قُـرْبُـهـا وَبَـعِـيـدُهـا[5]

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

أطَـلَّ عـلـى كُـلَـى الآفـاقِ حَـتَّـى كـأنَّ الأرْضَ فـي عَـيْـنَـيْـهِ دَارُ[6]

عجز هذا البيت حَسَنٌ جداً، وبيت النمري أحبُّ إليَّ؛ لأن معناه أشرح.

١٥ ـ وقال مسلم بن الوليد: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان الأفوه الأودي ص١٣.
(٢) البيتان في ديوان النابغة الذبياني ص٤٣.
(٣) البيت في ديوان حميد بن ثور ص١٠٦، وفيه: «غيابة»، بدل: «غمامة».
(٤) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
أيـهـا الـمـنـتـاب عـن عُـفُـرِه لـسـتَ مـن لـيـلـي ولا سَـمَـرِهْ
(٥) البيت في ديوان منصور النمري، وهو بيت منفرد.
(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة. وكلَى الآفاق: جوانبها ونواحيها.

فلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلَ الصَّبَاحُ وَصَلْتُهُ   بِحَاشِيَةٍ مِنْ لَوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ[(١)]

أخذه أبو تمام فقال: [البسيط]

حُطَّتْ على قُبَّةِ الإسلامِ أرْحُلُهُ   والشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْساً على الأُصُلِ[(٢)]

هذا ما ذكره ابن المنجم، والذي أظنه أنه أخذه من قول الآخر: [الكامل]

* والشَّمْسُ صَفْرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرْسِ[(٣)] *

١٦ ـ وقال مرار الْفَقْعَسِيُّ في وصف الأثافيّ: [الكامل]

أثَرُ الْوَقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا   بِخُدُودِهِنَّ كَأنَّهُ لَطْمُ[(٤)]

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

أثَافٍ كالْخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً   وَنُؤْيٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[(٥)]

أوردَ المعنى في مصراع، وأتى بالمصراع الثاني بمعنى آخَرَ يليق به فأجاد، إلا أن بيت المرار أشرح وأوضح معنًى؛ لقوله «أثر الورود على جوانبها» فأبان المعنى الذي من أجله أشبه الخدودَ الملطومة.

١٧ ـ وقال أبو نُوَاس: [البسيط]

فالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ وَالْكَأسُ لُؤْلُؤَةٌ   مِنْ كَفِّ لُؤْلُؤَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ[(٦)]

---

(١) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
خيال من الهوى النائي المتبعّدِ   سرى فسرى عنه عزيم التجلّدِ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، ويذكر حجه، ورواية صدر البيت فيه:
حطّت إلى عمدةِ الإسلام أرحلُهُ
والورس: نبات أصفر. والأصل: جمع أصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب.

(٣) الشطر لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان المرار بن سعيد الفقعسي ص٤٨١، وكتاب الجيم ٣/١٩٩.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٣، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة. والأثافي: حجارة القدر. والنؤي: حفير حول الخيمة يمنع السيل. وانفصم: انقطع. والسوار: حلية تلبسه المرأة في زندها.

(٦) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هندِ   واشرب على الورد من حمراء كالوردِ

أخذه أبو تمام فقال وأساء: [الكامل]

أوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ حَمْلاً عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ[(١)]

لأن قوله «أطبقت حبلا» كلام قبيح مستكره جداً.

١٨ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

نَقِّل فُؤادَكَ حيثُ شِئتَ مِنَ الهَوَى ما الحُبُّ إلا لِلحَبِيبِ الأوَّلِ[(٢)]

أخذه من قول كُثَيِّر: [الطويل]

إذا وَصَلَتْنَا خُلَّةٌ كَيْ تُزِيلَهَا أَبَيْنَا، وَقُلْنَا: الحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ[(٣)]

وذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن الطَّثْرِيَّةِ إذ يقول: [الطويل]

أتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلْباً فَارِغاً فَتَمَكَّنَا[(٤)]

وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى؛ لأنه ذكر العلة.

١٩ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إلاَّ ومِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ والأمَانِي وَإنْ قَلِقَتْ رِكَابِي فِي البِلادِ[(٥)]

أخذه من قول أبي نُواس: [الطويل]

وَإنْ جَرَتِ الألفَاظُ يَوماً بِمَدْحَةٍ لِغَيْرِكَ إنْسَاناً فَأنْتَ الذِي نَعْنِي[(٦)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥، من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٦٣، من أربعة أبيات في الغزل، وانظر أخبار أبي تمام ص٢٦٣، وكتاب الصناعتين ص٢٠٤، وأسرار البلاغة ص١٠٢، ودلائل الإعجاز ص٢٧٩، والبيان والتبيين ٢/ ٤٥، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١/ ١٥.

(٣) البيت في ديوان كثير عزّة ص٢٥٨. وانظر دلائل الإعجاز ص٢٧٩، وأخبار أبي تمام ص٢٦٤، وطبقات ابن سلام ص١٢٢.

(٤) البيت في ديوان يزيد ابن الطثرية ص١٩، من قصيدة مطلعها:

ألا طرقت ليلى فأحزن ذكرها وكم قد طرانا طيف ليلى فأحزنا

(٥) البيتان في ديوان أبي تمام ص٨٠، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد ويعتذر إليه، وانظر أخبار أبي تمام ص١٤١، وكتاب الصناعتين ص٢٠٧. وجدواك: عطاؤك ومنحك. وراحلتي: ناقتي.

(٦) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

ملكتَ على طير السعادة واليمنِ وحزتَ إليك الملك مقتبل السنّ

وقد كان ابن أبي دُؤَاد سأله عن هذا المعنى حين أنشده القصيدة، فقال: أهو مما اخترعته؟ فقال: أخذته من قول ابن هانىء: [الطويل]

* وَإِنْ جَـرَتِ الألْـفَـاظُ يَـوْمـاً بِـمَـدْحـةٍ *

٢٠ ـ وقال ابن الخياط في قصيدة يمدح بها المهدي، فأجازه بجائزة فَفَرَّقها في الدار، فبلغه فأضْعَفَ له الجائزة، فقال: [الطويل]

لَـمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّه يُعْدِي[1]

أخذه أبو تَمّام فقال: [المنسرح]

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ؛ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ[2]

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود.

٢١ ـ وقال دِعْبِلُ بن علي: [الطويل]

وَإِنَّ امْرَأً أَسْدَى إِلَيَّ بِشَافِعٍ إِلَيْهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لَأَحْمَقُ
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ؛ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهْوَ يَخْلقُ[3]

فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ: [الكامل]

فَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلْوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ[4]

٢٢ ـ وقال مسلم بن الوليد في الحجاب، وأخطأ في المعنى: [البسيط]

---

(١) البيت لابن الخياط (يونس بن عبد الله بن سالم) أو لبشار بن برد في الأغاني ٣/ ١٤٣، ولبشار بن برد في ملحقات ديوانه ٤/ ٤٤، ولابن الخياط في أمالي المرتضى ١/ ٥٢٢، وكتاب الصناعتين ص٢٠٠، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٢١٠، وعيون الأخبار ١/ ٤٦٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٦٣٠.

(٢) البيت ليس في ديوان أبي تمام، وهو لإسحاق الموصلي من قصيدة من أربعة أبيات، هذا البيت مطلعها. وانظر أخبار أبي تمام ص١٥٨، والوساطة ص١٧٢، وكتاب الصناعتين ص٢٠٠.

(٣) البيتان في ديوان دعبل بن علي الخزاعي، وهما بيتان منفردان، وكتاب الصناعتين ص٢١٣.

(٤) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٢٦ ـ ٢٢٧، من قصيدة من ستة أبيات يخاطب فيها إسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دلف ويسأله أن يشفع له. وانظر كتاب الصناعتين ص٢١٣، وأخبار أبي تمام ص٦٤.

كَذٰلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حتى يُرَى مُسْفِراً عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ[(١)]

أخذه أبو تمام فقال: [البسيط]

لَيْسَ الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً إِنَّ السماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[(٢)]

إلا أن لبيت أبي تمام وجهاً من الصواب، وقد ذكرته في بابٍ في هذا الكتاب مع ما أُخذ على مسلم بن الوليد في بيته من العيب.

٢٣ ـ وقال النابغة الجَعْدِيُّ: [الطويل]

وَتَسْتَلِبُ الدُّهْمَ التي كانَ رَبُّهَا ضَنِيناً بِهَا، والحَرْبُ فِيهَا الحَرَائِبُ[(٣)]

فأخذه أبو تمام فقال وقصّر عنه: [البسيط]

لمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ نُوفَلِسٌ والحربُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ[(٤)]

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدي: [الطويل]

وَسَعَّرُوا الْحَرْبَ وَأَسمُ الحربِ ـ قَدْ عَلِمُوا لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ ـ مُشْتَقٌ مِنَ الحَرَبِ[(٥)]

٢٤ ـ وقالت مريم بنت طارق ترثي أخاها، في أبيات أنشدها ابن الأنباري في أماليه: [البسيط]

كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيْلٍ بينَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى، فهوَى مِنْ بينها القَمَرُ[(٦)]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى، فقال: [الطويل]

كأنَّ بَنِي نَبْهَانَ يومَ وَفاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ[(٧)]

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٠، من قصيدة يعاتب بها أبا دلف، وقيل عبد الله بن طاهر.

(٣) البيت في ديوان النابغة الجعدي ص١٨١، وديوان المعاني ٢/٦٦، وأخبار أبي تمام ص٥٥.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠، والحَرَب، بفتحتين: سلب الأموال.

(٥) البيت في أخبار أبي تمام ص٥٥، وفيه: «هم هيجوا الحرب».

(٦) البيت للخنساء في ديوانها ص٥٣ (طبعة دار القلم)، ولصفية الباهلية في أخبار أبي تمام ص١٣٣، وديوان المعاني ١/١٧.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٦، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي. وخرَّ: سقط.

أمْسَى بَنُوهُ وقد جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ   مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ(١)

ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه؟ أمريم أخذت من جرير، أم جرير أخذ منها؟

وروى دِعْبِل بن علي الخزاعي لأبي سُلْمىٰ المزني، من ولد زُهَيْر، واسمه مكنفٌ وهو الذي كان يهجو بَنِي القَعْقاع آلَ ذفَافَةَ العَبْسيِّ فيقول: [الكامل]

إنَّ الضُّرَاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكُمْ   فَتَعَاظَمُوا ضَرِطاً بَنِي القَعْقَاعِ(٢)

قال دعبل: فلما مات ذُفَافَةُ رَثاه أبو سُلْمى فقال: [الطويل]

أَبَعْدَ أبي العَبَّاس يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ   وما بَعْدَهُ لِلدَّهرِ عُتْبَى وَلاَ عُذْرُ؟
أَلاَ أَيُّهَا النَّاعِي ذُفَافَةَ ذا النَّدَى   تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنَامِلِكَ العَشْرُ
ولا مَطَرَتْ أرْضاً سماءٌ، ولا جَرَتْ   نجومٌ، ولا لَذَّتْ لِشَارِبِهَا الخمرُ
كأنَّ بَنِي القَعْقَاعِ بَعْدَ وَفاتِهِ   نجومُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بينها البَدْرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدَ ذُفافَةٍ   فأصْبَحَ في شُغْلٍ عَنه السَّفَرِ السَّفْرُ
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ العُلاَ   ويَبْكِي عليهِ البَأْسُ والمجدُ والشِّعْرُ
وما كانَ إلاّ مالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ   وذُخْراً لِمَنْ أَمْسَى وليسَ لهُ ذُخْرُ(٣)

قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح: قال أبو محمد اليزيدي: أنشدني دِعْبِلٌ هذه القصيدَةَ، وجعل يعجّبني من الطائي في ادعائه إياها، وتغييره بعضَ أبياتها.

٢٥ ـ وقال مسلم بن الوليد يرثي: [الطويل]

فَاذْهَبْ كما ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ   أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ والأَوْعَارُ(٤)

أخذ أبو تمام المعنى وقصّر في العبارة، فقال: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان جرير ص٢٠٧.
(٢) البيت لمكنف بن نميلة المزني في أخبار أبي تمام ص٢٠٠.
(٣) الأبيات في أخبار أبي تمام ص٢٠٠، والوساطة ص١٥٢.
(٤) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
قبر ببرذعة استسرّ صريحه   خطراً تقاصر دونه الأخطارُ

وَقَـفْـنَـا فَـقُـلْـنَـا بـعـدَ أن أُفْـرِدَ الـثَّـرَى بـهِ مَـا يُـقَـالُ فـي الـسَّـحَـابَـةِ تُـقْـلِـعُ(١)

وتقصيرُه عن مسلم أن مسلماً قال «أثنى عليها السهل والأوْعَارُ» فأراد أن هذه السحابة عَمَّتْ بنفعها، وفي قول أبي تمام «ما يقال في السحابة تقلع» إبهام؛ لأنه لم يُفْصِحْ بالثناء عليها وأنها نفعت، وقد يقال في السحابة إذا أقْلَعَتْ ما هو غير المدح والثناء، إذا نزلت في غير حينها، وفي غير وقت الحاجة إليها، وكثيراً ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حالَه، وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القِسْمَ، وإنما أراد القسم الآخر فقط؛ فقصَّر في العبارة والشرح، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحْسَن ما شَرَط، وهو طَرَفَةُ: [الكامل]

فَـسَـقَـى دِيَـارَكِ غَـيْـرَ مُـفْـسِـدِهَـا صَـوْبُ الـرَّبِـيـعِ وَدِيـمَـةٌ تَـهْـمِـي(٢)

قال «غير مفسدها» لما دعا لها بالسُّقْيا التي تدومُ، وقال البحتري: [البسيط]

أَلَـحَّ جُـوداً فَـلَـم تَـضْـرُرْ سَـحَـائـبُـهُ ورُبَّـمَـا ضَـرَّ عـنـدَ الـحـاجَـةِ الـمـطَـرُ(٣)

وقول أبي تمام «ما يقال في السحابة تُقْلِعُ» يحتاج إلى تفسير مع سرقته المعنى.

٢٦ ـ وقال العباس بن الأحنف: [الطويل]

سَـأَطْـلُـبُ بُـعْـدَ الـدَّارِ عَـنْـكُـمْ لِـتَـقْـرُبُـوا وتَـسْـكُـبُ عَـيْـنَـايَ الـدُّمُـوعَ لِـتَـجْـمُـدَا(٤)

أخذه الطائي فقال: [الوافر]

أَآلِـفَـةَ الـنَّـحِـيـبِ، كَـمِ افْـتِـرَاقٍ أظَـلَّ فَـكَـانَ دَاعِـيَـةَ اجْـتِـمَـاعِ(٥)؟

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦١، من قصيدة يرثي بها إدريس بن بدر السامي من ولد سامة بن لؤي، ورواية صدر البيت في الديوان:

وقـمـنـا فـقـلـنـا بـعـد أن أفـرد الـنـدى

(٢) البيت في ديوان طرفة بن العبد ص٨٨، وتخليص الشواهد ص٢٣١، والدرر ٤/٩، ومعاهد التنصيص ١/٣٦٢.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٦١، من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأرمني.

(٤) البيت ليس في ديوان العباس بن الأحنف، وهو في معاهد التنصيص ص٢٤ (طبعة بولاق)، وكتاب الصناعتين ص٢١٩، والوساطة ص١٨٠.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨١، من قصيدة يمدح بها مهدي بن أصرم، وفي الديوان: «ألم فكان»، بدل: «أظلّ فكان». وانظر الوساطة ص١٨٠، ومعاهد التنصيص ص٢٥.

وبيت الأعرابي ـ وهو عُرْوَة بن الوَرْد ـ أجْوَدُ من بيتيهما، وهو قوله: [الطويل]

تقولُ سُلَيْمىٰ: لَوْ أقمْتَ بأرْضِنَا، ولم تَدْرِ أنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ(١)

٢٧ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

أَسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إذاً لَهَجَانِي عنهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي(٢)

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج وسَامَه قَطَرِيّ بن الفُجاءَة قِتَال الحجاج فأبى؛ لأن الحجاج كان مَنَّ عليه، فقال: [الكامل]

أَأُقَاتِلُ الحجَّاجَ عن سُلْطانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بأنَّهَا مَوْلاتُهُ
إنِّي إذاً لأخُو الدَّنَاءَةِ، وَالَّذِي غَطَّتْ على إحْسَانِهِ جَهَلاتُهُ
ماذا أقولُ إذا وَقَفْتُ إزَاءَهُ في الصَّفِّ فاحْتَجَّتْ لهُ فَعَلاتُهُ
أأقولُ جَارَ عَلَيَّ؟ لا، إنِّي إذاً لأحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلاتُهُ
وتَحَدَّثَ الأقْوَامُ أنَّ صَنَائِعاً غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ(٣)

٢٨ ـ وقال قيس بن الْخَطيم: [المنسرح]

قَضَى لَهَا اللّهُ حينَ صَوَّرَها الْخَالِقُ أن لا يُكِنَّهَا سَدَفُ(٤)

أخذه أبو تمام فقال: [الكامل]

فَعَجِبْتُ مِنْ شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِها، فَكَأنَّها لم تُحْجَبِ(٥)

أو أخذه من قول أبي نُوَاسٍ: [الطويل]

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظاهِرِ الكَأْسِ ظاهِراً عليكَ، وَلَوْ غَطَّيْتَها بِغِطَاءِ(٦)

---

(١) البيت في ديوان عروة بن الورد ص٩٣، وكتاب الصناعتين ص٢٢٠، والوساطة ص١٨٠، والأغاني ٣/ ٨٢، ومعاهد التنصيص ص٢٥.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٢، من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه. وانظر معاهد التنصيص ص١٧، وكتاب الصناعتين ص٢١٥.

(٣) الأبيات في أخبار أبي تمام ص٢٠٥، وكتاب الصناعتين ص٢١٥، ودلائل الإعجاز ص٢٦٠.

(٤) البيت في ديوان قيس بن الخطيم ص١٠٧، والسدف، بفتحتين: الظلمة.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢، من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبي، وفي الديوان: «فنعمت من شمس»، بدل: «فعجبت من شمس».

(٦) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
لقد طال في رسم الديار بكائي وقد طال ترددادي بها وعنائي

٢٩ ـ وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

يُصِيبُ مِنْكَ مَعَ الآمالِ طالِبُها ... حِلْماً وعِلْماً ومَعْرُوفاً وإسْلامَا[١]

أخذه أبو تمام فقال وبَرَّز عليه وإن كان بيت مسلم أجْمَعَ للمعنى: [المنسرح]

نَرمِي بأشْبَاحِنَا إلى مَلِكٍ ... نأخُذُ مِنْ مَالِهِ ومِنْ أدَبِهْ[٢]

٣٠ ـ وقال أبو نُوَاس: [مجزوء الكامل]

تَبْكِي البُدُورُ لِضِحْكِهِ ... والسَّيْفُ يَضْحَكُ إنْ عَبَسْ[٣]

أراد هُهُنَا بالبدور جمع بَدْرة، فأخذه أبو تمام فقال وقَصَّر عنه: [الخفيف]

كُلَّ يومٍ لَهُ وكُلَّ أوَانٍ ... خُلُقٌ ضَاحِكٌ وَمالٌ كَئيبُ[٤]

فبإزاء هذا البيت قولُ أبي نواس «تبكي البدور لضحكه» وقولُه «والسيف يضحك إن عبس» فَضْلٌ.

٣١ ـ وقال جرير: [البسيط]

* وَهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ اللّهِ أرْكَانَا[٥] *

أخذه أبو تمام فجعله في الخمر، فقال: [الكامل]

وَضَعِيفَةٍ فإذا أصَابَتْ فُرْصَةً ... قَتَلَتْ، كذلكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ[٦]

٣٢ ـ وقال رجل من بني أسد، وكان أبو عبد الله الجرشي ـ أحد شعراء الشاميين ـ أنْشَدَنِيهِ لبعض شعراء بني أسد: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
طيف الخيال حمدنا منك إلماما ... داويت سقماً وقد هيّجت أسقاما
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي.
(٣) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
نبّه نديمك وقد تعس ... يسقيك كأساً في الغلس
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٩، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.
(٥) صدره:
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به
والبيت في ديوان جرير ص١٦٣، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧١٢، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٦٤، والمقتضب ٢/ ١٧٣.
(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥، من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت.

تَـغَـيَّـبْـتُ كـيْ لا تَـجْـتَـوِيـنـي دِيَـارُكُـمْ   ولـوْ لـم تَـغِبْ شمسُ النَـهَـارِ لَـمُـلّـتِ[١]

وظننته مَصْنُوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعر عجز هذا البيت: [الطويل]

* ولَـوْ لَـمْ تَـغِـبْ شَـمْـسُ الـنـهـارِ لَـمُـلَّـتِ[٢] *

للكميت بن زيد فأخذه الطائي فقال: [الطويل]

فـإنـي رَأَيْـتُ الـشَّـمْـسَ زِيـدَتْ مَـحَـبَّـةً   إلى الناسِ إذْ لَيْسَتْ عَليهم بِسَرْمَدِ[٣]

فأما قول الإيادي: [الطويل]

فَـإنـي رَأَيْـتُ الـقَـطْـرَ يُـسْـأَمُ دَائِـبـاً   ويُـسْـأَلُ بـالأيْـدِي إذا هُـوَ أَمْـسَـكـا[٤]

فمن أبي تمامٍ أَخَذَهُ؛ لأنه متأخر بعده.

٣٣ ـ وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

مُـوفٍ عـلـى مُـهَـجٍ وَالـيَـوْمُ ذُو رَهَـجٍ   كَـأنَّـهُ أَجَـلٌ يَـسْـعَـى إلـى أَمَـلِ[٥]

فأخذه الطائي فقال وقصَّرَ: [الوافر]

رَآهُ الـعِـلْـجُ مُـقْـتَـحِـمـاً عـلـيـهِ   كـمـا اقْـتَـحَـمَ الـفَـنَـاءُ عـلى الـخـلـودِ[٦]

٣٤ ـ وقال قَطَرِيّ بن الفُجَاءة: [الكامل]

ثـمَّ انْـثَـنَـيْـتُ وقـد أَصَـبْـتُ ولـم أُصَـبْ   جَـذَعَ الـبَـصِـيـرَةِ قَـارِحَ الإقْـدَامِ[٧]

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) الشطر في نهاية الأرب ١/ ٣٥.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٨، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. وانظر أخبار أبي تمام ص٦١، وأسرار البلاغة ص١٠٦.

(٤) البيت بلا نسبة في المنتحل للثعالبي ص٤٠١، والموشى ص٦٧، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ص٢٢٣.

(٥) البيت في ديوان مسلم بن الوليد، من قصيدة مطلعها:

أجررت حبل خليع في الصبا غزل   وشمرت همم العذال في العذلِ

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٢، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. والعِلْج ـ بكسر فسكون ـ: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٧) البيت في ديوان قطري بن الفجاءة ص١٧٢، ولسان العرب (بزل)، ورواية صدر البيت في الديوان:

حـتـى انـصـرفـت وقـد أصـبـتُ ولـم أُصَـبْ

أخذه أبو تمام فقال وكأنه عكس المعنى، وكلاهما جيد حسن: [الكامل]

وَمُجَرَّبُونَ سقاهُمُ مِنْ بَأسِهِ فإذا لَقُوا فكأَنَّهُمْ أغْمَارُ[1]

وقد كَرَّرَ هذا المعنى في بيتٍ آخر فقال: [الكامل]

كَهْلُ الأَنَاةِ، فَتَى الشَّذَاةِ، إذا غَدَا لِلحَرْبِ كانَ الماجِدَ الغِطْرِيفَا[2]

٣٥ ـ وقال آخر: [الوافر]

يَبِيعُ ويَشْتَرِي لَهُمُ سواهم ولٰكِنْ بالطِّعَانِ هُمُ تِجَارُ[3]

ويروى «بالرماح»، أخذه الطائي فقال وقصَّرَ وغير المعنى وجاء بغرض آخر: [الكامل]

لُفُظٌ لأِخْلاَقِ التِّجَارِ، وَإنَّهُمْ لَغَداً بِمَا ادَّخَرُوا لَهُ لَتِجَارُ[4]

٣٦ ـ وقال أبو نُوَاس يمدح الخصيبَ: [الطويل]

فَمَا جَازَهُ جُودٌ، وَلاَ حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ[5]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري، والأغمار: جمع غمر، وهو الذي لم يجرّب الأمور.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بوالٍ ولي الثغر بعده فهزم. وفي الديوان: «القشعم الغطريفا»، بدل: «الماجد الغطريفا». والأناة: الحلم والوقار. والشذاة: القوة أو بقيتها، والقشعم: الأسد. والغطريف: السيد الشريف.

(٣) البيت لأبي الطمحان القيني في ديوانه، من قصيدة من ثلاثة أبيات، مطلعها:

إذا لبسوا عمائمهم ثنوها على كرمٍ وإن سفروا أناروا

ويروى عجز البيت في الديوان:

ولكن بالرماح هم تجارُ

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٠، من قصيدة يمدح به أبا سعيد الثغري، ورواية عجز البيت في الديوان:

بكثير ما فضلوا به لتجارُ

ولُفُظٌ، بضمتين، جمع لافظ، على غير قياس، واللافظ للشيء: الطارح له المهمله، يعني أنهم يتركون أخلاق التجار لدناءتها، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من المحامد والمكرمات، ولكثرة ما اكتسبوا بها من ثناء وحمد، يشبهون التجار، فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكريم سجاياهم فكانوا الرابحين.

(٥) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

أجارة بيتينا أبوك غيورٌ وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

ورواية عجز البيت في الديوان:

ولكن يصير الجود حيث يصيرُ

أخذه أبو تمام فقال يمدح ابن أبي دُؤاد، وقصَّر عنه: [الطويل]

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ يَصِيرُ فَمَا يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ[1]

٣٧ ـ وقال جرير يهجو الأخطل: [الكامل]

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْكُمُ وَرِجَالا[2]

أخذه أبو تمام فقال: [البسيط]

حَيْرَانَ يَحْسِبُ سِجْفَ النَّقْعِ مِنْ دَهَشٍ نَقًى يُحَاذِرُ أَنْ يَنْقَضَّ أَوْ جُرُفَا[3]

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

٣٨ ـ وقال مسلم يرثي: [الكامل]

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ دَارُوا
نَفَضَتْ بِكَ الآمَالُ أَحْلاَسَ الْمُنَى وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الأَمْصَارُ[4]

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

تُوُفِّيَتِ الآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ مَشْغُولاً عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ[5]

أو أخذ ذلك من أبي سُلْمى يرثي دُفَافَةَ العبسيَّ كما حكى دِعْبِلٌ[6].

٣٩ ـ وقال تَوْبة بن الحُمَيِّر: [الطويل]

يَقُولُ أُنَاسٌ: لا يَضُرُّكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا[7]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥٠، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.
(٢) البيت في ديوان جرير ص٥٣، وشرح شواهد الشافية ص١٢٥، والعقد الفريد ٣/ ١٣٢.
(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩١، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي. وفي الديوان: «طوداً»، بدل: «نقًى». والسجف: الستر. والطود: الجبل.
(٤) البيتان في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
قبرٌ ببرذعة استسرّ ضريحُهُ خطراً تقاصر دونه الأخطارُ
وفي الديوان: «حارُوا»، بدل: «دارُوا».
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٥، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي.
(٦) تقدمت الأبيات التي رثا بها أبو سلمى ذفافة العبسي، قبل قليل.
(٧) البيت في ديوان توبة بن الحمير الخفاجي ص٣١.

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه: [الكامل]

لاَ شَــيْءَ ضَــائِـرُ عَــاشِــقٍ، فَــإِذَا نَــأَى عَـنْـهُ الْـحَـبِـيـبُ فَـكُـلُّ شَـيْءٍ ضَـائِـرُهْ[(١)]

٤٠ ـ وقال عنترة: [الكامل]

فَـشَـكَـكْـتُ بِـالـرُّمْـحِ الـطَّـوِيـلِ ثِـيَـابَـهُ لَـيْسَ الْـكَـرِيـمُ عَـلَـى الْـقَـنَـا بِـمُـحَـرَّمِ[(٢)]

أخذه أبو تمام فقال: [الكامل]

يَـحْـمِـلْـنَ كُـلَّ مُـدَجَّـجٍ، سُـمْـرُ الْـقَـنَـا بِــإِهَــابِــهِ أَوْلَــى مِــنَ الــسِّــرْبَــالِ[(٣)]

قال ذلك لأنه ظن أن عنترة أراد الثيابَ نفسَهَا، وإنما أراد عنترة بقوله «ثيابه» نفْسَه.

٤١ ـ وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

يَـكْـسُـو الـسُّـيُـوفَ نُـفُـوسَ الـنَّـاكِـثِـيـنَ بِـهِ وَيَـجْـعَـلُ الْـهَـامَ تِـيـجَـانَ الْـقَـنَـا الـذُّبُـلِ[(٤)]

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعَسَّف اللفظ فقال: [البسيط]

أَبْـدَلْـتَ أرْؤُسَـهُـمْ يَـوْمَ الْـكَـرِيـهَـةِ مِـنْ قَـنَـا الـظُّـهُـورِ قَـنَـا الْـخَـطِّـيِّ مُـدَّعَـمَـا[(٥)]

أو أخَذَا المعنى جميعاً من قول جرير: [الطويل]

كَــأَنَّ رُؤُوسَ الْـقَــوْمِ فَــوْقَ رِمَــاحِـنَــا غَـدَاةَ الْـوَغَـى تِـيـجَـانُ كِـسْـرَى وَقَـيْـصَـرَا[(٦)]

٤٢ ـ وقال امرؤ القيس: [الطويل]

سَـمَـوْتُ إِلَـيْـهَـا بَـعْـدَ مَـا نَـامَ أَهْـلُـهَـا سُـمُـوَّ حَـبَـابِ الْـمَـاءِ حَـالاً عَـلَـى حَـالِ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٦، من قصيدة يمدح بها نصر بن منصور بن بسام.

(٢) البيت في ديوان عنترة ص٢١٠، ولسان العرب (طهر)، (شكك)، وجمهرة اللغة ص١٣٩، وأساس البلاغة (شكك).

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤٦، من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر أخذ بابك.

(٤) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
أجررتُ حبل خليع في الصبا غزلِ وشمّرت همم العزال في العزلِ

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٥، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي. والخطّي: المنسوب إلى الخط، وأراد به الرمح، ومدعماً: مسنداً.

(٦) البيت ليس في ديوان جرير، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٧) البيت في ديوان امرىء القيس ص٣١، وتاج العروس (حبب)، وبلا نسبة في لسان العرب (حبب)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٠.

أخذه أبو تمام وعَدَلَ به إلى وجه المديح فقال: [الطويل]

سَمَا لِلْعُلاَ مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ[(١)]

وما قيل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرىء القيس هذا.

٤٣ ـ وقال الفرزدق يهجو جريراً: [الكامل]

أَنْتُمْ قَرَارَةُ كُلِّ مَدْفَعِ سَوْأَةٍ وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيلُ قَرَارُ[(٢)]

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال: [الوافر]

وَكَانَتْ لَوْعَةً ثُمَّ اطْمَأَنَّتْ كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ[(٣)]

٤٤ ـ وقال محمد بن بَشِيرٍ الخارجِيُّ من خارجة عَدْوَانَ: [الكامل]

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الأَرْحَامِ[(٤)]

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُمْ وَالزَّائِرِيهِمْ لَمَا مِزْتَ الْحَمِيمَ مِنَ الْبَعِيدِ[(٥)]

فقصر عن الأول.

٤٥ ـ وقال بعض الأعراب يصف المصلوبَ، أنشده ثعلب: [الرجز]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب. وفي الديوان: «عباب الماء»، بدل: «حباب الماء». والعباب: معظم الماء. وجاشت: زخرت أو اضطربت. وغوارب الماء: أي أعالي موجه.

(٢) البيت في ديوان الفرزدق ١/ ٣٧٤، وديوان المعاني ١/ ١٧٥.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٣، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة. وانظر ديوان المعاني ١/ ١٧٥.

(٤) البيت لابن هرمة في العقد الفريد ٢/ ٣١٥، ولمحمد بن بشير الخارجي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨٠٨، ومعجم الشعراء ص٤١٢، ولمحمد بن بشير أو لأبي البهاء عمير بن عامر في الحماسة البصرية ١/ ٢٤٤، ولمحمد بن بشير أو لابن هرمة في ملحق ديوان ابن هرمة ص٢٤١، ولابن هرمة أو لمحمد بن بشير أو لعمير بن عامر في خزانة الأدب ٩/ ٤٠٢.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٢، من قصيدة ميمية يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين، ورواية البيت في الديوان:

فلو عاينتهم مع زائريهم لما مزت البعيد من الحميم

قَامَ وَلَمَّا يَسْتَعِنْ بِسَاقِهِ آلفُ مَثْوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ[1]

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي إِشْرَاقِهِ *

أخذ أبو تمام قوله «آلف مثواه على فراقه» فقال: [الكامل]

لاَ يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَآهُمْ خَالَهُمْ أَبَداً عَلَى سَفَرٍ مِنَ الأسْفَارِ[2]

٤٦ ـ وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سَبَقَ إليه: [البسيط]

لاَ يَسْتَطِيعُ يَزِيدٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامَا[3]

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاد فقال: [الطويل]

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ دَعَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تجِبْهُ أَنَامِلُهْ[4]

٤٧ ـ وقال ذو الرّمة: [الطويل]

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعَرُوسِ ادَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ

أَحَمُّ عِلاَفِيٌّ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ، وَأَرْوَعُ مَاجِدُ[5]

أخذه أبو تمام فقصّر وليس هو المعنى بعينه، فقال: [البسيط]

الْبِيدُ وَالْعِيسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعاً ثلاثَةٌ أَبَداً يُقْرَنَّ في قَرَنِ[6]

والذي اتَّبَعَ ذا الرمة فأحسن الاتباع البحتريُّ في قوله: [الخفيف]

يَا خَلِيلَيَّ بِالسَّوَاجِيرِ مِنْ أُدِّ بْنِ مَعْنٍ وَبحْتُرِ بْنِ عَتُودِ

---

(١) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٦، من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفشين.

(٣) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
طيف الخيال حمدنا منك إلماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٩، من قصيدة يمدح بها المعتصم، ورواية عجز البيت فيه:
ثناها لقبض لم تطعه أناملُهْ

(٥) البيتان في ديوان ذي الرمة ص١١٠٨، وأساس البلاغة ص١٨٤ (روز)، وتاج العروس (روز)، والحيوان ٣/ ٢٥٠، ولسان العرب (روز). والعلافي: الرجل العظيم. والأحم: الأسود، وقيل: الأبيض. والأعيس من الإبل: ما في لونه أدمة.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٥، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن علي بن مرة. ورواية صدر البيت في الديوان:
العيس والهمّ والليل التمام معاً
والعيس: الإبل. والقرن، بالتحريك: الحبل يجمع به البعيران.

أَطْلُبا ثالثاً سِوايَ؛ فإنّي رابعُ العِيسِ والدُّجى والبِيدِ[١]

٤٨ ـ وقال النابغة الذبياني، وكان الأصمعي يتعجب من جَوْدَته: [البسيط]

وَعَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيانَ خَشْيَتَهُ وَهَلْ عَلَيَّ بِأَنْ أَخشاكَ مِنْ عارِ[٢]؟

أخذه أبو تمام فقال وزاد ذكر الموت: [الكامل]

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ التي هِيَ عِنْدَهُمْ كالمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فيهِ عارُ[٣]

٤٩ ـ وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً: [البسيط]

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِياضِ المَوْتِ تَهليلُ[٤]

أخذه أبو تمام ـ كما قال لي بعض الرواة ـ فقال يرثي بني حُمَيد: [البسيط]

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ العَيُّوقِ مُنْصَلِتَا ما كانَ إلاّ على هاماتِهِمْ يَقَعُ[٥]

روى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى، فقال: أخذته من قول نادبة: لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ، فأما قول كعب «لا يقع الطعن إلا في نحورِهِمُ» فإنما أراد أنهم لا يُوَلُّونَ الدبر، وليس من معنى أبي تمام في شيء.

٥٠ ـ وقال يصف الراية: [المنسرح]

تَخْفِقُ أَثْناؤُها على مَلِكٍ يَرَى طِرادَ الأبطالِ مِنْ طَرَدِهْ[٦]

---

(١) البيتان في ديوان البحتري ٢/٢٧٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

يا نديميَّ بالسواجير من ودٍّ

والسواجير: موضع. والعيس: الإبل. والدجى: الليل. والبيد: الصحراء.

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص٧٨، ولسان العرب (عير)، وتاج العروس (عير).

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٨، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد، وفي الديوان: «خشعوا»، بدل: «خضعوا». والصولة: السطوة والقدرة.

(٤) البيت في ديوان كعب بن زهير ص٢٥، ولسان العرب (هلل)، وتهذيب اللغة ٥/٣٦٨، وكتاب العين ٣/٣٥٣.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٩، من قصيدة يرثي بها بني حميد. وخرّ: سقط. والعيوق: نجم معروف. والمنصلت: السيف الصقيل الماضي.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٢، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. والطرد: مزاولة الصيد.

أخذه من قول أبي نواس: [الرجز]

* تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْواتِهَا(١) *

وأخذه أبو نُوَاسٍ من قول أبي النجم: [الرجز]

* تَعُدُّ عَانَاتِ اللِّوَى مِنْ مالِهَا(٢) *

٥١ ـ وقال أبو تمام يستهدي نبيذاً: [الخفيف]

وَهْيَ نَزْرٌ لَوْ أنهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّـبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ(٣)

أخذه من قول الآخر، أو أخذه الآخر منه، والمعنيان متشابهان: [السريع]

لَوْ كانَ ما أهْدَيْتَهُ إثْمِداً لَمْ يَكْفِ إلاّ مُقْلَةً واحِدَهْ(٤)

٥٢ ـ وقال يصف مغنية تغنّي بالفارسية: [الوافر]

وَلَمْ أفْهَمْ مَعانِيَهَا، ولكِنْ شَجَتْ كَبِدِي فَلَمْ أجْهَلْ شَجاها(٥)

أخذه من قول الحسين بن الضحاك الخليع على ما في قول الخليع من المناقضة: [الهزج]

وَما أفْهَمُ ما يَعْنِي مُغَنِّينَا إذا غَنَّى

سِوَى أنِّيَ مِنْ حُبِّي لَهُ أسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى(٦)

لأنه قال: «ما أفهم ما يعني» ثم قال: «أستحسن المعنى» وإنما أراد بالمعنى اللَّحْنَ، لا معنى القول.

وأجود من ذلك كله قول حُمَيْد بن ثَوْرٍ يصف الحمامة: [الطويل]

وَلَمْ أرَ مِثْلِي صَوْتُ مِثْلِهَا وَلا عَرَبِيًّا شاقَهُ صَوْتُ أعْجَمَا(٧)

---

(١) الرجز في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

قد أغتدي والطير في مثواتها

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٠٠، من قصيدة يعاتب بها أبا علي موسى القمي في نبيذ. والنزر: القليل. والغليل: العطش.

(٤) البيت في أخبار أبي تمام ص٢١٣.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧٤، وفي الديوان: «ورت كبدي»، بدل: «شجت كبدي». وشجت: أحزنت. وورت: أوقدت، وشجاها طربها أو حزنها.

(٦) البيتان في أخبار أبي تمام ص٢١٥.

(٧) البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي ص١٢.

٥٣ ـ وقال الفرزدق يرثي امرأة له ماتت حاملاً: [الطويل]

وَجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنُحْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيا
وَفي بَطْنِهِ مِنْ دارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوَ أنَّ الْمَنايا أَمْهَلَتْهُ لَياليا[1]

فقال أبو تمام وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ وأصاب التمثيل، فقال يرثي ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر: [الكامل]

لَهَفِي على تِلْكَ الْمَخَايلِ فِيهِما لَوْ أُمْهِلَتْ حَتى تكُونَ شَمَائلا
إنَّ الهِلالَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أيْقَنْتَ أنْ سَيَكُونُ بَدْراً كامِلا[2]

٥٤ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

صَلَتانٌ أعدَاؤُهُ حيثُ حَلُّوا في حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ[3]

فأخطأ في قوله «مستفاض» وإنما هو مستفيض، وقد احتجَّ له محتج بأن قال: أرادَ مستفاض فيه، وإنما جعلهم يُفيضون في ذكره لأنهم أبداً على حال وَجَلٍ واحتراسٍ من إيقاعه بهم؛ فهم لا يقطعون ذِكْرَه من شدة الخوف منه، ألا تراه قال «حيث حلوا» أي هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيداً.

وأخذ هذا المعنى من قول أعشى باهِلَةَ يرثي أخاه لأمه المنتشِرَ: [البسيط]

لا يأمَنُ القَوْمُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ في كلِّ فَجٍّ وإنْ لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ[4]

أو من قول عُرْوَة الصعَاليك: [الطويل]

وإنْ بَعُدُوا لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائبِ الْمُتَنَظَّرِ[5]

---

(١) البيتان ليسا في ديوان الفرزدق، وهما في أخبار أبي تمام ص٢٢، وزهر الآداب ١/ ٢١٠، وديوان المعاني ٢/ ١٧٧، وكتاب الصناعتين ص٢٠٦.

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص٣٦٨، وأخبار أبي تمام ص٢١٧، ٢١٨، وديوان المعاني ٢/ ١٧٨، وزهر الآداب ١/ ٢١٠، وكتاب الصناعتين ص٢٠٦، وأسرار البلاغة ص١٠٧.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٥، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد، والصلتان: الشجاع والماضي في الحوائج.

(٤) البيت في ديوان الأدب ١/ ٢١٢، وكتاب العين ٧/ ١١٣، وجمهرة أشعار العرب ص١٣٧ (طبعة بولاق).

(٥) البيت في ديوان عروة بن الورد ص٧٣، ولسان العرب (نظر)، وتاج العروس (نظر).

وهذان البيتان جميعاً أوضحُ وأشرحُ وأجْوَدُ من بيت أبي تمام، وقد قيل: إنه أراد أن أعداءه يُقِرُّون بفضله، ويُفيضون في ذكر مناقبه، وذلك محتمل، والمعنى الأول أقْوَى وأفْشَى في كلامهم.

٥٥ ـ وقال بشار بن بُرْد: [الوافر]

شَـرِبْـنَـا مِـنْ فُـؤَادِ الـدَّنِّ حَـتَّـى ... تَـرَكْـنَـا الـدَّنَّ لَـيْـسَ لَـهُ فُـؤَادُ[1]

أخذه أبو تمام فقصَّرَ عنه فقال: [الطويل]

غَـدَتْ وَهْـيَ أوْلَـى مِـنْ فُـؤَادِي بِـعَـزْمَـتِـي ... وَرُحْـتُ بـمـا فـي الـدَّنِّ أَوْلَـى مِـنَ الـدَّنِّ[2]

٥٦ ـ وقال الأخطل: [الطويل]

تَـدِبُّ دَبِـيـبـاً فـي الـعِـظَـامِ كـأنَّـهَـا ... دَبِـيـبُ نِـمَـالٍ فـي نَـقـاً يَـتَـهَـيَّـلُ[3]

أخذه أبو تمام فأفسد المعنى فقال: [الطويل]

إذا الـرَّاحُ دَبَّـتْ فِـيـهِ تَـحْـسَـبُ جِـسْـمَـهُ ... لِـمَـا دَبَّ فِـيـهِ قَـرْيَـةً مِـنْ قُـرَى الـنَّـمْـلِ[4]

٥٧ ـ وقال أبو دُوَاد الإيادي: [الخفيف]

لا أعُـدُّ الإقْـلالَ عُـدْمـاً، ولـكِـنْ ... فَـقْـدُ مَـنْ قـد فَـقَـدْتُـهُ الإعْـدَامُ[5]

---

(١) البيت في ديوان بشار بن برد ص٦٩ (طبعة دار الثقافة).

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢١، وجاء فيه: وقال غير الصولي: قال أبو تمام: شربت عند الحسن بن وهب فغلب عليَّ السكر فأخبرت أني كسرت آنية فحملت بين أربعة، فلما أفقت كتبت إليه هذه الأبيات. والدنّ: وعاء الخمر.

(٣) البيت في ديوان الأخطل ص١٥٤، ولسان العرب (نمل)، وتهذيب اللغة ١٥/٣٦٦، وأساس البلاغة (نمل)، وبلا نسبة في كتاب العين ٨/ ٣٣٠.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٤١٧، من قصيدة يصف فيها تقتير الرزق عليه بمصر. ورواية صدر البيت فيه:

إذا هـي دبّـت فـي الـفـتـى خـال جـسـمـه

ودبّت: سرت. وقرية النمل: مجتمع ترابها.

(٥) البيت في ديوان أبي دؤاد الإيادي ص٣٣٨، والأصمعيات ص١٨٧، والأغاني ٢/ ١٣٩، ١٦/ ٢٩١، ١٧/ ١٥٥، وتخليص الشواهد ص٤٣١، وخزانة الأدب ٨/ ١٢٥، ٩/ ٥٩٠، ٥٩١، والدرر ٢/ ٢٣٨، والشعر والشعراء ١/ ٢٤٤، والمؤتلف والمختلف ص١١٥، والمقاصد النحوية ٢/ ٣٩١، ورواية البيت في الديوان والمصادر المذكورة:

لا أَعُـدّ الإقـتـار عُـدْمـا ولـكـن ... فَـقْـدُ مـن قـد رُزئـتـه الإعـدامُ

أخذ أبو تمام صَدْرَ البيت فقال: [الكامل]

لا يَحْسَبُ الإقلالَ عُدْماً، بَلْ يَرَى ... أنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ(١)

٥٨ ـ وقال أبو الهندي: [الكامل]

وَتَرَى سُهَيْلاً في السَّماءِ كأنَّهُ ... ثَوْرٌ يُعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرَبِ(٢)

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

أُرَاعِي مِنْ كَوَاكِبِهِ هِجَاناً ... سَوَاماً لاَ تُرِيعُ إلى المُسِيمِ(٣)

٥٩ ـ وقال أبو نُوَاس: [الوافر]

شُقِقْتُ مِنَ الصِّبَا واشْتُقَّ مِنِّي ... كما اشْتُقَّتْ مِنَ الكَرَمِ الكُرُومُ(٤)

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

أَلَذُّ مُصَافَاةً مِنَ الظِّلِّ في الضُّحى ... وأَكْرَمُ في اللأوَاءِ عُوداً مِنَ الكَرْمِ(٥)

٦٠ ـ وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

تَمْضِي المَنَايَا كما تَمْضِي أسِنَّتُهُ ... كأنَّ في سَرْجِهِ بَدْراً وضِرْغَامَا(٦)

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

فَتًى مِنْ يَدَيْهِ البَأسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى ... وفي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ(٧)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي.

(٢) البيت في ديوان أبي الهندي، من قصيدة مطلعها:

لما سمعت الديك صاح بسحرةٍ ... وتوسّط النسران بطن العقربِ

وسهيل: نجم ينقضي بطلوعه القيظ. والربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧١، من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين، والهجان: الكرام والخيار، والسوام: الإبل الراعية. والمسيم: من أسام الإبل أي أرعاها.

(٤) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

أعاذل ما على وجهي قتومُ ... ولا عرضي لأوّل من يسومُ

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٠٥، من قصيدة يعاتب بها أبا القاسم بن الحسن بن سهل. واللأواء: الشدة والمحنة.

(٦) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:

طيف الخيال حمدنا منك إلماما ... داويت سقماً وقد هيجت أسقاما

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥٠، من قصيدة يمدح بها جعفر الخياط. والبأس: الشجاعة. والندى: الكرم. والليث والغضنفر: من أسماء الأسد.

٦١ ـ وقال ابن هَرْمة: [البسيط]

اسْتَبْقِ عَيْنَيْكَ لاَ يُودِ الْبُكَا بِهِمَا ... وَاكْفُفْ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ

لَيْسَ الشُّؤُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ ... وَلاَ الْجُفُونُ عَلَى هٰذَا وَلاَ الْحَدَقُ(١)

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

وَلاَ يَبْقَى عَلَى إِدْمَانِ هٰذَا ... وَلاَ هٰذَا الْعُيُونُ وَلاَ الْقُلُوبُ(٢)

٦٢ ـ وقال أبو تمام يهجو السَّرَّاجَ: [الكامل]

يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ لِمْ تُعَرِّضُ صَخْرَةً ... صَمَّاءَ مِنْ مَجْدِي لِعِرْضِ زُجَاجِ(٣)؟

أخذه من قول الآخر وأظنه بشاراً: [البسيط]

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ(٤)

٦٣ ـ وقال الشاعر العُدَيْلُ بن الفرخ: [الطويل]

مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَهَا ... مُلاَءٌ بِأَيْدِي الْغَاسِلاَتِ رَحِيضُ(٥)

أخذه أبو تمام فقال: [الخفيف]

وَبِسَاطٌ كَأَنَّمَا الآلُ فِيهِ ... وَعَلَيْهِ سَحْقُ الْمُلاَءِ الرَّحِيضُ(٦)

٦٤ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

فَاشْمَأَلُّوا يُلَجْلِجُونَ دُؤُوباً ... مُضَغاً لِلْكَلاَلِ فِيهَا أَنِيضُ(٧)

---

(١) البيتان في ديوان ابن هرمة ص١٥٢.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧٩، من قصيدة في الفخر والحماسة. والإدمان: المداومة.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٠٧، من قصيدة يهجو فيها يوسف السراج.

(٤) البيت في ديوان بشار بن برد ص١٢٣ (طبعة دار الثقافة).

(٥) البيت في ديوان العديل بن الفرخ العجلي ص٣٠١، وتاج العروس (رحض)، (بسط)، والأغاني ٢٢/ ٣٣١، والشعر والشعراء ص٤٢٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٥١٧، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٩٦، والاشتقاق ص١١٥.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٠، من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي. والبساط: ما اتسع من الأرض. والسحق: الخلق. والرحيض: المغسول الأبيض.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧١، وهو من القصيدة نفسها السابقة. وفي الديوان: «فاشمعلّوا» بدل: «فاشمألّوا»، وهما واحد. واشمعلّوا: جدُّوا وتفرّقوا، ويلجلجون: يترددون. ودؤوباً: أي تعباً. والمضغ: العلك بالأسنان. والأنيض: الخفقان.

أخذه من قول زهير: [الوافر]

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهْيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ[١]

٦٥ ـ وقال أبو نُوَاس: [المديد]

سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدُوا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنِ[٢]

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ[٣]

٦٦ ـ وقال في الغَزَل: [الخفيف]

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيكَ الظُّنُونُ كَيْفَ يُحْوَى مَا لاَ تَرَاهُ الْعُيُونُ
غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ: إِنَّكَ خَلْقٌ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ وَسُكُونُ[٤]

أخذه من قول أبي نُوَاس وقصَّر عنه: [المجتث]

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينِ
يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ[٥]

٦٧ ـ وقال أبو العتاهية: [الكامل]

كَمْ نِعْمَةٍ لاَ يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَهْ[٦]

أخذه الطائي فقال وأحسن؛ لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس الشيء الأول: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٨٢، ولسان العرب (لجج)، (أنض)، (صلل)، وكتاب العين ٧/ ٦٢، وجمهرة اللغة ص١٤٤، ١٨٤، ومقاييس اللغة ١/ ١٤٥، ٥/ ٢٠١، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٩٥، ١٢/ ٧٠، ومجمل اللغة ١/ ٢١٠، وتاج العروس (أيض)، (مضغ)، (صلّ).

(٢) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
يا كثير النوح في الدمنِ لا عليها بل على السكنِ

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٧، من قصيدة يصف فيها قومه ويفتخر بهم.

(٤) البيتان ليسا في ديوان أبي تمام، ولم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) الأبيات في ديوان أبي نواس، من قصيدة من أربعة أبيات، وفيها بيت بين الثاني والثالث وهو:
في الحجب شيئاً فشيئاً يحور دون العيونِ

(٦) البيت في ديوان أبي العتاهية، وهو بيت منفرد.

قَدْ يُنْعِمُ اللّهُ بِالْبَلْوَى وَإنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ[(١)]

٦٨ ـ وقال آخر، ولست أدري أهو قبل الطائي أو في أيامه: [الطويل]

مَا كُنْتُ أحْسَبُ أنَّ بَحْراً زَاخِراً ... عَمَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا إرْوَاءَ

أضْحَى دَفِيناً فِي ذِرَاعٍ وَاحِدٍ ... مِنْ بَعْدِ مَا مَلَكَ الْفَضَاءَ فَضَاءَ[(٢)]

فقال الطائي، وأبرَّ عليه[(٣)] وعلى كل من ذكر هذا المعنى: [الطويل]

وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً ... بإسقَائِهَا قَبْراً وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ[(٤)]

٦٩ ـ وقال آخر: [الكامل]

نُؤْيٌ كَمَا نَقَصَ الْهِلاَلَ مَحَاقُهُ ... أوْ مِثْلَ مَا فَصَمَ السِّوَارَ الْمِعْصَمُ[(٥)]

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

* وَنُؤْيٌ مِثْلَمَا انْفَصَمَ السِّوَارُ[(٦)] *

٧٠ ـ وقال آخَرُ في السحاب: [البسيط]

كَأنَّ عَيْنَيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا ... يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَاتِهِ الْمُقَلا[(٧)]

فقال الطائي، وحوَّل المعنى، وأجاد: [الطويل]

كَأَنَّ الْغَمَامَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبِيباً؛ فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ[(٨)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩٧، من قصيدة قالها في مرض إلياس بن أسد.

(٢) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) أبرّ عليه: أي زاد عليه.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٦، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي. ورواية صدر البيت فيه:

وكيف احتمالي للغيوث صنيعةً

(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) تقدم البيت بتمامه مع تخريجه.

(٧) البيت لمحمد بن أبي زرعة في الوساطة ص٤٢٨.

(٨) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٦، من قصيدة يصف فيها قومه ويفتخر بهم. ورواية صدر البيت في الديوان:

كأنّ السحاب الغرّ غيّبن تحتها

والغر: التي تخدع وتطمع بالباطل. وترقا: تجف.

٧١ ـ وقال الطائي: [الوافر]

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِي ... وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ(١)

أخذه من قول الفرزدق: [الطويل]

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ ... رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمُ فَقْرَا
قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طَالِبُ حَاجَةٍ ... عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرَا(٢)

٧٢ ـ وقال الآخَرُ، وهو معبد الهذلي: [الخفيف]

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ ... بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وَشْكِ الرَّحِيلِ؟
كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلاَدِ كَأَنِّي ... طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ(٣)

فقال الطائي: [الطويل]

كَأَنَّ لَهَا دَيْناً عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ ... مِنَ الأَرْضِ، أَوْ ثَأْراً لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ(٤)

٧٣ ـ وقال آخر، وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن دِعْبِل: [البسيط]

نَهْنِهْ دُمُوعَكَ مِنْ سَحٍّ وَتَسْجَامِ ... الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَسْقَامِي
وَمَا أَظُنُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ رَاضِيَةً ... حَتَّى تَسُحَّ دَماً هَطْلاً بِتَسْجَامِ(٥)

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما فقال: [البسيط]

مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي وَلاَ الثَّانِي ... الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ ... حَتَّى تُبَلِّغَنِي أقصى خُرَاسَانِ(٦)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٨، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة من أهل مرو وكتب بها إليه، ويعرض بهجاء أبي صالح بن يزداد الكاتب. والعوان: المرأة في نصف عمرها. والعنس: جمع عانس، وهي التي طال مكثها بغير زواج، والكعاب: البارزة النهد.

(٢) البيتان لذي الرمة في ملحق ديوانه ص١٨٧١، وأساس البلاغة ص٢٨ (بكر)، ولسان العرب (بكر)، وللفرزدق في ديوانه ١/١٨٨، والمقتضب ٤/١٥٢.

(٣) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١، من قصيدة يمدح بها عياش بن لهيعة الحضرمي.

(٥) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) البيتان في ديوان أبي تمام ص٣٠٥، من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي، والبيت الأول هو مطلع القصيدة، والبيت الثاني ترتيبه الخامس في القصيدة.

٧٤ ـ وأنشدني ابنُ أبي طاهر لدعبل: [السريع]

إنْ جَاءَهُ مُرْتَغِباً سَائِلٌ آلَتْ إلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ(١)

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

وَإنِّي لأزْجُو عَاجِلاً أنْ تَرُدَّنِي مَوَاهِبُهُ بَحْراً تُرَجَّى مَوَاهِبِي(٢)

٧٥ ـ وقال دِعْبلُ بن علي: [السريع]

وَأسْمَرٌ فِي رَأْسِهِ أزْرَقٌ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي(٣)

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

مُثَقَّفَات سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرْبَ أُدْمَتَهَا، وَالْعَاشِقَ الْقَضَفَا(٤)

فزاد المعنى بأن شبّه زُرقتها بزرقة الروم، وسمرتها بسمرة العرب، ولكن قول دِعْبِل «مثل لسان الحية الصادي» ليس لحسنه نهاية.

٧٦ ـ وقال أبو نُوَاس: [الطويل]

وَأطْعَمَ حَتَّى مَا بِمَكَّةَ آكِلٌ وَأعْطَى عَطَاءً لَمْ يَكُنْ بِضِمَارِ(٥)

أخذ الطائي معنى صَدْرِ البيتِ فقال: [الطويل]

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ(٦)

٧٧ ـ وقال أبو نُوَاسٍ في أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوماً: [الرجز]

بِشْرُهُمُ قَبْلَ النَّوَالِ اللاَّحِقِ كَالبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جَوْدٍ دَافِقِ

---

(١) البيت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.

(٣) البيت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي، من قصيدة مطلعها:
أين محل الحيّ يا وادي خبّر سقاك الرائح الغادي

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩١، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، وفي الديوان: «والعرب سمرتها»، بدل: «والعرب أدمتها». ومثقفات: مقومات معدلات. والأدمة: السمرة. والقضف: النحافة.

(٥) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
ديار نوار ما ديار نوار كونك شجواً هنّ منه عوار

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب.

وَالْـغَـيْـثُ يَـخْـفَـى وَقْـعُـهُ لِـلـرَّامِـقِ   إنْ لَـمْ يَـجِـدْهُ بِـدَلِـيـلِ الـبَـارِقِ(١)

أخذ المعنى أبو تمام فقال: [الكامل]

يَـسْـتَـنْـزِلُ الأمَـلَ الـبَـعِـيـدَ بِـبِـشْـرِهِ   بِشْـرَ الْـخَـمِـيلَـةِ بـالـرَّبِـيعِ الْـمُـغْـدِقِ
وكَـذَا الـسَّـحَـائِـبُ قَـلَّـمَـا تَـدْعُـو إلـى   مَـعْـرُوفِـهَـا الـرُّوَّادَ مـا لَـمْ تَـبْـرُقِ(٢)

٧٨ ـ وقال أبو العتاهية: [المتقارب]

وَإنَّـا إذا مـا تَـرَكْـنـا الـسُّـؤَا   لَ مِـنْـهُ فـلَـم نَـبْـغِـهِ يَـبْـتَـدِيـنَـا
وَإنْ نَـحْـنُ لَـمْ نَـبْـغِ مَـعْـرُوفَـهُ   فَـمَـعْـرُوفُـهُ أبَـداً يَـبْـتَـغِـيـنَـا(٣)

وقال مسلم بن الوليد في معنى بيت أبي العتاهية الأول: [الطويل]

أخٌ لِـيَ يُـعْـطِـيـنِـي إذامـا سَـأَلْـتُـهُ   وَلَـوْ لَـمْ أعَـرِّضْ بـالـسُّـؤَالِ ٱبْـتَـدَانِـيَـا(٤)

أخذ أبو تمام معنى هذا البيت ومعنى بيت أبي العتاهية الأول فقال: [الكامل]

وَرَأيْـتَـنِـي فَـسَـأَلْـتَ نَـفْـسَـكَ سَـيْـبَـهَـا   لِـي ثُـمَّ جُـدْتَ وَمـا انْـتَـظَـرْتَ سُـؤَالِـي(٥)

أو لعله أخذه من قول منصور النمري: [الوافر]

رَأيْـتُ الْـمُـصْـطَـفَـى هـارُونَ يُـعْـطِـي   عَـطـاءً لَـيْـسَ يَـنْـتَـظِـرُ الـسُّـؤَالا(٦)

وأجود من هذا كله قول سَلْم الخاسر: [مجزوء الكامل]

أعْـطَـاكَ قَـبْـلَ سُـؤَالِـهِ   فَـكَـفَـاكَ مَـكْـرُوهَ الـسُّـؤَالْ(٧)

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبي العتاهية الثاني فقال: [البسيط]

---

(١) الرجز ليس في ديوان أبي نواس، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٠٠، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه.
(٣) البيتان في ديوان أبي العتاهية، وهما بيتان فقط.
(٤) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، وهو بيت منفرد.
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣١، من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء.
(٦) البيت في ديوان منصور النمري، وهو بيت منفرد.
(٧) البيت في ديوان سلم الخاسر، من قصيدة مطلعها:
وفـتًـى خـلا مـن مـالـه   ومـن الـمـروءة غـيـر خـالِ

كَالْغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وَافاكَ رَيِّقُهُ وإنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ كَانَ فِي الطَّلَبِ[1]

٧٩ ـ وقال مسلم: [الطويل]

وما كانَ مِثْلِي يَعْتَرِيكَ رَجَاؤُهُ وَلٰكِنْ أَسَاءَتْ شِيمَةٌ مِنْ فتًى مَحْضِ[2]

أخذه أبو تمام وزاد زيادةً حسنةً، فقال: [الطويل]

فإنْ كانَ ذَنْبِي أنَّ أحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فَفِي سُوءِ القَضَاءِ لِيَ العُذْرُ[3]

٨٠ ـ وأنشد أبو تمام في الحماسة: [مجزوء الكامل]

تَرِدُ السِّبَاعُ مَعِي فَأُلْفَى كالمُدِلِّ مِنَ السِّبَاعِ[4]

أخذ المعنى من فيه فقال: [الوافر]

أَبِنَّ مَعَ السِّبَاعِ الماءَ حَتَّى لَخَالَتْهُ السِّبَاعُ مِنَ السِّبَاعِ[5]

٨١ ـ وقال النظار بن هاشم الأزدي: [الوافر]

يَعِفُّ المَرْءُ ما اسْتَحْيَا وَيَبْقَى نَبَاتُ العُودِ ما بَقِيَ اللِّحاءُ
وما في أنْ يَعِيشَ المَرْءُ خَيْرٌ إذَا ما المَرْءُ زايَلَهُ الحَيَاءُ[6]

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكْثَر لفظِهما، فقال: [الوافر]

يَعِيشُ المَرءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ
فَلاَ وَاللّٰهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ وَلا الدُّنْيا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ[7]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥، من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل. ورواية عجز البيت فيه:
وإن ترحلت عنه لجّ في الطلب

(٢) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة من ثلاثة أبيات، أولها:
وإني لأستحي السؤال ومذهبي عريضٌ وآبى الشحّ إلا على عرضي

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٣، من قصيدة في الفخر.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٢، من قصيدة يمدح بها مهدي بن أصرم، وفي الديوان: «الغيل»، بدل: «الماء».

(٦) البيتان بلا نسبة في لباب الأدب ص٣٩٨.

(٧) البيتان في ديوان أبي تمام ص٤٩٧، من قصيدة يعرض فيها ببعض بني حميد ولم يصرح بهجائه لمدحه لهم ولأنه طائي.

٨٢ ـ وقال أبو نُواس: [الوافر]

أبِنْ لِي كَيْفَ صِرْتُ إلى حَرِيمي ... وَنجمُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ[١]

أخذه الطائي فقال: [الطويل]

إلَيكَ هَتَكْنَا جِنْحَ لَيلٍ كأنهُ ... قَدِ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلاَدُ بِإثْمِدِ[٢]

٨٣ ـ وسَمعَ أبا نواس يقول: [السريع]

تَبْكي فَتُذْري الدرَّ مِنْ نَرْجِسٍ ... وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ[٣]

فقال وأساء كل الإساءة وقَصَّر وقبَّح صدر البيت: [الكامل]

مَلْطُومَةٌ بالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُها ... في الْخَلْقِ؛ فَهْوَ معَ الْمَنُونِ مُحَكَّمُ[٤]

٨٤ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

وَمِمَّا كانَتِ الحُكَماءُ قالَتْ: ... لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ[٥]

أخذه الْجَعْدِ بن ضمام أحد بني عامر بن شَيْبَان، ذكره أبو تمام في اختيارات القبائل: [الكامل]

إنَّ البَيَانَ مَعَ الفُؤادِ، وَإنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُول رَسولا[٦]

٨٥ ـ وقال طريح الثقفي يرثي قوماً: [الطويل]

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأى قَط حادِثاً ... كَفَرْسِ الْكِلاَبِ الأُسْدَ يَوْمَ الْمُشَلَّلِ[٧]

أخذه أبو تمام فأجاد في الأخذ فقال: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
وخمّار حططت إليه ليلاً ... قلائص قد ونين من السفارِ
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.
(٣) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
يا قمراً أبرزه مأتمٌ ... يندب شجواً بين أترابِ
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي، وفي الديوان: «مظلومة للوردِ»، بدل: «ملطومة بالوردِ».
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٨١، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد.
(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٧) البيت في ديوان طريح بن إسماعيل الثقفي، وهو بيت منفرد.

مَنْ لَمْ يُعَايِنْ أَبَا نَصرٍ وَقَاتِلَهُ فَما رَأى ضَبُعاً في شِدْقِهَا سَبُعُ[١]

وهذا مَعْنًى مُتَدَاوَل، وقد يجوز أن يكون أخذه الطائي من غير هذا الموضع.

٨٦ ـ وقال مروان بن أبي حَفْصة: [الكامل]

مَا ضَرَّني حَسَدُ اللِّئَامِ، وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ[٢]

أخذه أبو تمام، فقال: [الطويل]

* وَذُو النَّقْصِ في الدُّنْيَا بِذِي الفَضْلِ مُولَعُ[٣] *

٨٧ ـ وقال أبو دهبل الجمحي: [المنسرح]

مَا زِلْتَ فِي العَفْوِ للذُّنُوبِ وَإِطْلاَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ

حَتى تَمَنَّى الْبُرَاةُ أنهُمُ عِنْدَكَ أمْسَوْا في الْقِدِّ وَالْحَلَقِ[٤]

أخذه أبو تمام فقال: [الكامل]

وتَكَفلَ الأيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أنَّنَا أيْتَامُ[٥]

٨٨ ـ وقال زَيْدُ الخيلِ الطائي: [الطويل]

وأسْمَر مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أرَيْتُهُ بَصِيرٌ ـ إذا صَوَّبْتُه ـ بالْمَقَاتِلِ[٦]

أخذه أبو تمام فقال: [البسيط]

مِنْ كلِّ أسْمَرَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ إلى الْمَقَاتِلِ مَا في مَتْنِهِ أوَدُ[٧]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٩، من قصيدة يرثي بها بني حميد.

(٢) البيت في ديوان مروان بن أبي حفصة، من قصيدة مطلعها:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القصيد ومرّه لجرير

(٣) صدره:

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٧٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.

والمولع: المغرى.

(٤) البيتان في ديوان أبي دهبل الجمحي، من قصيدة مطلعها:

جئتك من بلدة مباركةٍ أقطعها بالزميل والعَنَقِ

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٦) البيت في ديوان زيد الخيل الطائي، وهو بيت منفرد.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.

وفي الديوان: «من كل أزرق»، بدل: «من كل أسمر».

٨٩ ـ وقال أبو نُخَيْلة في مَسْلَمة بن عبد الملك: [الطويل]

وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي، وَمَا كَانَ خَامِلاً ... وَلٰكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ(١)

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي ٱمْتِدَاداً، ولم أكُنْ ... بَهِيماً، وَلا أرْضِي مِنَ الأرْضِ مَجْهَلا(٢)

ولٰكِنْ أيَادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا ... أغَرَّ فَوَافَتْ بِي أغَرَّ مُحَجَّلاَ

٩٠ ـ وقال المسيب بن عَلَس: [البسيط]

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ كَانَ حَلَّهُمُ ... وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِيمُ(٣)

وقال عِلاقة بن عركى التَّيْمي يرثي قوماً: [الطويل]

وَكُنْتُمْ قَدِيماً في الحُرُوبِ وَغَيْرِهَا ... مَيَامِينَ لِلأدْنَى لأعْدَائِكُمْ نُكْدَا(٤)

ومثله قول كعب بن الأجْذَم: [الطويل]

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِيمُ لِلْعِدَى ... مَيَامِينُ لِلْمَوْلَى وَلِلْمُتَحَرِّمِ(٥)

أخذ الطائي هذا المعنى فقال في مَدْحه أبي سعيد: [الطويل]

إذا ما دَعَوْنَاهُ بِأجْلَحَ أيْمَنٍ ... دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأضْلَعَ أنْكَدِ(٦)

٩١ ـ وقال دُكَيْنٌ الراجز: [الرجز]

* عَارِي الْحَصَى يَدْرُسُ ما لَمْ يُلْبَسِ *

أخذه أبو تمام فقال: [الوافر]

تُجَدَّدُ كُلَّمَا لُبِسَتْ، وتَبْقَى ... إذا ٱبْتُذِلَتْ، وتخلُقُ في الحِجَابِ(٧)

---

(١) البيت لأبي نخيلة في لسان العرب (نوه)، وتاج العروس (نوه).
(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٣٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات. والأوضاح: جمع وضح، وهو العزّة في جبهة الفرس. والمجهل: المفازة التي لا أعلام فيها.
(٣) البيت في ديوان المسيب بن علس، وهو بيت منفرد.
(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٥) البيت لم أجده.
(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.
(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٧.

أو أخذه من قول الراجز: [الرجز]

عَوْدٌ على عَوْدٍ مِنَ القُدْمِ الأُوَلْ يُمِيتُهُ التَّرْكُ وَيُحْيِيهِ العَمَلْ(١)

يعني طريقاً.

٩٢ ـ وقال تميم بن أُبيّ بن مُقْبِل: [البسيط]

قَدْ كُنْتُ رَاعِيَ أَبْكارٍ مُنَعَّمَةٍ فالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أرْعَى جِلَّةً شُرُفَا(٢)

يريد عجائز، أخذه الطائي فقال وعَدَل بشطر البيت إلى وجه آخر فأحسن: [الخفيف]

كُنْتُ أرْعَى الْخُدُودَ، حَتى إذا مَا فارَقُوني بَقِيتُ أرْعَى النجُومَا(٣)

٩٣ ـ وقال حسان بن ثابت الأنصاري: [البسيط]

والمالُ يَغْشَى رجالاً لا طَبَاخَ بهم كالسيل يغشى أصول الدِّنْدِنِ البالي(٤)

أخذه الطائي فقال: [الكامل]

لا تُنْكِري عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكانِ العَالِي(٥)

٩٤ ـ وقال أبو تمام في وصف الشِّعْرِ: [الطويل]

وَلٰكِنَّهُ صَوْبُ الْعُقُولِ: إذا انْجَلَتْ سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ(٦)

أخذه من قول أَوْسٍ: [الطويل]

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَيَّ غَمَامَتِي وَدَهْرِي، وفي حَبْلِ العَشِيرَةِ أحْطِبُ(٧)

---

(١) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت في ديوان تميم بن أبي بن مقبل ص١٨٦.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد وقد قدم من مكة. ورواية البيت في الديوان:

كنت أرعى البدور حتّى إذا ما فارقوني أمسيت أرعى النجوما

(٤) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص١٤٧، ولسان العرب (دنن)، والتنبيه والإيضاح ١/٢٨٧، وتاج العروس (طبخ)، (دنن)، والبيت لحية بن خلف الطائي في لسان العرب (طبخ)، وبلا نسبة في لسان العرب (بأس).

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣٢، من قصيدة يمدح فيها الحسن بن رجاء.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧، من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.

(٧) البيت في ديوان أوس بن حجر ص٦، وأخبار أبي تمام ص٥٤، وزهر الآداب ١/٩٩.

٩٥ ـ وقال أُمَيَّة بن أبي الصَّلْتِ: [الطويل]

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لامْرِىءٍ إنْ حَبَوْتَهُ بِخَيْرٍ، وما كُلُّ العطَاءِ يَزِينُ(١)

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

ما زِلْتُ مُنْتَظِراً أُعْجُوبَةً زَمَناً حَتى رَأَيْتُ سُؤَالاً يَجْتَنِي شَرَفَا(٢)

٩٦ ـ وقال كُثَيِّر: [الوافر]

وَنَازَعَنِي إلى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَىٰ قَوَافِيهَا مُنَازَعَةَ الغرابِ(٣)

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيهِ إذْ سَهِرْتُ لَهُ حتى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ(٤)

٩٧ ـ وقالت مُحَيَّاة بنت طليق من بني تَيْم الله بن ثَعْلبة: [الطويل]

نَعَى ابْنَي مجل صَوْتُ ناعٍ أصَمَّنِي فَلا آبَ مَحْمُوداً بَرِيدٌ نَعَاهُمَا(٥)

وقال سفيان بن عبد يَغُوثَ النَّضري: [الكامل]

صَمَّتْ لهُ أُذُنَايَ حِينَ نَعَيْتَهُ وَوَجَدْتُ حُزْناً دَائماً لم يَذْهَبِ(٦)

أخذه الطائيُّ فقال: [الطويل]

أصَمَّ بكَ النَّاعِي وإنْ كانَ أسْمَعَا وَأصْبَحَ مَغْنَى الجُودِ بَعْدَكَ بَلْقَعَا(٧)

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمي: [المتقارب]

فَفَقَّأَ عَيْنَيَّ تَبْكَاؤُهُ وَأوْرَثَ في السَّمْعِ مِنِّي صَمَمْ(٨)

---

(١) البيت في ديوان أمية بن أبي الصلت ص٦٣، والاشتقاق ص١٤٤، وديوان المعاني ١/٤٦، والأغاني ٨/٣٤٢، وكتاب الصناعتين ص٤١.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٩، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.
(٣) البيت في ديوان كثير عزّة ص٢٨٠.
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٥، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله.
(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٦) البيت لم أجده.
(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦١، من قصيدة يرثي بها أبا نصر محمد بن حميد الطائي. وأصم: أفقد السمع. والناعي: الذي ينقل الخبر بموت الميت. والمغنى: المنزل. والبلقع: الخالي.
(٨) البيت بلا نسبة في لسان العرب (بكى)، وتاج العروس (بكى).

٩٨ ـ وقال شقران بن عرباض القشيري: [الطويل]

فما السَّائلُ المَحْرُومُ يَرْجِعُ خائباً وَلٰكِنْ بَخِيلُ الأغْنِيَاءِ يَخيبُ[١]

وقال آخر ـ وهو الشجاع الهاتف ـ في خبر عن ابن الكلبي، ورواه ابن دُرَيْدٍ: [الطويل]

لا تَزْهَدَنْ في اصْطِنَاعِ العُرْفِ مِنْ أَحَدٍ إنَّ الذي يُحْرَمُ المَعْرُوفَ مَحْرُومُ[٢]

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

وَإِنِّيَ ما حُورِفْتُ في طَلَبِ الْغِنَى ولكِنَّمَا حُورِفْتُمُ في الْمَكَارِمِ[٣]

٩٩ ـ وقال عنترة: [الكامل]

* وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الآجالِ[٤] *

وإنما أراد الآجال سابقة طعني؛ لشدة خوفه إذا سَدَّد سنانه للطعن.

أخذه الطائي فغيّره تغييراً حسناً فقال: [البسيط]

يَكادُ حِينَ يُلاقِي القِرْنَ مِنْ حَنَقٍ قَبْلَ السِّنَانِ على حَوْبَائِهِ يَرِدُ[٥]

وقال عديُّ بن الرِّقاع يمدح بعض بني مروان: [الكامل]

وإذا رَأَيْتَ جَمَاعَةً هُوَ فِيهِمُ نُبِّئْتَ سُؤْدَدَهُ وَإِنْ لم تَسْأَلِ[٦]

أخذه الطائي فقال: [البسيط]

---

(١) البيت للأقرع بن معاذ القشيري في ديوانه، من قصيدة مطلعها:
فإنك إن حضضتني وندبتني بصالح أخلاق الفتى لكذوبُ

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٣، وحورف فلان: ميل برزقه عنه.

(٤) صدره:
وأنا المنيّة حين تشتجر القنا
والبيت في ديوان عنترة ص١٠٦ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. والقِرْن، بكسر فسكون: البطل المماثل، أو النظير بالشجاعة. والحنق: الغيظ، والسنان: الرمح أو أعلاه. والحوباء: النفس. يريد أن رعبه يبطش بقرنه فيميت نفسه قبل أن ينال منه.

(٦) البيت في ديوان عدي بن الرقاع ص٩٤.

يَـخْـمِـيـهِ لأَلاَؤُهُ وَلَـوْذَعِـيَّـتُـهُ عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ(١)

فقَصَّر عديٌّ بالممدوح؛ إذ جعله إذا كان في جماعة لم يُعْرَف حتى تنبىء عنه شمائله، وتبعه أبو تمام في التقصير.

١٠١ ـ وقال: [الخفيف]

طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلاً وَهُمُوماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُومَا
فَتَرَاهُ، وَهْوَ الخَلِيُّ، شَجِيًّا وَتَرَاهُ، وَهْوَ الصَّحِيحُ، سَقِيمَا(٢)

أخذ قوله «وهموماً تقضقض الحيزوما» من قول لَقيط الإيادي: [البسيط]

لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَكادُ حَشَاهُ يَحْطِمُ الضِّلَعَا(٣)

١٠٢ ـ وأخذ معنى قوله: [الخفيف]

وَلَّهَتْهُ العُلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الـ بُؤْسَ بُؤْساً وَلا النَّعِيمَ نَعِيمَا(٤)

من قول لَقِيطٍ أيضاً: [البسيط]

لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا(٥)

١٠٣ ـ وقال أبو العارم الطائي: [الوافر]

غَبِيُّ العَيْنِ، أو فَهِمٌ تَغَابىٰ عنِ الشُّذَّانِ وَالفِكَرِ القَوَاصِي(٦)

أخذَه أبو تمام، فقال وزاد عليه وأحسن: [الكامل]

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي(٧)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٦، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. ولألاؤه: ضياؤه وإشراق وجهه. ولوذعيته: ذكاؤه. ويذال: يمتهن.

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٧٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف وقد قدم من مكة. وتقضقض: تفرق وتكسر. والحيزوم: الصدر وما استدار بالبطن والظهر. وولهته: صيّرته والهاً.

(٣) البيت في ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ص٣٦.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٥، من القصيدة نفسها التي تقدمت قبل الحاشية السابقة.

(٥) البيت في ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ص٣٦.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي. والغبي: القليل الفطنة. والمتغابي: الذي يظهر الغباء وليس بغبي.

أو أخذه من قول دِعْبِل: [السريع]

تُخَالُ أَحْيَاناً بِهِ غَفْلَةٌ مِنْ كَرَمِ النَّفْسِ، وَمَا أَغْلَمَهْ(١)!

١٠٤ ـ وتمثلَتْ فاطمة بنت الرسول ﷺ عند وفاته عليه السلام فيما رُوي عنها، ولا أعلم صحته: [الطويل]

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلى الأيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا(٢)

ومثله قول الطائي: [الكامل]

عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حَتَّى تُوُهِّمَ أَنَّهُنَّ لَيَالِي(٣)

١٠٥ ـ وقال ابنُ أُذَيْنة: [البسيط]

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لا يُعَنِّينِي(٤)

أخذه الطائي فقال: [الكامل]

الرِّزْقُ لا تَكْمَدْ عَلَيهِ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي ولَم تَبْعَثْ إلَيهِ رَسُولا(٥)

١٠٦ ـ وقال الطائي: [الخفيف]

وَجَّهَ العِيسَ وَهْيَ عِيسٌ إلى اللَّـ ـهِ فآضَتْ مِنَ الهَوَاجِرِ شِيما(٦)

أخذه من قول ابن هَرْمَة: [الطويل]

بَدَأْتُ عَلَيْهَا وَهْيَ عِيسٌ فَأَصْبَحَتْ مِنَ السَّيْرِ جُوناً لاحِقَاتِ الغَوَارِبِ(٧)

---

(١) البيت في ديوان دعبل الخزاعي، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت لأبي منصور الباخرزي (محمد بن إبراهيم) في الوافي بالوفيات، في ترجمته.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣١، من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء.

(٤) البيت في ديوان عروة بن أذينة ص٣٢٧، والأغاني ١٨/ ٣٣٢.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٩، من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي من كندة، ورواية صدر البيت في الديوان:

الرزق لا تحرص عليه فإنه

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، ورواية عجز البيت في الديوان:

فآلت مثل القسي حطيما

والعيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٧) البيت في ديوان ابن هرمة ص٦٢. وفي الديوان: «داميات الغوارب»، بدل: «لاحقات الغوارب».

١٠٧ ـ وأنشد الأُشْنَانْدَانيُّ في المعاني يذكر الإبل: [الطويل]

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيطَانِ الْفَلاَ، وَنَجَتْ ... بِمِثْلِ إِيبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشَرِ[١]

أخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

فَكَمْ جِزْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ... وَبِالأَمْسِ كَانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُه[٢]

١٠٨ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

لَوْ أَصَخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا ... لِقُلُوبِ الأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبَا[٣]

أخذه من قول أبي نُوَاسٍ: [الكامل]

حَتَّى الذي في الرَّحْمِ لم يَكُ نُطْفَةً ... لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ[٤]

١٠٩ ـ وقال آخر: [الكامل]

يَا حَبَّذا رِيحُ الْجَنُوبِ إذا غَدَتْ ... بِالْفَجْرِ وَهْيَ ضَعِيفَةُ الأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِّلَتْ بَرْدَ الثَّرَى، وتَحَمَّلَتْ ... عَبَقاً مِنَ الْجَثْجَاثِ والبَسْبَاسِ[٥]

أخذه الطائي فقال: [الكامل]

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى، وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا[٦]

---

(١) البيت في معاني الشعر للأشنانداني ص٥٠، ٥١.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، وجزع الوادي: جانبه. وجدّ: قطع. والغارب: الكاهل. وذورته: أعلاه. وأتمكته: سمنت تامكه، وهو السنام. ومذانب الوادي: مجاريه الضيقة، وأراد العشب الذي ينبت فيها.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. والأخدعان: عرقان في العنق. والقود، بفتح فسكون، ما يقاد بالمقود من الخيل، يريد أن هذه الضربة ذللته وسهلت قياده. وأصخنا: استمعنا وأصغينا، والوجيب: الرجفان.

(٤) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
حيّ الديار إذ الزمان زمان ... وإذ الشباك لنا خوىً ومعانُ

(٥) البيتان لإسحاق بن إبراهيم الموصلي في «نهاية الأرب» ١/٩٥.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويعرض بوالٍ ولي الثغر بعده فهزم. وفي الديوان: «أرسى بعرصتك»، بدل: «أرسى بناديك». وأرسى: ثبت وأقام، وعرصة الدار: ساحتها. والندى: بلل الماء. والعقوة: بفتح فسكون، ما حول الدار أو الساحة.

١١٠ ـ وقال نُصَيب: [الطويل]

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الأرْضِ مِلْحاً؛ فَزَادَنِي عَلَى ظَمَئي أنْ أبْحَرَ المَشْرَبُ الْعَذبُ(١)

أخذه أبو تمام فقال: [الكامل]

كَانَتْ مُجَاوَرَةُ الطُّلُولِ وَأهْلِهَا زَمَناً عِذَابَ الْوِرْدِ فَهْيَ بِحَارُ(٢)

١١١ ـ وقال غيلان بن سلمة الثقفي يصف فرساً: [المنسرح]

نَهْدٍ كَتَيْسٍ أقَبَّ مُعْتَدِلٍ كَأنَّمَا فِي صَهِيلِهِ جَرَسُ(٣)

أخذه أبو تمام فقال: [المنسرح]

صَهْصَلِقٌ فِي الصَّهِيلِ تَحْسِبُهُ أُشْرِجَ حُلْقُومُهُ عَلَى جَرَسِ(٤)

١١٢ ـ وقال الفرزدق: [الوافر]

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ إلَى سَعِيدٍ كَأنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلالَا(٥)

أخذه أبو تمام فقال: [الكامل]

رَمَقُوا أعَالِيَ جِذْعِهِ فَكَأنَّمَا رَمَقُوا الهِلاَلَ عَشِيَّةَ الإفْطَارِ(٦)

وقال ابن مناذر في البرامكة: [الطويل]

إذَا وَرَدُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أشْرَقَتْ بِيَحْيىٰ وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيىٰ وَجَعْفَرِ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ إلَى الْعِدَى وَأُخْرَى إلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُسَتَّرِ(٧)

---

(١) البيت في ديوان نصيب ص٦٦، ولسان العرب (بحر)، (خرف)، وأساس البلاغة (ملح)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٥/ ١١٠.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد، وفي الديوان: «وهي بحارُ»، بدل: «فهي بحارُ».

(٣) البيت في ديوان غيلان بن سلمة الثقفي، وهو بيت منفرد.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٠، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ويطلب منه فرساً. وصهصلق: شديد. والصهيل: صوت الفرس. وأشرج: شدّ إليه.

(٥) البيت في ديوان الفرزدق ٢/ ٧٠.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٤، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله، ويذكر إحراق الأفشين. وانظر أخبار أبي تمام ص٩٥.

(٧) البيتان في طبقات الشعراء لابن المعتز ص١٨٢.

أخذه أبو تمام فقال: [الخفيف]

حِينَ عَفَّى مَقَامَ إِبْلِيسَ سَامِيٰ ... بِالْمَطَايَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَا(١)

١١٤ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

فَحَيَّوْا بِالأَسِنَّةِ ثُمَّ ثَنَّوْا ... مُصَافَحَةً بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ(٢)

أخذ قوله «فحيوا بالأسنة» من قول مسلم بن الوليد: [الطويل]

فَحَيَّوْا بِأَطْرَافِ الْقَنَا، وَتَعَانَقُوا ... مُعَانَقَةَ الْبَغْضَاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ(٣)

وأخذ قوله «مصافحة بأطراف الرماح» من قول أبي إسحاق التغلبي: [الوافر]

دَنَوْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلامِ(٤)

١١٥ ـ وقال جرير في يزيد بن معاوية: [البسيط]

الْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالإِيمَانُ قَدْ نَزَلُوا ... عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللّهِ فَاخْتَلَفُوا(٥)

ألم به أبو تمام فقال: [الطويل]

مِنَ الْبَأْسِ وَالمَعْرُوفِ وَالْجُودِ وَالتُّقى ... عِيَالٌ عَلَيْهِ، رِزْقُهُنَّ شَمَائِلُهْ(٦)

فقال «عيال عليه» وهو نحو قول جرير «نزلوا على يزيد» ولعل أبا تمام أخذه من قول دِعْبِلٍ: [الطويل]

تَنَافَسَ فِيهِ الْحَزْمُ وَالْبَأْسُ وَالتُّقَى ... وَبَذْلُ اللّهَى حَتَّى اصْطَحَبْنَ ضَرَائِرَا(٧)

١١٦ ـ وقال الكميت يصف الخيل: [البسيط]

يَفْقَهْنَ عَنْهُمْ إِذَا قَالُوا، وَيَفْقَهُهُمْ ... مُسْتَطْعِمٌ صَاهِلٌ مِنْهُمْ وَمُنْتَحِمُ(٨)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد وكان قد قدم من مكة.
(٢) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٣) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
خيال من النائي الهوى المتبعّد ... سرى فسرى عنه عزيم التجلّدِ
(٤) البيت بلا نسبة في مقامات بديع الزمان الهمذاني ص١٠٤.
(٥) البيت ليس في ديوان جرير، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٨، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله.
(٧) البيت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي، وهو بيت منفرد.
(٨) البيت في ديوان الكميت بن زيد الأسدي ٢/١٠٢.

أخذه أبو تمام فقال: [المنسرح]

وَهْــوَ إذَا مَــا نَــاجَــاهُ فَــارِسُــهُ يَـفْـهَـمُ عَـنْـهُ مَـا تَـفْـهَـمُ الإِنْـسُ(١)

١١٧ ـ وقال الكميت أيضاً: [الوافر]

وَأَلْـقَـيْـنَ الْـبُـرُودَ عَـلَـى خُـدُودٍ يُـزَيِّـنَّ الْـفَـدَاغِـمَ بِـالأَسِـيـلِ(٢)

يريد بالفَدَاغم الوُجُوهَ اللّحِيمَةَ؛ فقال أبو تمام: [الكامل]

وَثَـنَـوْا عَـلَـى وَشْـيِ الْـخُـدُودِ صِـيَـانَـةً وَشْـيَ الْـبُـرُودِ بِـمُـسْـجَـفٍ وَمُـمَـهَّـدِ(٣)

١١٨ ـ وقال الأُبَيْرِدُ الرِّياحيُّ: [الطويل]

وَكُـنْـتُ أَرَى هَـجْـراً فِـرَاقَـكَ سَـاعـةً أَلاَ، لاَ، بَلِ الـمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ(٤)

أخذه أبو تمام فقال: [مجزوء الكامل]

الْـمَـوْتُ عِـنْـدِي وَالْـفِـرَا قُ كِـلاَهُـمَـا مَـا لاَ يُـطَـاقُ(٥)

١١٩ ـ وأنشد أبو العباس المبرد للعُتْبيّ: [الكامل]

أَضْـحَـت بِـخَـدِّي لِـلـدُّمُـوعِ رُسُـومُ أَسَـفـاً عَـلَـيْـكَ، وَفِـي الْـفُـؤَادِ كُـلُـومُ

وَالـصَّـبْـرُ يَـحْـسُـنُ فِـي الْـمَـوَاطِـنِ كُـلِّـهَـا إلاَّ عَـلَـيْـكَ؛ فَـإِنَّـهُ مَـذْمُـومُ(٦)

قال: وأخذه الطائي فقال في إدريس بن بَدْر السامي: [الطويل]

دُمُـوعٌ أَجَـابَـتْ دَاعِـيَ الْـحُـزْنِ هُـمَّـعُ تُـوَصِّـلُ مِـنَّـا عَـنْ قُـلُـوبٍ تَـقَـطَّـعُ

---

(١) البيت في ديوان أبي نواس ص١٥٨، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب.

(٢) البيت في ديوان الكميت ٢/٦٥، ولسان العرب (فدغم)، وتاج العروس (فدغم)، والفداغم: جمع فدغم، بوزن جعفر، وهو الوجه الحسن الممتلىء. والأسيل، بوزن أمير، الخد الطويل المسترسل.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم. وثنوا: عطفوا، والوشي: النقش، وأراد بوشي الخدود: زينتها من حمرة وتلوين، والبرود: الثياب، واحدها برد بوزن قفل، وأراد بوشي البرود: الثياب المطرزة. والمسجف: الستار المرخي. والممهد: الممدود.

(٤) البيت في الأغاني ١٣/١٣٩، ١٥١.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٥٨، من قصيدة له في الغزل.

(٦) البيتان في وفيات الأعيان ٤/٣٩٩.

وَقَدْ كانَ يُدعىٰ لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً ... فَأَصْبَحَ يُدعىٰ حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ[(١)]

قال: وجاء به الطائي في موضع آخر، فقال: [الكامل]

الصَّبْرُ أجْمَلُ غَيْرَ أنَّ تَلَذُّذِي ... فِي الْحُبِّ أحْرىٰ أنْ يَكُونَ جَمِيلا[(٢)]

١٢٠ ـ وقال الراجز، أنشده يعقوبُ بن السِّكيت: [الرجز]

قَدْ أضْحَتِ الْعُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللِّمَمْ ... وَأصْبَحَ الأسْوَدُ مَخْضُوباً بِدَمْ[(٣)]

العُقْدَةُ: موضِعٌ ذو شجر لا يَفنى فيذهب، وصلعاء اللِّمَم: الجماجم، وهو جمع لِمَّة، فجعله مثلاً لرؤوس النبت أكَلَتْه الإبل فصارت لممُه صُلْعاً، والأسود: الحية تطؤه الإبل فتقتله؛ فظفر بهذا أبو تمام فقال: [الكامل]

حَتَّى تَعَمَّمَ صُلْعُ هَاماتِ الرُّبَى ... مِنْ نَوْرِهِ وَتَأزَّرَ الأهْضَامُ[(٤)]

والأهضام: ما انخفض من الأرض.

* * *

ووجدت ابن أبي طاهر خَرَّج سرقاتِ أبي تمام، فأصاب في بعضها، وأخطأ في البعض؛ لأنه خَلَط الخاصَّ من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقاً.

١ ـ فمن السَّرَق قولُ أبي تمام: [الطويل]

كَمَا كَادَ يُنْسَى عَهْدُ ظَمْيَاءَ بِاللِّوَى ... وَلٰكِنْ أمَلَّتْهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ[(٥)]

أخذه من قول العَتَّابي: [الطويل]

بكَى وَاسْتَمَلَّ الشَّوْقَ مِنْ فِي حَمَامَةٍ ... أبَتْ فِي غُصُونِ الأيْكِ إلاَّ التَّرَنُّمَا[(٦)]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٣٥٩، ٣٦٠، من قصيدة يرثي بها إدريس بن بدر السامي من ولد سامة بن لؤي. والبيت الأول مطلع القصيدة، والبيت الثاني رقم ١١ في القصيدة.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٨، من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي، وفي الديوان: «غير أنّ تلذذاً» بدل: «غير أنّ تلذذي».

(٣) الرجز بلا نسبة في الوساطة ص١٦٥.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٨، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

أظن قوله «في حمامة» أراد به من صوت حمامة، دعته إليه الضرورة، وليس هذا موضع «في» وقوله «أَمَلَّتْهُ» من قول العتَّابي «واسْتَمَلَّ» وقد جاء مثله في أشعارهم.

٢ ـ وقال: أخذ قوله: [الكامل]

لا تَـنْـشِـجَـنَّ لـهَـا فَـإنَّ بُـكَـاءَهَـا ضَـحِـكٌ، وَإنَّ بُـكَـاءَكَ ٱسْـتِـغْـرَامُ[1]

من قول الآخر: [الوافر]

فَـإنِّـي إنْ بَـكَـيْـتُ بَـكَـيْـتُ حَـقًّـا وَإنَّـكِ فـي بُـكَـائِـكِ تَـكْـذِبِـيـنَـا[2]

٣ ـ وقال: [الطويل]

* فَـنَـوَّلَ حَـتـى لَـمْ يَـجِـدْ مَـنْ يُـنِـيـلُـه[3] *

أخذهُ من قول علي بن جَبَلة: [الكامل]

أعْـطَـيْـتَ حَـتـى لَـمْ تَـجِـدْ لَـكَ سَـائِـلاً وَبَـدَأْتَ إذْ قَـطَـعَ الْـعُـفَـاةُ سُـؤَالَـهَـا[4]

وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى فميا تقدم من غير ابن جَبَلة.

٤ ـ وقال: [البسيط]

إنّـي لأعْـجَـبُ مِـمَّـنْ فـي حَـقِـيـبَـتِـهِ مِـنع الـمَـنِـيِّ بُـحُـورٌ كَـيْـفَ لاَ يَـلِـدُ[5]

أخذه من مروان في قوله: [البسيط]

لَـوْ كـانَ يَـحْـمِـلُ مِـنْ هٰـذَا الـوَرَى ذَكَـرٌ لَـكُـنْـتَ أوَّلَ خَـلْـقِ الـلّـهِ بِـالـوَلَـدِ[6]

ومن قوله أيضاً: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٢) البيت لعروة بن حزام في تاج العروس (وجج)، ومعجم البلدان (وجّ).

(٣) عجزه:

وحـارب حـتـى لـم يـجـد مـن يـحـاربُـه

والبيت في ديوان أبي تمام ص٤٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب.

(٤) البيت في ديوان علي بن جبلة (العكوك)، من قصيدة من ثلاثة أبيات مطلعها:

حـيـدي حـيـاد فـإن غـزوة جـيـشـه ضـمـنـت لـجـائـلـة الـسـبـاع عـيـالَـهـا

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٥١١، من قصيدة في هجاء عتبة بن أبي عاصم.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

لَوْ كانَ يُخْلَقُ في بَطْنِ امْرِىءٍ وَلَدٌ لأصْبَحَ البَطْنُ مِنْهُ ضَامِناً وَلَدَا(١)

٥ ـ وقال: [البسيط]

يَخْمِيهِ لَألاؤُهُ وَلَوْذَعِيَّتُهُ عَنْ أنْ يُذَالَ بِمَنْ أوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ(٢)

أخذه من قول حسان: [المتقارب]

إذَا مَا تَرَعْرَعَ فِينَا الغُلامُ فَمَا إنْ يُقَالُ لَهُ مَنْ هُوَهْ(٣)

وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان.

٦ ـ وقال: [الطويل]

فَلاَ تَطْلُبُوا أسْيَافَهُمْ في جُفُونِهَا فَقَدْ أُسْكِنَتْ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ(٤)

أخذه من قول عنترة: [الوافر]

وَلَمْ يَعْلَمْ جُوَيَّةُ أنْ نَبْلِي يكونُ جَفِيرَهَا الْبَطَلُ النَّجِيدُ(٥)

٧ ـ وقال: [الكامل]

يَتَجَنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ(٦)

أخذه من قول أبي العتاهية: [الكامل]

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إذْ أسأتُ وَزِدْتَنِي حَتَّى كَأنَّ إسَاءَتي إحْسَانُ(٧)

---

(١) البيت لم أجده.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٦، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. ويذال: يهان.

(٣) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص٣٩٧، وخزانة الأدب ٢/٤٢٨، وشرح التصريح ٢/٣٤٥، ولسان العرب (شعب)، والمقاصد النحوية ٤/٥٦٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/٣٥٠، وجمهرة اللغة ص٢٣٥، والحيوان ٦/٢٣١، ورصف المباني ص٣٩٩، وشرح المفصل ٩/٨٤.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٧٥، من قصيدة يرثي بها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي. والجفون: جمع جفن، وهو قراب السيف، والطلى، بضم الطاء: الأعناق. والجماجم: الرؤوس. يريد: لا تبحثوا عن سيوف هؤلاء في جفونها، فإنكم إن بحثتم عنها في الجفون لم تجدوها، لأنها أغمدت في أعناق أعدائهم ورؤوسهم فبقيت ساكنة فيها.

(٥) البيت في ديوان عنترة ص٢٨٣. والجفير، بفتح الجيم: جعبة من جلود لا خشب فيها، أو جعبة من خشب لا جلود فيها، يريد أن مكان سيفي وغمده الذي أضعه فيه هو البطل النجيد.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٤، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٧) البيت في ديوان أبي العتاهية، وهو بيت منفرد.

٨ ـ وقال الطائي: [الطويل]

أجَـلْ أيُّـهَـا الـرَّبْـعُ الـذي خَـفَّ آهِـلُـهْ   لَقَدْ أدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى ما تحاوِلُهْ(١)

أخَذَه من قول العَرْجِيِّ: [الطويل]

ألاَ أيـهَـا الـرَّبْـعُ الـذِي بـانَ آهِـلُـهْ   لَقَدْ أدْرَكتْ فِيكَ النَّوَى ما تُحَاوِلُهْ(٢)

٩ ـ وقال: [الخفيف]

لا تُـذِيـلَـنْ مَـصُـونَ هَـمِّـكَ وَانْـظُـرْ   كَمْ بِذِي الأيْكِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبِ(٣)

أخذه من قول الأشهب بن رُمَيْلَةَ: [البسيط]

عَـلَّ بَـنِـيَّ يَـشُـدُّ الـلّـهُ أزْرَهُـمُ   وَالدَّوْحُ يَنْبُتُ عِيدَاناً فَيَكْتَهِلُ(٤)

١٠ ـ وقال: [البسيط]

أظَـلَّـهُ الْـبَـيْـنُ حَـتَّـى إنَّـهُ رَجُـلٌ   لوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِه بالْبَيْنِ ما عَلِمَا(٥)

أخذه من قول أبي الشِّيص: [الوافر]

وَكَـمْ مِـنْ مَـيْـتَـةٍ قَـدْ مُـتُّ فِـيـهِ   وَلٰـكِـنْ كـانَ ذاكَ وَمَـا شَـعَـرْتُ(٦)

١١ ـ وقال في وصف الرماح: [البسيط]

كـأنـهَـا ـ وَهْـيَ فِـي الأكْـبَـادِ وَالِـغَـةٌ   وَفي الْكُلىٰ ـ تَجِدُ الْغَيْظ الذي تَجِدُ(٧)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وهذا البيت هو مطلع القصيدة.
(٢) البيت ليس في ديوان العرجي، وهو نفسه المتقدم مع تغير بسيط في اللفظ.
(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٢، من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب. ورواية البيت في الديوان:
لا تـزيـلـن صـغـيـر هـمـك وانـظـر   كـم بـذي الأثـل دوحـة مـن قـضـيـبِ
ولا تذيلن: لا تهملن. والدوحة: الشجرة العظيمة.
(٤) البيت في ديوان الأشهب بن رميلة ص٢٣٧، والبيان والتبيين ٣/ ٦٦، والحيوان ١/ ٧٤. والبيت لنهشل بن حري في ديوانه ص١١٩، والوحشيات ص١١٨.
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٤، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.
(٦) البيت في ديوان أبي الشيص الخزاعي، من ثلاثة أبيات هو مطلعها.
(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي، وفي الديوان: «وهي في الأوداج»، بدل: «وهي في الأكباد». والأوداج: جمع ودج، وهو بالتحريك عرق في العنق. ووالغة: شاربة. وتجد الأولى: من الوجود. والثانية: من الوجد.

أخذه من قول النَّمِريِّ: [مخلّع البسيط]

وَمُـصْـلَـتَـاتٍ كَـأَنَّ حِـقْـداً ... مِـنـهـا عَـلـى الْـهَـامِ وَالـرِّقَـابِ(١)

١٢ ـ وقال: [الطويل]

إذا ما أغَارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ ... أغارَتْ عَليهِمْ فاحتَوَتْهُ الصَّنائِعُ(٢)

أخذه من قول الآخر: [الطويل]

إذا أسْلَفَتْهُنَّ المَلاَحِمُ مَغْنَماً ... دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ المَكارِمِ مَغْرَمُ(٣)

١٣ ـ وقال: [الطويل]

وَرَكْبٍ كأطْرَافِ ٱلأسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ(٤)

وقد ذكرتُ أخذ هذا المعنى فيما تقدم من كُثَيرِ.

١٤ ـ وقال: [الطويل]

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فأَصْبَحَ مَشْغولاً عَن السَّفَرِ السَّفْرُ(٥)

أخذه من قول عصام الجرجاني: [الطويل]

ألاَ في سَبِيلِ اللّهِ آمالُكَ التي ... تُوُفِّينَ لمَّا اغْتَالَكَ الْحَدَثَانُ(٦)

وقد تقدم ذكر هذا وأنه أخذه من موضع آخر.

١٥ ـ وقال: [الكامل]

* تَغْلِيفُهَا الإسْرَاجُ وَالإلْجَامُ(٧) *

---

(١) البيت في ديوان منصور النمري، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٨، من قصيدة يصف فيها قومه ويفتخر بهم.

(٣) البيت بلا نسبة في الوساطة ص٣٨٢.

(٤) تقدم البيت مع تخريجه.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٥، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي. والسَّفَر: قطع المسافة. والسَّفْر: المسافرون.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٧) صدره:

بِسَواهِمٍ لُحُقِ الأياطِلِ شُزَّبِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٤، من قصيدة يمدح بها المأمون، والسواهم: الضوامر. والأياطل: الخواصر. والشزّب: المضمرة.

أخذه من قول جرير: [الطويل]

حَرَاجِيجُ يُغْلَفْنَ الذَّمِيلَ، كأنها مَعَاطِفُ ظَبْيٍ أو حِنِيُّ الشَّرَاجِعِ[(١)]

١٦ ـ وقال: [البسيط]

ذَاكَ الَّذِي كَانَ لَوْ أنَّ الأنَامَ لَهُ نَسْلٌ لَما عَابَهُمْ جُبْنٌ وَلا بَخَلُ[(٢)]

أخذه من قول أبي السِّمْطِ: [الكامل]

لَوْ كَانَ جَدُّكُمُ شَرِيكٌ وَالِداً لِلنَّاسِ لم تَلِدِ النِّسَاءُ بَخِيلا[(٣)]

١٧ ـ وقال: [الكامل]

حَمْرَاء مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغَمَامِ الرَّقْرَقِ[(٤)]

أخذه من قول مُسْلم: [الكامل]

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءَ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ البُجَّسِ[(٥)]

١٨ ـ وقال: أخذ قوله: [الطويل]

* بَيَاضُ الْعَطَايَا في سَوَادِ الْمَطَالِبِ[(٦)] *

من قول بعض العرب: [الطويل]

هُمَامٌ عَطَايَاهُ بُدُورٌ طَوَالِعٌ عَلى آمِلِيهِ في سَوَادِ الْمَطَالِبِ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان جرير ص٦٦٠. والحراجيج: جمع حرجوج، وهو الناقة الطويلة. والزميل: السير اللّيّن ما كان فوق العنق. والحني: الجوانب. والشراجع: جمع شرجع، وهو سرير الموتى.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٥، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وفي الديوان: «لما راضهم»، بدل: «لما عابهم».
(٣) البيت لمروان بن أبي حفصة في ديوانه، من قصيدة مطلعها:
أمسى المشيب من الشباب بديلا ضيفاً أقام فما يريد رحيلا
(٤) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٥) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
آثار أطلالٍ بِرومة درَّسي هجن الصبابة واستترن معرّسي
(٦) صدره:
وأحسن من نور تفتحه الصبا
والبيت في ديوان أبي تمام ص٤٦، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.
والنور: زهر النبت. والصَّبا، بفتح الصاد: الريح.
(٧) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

ومن قول الأخطل: [الطويل]

رَأَيْنَ بَيَاضاً في سَوَادٍ كأنهُ ... بَيَاضُ الْعَطايا في سَوَادِ المَطَالِبِ(١)

١٩ ـ وأخذ قوله: [الطويل]

نَاجَيْتُ ذِكْرَكَ، والظَّلْماءُ عاكِفَةٌ ... فَكانَ يا سَيِّدِي أحلى مِنَ الشَّهَدِ(٢)

من قول ابن أبي أمية: [الهزج]

كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِي ذِكْرُهُ ... يُسْعِدُنِي المَثْلَثُ وَالزِّيرُ(٣)

٢٠ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

* وَالْعَيْشُ غَضٌّ، وَالزَّمَانُ غُلامُ(٤) *

من قول الأخطل: [الطويل]

سَعَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمُ ... أفالآنَ لمَّا أصْبَحَ الدَّهْرُ فانِيَا(٥)؟

٢١ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

ذَاكَ الذي أحْصَى الشُّهُورَ وَعَدَّهَا ... طَمَعاً لِيَنْتِجَ سَقْبَةً مِنْ حَائِلِ(٦)

من قول أعرابي: [الرجز]

إنَّا وَجَدْنَا طرد ألحوامل ... خيراً من التاتان والمسايل (؟)

وعدة العام وعام قابل ... ملقوحة في بطن ناب حائل(٧)

---

(١) البيت ليس في ديوان الأخطل، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت لمخارق في «الموشى» للوشاء ص٣٨٢.

(٤) صدره:

ولقد أراك فهل أراك بغبطة

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٥) البيت في ديوان الأخطل ص٢٩٨.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٣١، من قصيدة في هجاء موسى بن إبراهيم الرافقي. والشعبة، بفتح فسكون: الأنثى من أولاد الناقة ساعة تولد، والحائل: الناقة التي حمل عليها فلم تلقح، وتجمع على حيال. والمراد أنه يطلب المستحيل.

(٧) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

٢٢ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

يَغْلُونَ حَتَّى مَا يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ   أَنَّ الْمَنَايَا الْحُمْرَ حَيٌّ مِنْهُمُ[(١)]

من قول مسلم بن الوليد: [الكامل]

لَوْ أَنَّ قَوْماً يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً   مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جِبْرِيلا[(٢)]

٢٣ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَبِيلٌ آخَرٌ   بِإِزَائِهِمْ مَا كَانَ فِيهَا مُعْدِمُ[(٣)]

من قول بشار بن بُرْد: [مجزوء الكامل]

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرُ   مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرْ[(٤)]

٢٤ ـ وقال في قوله: [البسيط]

ذُقْنَا الصُّدُودَ، فَلَمَّا اقْتَادَ أَرْسُنَنَا   حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحِمُ[(٥)]

من قول الأسود بن يَعْفُر: [الطويل]

سَمَا بَصَرِي لَمَّا عَرَفْتُ مَكَانَهُ   وَأَطَّتْ إِلَيَّ الْوَاشِجَاتُ أَطِيطَا[(٦)]

٢٥ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

صَفْرَاءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَدْ رَكَّبَتْ   جُثْمَانَهُ فِي ثَوْبِ سُقْمٍ أَصْفَرِ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي.

(٢) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:
هلا بكيت ظعائناً وحمولا   ترك الفؤاد فراقهم مخبولا

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٨. من القصيدة نفسها التي تقدمت قبل الحاشية السابقة، وفي الديوان: «مُصْرِمُ»، بدل: «مُعْدِمُ».

(٤) البيت في ديوان بشار بن برد ٤/٦٢، وقبله:
يا واحد العرب الذي   أمسى وليس له نظيرْ

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٠٤، من أبيات له في العتاب يقولها في عبيد الله بن البراء الطائي. والعَجول، بفتح العين: الثكلى، أو الواله من النساء والإبل، قيل لها ذلك لعجلتها في حركتها جزعاً. والرحم: القرابة.

(٦) البيت في ديوان الأسود بن يعفر ص٤٣، وتقول: أطّت الإبل أطيطاً: إذا أنّت من التعب والحزن. والواشجات: جمع واشجة، وهي الرحم المشتبكة. وتقول: وشجت بك قرابته تشج، ووشجها الله توشيجاً.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٨٧، من قصيدة يعاتب بها عياش بن لهيعة.

من قول علي بن رزين الكوفي: [البسيط]

* بَيْضَاءُ رُعْبُوبَةٌ صَفْرَاءُ مِنْ غِيَرِ[١] *

٢٦ - وقال في قوله: [الكامل]

* لَمْ تَكْمَدِي فَظَنَنْتِ أنْ لَمْ تَكْمَدِي[٢] *

من قول بعضهم: [الكامل]

لا تُنْكِرِي جَزَعَ المُحِبِّ؛ فإنَّهُ   يَطْوِي على الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكِ[٣]

أو أخذه من قول مسلم بن الوليد: [البسيط]

قد أوْلَعَتْهُ بطول الهجر غرتُهُ   لو كان يَعْرِفُ طعم الهجر ما هَجَرا[٤]

٢٧ - وقال في قوله: [الطويل]

سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وَارَتِ الأرْضُ شَخْصَهُ   وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلاَ قَطْرُ[٥]

من قول عقيق بن سليك العامري: [الوافر]

* سَقَاكَ الغَيْثُ إنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً[٦] *

---

(١) الشطر لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) صدره:

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٠٧، وهو مطلع قصيدة يمدح بها المعتصم.

(٣) البيت لم أجده بهذا اللفظ في المصادر والمراجع التي بين يدي، وللشريف الرضي بيت قريب منه، وهو:

يا عاذل المشتاق دعه فإنه   يطوي على الزفرات غير حشاكا

والبيت من قصيدة مطلعها:

يا قلب ليتك حين لم تدع الهوى   علقت من يهواك مثل هواكا

(٤) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:

يا ليلة نلت فيها اللهو والوطرا   كرّي علينا وإلا فاطردي الذكرا

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٦، من قصيدة في رثاء محمد بن حميد الطوسي. ووارت: أخفت.

(٦) عجزه:

ويسراً حين يلتمس اليسارُ

والبيت للمهلهل بن ربيعة في ديوانه ص١٥٨، من قصيدة مطلعها:

أهاج قذاء عيني الإذكارُ   هدوًا فالدموع لها انحدارُ

٢٨ ـ وقال في قوله: [الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الحادِثَاتِ محمداً يَكُونُ لأثْوَابِ العُلىٰ أبداً نَشْرُ[(١)]

من قول أبي نُوَاس: [الطويل]

طَوَى المَوْتُ ما بَيْنِي وَبَيْنَ محمدٍ وليسَ لِمَا تَطْوِي المَنِيَّةُ نَاشِرُ[(٢)]

٢٩ ـ وقوله أيضاً: [الكامل]

* وَمِنَ العَجَائِبِ نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ[(٣)] *

من قول المخبَّل: [الطويل]

ولا يَعْدَمُ الغَاوِي على الغَيِّ لائماً وَإنْ هُوَ لم يُشْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ[(٤)]

٣٠ ـ وأخذ قوله: [الكامل]

مَنْ شَرَّدَ الإعْدَامَ عَنْ أوْطَانِهِ بالبَذْلِ حَتّى اسْتُطْرِفَ الإعْدَامُ[(٥)]

من قول الأعشى: [السريع]

هُمْ يَطْرُدُونَ الفَقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حتى يُرَى كالغُصُنِ النَّاضِرِ[(٦)]

وفي قول أبي تمام زيادةٌ حسنة، وهي قوله: «حتى استطرف الإعدام».

٣١ ـ وأخذ قوله: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٦، من القصيدة نفسها المتقدمة في الحاشية ما قبل السابقة، ورواية عجز البيت في الديوان:

يكون لأثواب الندى أبداً نَشْرُ

(٢) البيت في ديوان أبي نواس، من أربعة أبيات هو مطلعها.

(٣) البيت بتمامه:

عمري لقد نصح الزمان وإنّه لمن العجائب ناصحٌ لا يشفقُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٥٢٥، من قصيدة يهجو بها عتبة بن أبي عاصم.

(٤) البيت في ديوان المخبل السعدي ص٣١٧.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون. والإعدام: الفقر، وتقول: أعدم فلان، وهو معدم، ومعناه أنه لا يجد شيئاً. والبذل: العطاء. واستطرف، بالبناء للمجهول: أي عدّه الناس طريفاً، والطريف: الجديد.

(٦) البيت في ديوان الأعشى ص١٨٧، ورواية صدر البيت فيه:

والشافعون الجوعَ عن جارهم

حَلَفْتَ، إنْ لَمْ تَثَبَّتْ، أنَّ حَافِرَهُ ... مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ، أوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانِ[(١)]

من قول الآخر: [الطويل]

لَوْ كَانَ حَافِرُ بِرْذَوْنِي كَأوْجُهِكُمْ ... بَنِي بُدَيْلٍ، لما أنْعَلْتُهُ أبدَا[(٢)]

* * *

باب

ومما نسبه فيه ابن أبي طاهر إلى السَّرَق ما ليس بمسروق؛ لأنه مما يشترك فيه الناسُ من المعاني والجاري على ألسنتهم، ومنه ما نسبه إلى السَّرَق والمعنيان مختلفان.

٣٢ ـ فمن الأول قول أبي تمام: [البسيط]

ألَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ الجُودِ مُذْ زَمَنٍ؟ ... فقالَ لي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُه[(٣)]

وقال: أخذه من قول العتَّابي: [الكامل]

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فكأنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ[(٤)]

ومثل هذا لا يقال له مسروق؛ لأنه قد جَرَى في عادات الناس ـ إذا مات الرجل من أهل الخير والفضل، وأُثْنِيَ عليه بالجميل ـ أن يقولوا: ما مات مَنْ خَلَّف مثلَ هذا الثناء، ولا مَنْ ذُكِرَ بهذا الذكر. وذلك شائع في كل أمة، وفي كل لسان.

٣٣ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

إذا عُنِيتُ بِشَيْءٍ خِلْتُ أنِّيَ قَدْ ... أدْرَكْتُهُ أدْرَكَتْنِي حِرْفَةُ الأدَبِ[(٥)]

وقال: أخذه من قول الخُرَيْمِيّ: [الخفيف]

أدْرَكَتْنِي ـ وَذَاكَ أوَّل دائي ـ ... بِسِجِسْتَانَ حِرْفَةُ الآدَابِ[(٦)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٤٠، من أربعة أبيات في هجاء عثمان بن إدريس السامي.

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٧٦، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد.

(٤) البيت ليس للعتابي، وهو ينسب لحارثة بن بدر الغداني، ولصريع الغواني، ولمنصور النمري.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧٩، من قصيدة له في الفخر، وفي الديوان: «إذا عنيت لشأوٍ»، بدل: «إذا عنيت بشيءٍ».

(٦) البيت في ديوان الخريمي، من قصيدة مطلعها:

لم ترعني دار عفت بالجناب ... دارس آيها كخطِّ الكتاب

و«حرفة الآداب» لفظة قد اشترك الناسُ فيها، وكثرت على الأفواه، حتى سقط أن نظنَّ أن واحداً يستملُها من آخر، هذا قول ابن أبي طاهر.

ولم يقل أبو تمام «أدركتني حرفة الأدب» إنما قال «أدركتني حرفة العرب» وقد ذكرتُ غلطه في هذه اللفظة عند ذكر البيت في الموازنة.

٣٤ ـ وقال في قوله: [الكامل]

لَوْ يَعْلَمُ العَافُونَ كَمْ لَكَ في النَّدَى   مِنْ لَذَّةٍ أوْ فَرْحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[١]

أخذه من قول بشار: [الخفيف]

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلاَ الْخَوْ   فِ، وَلٰكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ[٢]

وما إخاله احْتَذَى في هذا البيت على قول بشار؛ لأن بشاراً قال: ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه، ولا خوفاً من مكروه، ولكن لالتذاذه العطيةَ، وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه، والمعنيان إنما اتفقا في طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط؛ وهذا ليس من بديع المعاني التي يختص بها شاعر فيقال: إن واحداً أخذه من الآخر؛ لأن العادة جارية بأن يقال: فلان لا يعطى متكارهاً ولا متكلِّفاً، بل يُعْطِي عن نية صادقة، ومحبة لبذل المعروف تامة، ونحو هذا من القول.

٣٥ ـ وقال في قوله: [البسيط]

* لَوْ كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الحَيِّ في فَحَمِ[٣] *

من قول الأغلب: [الرجز]

قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ في فَحَمْ   ما جَبُنُوا ولا تَوَلَّوْا مِنْ أَمَمْ[٤]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٩، من قصيدة يمدح بها المأمون والأولى أنه مدح بها المعتصم. ورواية البيت في الديوان:

لو يعلم العافون كم لك في الندى   من فرحةٍ وقريحة لم تخمدِ

(٢) البيت في ديوان بشار بن برد ص١٤ (طبعة دار الثقافة)، من قصيدة يمدح بها عقبة بن مسلم.

(٣) صدره:

لم يألكم مالك صفحاً ومغفرة

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٤، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق. والقين: الحداد.

(٤) الرجز للأغلب العجلي في ملحق ديوانه ص١٧٧، ولسان العرب (زور)، (غلصم)، (فحم)، وتهذيب اللغة ٥/ ١٢٢، ٨/ ٢٣١، وتاج العروس (فحم)، (غلصم)، وله أو ليحيى بن منصور في تنبيه والإيضاح ٢/ ١٢٩، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٥٥٦.

وهذا معنى شائع من معاني العرب، وجارٍ في الأمثال أن يقولوا: قد فَعَلْتَ كذا، واجتهدت في كذا لو كنت تنفخ في فحم؛ لأن النفخ في الفحَم يُحيي النار ويُشْعِلُها، والنفخ في حطب ليس بفحم ولا أَخَذَتَ النار فيه لا يُورِي ناراً.

٣٦ ـ وقال في قوله: [الكامل]

* والمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَال سَؤُولِ(١) *

من قول محمود: [الكامل]

وَٱرْغَبْ إلى مَلِكِ المُلُوكِ، وَلا تَكُنْ   بَادِي الضَّرَاعة طَالِباً مِنْ طَالِبِ(٢)

ومثل هذا لا يكون مسروقاً؛ لأنه جارٍ على الألْسُنِ أن يقال: وقع سائل على سائل، ومُجْتَدٍ على مجتدٍ، ووقع البائس على الفقير، وأمثال هذا.

٣٧ ـ وقال في قوله: [الخفيف]

هِمَّةٌ تَنْطِحُ النُّجُومَ، وَجَدٌّ   آلِفٌ لِلحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ(٣)

من قول أعرابي: [المنسرح]

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقُدْرَتُهُ   في اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الكَفَنِ(٤)

وهذا أيضاً من المعاني المشتركة الجارية في العادة أن يقولوا: همته في عَلاءٍ، وجده في سفال، وهمته ناطقة وجَدُّه أخرس، وهمة ذات حِرَاك وَجَدٌّ ساكن، وهمة فلان ترفعه وجَدُّه يَضعه؛ وما أشبه هذا.

٣٨ ـ وقال في قوله: [البسيط]

تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ البَيْتِ نَافِلَةً   وَظَهْرُ كَفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ القُبَلِ(٥)

---

(١) الشطر ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. ولأبي تمام من قصيدة يهجو فيها موسى بن إبراهيم الرافقي بيتاً في هذا المعنى، وهو قوله:
ما خلفت حواء أحمق لحية   من سائل يرجو الغنى من سائلِ

(٢) البيت لمحمود الوراق النحاس في ديوانه، من قصيدة مطلعها:
شاد الملوك حصونهم وتحصنوا   من كلّ طالب حاجةٍ أو راغبِ

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٠، من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويذكر حجه.

من قول عبد الله بن طاهر: [المنسرح]

أَغْـلَـتْ لَـهُ ذِكْـرَهُ فَـكَـافَـأَهَـا بِـأَنْ تَـوَالَـى فِـي ظَـهْـرِهَـا الـقُـبَـلُ(١)

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قُبَل الكف، وهذا ليس من المعاني المبتدَعة؛ لأن الناس أبداً يقولون: ما خُلق وجههُ إلا للتحية، وكفّه إلا للقُبَلِ، كما قال دِعْبِل: [مجزوء المتقارب]

فَـبَـاطِـنُـهَـا لِـلـنَّـدَى وظَـاهِـرُهَـا لـلـقُـبَـلْ(٢)

ومثل هذا، مما نطقوا به كثيراً، فلا يكون عندي مسروقاً.

٣٩ ـ وقال في قوله: [الخفيف]

نَـظَـرَتْ فَـالْـتَـفَـتُّ مِنْهَـا إلَـى أَحْـلَى سَوَادٍ رَأَيْـتُـهُ فِـي بَـيَـاضِ(٣)

من قول كُثَيِّر: [الوافر]

وَعَـنْ نَـجْـلاَءَ تَـدْمَـعُ فِـي بَـيَـاضٍ إذا دَمَـعَـتْ وَتَـنْـظُـرُ فِـي سَـوَادِ(٤)

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد، والألفاظُ غير محظورة، وأبو تمام إنما قال «فالتفتّ منها إلى أحلى سواد» يعني حَدَقَتها «في بياض» يعني شَحْمة عينها، وهذا هو الصحيح، وقد قيل: سواد عينها في بياض وجهها، وكُثَيِّر أراد أن عينها تدمع في بياض إذا دمعت، يريد خَدّها، وتنظر في سواد، يعني حدقتها، وهذا المعنى غير ذاك.

٤٠ ـ وقال في قوله: [البسيط]

وَكَـمْ يَـدٍ لَـكَ لَـوْلاَ مَـا أُخَـفِّـفُـهَـا بِهِ مِنَ الشُّكْـرِ لَمْ تُـحْـمَلْ وَلَمْ تُـطَقِ

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت لدعبل الخزاعي في ديوانه، وهو بيت منفرد. ولإبراهيم بن العباس الصولي في ديوانه، من ثلاثة أبيات أولها:

لـفـضـل بـن سـهـل يـد تـقـاصـر عـنـهـا الـمـثـلْ

وانظر كتاب الصناعتين ص٢٢٤، وزهر الآداب ٢/١٦.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٥، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.

(٤) البيت في ديوان كثير عزة ص٢١٩، ولسان العرب (سود)، وتهذيب اللغة ١٣/٣٦، وتاج العروس (نظر).

بِـالـلّـهِ أَدْفَـعُ عَـنِّـي ثِـقْـلَ فَـادِحِـهَـا فَـإِنَّـنِي خَـائِـفٌ مِـنْـهَـا عَـلَـى عُـنُـقِـي[(١)]

من قول أبي نُوَاس، والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا نُوَاس قال: [الكامل]

لاَ تُـسْـدِيَـنَّ إِلَـيَّ عَـارِفَـةً حَـتَّـى أَقُـومَ بِـشُـكْـرِ مَـا سَـلَـفَـا
أَنْـتَ امْـرُؤٌ جَـلَّـلْـتَـنِـي نِـعَـمـاً أَوْهَـتْ قُـوَى شُـكْـرِي فَـقَـدْ ضَـعُـفَـا[(٢)]

فذكر أن نِعَم الممدوح قد غلبت الشكر، فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة، وأبو تمام قال: لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها، ثم أحْسَنَ وألْطَفَ في قوله «فإنني خائف منها على عنقي» ومعنى أبي نُوَاس أجْوَد وأبرع.

٤١ ـ وقال في قوله: [الخفيف]

أَعْـمِـلِ الـنَّـتْـفَ وَالـطِّـلاَ وَقَـدِيـمـاً كَـانَ صَـعْـبـاً أَنْ تُـشْـعَـبَ الْـقَـارُورَهْ[(٣)]

من قول الأعشى: [المتقارب]

كَـصَـدْعِ الـزُّجَـاجَـةِ مَـا تَسْتَطِيـعُ كَفُّ الصَّنَـاعِ لَهَـا أَنْ تـحِـيرَا[(٤)]

قلت: ووقع في شعر الأعشى أيضاً قوله: [المتقارب]

فَـبَـانَـتْ وَفِـي الـصَّـدْرِ صَـدْعٌ لَـهَـا كَـصَـدْعِ الـزُّجَـاجَـةِ لاَ يَـلْـتَـئِـمْ[(٥)]

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم في الزجاج، قد نطق به الناس، وأكثروا فيه حتى سقط أن يقال: إن أبا تمام أخذه من الأعشى، وقد تقدم فيه المسيَّب بن عَلَس فقال: [الكامل]

بَـانَـتْ وَصَـدْعُ الْـقَـلْـبِ كَـانَ لَـهَـا صَـدْعَ الـزُّجَـاجَـةِ لَـيْـسَ يَـتَّـفِـقُ[(٦)]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٩٧، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن أبي ربعي. ورواية صدر البيت الأول:

يـا مـنّـةً لـك لـولا مـا أخـفّـفـهـا

(٢) البيتان في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

حـلّـت سـعـاد وأهـلـهـا سـرفـا قـومـاً عـدًى ومـحـلّـة قـذفـا

وانظر كتاب الصناعتين ص٢١٥، وزهر الآداب ٢/٣٨، والعمدة لابن رشيق ٢/٢٤٣.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٥١٧، من قصيدة يهجو فيها كاتب ديوان اسمه عبدون.

(٤) البيت في ديوان الأعشى ص١٤٦.

(٥) البيت في ديوان الأعشى ص٨٥.

(٦) البيت في ديوان المسيب بن علس ص٦٢١.

وقال آخر: [الخفيف]

* مِثْلُ صَدْعِ الزُّجَاجِ أعْيَا الصُّنَاعَا[(١)] *

وقال آخر: [الكامل]

وَتَفَرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا   صَدْعَ الزّجَاجَةِ مَا لَهَا تِيفَاقُ[(٢)]

ومثله كَثِير.

٤٢ ـ وقال في قوله: [الطويل]

إذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِماً   غَدَا الْعَفْوُ مِنْهُ وَهْوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ[(٣)]

من قول مسلم بن الوليد: [الكامل]

يَغْدُو عَدُوّكَ خَائِفاً؛ فَإذَا رَأَى   أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكا[(٤)]

والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا تمام قال: إذا حَكَمَ سيفُ الممدوح على الهام حكم عفوُه على السيف، ومسلم قال: إن عَدُوَّ الممدوح يخافه؛ فإذا رأى أنْ قد قَدَرَ على العقاب رَجَاه؛ فليس هذا المعنى من ذلك في شيء.

٤٣ ـ وقال في قوله: [البسيط]

فَإنْ هَزِئْتُمْ سَلَلْنَاهَا وَقَدْ غَنِيَتْ   دَهْراً وَهَامُ بَنِي بَكْرٍ لَهَا غُمُدُ[(٥)]

من قول سعد بن ناشب: [البسيط]

فَإنَّ أَسْيَافَنَا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ   عُتْقٌ، وَآثَارُهَا فِي هَامِهِمْ جُدُدُ[(٦)]

والمعنيان مختلفان؛ لأن أبا تمام قال: «وهام بني بكر لها غمد» وهذا قال: «وآثارها في هامهم جدد» فهذا غير ذلك.

---

(١) صدره:

ولها في الفؤاد صدعٌ مقيمٌ

والبيت للعباس بن الأحنف في الأغاني ٩/ ٣٣٤.

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٠، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.

(٤) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من ثلاثة أبيات أولها:

بأبي وأمي أنت ما أندى يداً   وأبرَّ ميثاقاً وما أزكاكا

(٥) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

٤٤ ـ وقال في قوله: [الطويل]

فَلَوْ كانَتِ الأرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَى هَلَكْنَ إذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ(١)

من قول أبي العتاهية: [الخفيف]

إنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزْ قِ، سَوَاءٌ جَهُولُهُمْ وَالْحَلِيمُ(٢)

وبين المعنيين خلاف؛ فإن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها ـ جاهلةً كانت أو عالمةً ـ كما يأتي البهائم، وهذا قائم في الفطرة والعقول: فتتفق الخواطر في مثله. وأبو تمام قال: إن الرزق لو جرى على قَدْرِ العقل لهلكت البهائم، وهذه زيادة في المعنى حسنة، وإن كان إلى مذهب أبي العتاهية يؤول.

٤٥ ـ وقال في قوله: [الطويل]

وَأَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي عَوَاقِبُهُ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ ٱسْمِهِ صَبْرُ(٣)

من قول أبي الشيص: [الطويل]

يُصَبِّرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الهَوَى وَلَلصَّبْرُ تَارَاتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ(٤)

فقول الناس: الصبر مُرٌّ، والصبر كاسمه صبر، وقولهم: الصبر محمود العاقبة، وإن كان مُرًّا؛ لا يكون مسروقاً فيقال: إن واحداً أخذه من آخر، وقول أبي الشيص: إن للصبر تارات يكون فيه أَمَرَّ من الصبر، أي: له تارات يكون فيها شديدَ المرارة، وقول أبي تمام: أشجيت أيامي بصبر حلت لي عواقبه، ثم قال: والصبر مر عواقبه، يريد في الحَلْقِ، أي لو جُرِّعْتُهُ لكان مقطعه شديدَ المرارة، وإنما قال هذا ليجتمع له

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٩، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد. ورواية صدر البيت في الديوان:

ولو كانت الأقسام تجري على الحجى

(٢) البيت في ديوان أبي العتاهية، من قصيدة مطلعها:

كلّ حيّ كتابه معلومُ لا شقاءٌ ولا نعيمٌ يدومُ

وفي الديوان: «جهولهم والعليمُ»، بدل: «جهولهم والحليمُ».

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٣، من قصيدة له في الفخر. ورواية صدر البيت في الديوان:

فأشجيت أيامي بصبر جلون لي

وأشجيت: أحزنت.

(٤) البيت في ديوان أبي الشيص الخزاعي، وهو بيت منفرد.

في البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه، هذا تفسيره على ما رواه ابن أبي طاهر، ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه، وإنما قال: والصبر مثل اسمه صبر.

٤٦ ـ وقال في قوله: [الطويل]

لَـئِـنْ ذَمَّـتِ الأَعْـدَاءُ سُـوءَ صَـبَـاحِـهَـا فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ[١]

من قول مسلم: [الكامل]

لَـوْ حَـاكَـمَـتْـكَ فَـطَـالَـبَـتْـكَ بِـذَحْـلِـهَـا شَـهِـدَتْ عَـلَـيْـكَ ثَـعَـالِـبٌ وَنُـسُـورُ[٢]

وذِكْرُ وقوعِ الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على الْقَتْلَى مَعْنًى متداوَلٌ ومعروفٌ، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم؛ لأن مسلماً قال لممدوحه: لو حاكمتك ـ يريد الفِرْقة والعُصَب التي لَقِيَتْكَ ـ في مطالبتك بثأر مَنْ قتلتَ منها لشهِدَتْ عليك الثعالب والنسور، وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء: لئن ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صباحها فليس يؤدِّي الذئبُ والنسر شكرها؛ لكثرة ما أكلاَ منها، وهذا المعنى غير ذلك، والله أعلم.

تمّ الجزء الأول من الموازنة
على ما جَزَّأه مؤلفه، والحمد لله

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٤، من قصيدة له في الفخر، وفي الديوان: «فإن ذمّت»، بدل: «لئن ذمّت».

(٢) البيت في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني)، من قصيدة مطلعها:

هــاجــت وســاوســه بــرومــة دورُ دثــرٌ عــفــون كــأنــهــنّ ســطــورُ

ورواية البيت في الديوان:

لـو حـاكـمـتـك وطـالـبـتـك بـذحـلـهـا شـهـدت عـلـيـك مـلاحـمُ ونـسـورُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بن يَحْيىٰ الآمِدِيُّ عفا الله عنه:

قد ذكرتُ في الجزء الأول احتجاجَ كل فرقة من أصحاب أبي تمام حبيب بن أوْسٍ الطائي وأبي عُبَادة الوليد بن عُبَيْدٍ البُحْتُرِي على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر، وقلت: إني أبتدىء ـ بعد هذا الباب ـ بذكر معايبهما؛ لأختم الكتابَ بوصف محاسنهما؛ فأتبعْتُ ذلك بما خَرَّجْته من سَرِقات أبي تمام وبَيَّضت آخر الجزءِ لألحق به ما وَجَدْته منها في دواوين الشعراء فعلَّمت عليه، وما أجده بعد ذلك؛ فإنه كثير السرق جداً.

وقد سمعت أبا عليّ محمدَ بن العلاء السجستاني يقول: إنه ليس له مَعْنًى ٱنْفَرَدَ به فاختَرَعَه إلا ثلاثة مَعَانٍ، وهي قوله: [الكامل]

تَـأبىٰ عَـلَـى الـتَّـصْـرِيـدِ إلاَّ نَـائِـلاً ... إلاَّ يَـكُـنْ مَـاءً قَـرَاحـاً يُـمْـذَقِ

نَـزْراً كَـمَـا اسْـتَـكْـرَهْـتَ عـائِـرَ نَـفْـحَـةٍ ... مِـنْ فَـأرَةِ الْـمِـسْـكِ الَّـتِـي لَـمْ تُـفْـتَـقِ(١)

وقوله: [الطويل]

بَـنِـي مَـالِـكٍ قَـدْ نَـبَّـهَـتْ خَـامِـلَ الـثَّـرَى ... قُـبُـورٌ لَـكُـمْ مُـسْـتَـشْـرِفَـاتُ الـمَـعَـالِـمِ(٢)

رَوَاكِـدُ قِـيـسَ الْـكَـفِّ مِـنْ مُـتَـنَـاوِلٍ ... وَفِـيـهَـا عُـلًـى لاَ تُـرْتَـقَـى بِـالـسَّـلاَلِـمِ

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٩٩، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه. وتأبى: تمتنع. والتصريد: التقليل. والنائل: العطاء. والقراح: الخالص غير المشوب. ويمذق: يخلط ويمزج. والنزر: القليل. وفأرة المسك: وعاؤه. وتفتق: تفوح رائحتها.

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص٣٧٥، من قصيدة يرثي بها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي. والخامل: الذي لا ذكر له. والثرى: التراب. ومستشرفات: عالية. والمعالم: الآثار. والرواكد: جمع راكد، والمراد به الثابت. وقيس الكف: أي قدر الكف. وفي الديوان: «قيد الشبر»، بدل: «قيس الكف».

وقوله: [الكامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللَّـهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ(١)

ولست أرَى الأمر على ما ذكره أبو عليّ، بل أرى أن له ـ على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم ـ مُخْتَرَعَاتٍ كثيرةً، وبدائع مشهورة، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فلم أرَ المنحرفين عن هذا الرجل يَجْعلون السرقاتِ من كبير عيوبه؛ لأنه باب ما يَعْرَى منه أحَدٌ من الشعراء إلا القليل، بل الذي وجدتهم يَنْعَوْنه عليه كثرة غَلَطِه، وإحالته، وأغاليطه في المعاني والألفاظ.

وتأملت الأسباب التي أدَّته إلى ذلك؛ فإذا هي ما رواه أبو عبد الله محمدُ بن داود بن الجرَّاح في كتاب الورقة عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن أحمد أن أبا تمام يريد البديعَ فيخرج إلى المُحَال، وهذا نحوُ ما قاله أبو العباس عبدُ الله بنُ المعتزّ بالله في كتابه الذي ذكر فيه البديع، وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن أول مَنْ أفسد الشعر مُسْلم بن الوليد، وأن أبا تمام تَبِعه فسلك في البديع مذهَبَه فتحير فيه، كأنهم يريدون إسرافَه في طلب الطِّباق والتجنيس والاستعارات، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثيرٌ مما أتى به من المعاني لا يُعْرَف ولا يعلم غرضه فيها إلّا مع الكَدِّ والفكر وطول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والْحَدْسِ، ولو كان أَخَذَ عَفْوَ هذه الأشياء ولم يُوغِلْ فيها، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذَبة ويَقْتَسرها مُكارَهة، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بِجمَامِهِ غيرُ مُتْعَب ولا مكدود، وأورد من الاستعارات ما قرُب في حسن، ولم يُفْحش، واقتصر من القول على ما كان محذُوًّا حَذْوَ الشعراء المحسنين؛ ليسلم من هذه الأشياء التي تُهَجِّن الشعر وتُذْهِبُ ماءه ورونقه، ولعل ذلك أن يكون ثلثَ شعره أو أكثر منه ـ لظننته كان يتقدَّم عند أهل العلم بالشعر أَكْثَرَ الشعراء المتأخرين، وكان قليلُه حينئذٍ يقوم مقامَ كثير غيره؛ لما فيه من لطيف المعاني

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٨٥، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه، ويستشفع له في ذلك بخالد بن يزيد. والنشر: الظهور. والطي: الاستتار. وأصلهما طي الثوب ونشره. وأتاح لها: قدر وهيأ أسبابها. والعود: ضرب من الخشب له رائحة طيبة، وعرفه، بفتح فسكون: رائحته.

ومستغرَب الألفاظ، ولكنَّهُ شَرِهَ إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ولَجْلَجَهُ فكرهُ، فخَلط الجيدَ بالرديء، والعينَ النادر بالرَّذْل الساقط، والصوابَ بالخطأ. وأفرط المتعصبون له في تفضيله، وقدَّموه على مَنْ هو فوقه من أجل جيده، وسامحوه في رديئه، وتجاوزوا له عن خطئه، وتأولوا له التأول البعيد فيه، وقَابَلَ المنحرفون عنه إفراطاً بإفراط فبَخَسوه حَقَّه، واطَّرَحوا إحسانه، ونَعَوا سيئاته، وقدَّموا عليه مَنْ هو دونه. وتجاوز ذلك بعضُهم إلى القَدْح في الجيد من شعره، وطَعَنَ فيما لا يُطْعَن عليه فيه، واحتجَّ بما لا تقوم حجة به، ولم يقنع بذلك مذاكرة وقَوْلاً حتى أَلَّف في ذلك كتاباً، وهو أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالفريد، ثم ما علمته وَضَع يده من غلطه وخطئه إلا على أبيات يسيرة، ولم يُقم على ذلك الحجة، ولم يهتدِ لشرح العلة، ولم يتجاوز فيما نَعَاهُ بعدها عليه الأبياتَ التي تتضمن بَعِيدَ الاستعارة وهَجِينَ اللفظ، وقد بينت خطأه فيما أنكره عليه من الصواب في جزء مفرد إن أَحَبَّ القارىء له أن يجعله من جملة هذا الكتاب ويَصِلَه بأجزائه فَعَلَ ذلك إن شاء الله تعالى؛ فإنَّ الذي تضمَّن يدخُل في محاسن أبي تمام التي ذكرتُ أني أختم كتابي هذا بها وبمحاسن البحتري.

وأنا الآن أذكر ما غَلِط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته، بعد أن أسقطت منه كلَّ ما احتَمَل التأويل، ودخل تحت المجاز، ولاَحَتْ له أدنى علة.

وأنا أبتدىء بالأبيات التي ذكرتُ أن أبا العباس أنكرها، ولم يُقِم الحجة على تبيين عَيْبها وإظهار الخطأ فيها، ثم أستقصي الاحتجاجَ في جميع ذلك؛ لعلمي بكثرة المعَارِضين ومَنْ لا يجوز على هذا الشاعر الغَلَطَ، ويوقع له التأول البعيد، ويورد الشبه والتمويه. وبالله أستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

١ ـ أنكر أبو العباس أحمد بن عُبيدالله على أبي تمام قوله: [المنسرح]

هادِيهِ جِذْعٌ مِنَ الأرَاكِ، وما   تحت الصَّلا مِنْهُ صَخْرَةٌ جَلْسُ(١)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥٧، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. وفي الديوان: «خلف الصلا»، بدل: «تحت الصلا». والهادي: العنق. والجذع: ساق الشجرة. والأراك: ضرب من الشجر معروف يستاك بأغصانه. شبه عنق الفرس بساق أراكة. والصلا: وسط الظهر. والجلس: الغليظة.

قال: هذا من بعيدِ خطئه أن شبَّه عُنُقَ الفرس بالْجِذْع، ثم قال «جذع من الأراك» ومتى رأى عيدانَ الأراك تكون جذوعاً؟ وتشبه بها أعناق الخيل!

وأخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أنْ شَبَّه عُنُقَ الفرس بالجذع، وتلك عادة العرب، وهو في أشعارها أكثر من أن يُحْصَى، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبي تمام.

وأصاب أبو العباس في إنكاره أن تكون عيدانُ الأراك جُذُوعاً، وإن لم يلخص المعنى؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع، ولا تقاربها.

فإن قيل: إن الشجرة من الأراك قد تَعْظُم حتى تصير دَوْحَة يَسْتَظل بها الجماعة من الناس والسِّربُ من الوحوش، وذلك معروف موجود، وقد قال الراعي: [الطويل]

غَـذَاه وحَـوْلـيّ الـثـرى فـوق مـتـنـه   مـدَبُّ الأتـيّ والأراك الـدوائـحُ[1]

والدوائح: العِظام منه، جمع دَوْحَة.

قيل: إن الأمر وإن كان كذلك في بعض شجر الأراك من علوها وتَشَعُّبِ أغصانها فإن قائم الشجرة وعيدانَها لا تغلظ ولا تمتلىء ٱمتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها في الغلظ، ولو انتهت إلى هذه الحالة ـ وذلك غيرُ معلوم ـ لَمَا قيل لها أيضاً «جذوع»؛ لأن الجذع إنما هو للنخلة فقط، وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة، قال الراجز: [الرجز]

بِـكُـلِّ طِـرْفٍ أَعْـوَجِـيٍّ صَـهَّـالْ   يَـمْـشِي إذا مـا قِـيـدَ مَـشْـيَ الـمُـخْـتَـالْ
* تَـحْـتَ هَـوَادٍ كَـجُـذُوع الأوْقَـالْ[2] *

فقال: «كجذوع الأوقال» والأوْقَالُ: جمع وَقْلة وهي شجرة المقْلِ؛ لأن فيها شبهاً من النخل من جهة الخوص والليف.

فإن قيل: فقد قال ذو الرمة: [الطويل]

وَهَـادٍ كَـجِـذْعِ الـسَّـاج سَـامٍ يَـقُـودُهُ   مُـعَـرَّقُ أحْـنَـاء الـصَّـبِـيَّـيْـنِ أشْـدَقُ[3]

---

(١) البيت في ديوان الراعي النميري ص٤٦، ولسان العرب (دوح)، وتهذيب اللغة ٥/ ١٩٢.

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٤٨١، وكتاب الصناعتين ص٧٢. والسامي: المرتفع. والأحناء: الجوانب. والصبيان: طرفا اللحيين. والأشدق: الواسع.

قيل: ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه؛ لأن العود من الساج يشبه الجذع المنحوت في غلظه وهيئته، وعودُ الأراك مِنْ أبعد شيء من ذلك؛ لأنه لا يمتد ولا يستوي ٱستواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التي تمتد أبدانها علواً ٱمتداداً مستوياً، وذلك لرقته وشدة ٱلتَوَائِهِ وتشعبه.

٢ ـ وأنكر أبو العباس قول أبي تمام: [الطويل]

رَقِيقُ حَواشِي الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ   بِكَفَّيْكَ ما مارَيْتَ في أنهُ بُرْدُ[1]

وقال: هذا هو الذي أضحك الناس منذ سمعوه وإلى هذا الوقت، ولم يزد على هذا شيئاً، والخطأ في هذا البيت ظاهر؛ لأني ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرُّجْحَان والثقل والرَّزَانَة، ونحو ذلك، كما قال النابغة: [الطويل]

وَأَعْظَمُ أَحْلاَماً وَأَكْبرُ سَيِّداً   وَأَفْضَلُ مَشْفوعاً إلَيْهِ وَشَافِعَا[2]

وكما قال الأخطل: [البسيط]

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ   وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلاَماً إذا قَدَرُوا[3]

وكما قال أبو ذؤيب: [المتقارب]

وَصَبْرٌ عَلى حَدَثِ النَّائِبَاتِ   وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيُّ[4]

وكما قال عَدِيّ بن الرِّقَاع في مثل ذلك: [البسيط]

في شِدَّةِ الْعَقْدِ وَالْحِلمِ الرَّزِين وَفي الْـ   ـقَوْلِ الثَّبِيتِ إذا ما ٱسْتُنْصِتَ الْكَلِمُ[5]

وقال أيضاً: [الوافر]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة. وفي الديوان: «لو أن خلقه» بدل: «لو أن حلمه». وماريت: جادلت. والبرد: الثوب. وانظر البيت أيضاً في كتاب الصناعتين ص١١٩، والوساطة ص٦٩.

(٢) البيت ليس في ديوان النابغة الذبياني. وهو في كتاب الصناعتين ص١١٩.

(٣) البيت في ديوان الأخطل ص٨٥، ولسان العرب (جشر)، (شمس)، وكتاب الصناعتين ص١١٩، وبلا نسبة في أساس البلاغة (شمس).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص١٠٢، وكتاب الصناعتين ص١١٩.

(٥) البيت في ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص١٠٣، وفي الديوان: «ما استنّت الكلِمُ» بدل: «ما استنصت الكلمُ».

أَبَتْ لَكُمْ مَواطِنُ طَيِّبَاتٌ وَأَحْلامٌ لَكُمْ تَزِنُ الجِبَالا[(١)]

وكما قال عدي أيضاً: [الكامل]

الْجَامِعُ الحِلْمَ الأصِيلَ وَسُؤدَداً غَمْراً يُقاسُ بهِ وَحِكمةَ حَازِمِ[(٢)]

وكما قال أيضاً: [الكامل]

قَرْمٌ لهُ مَع دِينِهِ وَتَمَامهِ حِلْمٌ إذا وُزِنَ الحلُومُ ثَقِيلُ[(٣)]

وقال الفرزدق: [الكامل]

أحلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً وَتَخالُنَا جِنّاً إذَا ما نَجْهَلُ[(٤)]

وقال أيضاً: [الكامل]

إنَّا لَتُوزَنُ بالجِبالِ حُلُومُنا وَيَزِيدُ جاهِلُنَا عَلَى الجُهَّالِ[(٥)]

وكما قال الآخر: [الرمل]

وَعَظِيمُ الحِلْمِ لَوْ وَازَنْتَهُ بِثَبِيرٍ أوْ بِرَضْوَى لرَجَحْ[(٦)]

ومثل هذا كثير في أشعارهم، ألا ترى أنهم إذا ذمُّوا الحلم كيف يصفونه بالخفة؛ فيقولون: خفيف الحلم، وقد خَفَّ حلمه؟ وقال عياض بن كثير الضبي: [الطويل]

تَنَابِلَةٍ سُودٍ خِفَافٍ حُلُومُهُمْ ذَوِي نَيْرَبٍ في الحيِّ يَغْدُو ويَطْرُقُ[(٧)]

وقال عقبة بن هبيرة الأسدي: [الكامل]

أَبَنِي الْمُغِيرَةِ قَبْلَ آلِ خُوَيْلِدٍ يَا لَلرِّجَالِ لِخفَّةِ الأحْلامِ[(٨)]

---

(١) البيت في ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص٩٣.
(٢) البيت في ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص١٠١.
(٣) البيت في ديوان عدي بن الرقاع ص٩٥.
(٤) البيت في ديوان الفرزدق ٢/١٥٧.
(٥) البيت في ديوان الفرزدق ٢/ ١٦٤.
(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٧) البيت في ديوان عياض الضبي، من قصيدة مطلعها:
وخيل كريعان الجراد وزعنها لها سبلٌ أعراضها متألقُ
(٨) البيت لعقيبة الأسدي في كتاب الحيوان ٣/ ٩٥.

وقال قدّ بنُ مالك الأسدي: [الوافر]

كـأنَّ جَـرَادةً صَـفْـرَاءَ طَـارَتْ بـأَحـلامِ الـغَـوَاضِـرِ أَجْـمَـعِـيـنَـا[1]

جعلها صفراءَ لأنها ذكر، وهو أسرع من الأنثى وأخف.

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات، ووجدتها في ديوانه، والصحيح أنها لأبي العباس الأعمى: [الخفيف]

بـحُـلُـومٍ إذا الـحُـلُـومُ اَسْـتُـخِـفَّـتْ وَوُجُـوهٍ مِـثْـلِ الـدَّنَـانِـيـرِ مُـلْـسِ[2]

وقال قيس بن عُمَيْر الكناني: [الطويل]

كـمـثـل الـحـصـى بـكـر، ولـكـن خـيـانـة وغَـدْرٌ وَأَحْـلامٌ خِـفَـافٌ عَـوَازِبُ[3]

فهذه طريقة وصفهم الحلم، وإنما مدحوه بالثقل والرزانة، وذمُّوه بالطَّيْش والخفة.

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقة، وإنما يوصف بالمتانة والصَّفَاقة، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة، كما قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة: [الطويل]

أَشَـاقَـتْـكَ أَطْـلالُ الـدِّيـارِ كَـأَنـمـا مَـعَـارِفُـهَـا بـالأبْـرَقَـيْـنِ بُـرُودُ[4]

والأبرق والبرقاء من الأرض: ما كان فيها حجارة ورمل؛ فقيل «بَرْقَاء» لاختلاف الألوان فيها، ومن ذلك الحبلُ الأبْرَقُ الذي فُتل من قُوَى مختلفة الألوان؛ فلذلك شَبَّه الشاعر معارفَ الديارِ بالبرود لاختلاف ألوان البرود.

ولولا أنه قال «رقيق حواشي الحلم» ما ظننت أنه شبهه بالْبُرْدِ إلا لمتانته، وهذا عندي من أفحش الخطأ، ثم قوله «لو أنَّ حِلْمَهُ بكفيك» كلام في غاية القبح والسخافة، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط.

وإني لأعجب من اتّباع البحتري إياه في البُرْدِ - مع شدة تجنبه الأشياء المنكَرَة عليه - حيث يقول: [الخفيف]

---

(١) البيت لقد بن مالك بن حبيب في معجم الشعراء للمرزباني، في ترجمته، وبلا نسبة في تاج العروس (صفر).

(٢) البيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٦٣.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان يزيد بن الطثرية ص٦٩، وهذا البيت هو مطلعها.

وَلَـيَـالٍ كُـسِـيـنَ مِـنْ رِقَّـةِ الصَّيْـفِ فَـخَـيَّـلْـنَ أَنَّـهُـنَّ بُـرُودُ[١]

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً في الرقة غير البرد؟ ولكن الجيد في وصف الحلم قوله مُتبعاً للمذهب الصحيح المعروف: [البسيط]

خَفَّتْ إلى السُّؤْدَدِ المَجْفُوِّ نَهْضَتُهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحَا[٢]

وقوله: [الطويل]

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكَانُ رَضْوَى وَيَذْبُلٍ وَقِيسَ بها ـ في الْحِلْمِ ـ خَفَّ ثَقِيلُها[٣]

وأبو تمام لا يجهل هذا من أمر الحلم، ويعلم أن الشعراء إليه تقصد، وإياه تعتمد، ولعله قد أورد مثله، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع في الخطأ.

* * *

٣ ـ وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله: [الطويل]

مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُوِّرَتْ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيهَا الخَلاَخِلُ[٤]

ولم يذكر موضع العيب فيه، ولا أراه عَلِمَهُ، وأنا أذكره وأَلَخِّصُه فأقول: إن هذا الذي وصفه أبو تمام ضدّ ما نطقت به العرب، وهو أقبح ما وُصف به النساء؛ لأن من شأن الخلاخيل وَالْبُرِينَ[٥] أن تُوصَف بأنها تَعَضُّ في الأَعْضَاد والسواعد، وتضيق في الأَسْوُق، فإذا جَعَلَ خلاخيلها وُشُحاً تَجُول عليها فقد أخطأ الوصف؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلخالُ ـ الذي من شأنه أن يَعَضَّ بالسَّاقِ ـ وِشاحاً جائلاً على جسدها؛ لأن الوشاح هو ما تَقَلَّده المرأة مُتَّشحة به، فتطرحه على عاتقها، فيستبطن الصدر والبطن، وينصبُّ جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهي إلى العَجُزِ، ويلتقي طَرَفَاه على الكشح الأيسر؛ فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرَّجُل، وإذا كانت هذه صورةَ الوشاحِ فغير جائز أن يوصف بالسَّعة والطول، ليدلَّ على تمام المرأة وطولها، ويكون ذلك لائقاً بتشبيه النساء في البيت الثاني بقَنَا الخطّ، وإنما يُوصَف الوشاح بالقَلَقِ والحركة لِيُسْتَدَلَّ بذلك على دقة الخصر؛ لأنه يَقلَق هناك إذا كان الخصر دقيقاً، والبطن ضامراً، بل حركته تدل على ضُمْر البطن أكثر، وليس طُولُه في نفسه مما يدل

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٦٥، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٥٧، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان.

(٣) البيت ليس في ديوان البحتري، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤١، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات. والخلاخل الأولى: الأثواب الرقيقة. والخلاخل الثانية: حلى تلبس في الأرجل. والوشح: جمع وشاح وهو شبه قلادة عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٥) البرين: الخلخال.

على امتلاءٍ ولا خَمْص، وإذا كان الخلخال ـ وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها ـ وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أَعْلَى جسدها كله، وإذا كانت كذلك فقد مُسِخَتْ إلى غاية القَمَاءَة والصِّغَر، وصارت في هيئة الجُعَلِ؛ وقد تصفُ العربُ الخَصْرَ بالدقة، ولكن تعطي كل جزء من الجسَد قِسْطَه من الوصف، كما قال امرؤ القيس: [الطويل]

طِوَالِ الْمُتُونِ وَالعَرَانِينِ كالْقَنَا ... لِطَافِ الْخُصُورِ في تَمَامٍ وَإِكْمَالِ[١]

ألا تراه لما قال «لطاف الخصور» قال «في تمام وإكمال» ولو قال هذا الشاعر «لو أن الخلاخيل صُيِّرت لها حُقُباً» لَصَحَّ له المعنى، كما قال منصور النمري: [الطويل]

فَلَوْ قِسْتَ يَوْماً حِجْلَهَا بِحِقَابِهَا ... لَكانَا سَوَاءً، لاَ، بَلِ الْحِجْلُ أَوْسَعُ[٢]

فجعل حِجْلَهَا ـ وهو الخلخال ـ أوسعَ من حقابها، والحقاب: ما تُديره المرأة على خصرها؛ فهو يختص بالخصر، وكذلك النِّطَاق، والوشاحُ لا يختصُّ بالخصر، وإنما يُعَلَّقُ حتى ينتهي إليه إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً، فاتبع أبو تمام منصوراً في المعنى فأخطأ.

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهَيَفَ وطَيّ الكَشْح ودِقَّةَ الخصر إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَبُّ فيه الامتلاء والريّ، على ما عَرَّفْتُكَ، كما قال ذو الرُّمَّة: [البسيط]

عَجْزَاءُ، مَمْكُورَةٌ، خُمْصَانَةٌ، قَلِقٌ ... مِنْهَا الوِشَاحُ، وَتَمَّ الجِسْمُ وَالقَصَبُ[٣]

وكما قال أيضاً: [الطويل]

وفي العَاجِ مِنْهَا والدَّمَالِيجِ وَالْبُرَى ... قَنَا مَالِىءٌ لِلعَيْنِ رَيَّانُ عَبْهَرُ[٤]

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص٣٤، وبلا نسبة في لسان العرب (قنا)، وتهذيب اللغة ٩/ ٣١٦، وتاج العروس (قنا)، ورواية صدر البيت في الديوان:

سباط البنان والعرانين والقنا

(٢) البيت في ديوان منصور النمري، وهو بيت منفرد.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٢٨، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٣٣، وجمهرة أشعار العرب ص٩٤٤، وتاج العروس (قلق)، وكتاب الصناعتين ص١٢١، وديوان المعاني ١/ ٢٥٠. والعجزاء: العظيمة العجز. والممكورة: المجدولة. والخمصانة، بضم الخاء وسكون الميم: الضامرة البطن. وقلق منها الوشاح: معناه أنه يضطرب ويتحرك من موضعه لدقة ما دار عليه. والقصب: أصله كل عظم مستدير أجوف، وأراد عظامها.

(٤) البيت في ديوان ذي الرمة ص٦٢٢، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧١، وتاج العروس (قنا)، وبلا نسبة في المخصص ٢/ ٦٢.

[وكما قال أيضاً][(١)]: [الطويل]

أَنَـاةٌ تَـلُـوثُ الـمِـرْطَ مِـنْـهَـا بِـدِعْـصِـةٍ رُكَـامٍ، وتَـجْـتَـابُ الـوِشَـاحَ فَـيَـقْـلَـقُ[(٢)]

وكما قال: [الطويل]

تَـرَى خَـلْـفَـهَـا نِـصْـفـاً قَـنَـاةً قَـوِيـمَـةً وَنِـصْـفـاً نَـقـاً يَـرْتَـجُ أَوْ يَـتَـمَـرْمَـرُ[(٣)]

وكما قال الشَّنْفَرَى: [الطويل]

فَدَقَّتْ، وَجَلَّتْ، وَاسْبَكَرَّتْ، وَأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ[(٤)]

أي: دقَّ منها ما ينبغي أن يَدِقَّ، وجلَّ منها ما ينبغي أن يَجِلّ؛ فهذا هو تمام الوصف.

وقال تميمُ بن أُبيّ بن مُقْبل: [البسيط]

هِـيـفُ الـمُـرَدَّى رَدَاحٌ فـي تَـأَوُّدِهـا مَـخْطُوفَةٌ مُنْتَهى الأَحْشَاءِ عُطْبُولُ[(٥)]

---

(١) ما بين معكوفين ليس بالأصل، وهو زيادة يقتضيها السياق.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص٤٦٣، وأصل اللوث: عصب العمامة، وقد لاثها يلوثها، وأراد هنا الإدارة مطلقاً. والمرط، بكسر فسكون: كساء من صوف أو خز. والدعص والدعصة، بكسر الدال وسكون العين، القطعة المستديرة من الرمل، ويشبه به عجز المرأة. والركام: المجتمع بعضه إلى بعض. وتجتاب الوشاح: تلبسه. ويقلق: يجول ويتحرك ويضطرب.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ٢/٦٢٣، وأمالي المرتضى ١/٤٦١، وجمهرة اللغة ص١٩٩، ١٣٣١، وخزانة الأدب ٥/٤٦٢، والخصائص ١/٣٠١، وشرح أبيات سيبويه ١/٥٠٠، والكتاب ٢/١١. أراد أن نصفها الأعلى يشبه القناة القويمة في استوائه، ونصفها الأسفل يشبه النقا في عظمه وضخامته. والنقا: الكثيب من الرمل.

(٤) البيت في ديوان الشنفرى ص٣٣، ولسان العرب (جنن)، والأغاني ٢١/٢١٠، والبيان والتبيين ٣/٢٢٤، والحيوان ٣/١٠٨، ٦/٢٤٤، وخاص الخاص ص٩٨، وديوان المفضليات ص٢٠٢، وشرح اختيارات المفضل ص٥١٩.

(٥) البيت في ديوان تميم بن أبيّ بن مقبل ص٣٨٠، وأساس البلاغة (ردي). والهيف: جمع هيفاء، وهي الضامرة الرقيقة الخاصرة، وفعله: هيف هيفاً، كفرح فرحاً. والمردّى، بضم الميم وفتح الراء وتشديد الدال: مكان الارتداء. وتقول: تردت الجارية، وارتدت: إذا لبست الوشاح أو الرداء. وردتها أمها: ألبستها إياه. يقول: إنها ضامرة هذا الموضع من جسمها. والرداح، بزنة السحاب: المرأة الثقيلة الأوراك. وتأودها: انعطافها وتثنيها. والمخطوفة: الضامرة. تقول: رجل أخطف الحشا، ومخطوف الحشا، وامرأة مخطوفة الحشا. وعطبول: هي المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

فقال «هيف المرَدَّى» ثم قال «رَدَاح» والرَّدَاحُ: العظيمة العجز، وهذا كقول ذي الرُّمَّة «خلفها نصفا قناة قويمة» وقوله «عطبول» قويمة العنق.

وقال تميم أيضاً: [الطويل]

مِنَ الهِيفِ مِبْدَانٌ تَرَى نُطُقَاتِهَا بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهُنَّ تَذَبْذَبُ(١)

فجعلها هَيْفَاء، وهي الخميصة البطن، ثم قال «مِبْدَان»؛ فصار البَدَن لا يمنع من الهَيَف، ولا يضادّه.

وقال تميم أيضاً: [الطويل]

وقد دَقَّ مِنهَا الخَصْرُ حَتّى وِشَاحُهَا يَجُولُ، وقد عَمَّ الْخَلاَخِيلَ وَالقُلْبَا(٢)

وقال علي بن أبي علقمة الجَرْمِيُّ: [الطويل]

تَرى حِجْلَهَا مَلآنَ لَيْسَ بِزائِدٍ يجول، ولم تَمْلأْ وِشَاحاً ولا عِقْدَا(٣)

فإن ذلك من شأن الوشاح؛ لأن من سبيله أن يكون جائلاً إذا انتهى إلى خَصْرِها لدقته، ومن شأن العِقْدِ أن يجول أيضاً على عنقها وترائقها؛ لقلة اللحم هناك، وذاك هو المحمود من الوصف، وقال امرؤ القيس: [الطويل]

* عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ(٤) *

(١) البيت في ديوان ابن مقبل ص١٩. والهيف: جمع هيفاء، وهي الضامرة البطن. والمبدان، بكسر فسكون: العظيمة البدن، وهو الجسد، والنطقات: جمع نطق، بضم النون والطاء، وهو جمع نطاق. والأخراص: جمع خرص، بضم الخاء أو كسرها، وهو الحلقة من الذهب أو الفضة. وتذبذب: أصله تتذبذب، أي تتحرك.

(٢) البيت في ديوان ابن مقبل ص٢٠، وكتاب الصناعتين ص١٢١، ورواية عجز البيت في الديوان:
يجول وقد عُمَّ الخلاخيلُ والقُلْبُ
الخلاخيل: جمع خلخال، وهي حلية تلبسها المرأة في رجلها، والقلب، بضم القاف وسكون اللام: السوار.

(٣) البيت في حماسة ابن الشجري ص١٨٨، ١٨٩.

(٤) صدره:
إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت
والبيت في ديوان امرىء القيس ص١٥، والأزهية ص٢٣٥، وخزانة الأدب ١١/ ٤٣، ولسان العرب (هضم)، وتاج العروس (هضم)، والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ١٦٥، وجمهرة اللغة ص٩٨٩، وشرح شذور الذهب ص٢٨. وهضيم الكشح: ضامرة البطن. والمخلخل: الموضع الذي يلبس فيه الخلخال. وريّا: ممتلئة. أراد بذلك امتلاء ساقها ونضارتها كالغصن الريّان.

وقال طَرَفَةُ بن العبد: [المتقارب]

ومَـلأَى الـسِّـوَارِ مَـعَ الـدُّمْـلُـجَـيْـنِ وَأمَّـا الـوِشَـاحُ عـلـيـهـا فَـجَـالا[1]

وقال عَلْقَمة بن عَبَدة: [البسيط]

صِفْرُ الوِشَاحَيْنِ، مَلأى المِرْطَ، خَرْعَبَةٌ، كـأنَّـهـا رَشَـأٌ فـي الـبَـيْـتِ مَـلْـزُومُ[2]

وقال المرار: [البسيط]

بِـيـضُ الـعَـوَارِضِ بُـدَّنٌ أَبْـدَانُـهَـا رُجُـحُ الـرَّوَادِفِ ضُـمَّـرُ الأَخْـصَـارِ[3]

وقال كُثَير: [الوافر]

كَـسَـوْنَ الـرَّيْـطَ ذا الـهُـدْبِ الـيَـمَـانِـي خُـصُـوراً فـوقَ أَعْـجَـازٍ ثِـقَـالِ[4]

وقال كثير أيضاً: [المتقارب]

يَـجُـولُ الـوِشَـاحُ بـأَقْـرَابِـهَـا وتَـأْبَـى خَـلاَخِـلُـهَـا أَنْ تَـجُـولا[5]

وقال آخر: [الطويل]

عُـقَـيْـلِـيَّـةٌ، أَمَّـا مَـلاَثُ إِزارِهَـا فَـدِعْـصٌ، وَأَمَّـا خَـصْـرُهَـا فَـبَـتِـيـلُ[6]

يريد كأنه لدِقَّته مقطوعٌ مما يليه. وهذا كله ضِدُّ ما قاله أبو تمام.

فإن حَمَل بعضُ مَنْ يريد إقامة العذر له نَفْسَهُ على أن يقول: إنما ذهب في قوله «جالت عليه الخلاخل» إلى قولهم: فُلان يدخل في الخاتم لظَرْفه ولِينِ أخلاقه، لا لضيق مفاصله!

---

(١) البيت ليس في ديوان طرفة بن العبد، وهو في كتاب الصناعتين ص١٢١.

(٢) البيت في ديوان علقمة بن عبدة ص٥٧، وديوان المعاني ١/ ٢٥٠، وصفر الوشاحين: كناية عن كونها ضامرة البطن لطيفته. والدرع: القميص، وكنى بكونها ملء الدرع عن عظم عجزها. والخرعبة: الضعيفة العظام لنعمتها ولين عيشها. والرشأ: الظبي. وملزوم: تربيه الجواري في البيوت فليزمنه ولا يفارقنه إعجاباً به.

(٣) البيت ليس في ديوان المرار بن سعيد الفقعسي، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان كثير عزة ص٢٢٩.

(٥) البيت في ديوان كثير عزة ص٣٩١، وكتاب الصناعتين ص١٢١. والأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة.

(٦) البيت ليزيد بن الطثرية في أساس البلاغة (بتل).

قيل: هذا من كلام العامة، وقولُ أبي تمام: «من الهيفِ» يمنع هذا التأول ويحجز عنه؛ لأن الهِيفَ الخميصاتُ البطون، الواحدةُ هَيْفاء، وإلى هذا ذَهَبَ، لا إلى وصف الأخلاق ورقة الطباع.

فإن قال قائل: إنما قال «لو أن الخلاخيل صيرت لها وُشُحاً» أي لو ساغ ذلك وجاز، كما يقال: لو دخل أحد في سَمِّ الخياط لرقَّته وحسن أخلاقه لدخل زيد، وكما قال الشاعر: [البسيط]

* لَـوْ طَـارَ ذُو حَـافِـرٍ مِـنْ سُـرْعَـةٍ طَـارَا(١) *

وكما قال الآخر: [البسيط]

لَوْ كـانَ يَـقْـعُـدُ فَـوْقَ الـشَّـمْـسِ مِنْ كَـرَمٍ قَـوْمٌ لِسُـؤْدَدِهِـمْ أَوْ مَـجْـدِهِـمْ قَـعَـدُوا(٢)

قيل: هذا مذهَبٌ حَسَن معروف من مذاهبهم، ولكن ليس بينه وبين قول أبي تمام شبه، وإنما كان يشبهه لو قال: «لو أن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها» ولو قال هذا أيضاً لكان يُعَدُّ مخطئاً؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قَصُرَ ظهرُها أو بعضُ خَلْقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض، حتى لو يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكشحى وأبو العير، ولفظ بيته أقبح من هذا، وأشنع؛ لأنه إنما أخرجه مُخْرَجَ الحقيقة، أو ما يقارب الحقيقة، نحو قول القائل: لو تغطَّتْ هندٌ بشعرها لغطّاها، ولو سترت وجهها بذراعها لسترته، ولو مسستها لثاخَتِ الإصبع فيها، أو لأدْمَتها، وهذا ضرب من المبالغة، وهو إلى الحقيقة أقرب، وليس من الأبيات المذكورة في شيء ولا على سياقة ذلك اللفظ، والإحالةُ فيما مخرجُهُ مخرجُ الحقيقةِ أقبحُ من الإحالة فيما مخرجُهُ مخرجُ التوسُّعِ؛ وكان ينبغي لأبي تمام لمَّا وصف النساء في البيت التالي بالطول والتمام فقال: [الطويل]

* قَـنَـا الـخَـطِّ إلاَّ أَنَّ تِـلْـكَ ذَوَابِـلُ(٣) *

---

(١) صدره:

يـكـاد فـي شـأوه لـولا أسـكـنـه

والبيت لمعاوية بن مرداس في معاهد التنصيص ص٣٥٢.

(٢) البيت لأبي الجويرية في أمالي القالي ١/١٠٦.

(٣) صدره:

مـهـا الـوحـش إلاّ أن هـاتـا أو انـسّ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٤١، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.

أن يصف الوشُحَ بالطول والتمام؛ لأن الوشاح من المرأة من موضع حَمَائل السيف، فكيف يجعلها مثلَ الخلاخِلِ ويجعلُ الخلاخِلَ مثلَها؟

وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج منها إلى المحال، ويخرج بعضها مخرج النادر، فيستحسن ولا يستقبح، نحو قول الشاعر: [مجزوء الخفيف]

مَــنْ رَأى مِــثْــلَ حِــبَّــتِــي تُــشْــبِــهُ الْــبَــدْرَ إذْ بَــدَا
يَــدْخُــلُ الــيَــوْمَ خَــصْــرُهَــا ثُــمَّ أرْدَافُــهَــا غَــدَا(١)

ومثلُ هذا كثير، وقد بالغ النابغة في وصف عنق المرأة بالطول، فقال: [الطويل]

إذَا ارْتَـعَـشَـتْ خَـافَ الـجَـبَـانُ رِعَـاثَـهَـا وَمَـنْ يَـتَـعَـلَّـقْ حَـيْـثُ عُـلِّـقَ يَـفْـرَقِ(٢)

فجعل القُرْطَ يَخَافُ أن يسقط من هناك فيهلك، وإنما أخرج هذا كالمثل: أي لو كان مما يقع منه الخوف لخاف، وقال ذو الرمة: [البسيط]

وَالْـقُـرْطُ فِـي حُـرَّةِ الـذِّفْـرَى مُـعَـلَّـقُـهُ تَـبَـاعَـدَ الْـحَـبْـلُ مِـنْـهُ فَـهْـوَ يَـضْـطَـرِبُ(٣)

فدلَّ بقوله: «تباعد الحبل منه» على طول عُنُق المرأة؛ فهذه المبالغة لائقة مستحسنة؛ لأنه دلَّ على الوصف بالشيء الذي يَخُص الموصوفَ، لا بالشيء الذي يخص غيره، ولو كان أبو تمام قال: «لو أن الخلاخيل صُيِّرَتْ لها نُطُقاً» لكان أتى بالصواب؛ لأن النطاق هو كل ما يُدَار على الخصر مثل المِنْطَقة من سَيْرٍ كان أو ثوب أو غيرهما، أو لو قال «حُقُباً» لأن الحِقَاب والنِّطاق بمنزلة واحدة، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح.

وقد بَالَغَ أبو العتاهية في وصف الخصور بالدقة، فقال: [مجزوء الكامل]

وَمُــخَــصَّــرَاتٍ زُرْنَــنَــا بَــعْــدَ الــهُــدُوِّ مِــنَ الْــخُــدُورِ
نُــفُــجٌ رَوَادِفُــهُــنَّ يَلْــبَسْنَ الْخَــوَاتِــمَ فِــي الخُصُورِ(٤)

---

(١) البيتان للمؤمل بن إميل المحاربي في كتاب الصناعتين ص٢٨٥، وديوان المعاني ١/ ٢٥١.
(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص١٨١.
(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٣٥، ولسان العرب (حبل)، وجمهرة اللغة ص٩٧، وجمهرة أشعار العرب ص٩٤٥، وأساس البلاغة (حرر)، والبيت بلا نسبة في مقاييس اللغة ٢/ ٦، ٣٥٦. والحر: الحسن من كل شيء، ومؤنثه حرة. والذفرى، بكسر الذال وسكون الفاء: ما خلف الأذنين. وكنى بتباعد الحبل عن طول العنق.
(٤) البيتان في ديوان أبي العتاهية، من قصيدة مطلعها:
لــهــفــي عــلــى الــزمــن الــقــصــيــرِ بــيــن الــخــورنــق والــســديــرِ

لم يرد أن خواتمهنّ في خصورهِنّ؛ لأن هذا محال، وإنما ذهب إلى مثل قولهم: «جَفْنَة يقعد فيها خمسة» أي: لو قعدوا فيها لوسعتهم.

وقال الآخر: [المتقارب]

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيهِ مَغَارَا[١]

أي: لو اتخذ فيه مغاراً لَوَسِعَهُ، فكذلك قوله: «يلبسن الخواتم في الخصور» أي: تصلُح خُصُورهن أن تَدْخُل في خواتمهن لدقتها، وكلُّ ما دَنَا من المعاني من الحقائق كان ألْوَطَ بالنفس، وأحلىٰ في السمع، وأوْلى بالاستجادة.

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالِطٌ، وهو ثلاثة أبيات.

* * *

٤ ـ ومما أخطأ فيه الطائي البيتُ الذي بعد قوله: [الطويل]

مِنَ الْهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاَخِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الخَلاَخِلُ[٢]

وهو قوله: [الطويل]

مَهَا الْوَحْشِ إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الْخَطِّ إلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ[٣]

وإنما قيل للقنا «ذَوَابل» لِلِينها وتَثَنِّيها، فَنَفى ذلك عن قُدُود النساء التي من أكمل صفاتها التَّثَنِّي واللِّينُ والانعطافُ، كما قال تميم بن أُبَيّ بن مُقْبل: [البسيط]

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْيِ أوْصَالاً مُنَعَّمَةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحَى عِيدَانَ يَبْرِينَا
أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِيٍّ تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التِّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَا[٤]

فشبه تميمٌ قدودَهُنَّ بالرُّدَيني[٥] لِلِينِهِ وتثنّيه لا غير، هذا أجود من كل ما قاله الناسُ في مَشْي النساء وحُسْن قدودهن، وقوله «مَهَا الوَحشِ» أراد كمَهَا الوحش إلا أنَّ هاتا أوانس؛ فوضع المشبَّه به في مكان المشبه، وهذا في كلامهم شائع مستفيض.

* * *

(١) البيت لعوف بن عطية بن الخرع في شرح اختيارات المفضل ص١٦٦٥.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤١. وتقدم مع تخريجه قبل قليل.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤١.

(٤) البيتان في ديوان ابن مقبل ص٣٢٧.

(٥) الرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، ويقال: هي امرأة كانت تقوم الرماح، أي تعدلها.

٥ ـ ومما أخطأ فيه الطائيُّ أقْبَحَ خطإٍ قولُه: [الكامل]

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلاَثَا[1]

لأن الصَّبا هي القَبُول، وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلافٌ.

فإن قيل: إنما سميت الصَّبَا قَبولاً؛ لأنها تُقابل الدَّبُور؛ فلعله استعار هذا الاسم للدَّبُور، فقال «بين الصَّبا وقبولها» يريد الدبور لأنها تقابل الصبا ومقابلتها أي الريح المقابلة لها.

قيل: هذا غلط من وجوه:

منها: أنه قد ذكر الدبور في البيت مَرَّة؛ فلا يجوز أن يأتي بها مَرَّة ثانية.

ومنها: أنه ما سُمع من العرب «زَيْدٌ قَبُولَكَ» أي: مُقَابِلُكَ، ولا «دار زيد قَبول دار عمرو» بمعنى مُقابلتها؛ فإنما خُصَّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم؛ لأنها تأتي من الموضع الذي يُقْبِل منه النهار، وهو مطلع الشمس، وقيل لها «دَبُور» لأنها ضِدُّها، أخذه من أقبل وأدبر، ولو جاز هذا في كلامهم وساغ في لغتهم أو كان مثلُه مسموعاً منهم لساغ أن تُسَمَّى الشَّمَال أيضاً قبولاً؛ لأنها تُقَابِلُ الجَنُوبَ، وأن تسمى الجنوب قَبولاً؛ لأنها تقابل الشمال. وما أظن أحداً يَدَّعي هذا، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة، ولا أن يُحْدِث لُغَةً غير معروفة، ويَنْسُب إلى العرب ما لم تعلمه ولم تنطق به.

ومنها ـ وهي أولاها في فساد هذا التأويل ـ: أنه قال: «بين الصبا وقبولها ودبورها أثلاثا» وقوله «أثلاثا» يدلّك أنه أراد ثلاثَ رِيَاحٍ، وأنه توهَّم أن القَبُول رِيحٌ غيرُ الصَّبا، وهذا واضح.

والجيدُ قولُ البحتري: [الكامل]

مَتْرُوكَةٌ لِلرِّيحِ بَيْنَ شَمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدَبُورِهَا وَقَبُولِهَا[2]

فجاء بالرياح الأربع.

وقال البحتريُّ أيضاً: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٦٥، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٣٢٦/١، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي. وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٢.

شَنِئْتُ الصَّبَا إذْ قيلَ وَجَّهْنَ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيَاحِ قَبُولَهَا[(١)]

فقوله «وَجَّهن» يعني الْحُمُولَ، والهاء في «قبولها» راجعةٌ إلى الرياح.

وهذا مما يُوهمك أنه أراد رِيحَيْنِ، وإنما أراد ريحاً واحدة، وسماها باسْمَيْهَا، فقال: شنئت الصَّبا، وعاديْتُ القَبُولَ: أي أبغضت هذين الاسمين؛ لأن حُمول الظاعنين تَوَجَّهت نحوها، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين مختلفين.

وحَكَى ابن الأعرابي ـ أو حُكي عنه ـ أنه قال: القبولُ كلُّ رِيحٍ طيبة المس لينة، لا أذى فيها، سُمِّيت قَبولاً لأن النفس تَقْبَلَهَا، وأظن الأخطل ـ إن كانت الرواية صحيحة ـ لهذا قال: [الوافر]

فَإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بِدِرْهَمَيْهَا فَإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[(٢)]

أي: طيبة لا تمنعنا الانصرافَ والسيرَ، وهذه ليست من الريح التي ذكرها أبو تمام في شيء؛ لأن هذه على هذا الوصف؛ قد تكون الشمال، وتكون الجنوب، وتكون الصَّبا، وذلك إنما أراد ريحاً بعينها؛ لأنه قال: «بين الصبا وقبولها» فجعلها مضافَةً إليها، كما لو قال «بين الشمال وجنوبها» لأنهما ريحان معروفتان، وهما أختان مختلفتان تَعْتَقِبان، وكذلك لو قال «بين الصبا ودبورها» وكذلك لو قال «بين القبول ودبورها» أو «بين القبول وشمالها» فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة كانت هي الصَّبَا، وليس هذا موضِعَ القبول التي هي الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر؛ لأنه وصف مجهول، ويجوز أن يكون لكل ريح ولا يقع في هذا الموضع؛ لأنك إذا عَنَيتها بقولك «قد هَبَّتِ الصبا وقبولها» لم يدر أيّ ريح هي؛ فما معنى إضافتها إلى الريح المعروفة التي هي إذا لاَنَ مَسُّهَا جاز أن تسمى بذلك الاسم؟ هذا خُلْفٌ من القول إذا قيل.

وأيضاً إن أبا تمام إنما أراد أنَّ هذه الرياح عَفَتْ هذه الديارَ، وذهبت بها؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المسّ مع الدَّبُورِ؟ هذا محال أن يكون أراده، كيف والديار يُدْعَى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها؟ ألا ترى قول أبي تمام: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/١٠٧، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل. وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٢. وشنئت: أبغضت. والصبا: الريح.

(٢) البيت في ديوان الأخطل ص٢١٣، وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٣٣، والكتاب ٣/٢٤٨، ولسان العرب (سدس)، (قبل)، وبلا نسبة في الخصائص ٣/١٧٦.

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا[(١)]

وقال البحتريُّ: [الخفيف]

وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ نَسِيماً فَعَلَى رَبْعِ دَارِهَا وَالْجَنَابِ[(٢)]

فشَرَطَ أن تكون الرياح نسيماً، وقال: [الكامل]

رَاحَتْ لأَرْبُعِكِ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ[(٣)]

فشَرَطَ أن تكون الرياح مريضةً؛ لئلا تَعْفُوَهَا وتَمْحُوَهَا.

فإن قيل: فلعله أراد «بين الصَّبا وقبولها» أي: بين الصبا سَهْلِها وَلَيِّنِها، ولا يكون يريد بالقبول اسمَهَا المعروفَ، وإنما يريد الاسمَ الذي يَقَع للريح اللينة المسّ، فكأنه قال «بين القبول وقبولها» كما يقال: «جَاءَنَا عَبَّاسٌ وَعَبَّاسُه» أي: ووجهه العَبَّاسُ، و«أتانا الضَّحَّاكُ وضَحَّاكه» أي: ووجهه الضَّحَّاك؛ لأن التعبيس والضَّحِك في الوجه، و«فَتَنَتْنَا حَوْرَاءُ بحَوْرَائِهَا» أي: بعينها الحوراء.

قيل: هذا كله لفظ سائغ مستقيم، غير أنَّا ما سمعنا مثل هذا في الريح، ولا علمناه في اللغة، ولا وجدنا في الشعراء أحداً قال: «الصَّبا وقَبولها»، ولا «الجنوب وقبولها» ولا «الشَّمَال وقَبولها» أي: سَهْلها ولَيِّنها، ولو أراد الطائي ذلك كان أيضاً مخطئاً؛ لأن الريح لينها وشديدَها ريحٌ واحدة، وقد قال أبو تمام «أثلاثاً» فدلَّ على أنه أراد ثلاثَ رياحٍ، وإن كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قَدَّمْتُ القول في أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم، وقد استقصى أصحَابُ الأنْوَاء في كتبهم ذِكْرَ الرياح وأوصافها ونُعُوتها، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها، وبالغ أبو حنيفة الدِّينَوَرِيُّ في ذلك؛ فما منهم أحد ذكر أن القَبول غيرُ الصَّبا، وإنما قال ابن الأعرابي في نوادره: إن العربَ تسمِّي كلَّ ريح طيبةٍ لينةِ المسّ قَبُولاً، قال الأخطل: [الوافر]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٤، من قصيدة يمدح با أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بوالٍ ولي الثغر بعده فهزم. ورواية صدر البيت في الديوان:

أرسى بعرصتك الندى وتنفست

والعرصة والنادي والعقوة: ساحة الدار.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١٥٧/٢، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب، ورواية البيت في الديوان:

إذا هبّت الجنوب نسيماً فعلى رسم دارها والجنابِ

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢٦٩/٢، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم.

فـإنْ تَـبْـخَـلْ سَـدُوسُ بِـدِرْهَـمَـيْـهـا فـإنَّ الـرِّيـحَ طَـيِّـبَـةٌ قَـبُـولُ[١]

فإنما أراد الصَّبا؛ لأنها ريحٌ محبوبة تُنسب إلى الطيب، وهي دائمة الهبوب لينة المس معتدلة في أكثر أوقاتها: أي فإن مَنَعَت سَدُوس نائلَها فإن الريح طيبة قبول، أي: هي صَباً ما تمنعنا من الانصراف والرحيل؛ فإن كان ما ذكره ابن الأعرابيّ صحيحاً ـ وهو الصحيح إن شاء الله ـ فإنهم إنما قالوا لكل ريح طيبة لينة قبول تشبيهاً لها بالصبا، كأنهم إن هبت شمالٌ لينة، قالوا: هذه الصبا، أو هذه القبول، أي: كالصبا أو كالقبول، فأسقطوا حرف التشبيه، وجعلوا المشبه في مكان المشبه به، كما تقول إذا شمِمْتَ أتْرُجَّةً طيبةَ العَرْف: هذه المسك، أو كالمسك، وإذا رأيت وجهاً جميلاً قلت: هذا هو البدر، وإن شئت كان المعنى: هذه المسك حقاً، وهذا هو البدر يقيناً، ولو هبت شمال شديدة مُزْعجة حتى تقول: هذه هي الدَّبُورُ بعينها ـ لكان هذا من أسْوَغ كلام وأصَحِّه، فإن كانت العربُ سَمَّت الشمال والجنوبَ ـ إذا هَبَّتا هبوباً سهلاً ليناً ـ قبولاً فإنما شبهوها بالصَّبا وأعاروها اسمها. وإنما قيل لها قَبُول لأنها تأتي من مَطْلع الشمس، وهو الموضع الذي يُقْبِل منه النهار، وقيل للدبور دَبوراً لأنها تَهُبُّ من حيث يُدْبر، وقد قيل غير ذلك، وهذا هو الصحيح. وحكى بعضهم عن النضر بن شميل أنه قال: القَبول ريحٌ تلي الصَّبا ما بينها وبين الجنوب، وهذا غير معروف ولا مُعَوَّل عليه، وقد ذكر بعضهم أن قوماً سموا الشمال قَبُولاً، قال: وليس ذلك بثبت، ولا مُعَوَّل عليه إلا أن يكون قاله عَلى هذا الوجه الذي ذكرته على التشبيه. والله أعلم.

وبيت أبي تمام لا يحتمل أن يُتأول فيه هذه الريح؛ لأنه أراد مَحْوَ الديار، ولا تُذْكَرُ في محو الديار القبولُ الخفيفةُ الهبوب الطيبة المس مع الدَّبُور التي لا تكاد تَهُبُّ، فإن هبّت لم تأتِ إلا شديدة مزعجة.

ولو قال آخر ممن لا تمييز معه: أراد بين الصبا وقبولها، أي: الريح التي قَبَلَتها، كأنها قابلتها فَقَبَلَتَهَا فهي قَبُولها، يعني ريحاً من الرياح، كما يقال: فاخرته ففَخَرْتُه، وخَاصَمْتُه فخَصَمته.

قيل: هذا خطأ من وجوه: منها أن الريح التي تُقَابِل الصَّبا مقابلةً صحيحة هي الدَّبُور، وقد ذُكِرَت في البيت الأول؛ فلا يجوز أن يردِّدها؛ ومنها: أنك لا تقول قابَلْتُ زيداً فَقَبَلْته، مثل فاخرته ففخرته؛ لأنك إذا قابلته فقد صرت قُبالته وصار

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

قُبَالتك؛ فليس أحدكما في هذا بأفضَلَ من الآخر، وذلك مثل قولك: وَاجَهْتُه، وآزيته، وسَاوَيْته، وحاذَيْته؛ لأنك في هذه الأفعال مثلُه وهو مثلُ؛ فلا يجوز أن تقول فيه: فَعَلته: أي غلبته؛ ومنها: أنك إذا قلت «زيد ضاربٌ عمراً، وضَرُوبُ عمرٍو، وقاتلٌ بكراً، وقَتُولُ بكرٍ» لم تَدُلَّ على أنه كانت هناك مُضَاربة بينهما أو مُقَاتلة؛ لأنه يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر. ولذلك أصل؛ فلذلك لا يدل قوله «قبولها» على أنه كانت هناك مقابلة، كما لا يدل قولك «زيد ضاربُ عمرٍو» على أنه كانت مُضارَبة بينهما حتى غَلَبَ زيد عمراً بالضرب، وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة.

* * *

٦ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

وَصَنِيعَةٍ لَكَ ثَيِّبٍ أهْدَيْتَهَا ... وَهْيَ الكَعَابُ لِعَائِذٍ بِكَ مُصْرِمِ
حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى، وقَدْ ... زُفَّتْ مِنَ المُعْطِي زِفَافَ الأيِّمِ[(١)]

غَلَطُه وقع في البيتين جميعاً، وقالوا: أراد بقوله «وصنيعة لك» أي: للممدوح «ثيب» أي: قد اْفتُرِعت «أهديتهَا وهي الكعاب لعائذ بك مصرم» أي: قليل المالِ، وجاء بالكَعَاب على أنها تَقوم مقامَ البكر ليجعلها في البيت ضد الثيب فتصحّ له القِسْمة: أي هذه الصنيعة ثيِّبٌ عندك: أي قد اْصْطَنَعْت مثلَهَا مراراً، وهي الكعاب ـ يريد البكر ـ عند هذا العائذِ بك؛ لأنها أول ما اصطنعته إليه أو لأنها أكبرُ صنيعة صنعتها عنده.

قالوا: والكَعَاب هي التي كَعَبَ ثَدْيُها، وقد تكون بكراً، وتكون ثيباً، فليست ضداً للثيب في البيت، ولا تصحّ بها قسمته؛ لأن اسم الكعاب لا يزول عنها إذا افتُرِعت حتى يَنْهَدَ ثَدْيُها ويرتفع.

قالوا: واعتمد أن يشرح هذا المعنى في البيت الثاني فقال: [الكامل]

حَلَّتْ مَحَلَّ البِكْرِ مِنْ مُعْطًى، وَقَدْ ... زُفَّت مِنَ المُعْطِي زفَافَ الأيِّمِ

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة. والثيب: غير البكر، والكعاب، بزنة السحاب: البارزة النهد. والعائذ: اللاجىء، اسم فاعل من عاذ فلان بفلان، إذا التجأ إليه. والمصرم: الفقير. والأيم في الأصل: المرأة التي لا زوج لها.

وذلك معنى قوله: «وهي الكَعاب لعائذ بك» ثم قال: «زفَّت من المُعْطِي زفاف الأيم»، وهو يريد معنى قوله: «وصنيعة لك ثيب» على أن الأيم هي الثيب.

وقالوا: هذا خطأ؛ لأن الأيم هي التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيباً، قال الله عزّ وجل: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢] أفتراه قال أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار؟ إنما أراد تَبَارَكَ اسمُه أنكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن؛ فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الآية، قال الشماخ: [الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ أُحَدَّثَ أنها ... وَإنْ لَم أنَلْهَا أيِّمٌ لَمْ تَزوَّجِ[1]

وهذا هو المعروف في كلامهم.

وهذا الذي ذكروه من غلطه في الأيِّم هو كما ذكروه، فأما ما ادَّعَوه في البيت الأول من الغلط في الكَعَاب بأن أقامها مُقام البكر فليس ذلك بغلط، والمعنى صحيح، وقد جاء مثله في أشعار العرب، قال قدامة بن ضرار الحنفي: [الطويل]

غَدَاةَ خَطَبْنَا الْبِيضَ بالْبِيضِ عَنْوَةً ... وَأبْنَ إلَينَا ثَيِّبَاتٍ وَكُعَّبَا[2]

أراد بالكُعَّب الأبكار، وقال جرير يهجو امرأة: [الوافر]

وقد حملت ثمانية وتمت ... لِتَاسِعَةٍ وَتَحْسَبُهَا كَعَابَا[3]

فأقام الكَعَاب مُقَام البكر، وجعلها ضدَّ الثيب، ومثله في كلامهم كثير موجود، فعلوا ذلك ـ وإن كان الكاعبُ قد تكون بكراً وتكون ثيباً ـ لأن أول أحوال الكواعب أن يكنَّ قد ناهَزْنَ حدَّ البلوغ، وبدت ثُدُيُّهُنَّ بالتكعيب؛ فهن في هذه الحال أكثر ما يكن أبكاراً وغير ذات أزواج، قال عمرو بن معد يكرب: [الكامل]

تَرَكُوا السَّوَامَ لَنَا وَكُلَّ خرِيدَةٍ ... بَيْضَاءَ خَرْعَبَة وأُخْرَى ثَيِّبِ[4]

---

(١) البيت في ديوان الشماخ ص٧٥، والشعر والشعراء ص٣٢٣.

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. والبيض الأولى: جمع بيضاء، وأراد بها النساء. والبيض الثانية: جمع أبيض، وأراد بها السيوف. وعنوة، بفتح العين وسكون النون: قهراً وغلبة. وأبن: رجعن، تقول: آب يؤوب أوباً ومآباً، إذا رجع. والكعب: جمع كاعب.

(٣) البيت في ديوان جرير ص٦٥٢.

(٤) البيت في ديوان عمرو بن معديكرب ص٦٧.

فأقام الخريدة مقام البكر، وجعلها ضدَّ الثيب في البيت، والخريدة الدرَّةُ، والخريدة هي الحيِّة. حكى اللحياني قال: سمعنا أعرابيًا من كلب يقول الخريدةُ الدرَّة التي لم تُثْقب وهي من النساء البكر، والْخَرْعَبَة: اللينة المفاصل الطويلة، وهذه قد تكون بكراً، وقد تكون ثيباً، إلا أنه جعلها بكراً؛ لأن الحياء أكثر ما يكون في الأبكار.

فقد صحَّ معنى بيت أبي تمام الأول في الكَعَاب، وبقي الغَلَط قائماً في الأيم، وجعلها في البيت الثاني ضد البكر.

فإن قيل: فلمَ لا يكون لأبي تمام إقامة الأيم في البيت الأول مقام الثيب؛ إذ كانت الأيم قد تكون ثيباً، كما أقمت الكَعَاب في البيت الثاني مقام البكر؛ إذ كانت الكَعَاب قد تكون بكراً، وتتجاوز له في هذا كما تجاوزت له في تلك؟

قيل: لفظة كَعَاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عَرَّفْتُكَ؛ فهي في الأكثر تكون بكراً غير مُفْتَرعة؛ فلذلك استحسنوا أن أقاموا الكَعَاب مقام البكر، ولفظة أيم لا تدل على حَدٍّ في السن: من صغر، ولا كبر، ولا على بكورة، ولا افتراع؛ فلا تجوز إقامتها مقام الثيب بحال، وقد غلط في الأيم بعضُ كبار الفقهاء فجعلها مكان الثيب، وذلك لحديثٍ روي عن النبي ﷺ فإنه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير معناه؛ فلعل أبا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط.

وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين في موضع آخر، فقال ـ وقد ذكر صنيعةً أيضاً ـ: [الوافر]

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِي ... وَلاَ هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الكَعَابِ[1]

والعَوَان: هي التي بين المُسِنَّة والصغيرة السن، وهي التي قد عَرَفَتِ الأمور، وجَرَت عليها التجربة؛ فلذلك قيل: العَوَانُ لا تُعَلَّم الْخِمْرَة، ومنه قيل: حَرْبٌ عَوَان، وهي التي قُوتِلَ فيها مرةً بعد مرةٍ، وإنما استعير لها اسم المرأة في هذه الحال، كما قال الشاعر: [الكامل]

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٨، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة من أهل مرو وكتب بها إليه ويعرض بهجاء أبي صالح بن يزداد الكاتب. والعوان: التي في نصف عمرها. والعنس: جمع عانس وهي الجارية التي طال عليها المقام في أهلها من بعد إدراكها.

* الْـحَــرْبُ أوَّلَ مَـا تَـكُـونُ فَـتِـيَّـةٌ[١] *

فاستعار لها أولَ ما تبدأ وتنشأ اسمَ الفتاة، وأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوَان عندي: أي ليست صنيعةً قد تقدمَتْهَا لك لديَّ صنائع تُشْبِهها لعظمها وجلالها، ولا هي بالبكر منك: أي ليست مع ذلك بِكْرَ صنائِعِكَ، بل قد أسْدَيْتَ كثيراً مثلَهَا إلى غيري، وهذا هو المعنى الذي قَصَده في البيتين المتقدمَيْنِ، إلا أنه جعل «العَنَسَ» هنا في موضع الْعَانِس كأنه أراد أن يقول: وليست بالعوان العانس عندي فغلط فقال «العَنْسِ» والعانس: هي التي حَبَسها أهلُها عن التزويج حتى جاوزت حَدَّ الفتاة، والعَنْسُ: اسم من أسماء الناقة، وهي التي قد انتهت في شدتها وقوتها، فأين وَصْفُ الناقة من وصف المرأة؟

فإن قيل: إن أبا تمام لم يرد غير العَنْسِ، ولم يرد العانس؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئاً من وجهٍ غيرِ الذي ذكرته، وهو أن العَوَانَ ـ فيما ذكر بعضُ أهل اللغة ـ الثيبُ، وقيل: إنها التي كان لها زوج، وجرير قد أفصح أنها ذاتُ الزوجِ في قوله: [الطويل]

وَأَعْـطَـوْا كَـمَـا أَعْـطَـتْ عَـوَانٌ حُـلِـيَّـهَـا أَقَـرَّتْ لِـبَـعْـلٍ بَـعْـدَ بَـعْـلٍ تُـرَاسِـلُـهْ[٢]

فكيف يكون العانس وصفاً للعَوَان، والعانس هي التي حُبست عن التزويج؟

قال عامر بن جُوَيْن الطائي: [الطويل]

وَوَالـلّـهِ مَـا أَحْـبَـبْـتُ حُـبَّـكِ عَـانِـسـاً وَلاَ ثَـيِّـبـاً لَـوْ أنَّ ذَاكِ أتَـانِـي[٣]

فجعلها ضد الثيب، والعَنْس أولى بأن تكون وصفاً للعَوَان من العانس، ويكونان جميعاً من أوصاف العَوَانِ؛ لأن العَوَانَ إذا أريد بها الناقة، وهي دون المُسِنَّة وفوق الفتية، فهي حينئذ الكاملة، والعَنْسُ: الناقة التي قد انتهت في قوتها، فهما صفتان

---

(١) عجزه:

تـسـعـى بـبـزتـهـا لـكـلّ جـهـولِ

والبيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ص١٥٤، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٦٦٦، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٩٣، ٢/ ١٧٨، والكتاب ١/ ٤٠١، ٤٠٢، ولسان العرب (خدع)، ولامرىء القيس في ملحق ديوانه ص٣٥٣، وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٢٥١.

(٢) البيت في ديوان جرير ص٩٦٦.

(٣) البيت في المقرب ٢/ ١٧١.

متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النُّوقِ، كما استعار البكر الكَعَابَ من أوصاف النساء.

قيل: هذا غلط من الاحتجاج، وتعسُّف من التأول، وإنما يُسْتَدَل ببعض الألفاظ على بعض، كما يستدلُّ على المعنى بما يَقتَرِن ويتصل به، فيكون في ذلك بيانٌ وإيضاح، أما العَوَان والبكر ـ وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم ـ فإن البكر في البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكَعَاب التي هي مخصوصة بوصف الجارية التي قد كَعَبَ ثَدْيُهَا، فلا تكون العَوَان في صدر البيت من أوصاف النوق، والبكر في آخره من أوصاف النساء؛ فعلمنا أنه لم يرد بالعَنْسِ إلا العانس فغلط، كأنه أراد أن هذه الصنيعة ليست في حال ما هي عندي بالعَوَان العانس، ولا في حال ما هي عندك بالبكر الكَعَاب؛ لأن المرأة تكون كاعباً وبكراً في حال، وعَوَاناً وعانساً في حال أخرى، فتنتقل في هذه الأوصاف، والْعَنْسُ لا موضع لها ههنا.

وأما قوله «إنه لو أراد العانس كان مخطئاً؛ لأن العانس هي التي حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة؛ فلا تكون وصفاً للعَوَانِ؛ لأن العَوَانَ عند أهل اللغة الثيب» فيقال: إنه إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تَزَوّجَتْ، فأما وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذي صارت به ثَيِّبَاً فلمَ لا يكون وَصْفاً للعَوَان التي هي أيضاً ثيب عندك، ألا ترى إلى قول كُثَير: [الطويل]

فَــإنَّ طِــلاَبِــي عــانِــســاً أمَّ وِلْــدَةٍ   لَـمِـمَّا تُـمَـنِّـيـنِـي الـنُّـفُـوسُ الْـكَـوَاذِبُ(١)

فقال «عانساً» وجعلها أم ولدة.

فإن قال: فلعلّ أبا تمام لم يُرِدْ هذا، وإنما أراد بالعَنْسِ مصدر عَنَسَت المرأةُ تَعْنُسُ عَنْساً وعُنوساً، فجعل المصدرَ ـ وهو عَنْس ـ وَصْفاً للعَوَان مكان العانس، والمصادر قد تجعل أوصافاً في مكان أسماء الفاعلين.

قيل له: المصدر المعروف في مصدر «عَنَست المرأة» هو العُنُوس، ولم يسمع الْعَنْسُ، وعلى أن الأصمعي قد أنكر عَنَست مخففاً، وقال: إنما هو عُنِّست تُعَنَّسُ تَعْنِيساً بالتشديد، حكى ذلك عنه يعقوب بن السِّكِّيت، وهَبْ أنه قد جاء العَنْس مصدر عَنَست فليس في كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافاً، وإنما تكون أوصافاً

---

(١) البيت في ديوان كثير عزة ص١٥٣.

على وَجْهٍ من الوجوه وطريقةٍ من اللفظ، وهي قولهم: إنما زيد دَهْرَهُ أَكْلٌ ونَوْمٌ، وإنما عمرو أبداً قيامٌ وقعودٌ؛ فإن شئت كان المعنى إنما زيد ذو أكل ونوم، وإنما عمرو ذو قيام وقعودٍ فتقيم المضافَ إليه مُقَامَ المضافِ؛ لأنه يدل عليه، أو تجعل زيداً نفسه الأكل والنوم وعمراً القيام والقعود على المبالغة؛ لأن ذلك كثير منهما، كما قالت الخنساء: [البسيط]

تَـرْتَـعُ مَـا رَتَـعَـتْ حَـتَّـى إذَا ادَّكَـرَتْ فَـإنَّـمَـا هِـيَ إقْـبَـالٌ وَإدْبَـارُ[1]

فجعلت الناقة هي الإدبار والإقبال لأن ذلك كثر منها، وإن شئت كان المعنى ذات إقبال وإدبار، فأَقَمْتَ المضاف إليه مقام المضاف؛ فهذه طريقة الوصف بالمصادر، وإذا تأولْتَ بالعنْس المصدرَ في قوله «وليست بالعَوَان العَنْس» كان ذلك كقولك: ليست هند بالصبية الصّغَرِ، تريد الصغيرة، ولا دَعْد بالْهَرِمة الكِبَر، تريد الكبيرة؛ فهذا لا يسوغ في منطق، ولا يُعْرَف في لغة، ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على نحو ما ذكرته؛ فيقال: هندٌ الْحُسْنُ كله، ودعد الْجَمالُ أجْمَعه، وزيد الْهَرَم أقْصَاه، وعبدُ الله البُغْضُ نَفْسُه، والتِّيهُ عَيْنه، وإن شئت كان المعنى هندٌ صاحبةُ الحسْنِ كله، ودعد ذات الجمال أجمعه، وزيد أخو الْهَرَم، وعبد الله ذو التِّيهِ؛ فأقمت المضاف إليه مُقام المضاف: كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] يريد أهل القرية، وإن شئت جعلت هنداً هي الحسن، ودعداً هي الجمال، على المبالغة، لمّا كانتا غايتين فيهما، وجعلت زيداً هو الهرم، وعبد الله هو التيه، لما كانا متناهِيَيْنِ في هذين الوصفين.

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر ـ وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء في هذا المعنى، ولم يخلط بهما العَنْسَ والكَعَاب والثيب والأيِّم ـ لكان قد سلك الطريقَ المستقيم، فأتى باللفظ المألوف المستعمل، وتخلَّصَ من فاحش الخطأ، وإنما أراد معنى قول الفرزدق: [الطويل]

وَعِـنْـدَ زِيَـادٍ لَـوْ تُـرِيـدُ عَـطَـاءَهُ رِجَـالٌ كَـثِـيـرٌ قَـدْ تَـرَى بِـهِـمُ فَـقْـرَا

---

(١) البيت للخنساء في ديوانها ص٣٨٣، والأشباه والنظائر ١/ ١٩٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٣١، ٢/ ٣٤، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٨٢، والشعر والشعراء ١/ ٣٥٤، والكتاب ١/ ٣٣٧، ولسان العرب (رهط)، (قبل)، (سوا)، والمقتضب ٤/ ٣٠٥، والمنصف ١/ ١٩٧، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٣٨٧، ٤/ ٦٨، وشرح الأشموني ١/ ٢١٣، وشرح المفصل ١/ ١١٥، والمحتسب ٢/ ٤٣.

قُـعُـودٌ لَـدَى الأبْـوَابِ طَـالِـبُ حَـاجَـةٍ عَـوَانٍ من الحاجَاتِ، أوْ حَـاجَةً بِكْـرَا[١]

أي: منهم طالبُ حاجةٍ عوانٍ: أي حاجة قد عَرَفَهَا وصارت عادةً له ورسماً يتطلَّبه في كل حين، ومنهم طالب حاجة بكر: أي أول ما يلتمسه منه ويقترحُه عنده، فأحبَّ أبو تمام أن يَزيدَ على هذا المعنى ويُغْرِب، فأخرجه ذلك إلى الخطأ.

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلي في قوله: [الطويل]

أَبَـا جَـعْـفَـرٍ يَـا بْـنَ الـجَـحَـاجِـحَـةِ الْـغـرِّ بَـدَتْ حَـاجَـةٌ، وَالْـحُـرُّ يَـأْوِي إلـى الـحُـرِّ[٢]
وَقَـدْ لَـبِـسَـتْـنِـي مِـنْـكَ بـالأمْـسِ نِـعْـمَـةٌ فَـهَـلْ لَـكَ فِـي أُخْـرَى عَـوَانٍ إلَـى بِـكْـرِ
عَـلـى أنـهـا إنْ أمْـكَـنَـتْ أوْ تَـعَـذَّرَتْ فَـإنَّـكَ بَـيْـنَ الـشُّـكْـرِ مـنِّـيَ والـعُـذْرِ

فهذه طريقة الشعراء في العَوَان والبكر.

* * *

٧ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

الـوُدُّ لِـلْـقُـرْبَـى، وَلٰـكِـنْ عُـرْفُـه لِـلأبْـعَـدِ الأوْطَـانِ دُونَ الأقْـرَبِ[٣]

لأنه نَقَصَ الممدوحَ مرتبةً من الفضل، وجعل وُدَّهُ لذوي قرابته، ومَنَعهم عُرْفَهُ، وجعله في الأبعدين دونهم، ولا أعرف له في هذا عذراً يتوجَّهُ.

وقد عارضني في معنى هذا البيتِ غيرُ واحدٍ ممن ينتحل نُصْرَة أبي تمام.

فقال بعضهم: إن العُرْف ما يَتَبَرَّع به الإنسانُ؛ فلذلك جعله في الأباعد، فأما الأقارب فإن بِرَّهم وصِلَتهم من الحقوق الواجبة اللازمة.

قلت: إن كنتَ تريد الحقوقَ التي تلزم وتجب من طريق الحكم فإن ذلك إنما هو للآباء والأجداد، والأمهات والأولاد، والأعمام والأخوال، والإخوة والأخَوَات، إذا كانوا فُقَرَاء محتاجين؛ فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقَدْرِ القوت والكفاية، وهذا لا يخرج أن يسمى معروفاً، ألا تَرَاهم يقولون: أَنِلْ أَبَاكَ مِنْ مَعْرُوفك، أو أَنِلْ أُمَّكَ

(١) تقدم البيتان مع تخريجهما.

(٢) الجحاجحة: جمع جحجاح، وهو السيد والسريع إلى الخير. والغر: جمع أغر، والمراد الأبيض. وبدت: ظهرت وعرضت. ويأوي: يركن.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣، من قصيدة يمدح بها عمرو بن طوق التغلبي. والعرف: الجود والمعروف.

من معروفك؛ فلا يكون هذا قبيحاً، بل حقاً، وقال الله عزّ وجل فيما فَرَضَ عَلَى الرجال للنساء: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فقد صار الفَرْضُ ههنا معروفاً؛ لأن المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذي قد عُرفت المصلحةُ فيه؛ فصار معهوداً معتاداً إذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره، وهذا لا يكون الإنسان محموداً به إذا أعطاه هذه الطبقَةَ من أهله حتى يُمْدَح بفعله ويُفْتَخر له به، بل يكون مذموماً إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه إلى التوسعة عليهم، والإغناء لهم، إنْ كان من ذلك ممكّناً وعليه مقتدراً، فما بال غير هؤلاء من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم، وهم بنو الأعمام الذين هم الأعضَادُ والعُدَّة، وبهم تكون النُّصرة، وكذلك بنو الأخَوَات وبنو الأخوال لم يجعل المعروفَ ـ الذي هو تَبَرُّع ـ في الأباعد دونهم ويخرجون منه.

وإن أردت الحقوق التي يُلْزِمها الإنسانُ نفسه تكرُّماً وتفضلاً فذلك حقيقة العُرْف الذي يتبرع المرء به، ويُحْمَدُ عليه، ويمدح بفعله إياهُ، وإعطائه له، ويُذَم إذا منعه. والأقاربُ على الاختلاف في طبقاتهم وأنسابهم أوْلىٰ به من الأباعِدِ؛ فمن جعله في الأباعِد دونهم فذلك منه غاية اللؤم، ونهاية العقوق، وعين الحمق، وإن وَصَفَه واصفٌ به فقد بالَغَ في ذَمِّهِ، وتَنَاهىٰ في هجائه.

وقال آخر: قوله «الود للقربى» قد جمع لهم الودَّ والعُرْفَ وغيره؛ لأن الوُدَّ يشتمل على ذلك كله، والعُرْفُ الذي خَصَّ به الأبْعَدِينَ لا يجمع الوداد؛ إذ ليس كل من أسْدَيْتَ إليه معروفاً فقد وَدِدْتَهُ، فقد أعطى ذوي القربى أكثرَ مما أعطى الأبعدين.

فقلت له: وليس كل من وددته أيضاً فقد أسْدَيْتَ إليه نائلاً ولا معروفاً، ولا يتضمن لفظُ الودّ غيرَ المحبة فقط، وعلى أن قوله «دون الأقرب» توكيد يوجب إخراج الأقارب عن العُرْف، وتخليصَهُ للأبعدين، فما معنى هذا التأويل الذي تأوَّلته؟

فأقام على أن الودَّ يجمع العُرْف والصِّلة، وهذا غير معروف، ولا موجود في كلام الناس، وقد قال المقنَّعُ الكِنْدِيُّ: [الطويل]

فإنَّ الذي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا
إذا جَمَعُوا صَرْمِي مَعاً وَقَطِيعَتي جَمَعْتُ لَهُمْ مِنِّي مَعَ الصِّلَةِ الوُدَّا[1]

(١) البيتان للمقنع الكندي في حماسة البحتري ص٢٤٠، وعجز البيت الثاني في كتاب الصناعتين ص١٢٢.

فأفصح هذا بأنه يَجْمَع لهم بين الصلة والود، وقال البحتري: [البسيط]

مَـوَدَّةٌ وَعَـطَـاءٌ مِـنْـكَ نِـلْـتُـهُـمَـا ... وَرُبَّ مُـعْـطَـى نَـوَالٍ غَـيْـرُ مَـوْدُودِ[١]

فقال «مودة وعطاء منك نلتهما» فلو كانت المودة لا تكون إلا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول مَعْنًى، وكذلك البيتُ قبله، وقال «رُبَّ مُعْطى نوال غير مودود» ورب مودود غير معطى نوال، ألا ترى إلى قول الأعشى: [البسيط]

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ في النَّفْسِ حَاجَتَهَا ... بَـعْـدَ ائْتِلاَفٍ، وَخَيْرُ الـوُدِّ مَا نَـفَـعَـا[٢]

فأراد أن الودَّ قد يكون ولا نَفْعَ معه، وقال أبو تمام: [الطويل]

قَـرَانِـي الـلُّـهَـى والـوُدَّ حَـتَّـى كَـأَنَّـمـا ... أَفَـادَ الـغِـنَـى مِـنْ نَـائِـلـي وَفَـوَائِـدِي[٣]

وعارَضَ آخر بمثل هذه المعارضة سَوَاء، فأجبته بمثل هذا الجواب، وقلت له: إن كان الأمر على ما تزعم وتركناك على شَهْوَتك في أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقَضَ إذاً هذا الشاعر نَفْسَه في البيت، فإنه إن كان أراد بقوله «الود للقربى» المحبةَ والمعروف جميعاً فقد قال في عجز البيت «ولكن عُرْفُه في الأبعد الأوطان دون الأقرب» فأخرج الأقرب من العرف بقوله «دون» فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب كان ذلك أقلَّ قبحاً من المناقضة.

فقال: إنما أراد بقوله «ولكن عرفه في الأبعدِ الأوطانِ دون الأقرب» إفْرَاد العُرْف للأبعد، وألاَّ يجمعه له مع الود كما جمعهما للأقرب.

فقلت: قوله «دون» يُفْسِد عليك هذا التأويل، وما أراك إلا قد أوضحت فيه الإحالة والمناقضة وبينتهما؛ لأنك في هذا كقائل قال: الود والمال جميعاً لزيد، والمال لعمرو مفرداً دون زيد، فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولاً ويُفرد عمراً به دون زيد آخراً؟ وهذا أقبح ما يكون من المناقضة. وإنما كان يصح هذا الكلام أن لو قال: الود والمال لزيد، والمال لعمرو دون الود؛ فيكون قد أخرج عمراً من الود إخراجاً مؤكداً بقوله «دون الود»، فأما الكلام الأول فمتناقض، كما عَرَّفتك.

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٣٢٨، من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الوهاب.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص١٥١، وكتاب الصناعتين ص١٢٢، والموشح ص٥٢.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٢، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبانة. وقراني: أضافني، من قرى الضيف يقريه قرياً. واللهى: العطايا. يريد أنه لعظيم ما لقيه به من البشر والحفاوة وغيرهما من دلائل المودة كان كمن أفاد منه الغنى.

وكذلك بيتُ أبي تمام، كان يُتأول على هذا أنْ لو قال «دون الود» لا دون الأقرب، وما ظننت أن أحَداً يدَّعي مثل هذه الدعوى، ولا أن له حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج.

ويجب أن يقال لهذا المعارض: هل يجوز عندك أن تكون مودة لا معروف معها؛ إذ ليس كل من وددته فقد أنلته معروفاً؟ فإن قال «لا» كابَرَ وسقط كلامه، وإن قال «نعم» قيل: قد أخرجت لفظةَ الود عن أن تَدُلَّ بمجردها على المعروف إلا بشيء يقترن بها.

وقال آخر: إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم في غِنًى وسعة بغناهُ وسَعَة حالِهِ؛ فلذلك أفردهم بالود.

قلت له: فإن كانوا أغنياء بغناه فقد أوسعهم من معروفه، فما كان ينبغي للشاعر أن يشرط للأباعد دونهم.

وقلت له: وكيف يُعلم أنهم أغنياء، وليس في ظاهر البيت دليل عليه؟ قال: كذا نَوَى وأراد، قلت: وليس العملُ على نية المتكلم، وإنما العمل على توجيه معاني ألفاظه، ولو حَمَلْتَ قول كلِّ قائل وفعلَ كل فاعلٍ على نيته لما نُسِبَ أحد إلى غلطٍ ولا خطإ في قول ولا فعل، ولكان من سَدَّدَ سهماً وهو يريد غرضاً فأصاب به عينَ رجلٍ فذهبت، غَيْرَ مخطىء؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض، ولا نوى غير القرطاس.

وقال آخر: أراد بقوله «ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب» أي: بَعْدَ الأقرب، كما تقول: جاءني الأمير فمن دونه، أي: فمن بَعْدَهُ.

قلت: فإنما معنى «فمن دونه» أي: فمن هو أدْوَنُ منه في الرتبة، بعده كان مجيئه أو قَبْلَه.

وقال آخر: إنما أراد أبو تمام بقوله «دون الأقرب» أي: فَضْلاً عن الأقرب أو: فكيف الأقرب؛ لأن هذا مذهَبٌ للناس: أن يضعوا «دون» في هذا الموضع فيقولوا: أنا أرْضَى بالقليل دون الكثير، أي: فضلاً عن الكثير، وأنا أقْنَعُ بقُرْصٍ من شعير دون ما سواه، أي فَضْلاً عَمَّا سواه، وهذا مذهبٌ صحيح معروف.

قلت له: هذا توهُّم منك فاسد، وتأوُّلٌ لهذا الكلام على غير وجهه المقصود؛ لأن معنى «دون» عند أهل اللغة التقصيرُ عن الغاية؛ فمعنى قوله «أنا أرضى بالقليل دون الكثير» أي أرضى بالقليل، ولا أنتهي إلى الكثير: أي لا أطمح إليه، وأرضى بقُرْص من شعير ولا أنتهي إلى ما سواه؛ فهذه حقيقة معنى هذا اللفظ، وأما ما تأوَّلتَهُ فإنما هو بمعنى «بَلْهَ» التي تأتي في الكلام وموضعُها دَعْ، كقول كُثَير: [الطويل]

بَسَطْتَ لِبَاغِي العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً تَنَالُ العِدَى، بَلْهَ الصَّدِيقِ، فُضُولُهَا[١]

أي: تنال العدى فَدَعِ الصَّدِيقَ، أي: لا تَصِلُ إلى العدى إلا بعد أن تصل إلى الصديق، و«دون» لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤدِّيهِ.

قال: فقد تأتي «دون» بمعنى فوق، كما تأتي فوق بمعنى دون، في قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]، ذكر أن معناه فما دونها؛ لأن «فوق» قد تكون عند ما هو فوقها، و«دون» قد تكون فوق عندما هو تحتها؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله «دون الأقرب» أي: فوق الأقرب، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقربَ، أو تكون «دون» ههنا بمعنى أمام؛ لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد، وأنها تأتي بمعنى خَلْف وبمعنى أمام، مثل وَرَاء؛ فيكون معنى قوله «دون الأقرب» أي: أمام عُرْفه في الأقرب، أي: قَبْلَه.

قلت له: أما ما قيل في قوله عزّ وجل: ﴿فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ معناه فما دونها فإن أهل العربية على خلاف ذلك، وليس لهذه اللغة عندهم إلا وجهان:

أحدهما: أن يكون ﴿فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ بمعنى فما هو أكبر منها؛ لأن البعوضة غايةٌ في الصغر، فيكون المعنى أنه عزّ وجل لا يستحي أن يضرب مَثَلاً ما بين هذا الشيء الذي هو نهاية الصغر إلى ما هو فوقه، أي: ما زاد عليه وتجاوزهُ.

والوجه الآخر: أن يكون ﴿فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ فما فوقها في الصغر، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي إسحاق الزَّجّاج، والكسائي مِنْ قبلهما، وأبي عُبَيْدة، وما أظن غير هؤلاء من النحويين يقول إلا مثل قولهم.

وأما ما ذكَرْتَ من أن «دون» تأتي بمعنى خَلْفَ وأمام، وأنها عند أهل العربية من الأضداد نحو «وراء» فقد أخبرتك أن معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يَمْنَة منه أو شَأْمة صَلَح في ذلك كله أن تقول: هو دونه، ألا ترى أنك إذا قلت «بُيُوت بني فلان دون الْحَرَّة»، صَلَحَ أن تكون دونها إلى مَهَبِّ الشَّمَال، أو إلى مهبِّ الجنوب، أو إلى غيرهما من الجهات؛ فلا يعلم المخاطب أيّ الجهات التي تَعْني، فليس هذا من الأضداد في شيء، وإنما جعلها قوم من الأضداد لمَّا رأوها تُسْتَعمل في هذهِ الوجوه لما فيها من الإبهام، وكذلك «وراء» إنما هي من المُوَارَاة والاستتار؛ فما اسْتَتَر عنك فهو وَرَاء: خَلْفَكَ كان أو قُدَّامك، هذا إذا لم تَرَه ولم تشاهده، وأما إذا رأيته فلا يكون أمامك ووراءك، وإنما قال لبيد: [الطويل]

(١) البيت في ديوان كثير عزة ص٢٦٠.

أَلَـيْـسَ وَرَائِـي إنْ تَـرَاخَـتْ مَـنِـيَّـتِـي لُزُومُ العَصى تُحْنَى عليها الأصَابِعُ[(١)]

بمعنى أليس أمامي؛ لأنه قال ذلك قبل أن يَرَى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] قالوا: إنه كان أمامهم، وصَلَح ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه.

فقد وضَح لك الآن معنى «دون» وأنها لا تخرج عن بابها الذي وُضعت له، ألا ترى أنك تقول: نزلتُ في القرية دون النخل؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل، وخلفه، وأن يكونَ المعنى أنك أفردت القرية بنزولك، ولم تُعَرِّج على النخل، وكذلك «لقيت زيداً دون عمرو» و«أكلت السمك دون اللبن» أخرجتَ عمراً من لقائك، واللبنَ من أكلك، وكذلك قول الطائي «دون الأقرب» قد أخرجهم من العُرْف، وهذا لا شَيْءَ أوْضَحُ منه.

وقد حمل بعضُهم نفسَه على أن قال: إنما أراد الطائي «لكن عُرْفُه في الأبعد الأوطان دون عرفه في الأقرب» وهذا من أفحش الخطأ؛ لأن قوله: «دون الأقرب» مثل قولك: «وُدِّي لزيد دون عمرو»؛ فليس معناه كمعنى قولك: وُدِّي لزيد دون وِدِّي لعمرو؛ لأنك في الأول قد أخرجت عمراً من الود وأفردت زيداً به، وفي الثاني جعلت الود لزيد دون الود لعمرو، أي: أقلَّ منه؛ فهذا معنًى وذاك معنًى آخر.

وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج «لكن» التي إنما تدخل للاستدراك من أن يكون استدْرَكَ بها شيئاً؛ فلا يكون لها في البيت معنى البتة.

وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبي تمام: إنما هذا على طريق الإيثار كما يؤثر الإنسانُ على نفسِهِ، فكذلك يُؤْثِرُ على أقاربه.

قيل له: الإيثار على النفس حَسَنٌ جداً، وصاحبُه ممدوحٌ، كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وكما قال أبو خِراشٍ الهُذَليّ: [الطويل]

أردُّ شُـجَـاعَ الـجُـوع قَـدْ تـعْـلَـمِـيـنَـهُ وَأُوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بالطُّعْمِ[(٢)]

---

(١) البيت في ديوان لبيد ص١٧٠، ولسان العرب (ورأ)، (وري)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٠٤، وتاج العروس (ورأ).

(٢) البيت لأبي خراش الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص١٢٠٠، وديوان الهذليين ٢/ ١٢٨، وكتاب الصناعتين ص٢٨٤، ولسان العرب (شجع)، (طعم)، وتهذيب اللغة ١/ ٣٣٢، ٢/ ١٩٠، وتاج العروس (قرر)، (شجع)، (طعم)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١/ ١٥٩، وأساس البلاغة (شجع)، وشجاع البطن: شدّة الجوع.

وكما قال عُرْوة بن الوَرْدِ: [الطويل]

أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُوم كَثِيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَرَاحَ الماءِ وَالمَاءُ بَارِدُ[١]

والإيثار إنما يكون إيثاراً ويَقَعُ الحمد به إذا آثر الإنسانُ غيرَه على نفسه أو على ولده، وفي بعض الأحوال فأما إذا آثَرَ بعضَ الطالبين على بعض بغير سبب يُعلم فهو بذلك مذموم وغير ممدوح، فكيف إذا آثر البعيدَ على القريب؟

وقد جاء في أشعار العرب من الحثُّ على بر الأقارب ومن حَمْد مَنْ وصَلهم وذمّ مَنْ حَرَمهم ما هو أشهر وأكثر من أن يخفى؛ قال زهير: [البسيط]

وَلَيْسَ مَانِعَ ذي قُرْبىٰ وَذِي رَحِمٍ ... يَوْماً، وَلاَ مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقا[٢]

وقال أبو دُوَاد الإياديّ: [الطويل]

إذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجالِ لِنَفْعِهِمْ ... فَرِشْ وَٱصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي[٣]

وقال حاتم الطائي: [البسيط]

لاَ تَعْذِلِينِي عَلى مالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رَحْماً قَرِيباً؛ فَخَيْرُ المَالِ ما وَصَلا[٤]

وقال أوس بن حَجَر: [الطويل]

أَلَيْسَ بِوَهَّابٍ مُفِيدٍ وَمُتْلِفٍ ... وَصُولٍ لِذِي قُرْبىٰ هَضِيم لِمُهْتَضَمْ[٥]؟

وقال زهير: [الطويل]

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ ... بِمَالٍ، وما يَدْرِي بِأنَّكَ وَاصِلُهْ[٦]

---

(١) البيت في ديوان عروة بن الورد ص٥١.

(٢) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٥٣، ولسان العرب (خبط)، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٥١، ٧/ ٢٥٠، وجمهرة اللغة ص٢٩١، وأساس البلاغة (خبط)، وتاج العروس (خبط)، وبلا نسبة في لسان العرب (عدم)، وتاج العروس (عدم).

(٣) البيت ليس في ديوان أبي دؤاد الإيادي، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (ريش)، وكتاب الصناعتين ص١٢٣.

(٤) البيت في ديوان حاتم الطائي ص١٩٣، ورواية عجز البيت في الديوان:
رحماً وخير سبيل المال ما وصلا

(٥) البيت في ديوان أوس بن حجر ص١٢٤، ورواية عجز البيت في الديوان:
وصول لذي قربى هضيم لمهضمِ

(٦) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص١٤٢.

وقال كثير: [الطويل]

بَسَطْتَ لِبَاغِي العُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً ... تَنَالُ العِدَى - بَلْهَ الصَّدِيقَ - فُضُولُهَا(١)

هذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائي؛ لأنه أراد أن عُرْفَه ينال العدى فضلاً عن الصديق؛ لأن قوله «بَلْهَ الصديقَ» أي: فَدَعِ الصديقَ لأنه لا يصل إلى العِدَى إلا بعد أن يصل إلى الصديق؛ قال كُثَير أيضاً: [الوافر]

لأهْلِ الوُدِّ وَالقُرْبَى عَلَيْهِ ... صَنَائِعُ بَثُّهَا بَرٌّ وَصُولُ

ولِلْفُقَرَاءِ عَائِدَةٌ وَرَحْمٌ ... فَلاَ يُقْصَى الفقيرُ ولا يُعِيلُ(٢)

ألا تراه بدأ بأهل وده وقرابته فجعل صنائعه فيهم، ثم ثَنَّى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورَحْمَا: أي رحمة؟ وقال كثير أيضاً: [الطويل]

ولَمْ يَبْلُغِ السَّاعُونَ في المَجْدِ سَعْيَهُ ... ولم يُفْضِلُوا إفْضَالَهُ في الأقَارِبِ

جَزَتْكَ الجَوَازِي عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً ... وَقَرَّبْتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وَرَاغِبِ

وصاحِبِ قوم مُغْصِم بِكَ حَقُّهُ ... وَجَارِ ابن ذي قربى وآخر جانب

رَأَيْتُكَ وَالمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... تَعُمُّ بخَيْرٍ كلَّ جَادٍ وَغَائِبِ(٣)

«جادٍ» يقال: فلانٌ يَجْدُو ويَجْتَدِي، أي: تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك؛ فجعل كُثَيِّر كما ترى معروفَه عُموماً في الأقارب وفي الأباعد إلى الحاضر والغائب. وقال ابنُ هَرْمَة: [البسيط]

كم نَالٍ وَصِلاَتٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهَا ... وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لاَ تُحْصَى أيَادِيهَا

عِنْدَ الأقَارِبِ وَالأقْصَيْنَ نَفْعُهُمَا ... بِيضٌ روائحها، تَحْدُو غَوَادِيهَا(٤)

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفي: [الطويل]

صَلاَةٌ وَتَسْبِيحٌ وَإعْطَاءُ نَائِلٍ ... وَذُو رَحِمٍ تَنَالُهُ مِنْكَ إصْبَعُ(٥)

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.
(٢) البيتان في ديوان كثير عزة ص٣٣١.
(٣) الأبيات في ديوان كثير عزة ص٣٤١.
(٤) البيتان ليسا في ديوان ابن هرمة، ولم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

يريد بقوله إصبع معروف ونائل.

وقال إسماعيل بن يَسَار النسائي: [الكامل]

وإذا أصَبْتَ مِنَ النَّوَافِلِ رَغْبَةً فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الأدَانِيَ فَضْلَهَا[١]

وقال المسيب بن عَلَسٍ في منع الأقارب: [المتقارب]

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأبْعَدِينَ وَيَشْقَى بِهِ الأقْرَبُ الأقْرَبُ[٢]

وقال الحارث بن كَلْدة الثقفي يذم فاعل ذلك: [الطويل]

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الأباعِدَ نَفْعُهُ وَيَشْقَى بِهِ - حَتَّى المَمَاتِ - أقَارِبُهْ
فَإنْ يَكُ خَيْرٌ، فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ وَإنْ يَكُ شَرٌّ، فَابنُ عَمِّكَ صَاحِبُهْ[٣]

فقد تراه كيف ذَمَّ على حرمان القريب.

وقال مُسَافر بن أبي عمرو بن أمية في نحو ذلك: [الطويل]

تَمُدُّ إلى الأقْصَى بِثَدْيِكَ كُلِّهِ وَأَنْتَ عَلَى الأدْنَى صَرُورٌ مُجَدَّدُ
وَإنكَ لو أصْلَحْتَ مَنْ أَنْتَ مُفْسِدٌ تَوَدَّدَكَ الأقْصَى الذي تَتَوَدَّدُ[٤]

الصَّرُور: الضيق حَلَمة الثدي؛ والمجدّد: الذي انقطع لبنه.

فهذه طريقة القوم في هذا، وهذا مذهب سائر الأمم.

وأما قول أبي تمام: [البسيط]

وَرُبَّمَا عَدَلَتْ كَفُّ الكَرِيمِ عَنِ الْـ ـقَوْمِ الْحُضُورِ، وَنَالَتْ مَعْشَراً غُيُبَا[٥]

فليس هو من بيتِهِ الأولِ في شيء، وقد أدرك فيه الغرض، كأنه يَعْذِرُ مَنْ فَعَلَ هذا: أي ربما اتفق أن يفعله من غير قصد أيضاً، وليس هذا بمحمود.

وقد ذهب البحتري إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال: [البسيط]

---

(١) البيت في كتاب الصناعتين ص١٢٣.

(٢) البيت في ديوان المسيب بن علس ص٦٠٤، وكتاب الصناعتين ص١٢٣.

(٣) البيتان لشيخ من الأزد يقوله في محمد بن يحيى وقد مدحه في أمالي القالي ٣/ ٢٢٠، وبلا نسبة في لسان العرب (بعد)، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٤٦، وأساس البلاغة (بعد)، وكتاب العين ٢/ ٥٣، وتاج العروس (بعد).

(٤) البيتان في كتاب الصناعتين ص١٢٣.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.

بَلْ كانَ أقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ نَسَباً مَنْ كانَ أبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا[١]

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة.

ونحوُ هذا قولُ البحتري أيضاً: [الطويل]

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً: فَفِيكُمْ نَوَالُهُ، وفي سِرِّ نَبْهَانَ بْنِ عَمرو مَآثِرُه
وَمَا عَجَبٌ أنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ وما عَشَرَتُكُمْ في نَدَاهُ عَشائِرُهُ[٢]

فأي قسمة عَدْل ههنا: أن يجعل نَدَاه في غير قومه، ويقتصر بهم على أن يَحُوزوا الفخر بمآثرِهِ؟ وإن كان قد دَلَّ بقوله «وما عَشَرَتكم في نَدَاه عشائره» على أنه لم يحرمهم نواله البتة.

والأحسنُ في هذا قولُه: [الطويل]

فإنْ تَنْفَرِدْ عَنّا قُشَيْرٌ بِمَجْدِهِ فلم تنفرد عنا بِنَائِلِهِ الجَزْلِ[٣]

فأعطاهم المجدَ والنائلَ جميعاً.

وشبيهٌ بهذا أو قريبٌ منه قولُه: [الطويل]

عَطَاؤُكَ ذَا القُرْبىٰ جَزِيلٌ، وفَوْقَهُ عَطَاؤُكَ في أهْلِ الشَّنَاءَةِ والبُعْدِ[٤]

فقال «عطاؤك ذا القربى جزيل» ثم قال «وفوقه عطاؤك في أهل الشناءة والبعد» فقوله «وفوقه» أي: أجْزَلُ منه، وقد يكون «فوقه» بمعنى زيادة عليه، والمعنى الأول بالبيت ألْيَقُ.

والجيدُ في هذا البعيدُ من العيب قولُه: [الخفيف]

ظَلَّ فِيهَا البَعِيدُ القَرِيبَ الـ مُجْتَبَى والعَدُوُّ مِثْلَ الصَّدِيقِ[٥]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/١٢٧، من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة، والسيب: العطاء. والجذم: الأصل، والرحم: القرابة وصلة النسب. وانظر أيضاً الصناعتين ص١٢٣.

(٢) البيتان في ديوان البحتري ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. ورواية عجز البيت الأول في الديوان:

وفي سِرْو نبهان بن عمرو مآثرُهْ

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٣٤٢، من قصيدة يمدح بها أبا صالح بن عمار.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٠١، من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي، والشناءة: البغض.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٦، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي. وفي الديوان: «المختتى» بدل: «المجتبى».

يريد نعمته ولا أعرف لأبي تمام فيما قال عذراً يتوجَّهُ، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسي: [البسيط]

لِـمَـنْ يَـزُورُكَ مِـنْ أَشْـرَافِـنَـا لَـطَـفٌ وَذِي الْـقَـرَابَـةِ إِدْنَـاءٌ وَتَـقْـرِيـبُ

وأظن أبا تمام عَثَرَ به واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى ذمّ الممدوح؛ لأن هذا الشاعر قال «لمن يزُورُكَ من أشرافنا لَطَفٌ» أي: بر، «ولذي القَرَابةِ إدناء وتقريب» ولم يقل إدناء وتقريب دون البر، كما قال أبو تمام؛ لأن البر واللَّطَفَ إذا كانا للغريب الزائر، وكان الإدناء والتقريب في تلك الحال لذي القرابة ـ فقد يجوز أن يمنحه البرَّ واللَّطَفَ في حالٍ أخرى ووقتٍ آخَرَ، ولا يوصِلُ البرَّ إليه في وقتِ إيصالِه إلى الغريب، وهذا إن كان يقع في الأكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله.

ولله در أبي عُبَادة الوليد بن عبيدٍ البحتري إذ يقول في هذا المعنى: [البسيط]

مَـا إِنْ يَـزَالُ الـنَّـدَى يُـدْنِـي إِلَـيْـهِ يَـداً مُـمْـتَـاحَـةً مِـنْ بَـعِـيـدِ الـدَّارِ وَالـرَّحِـمِ(١)

وقوله: [السريع]

وَمَـا أَضَـعْـتَ الْـحَـقَّ فِـي أَجْـنَـبٍ فَـكَـيْـفَ تَـنْـسَـى وَاجِـباً فِـي شَـقِـيـقْ(٢)؟

* * *

٨ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

يَـدِي لِـمَـنْ شَـاءَ رَهْـنٌ لَـمْ يَـذُقْ جُـرَعـاً مِنْ رَاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ(٣)

لفظ هذا البيت مَبْنِيٌّ على فساد؛ لكثرة ما فيه من الحذف؛ فكأنه أراد بقوله «يَدِي لمن شاء رهن» أي: أصافحُهُ وأبايعه مُعَاقَدَةً أو مراهنة إن كان مَنْ لم يذق جُرَعاً من راحتيك دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ، ومثلُ هذا لا يَسُوغُ؛ لأنه حذف «إن» التي تدخل للشرط، ولا يجوز حذفها؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط، وحَذَف «مَنْ» وهي الاسم الذي صِلَتُه «لم يذق» فاختلَّ البيت، وأشكل معناه.

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٤٢، من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وممتاحة: مستجدية.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/١٥٥، من قصيدة يمدح بها المعتمد على الله. وفي الديوان: «الشقيق» بدل: «شقيق».

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٥، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. والصاب: عصير نبات مرّ.

والحذفُ لعمري كثيرٌ في كلام العرب، إذا كان المحذوف مما تدلُّ عليه جملةُ الكلام، قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، أراد عزّ وجلّ أوَ لم يتفكروا فيعلموا أنه ما خلق ذلك إلا بالحق، أوَ لم يتفكروا فيقولوا، وأشْبَاهُ هذا كثيرٌ.

ومن باب الحذف والاختصار قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال أبو عبيدة: العربُ تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد، كأنه أراد فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم، وقوله عزّ وجل: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] يفسر ضعفَ عذابِ الحياة وضعفَ عذابِ المماتِ، وفي الشعر مثل هذا موجود، قال الشاعر: [الرجز]

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَأْثَمِ ... يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمِ[(١)]

يريد أحَدٌ يفضلها، فحذف «أحد»؛ لأن الكلام يدلّ عليه، ذكَرَ ذلك سيبويه.
وأنشدَ في باب الحذف: [الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ، وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ[(٢)]

يريد فمنهما تارة أموت.

فإن تأوّل متأوِّلٌ هذا البيتَ على ألفاظٍ أُخَرَ محذوفة غير اللفظ الذي ذكرتُهُ فالاختلال بعدُ قائم؛ لكثرةِ ما حُذِف منه، وسقوطِ الدليل عليه.

* * *

(١) الرجز لحكيم بن معية في خزانة الأدب ٥/ ٦٢، ٦٣، وله أو لحميد الأرقط في الدرر ٦/ ١٩، ولأبي الأسود الحماني في شرح المفصل ٣/ ٥٩، ٦١، والمقاصد النحوية ٤/ ٧١، ولأبي الأسود الجمالي في شرح التصريح ٢/ ١١٨، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٣/ ٣٢٠، والخصائص ٢/ ٣٧٠، وشرح الأشموني ٢/ ٤٠٠، وشرح عمدة الحافظ ص٥٤٧، والكتاب ٢/ ٣٤٥، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٠، والمخصص ١٤/ ٣٠، وتاج العروس (أثم).

(٢) البيت لتميم بن مقبل في ديوانه ص٢٤، وحماسة البحتري ص١٢٣، والحيوان ٣/ ٤٨، وخزانة الأدب ٥/ ٥٥، والدرر ٦/ ١٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١١٤، وشرح شواهد الإيضاح ص٦٣٤، والكتاب ٢/ ٣٤٦، ولسان العرب (كدح)، ولعجير السلولي في سمط اللآلي ص٢٠٥، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠/ ١٧٥، وشرح عمدة الحافظ ص٥٤٧، ولسان العرب (ثور)، والمحتسب ١/ ١١٢، والمقتضب ٢/ ١٣٨، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٠.

٩ ـ ومن خطئه قولُه: [الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدِي ومَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائعُ مِنْ بُرْدِ[1]

جعل الوشائعَ حواشيَ البردِ أو شيئاً منها، وليس الأمر كذلك، إنما الوشائع غَزْلٌ من اللُّحْمَة ملفوفٌ يجرُّه الناسجُ بين طاقات السَّدَى عند النِّساجة. قال ذو الرمة: [الطويل]

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسْجِ الْيَمَانِي بُرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ[2]

فأما قول كُثَيِّر: [الطويل]

دِيَارٌ عَفَتْ مِنْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بَعْدَمَا تُجِدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشِيعَ الْمُنَمْنَمَا[3]

فإنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ به الخصاصة بين الشيئين، وهو من وشائع الغزل مأخوذ، والمنمنم: مأخوذ من النَّمَّام[4]، أي بعدما كانت هذه الديار تُجَدُّ بالوشيع، أي: يخصص به خيامُهَا.

ومثل أبي تمام لا يسوغ له الغلط في مثل هذا؛ لأنه حَضَرِي، وإنما يُسَامَح في ذلك البَدَوِيُّ الذي يريد الشيء ولم يُعَاينه فيذكر غيره؛ لقلة خُبْره بالأشياء التي تكون بالأمْصَار.

وأما أبو تمام فليست هذه حالَه، بل ما جَهل هذا، ولكنه سامح نفسه فيه، ألا ترى إلى قوله في موضع آخر يصف قصيدةً: [البسيط]

الجِدُّ وَالْهَزْلُ فِي تَوْشِيعِ لُحْمَتِهَا وَالنُّبْلُ وَالسُّخْفُ وَالأَشْجَانُ وَالطَّرَبُ[5]

فقال «في توشيع لحمتها».

* * *

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٠، من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه. وأقوت: خلت من السكان. والمغاني: جمع مغنى وهو المنزل الذي أقام به أهله ثم ظعنوا. ومحّ الثوب: بلي. والوشائع: جمع وشيعة، وهي الغزل الملفوف من اللُّحمة التي يداخلها الناسج بين السدى. والبرد: الثوب المخطط.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص٧٧٨، ولسان العرب (وشع)، وكتاب العين ٢/ ١٩٢، وأساس البلاغة (وشع)، وتاج العروس (وشع)، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٧٢.

(٣) البيت في ديوان كثير عزة ص١٣٣، وفي الديوان: «الوشيع المنمما» بدل: «الوشيع المنمنما».

(٤) النمام، بفتح النون وتشديد الميم: نبت طيب الريح.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٣، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات. وتوشيع اللحمة: لفها بعد الندف. والنبل: الذكاء. والسخف: النزاقة والخفة والطيش. والأشجان: الأحزان، واحدها شجن، بفتح الشين والجيم جميعاً.

١٠ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

لَـوْ كـانَ فِـي عَـاجِـلٍ مِـنْ آجِـلٍ بَـدَلٌ   لَـكَـانَ فِـي وَعْـدِهِ مِـنْ رِفْـدِهِ بَـدَلُ(١)

ولِمَ لا يكون في عاجل من آجِلٍ بَدَلٌ؟ والناسُ كلهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل، ألا ترى قولَ القائل الذي قد صار مثلاً: [الكامل]

* وَالـنَّـفْـسُ مُـولَـعَـةٌ بِـحُـبِّ الْـعَـاجِـلِ(٢) *

والعاجل أبداً هو المطلوبُ والمرغوب فيه، حتى إن قليلَه يُؤثَر على كثير الآجل، كما قال الآخر: [المتقارب]

أعَـاذِلَ، عَـاجِـلُ مَـا أشْـتَـهِـي   أَحَـبُّ مِـنَ الأكْـثَـرِ الـرَّائِـثِ(٣)

كأنه يريد عاجلُ ما أشتهي مع القلة أحبُّ إليَّ من الأكثر المُبْطيء؛ فمن شأن العاجل أبداً أن يكون أفضلَ الأعواض والأبدال من كل آجل إذا كان في الخير، فعاجل الخير خير من آجله، كما أن عاجلَ الشر شر من آجله؛ لأن العاجل شيء قد وقع: إن كان خيراً فقد حصل نفعه، أو شراً فقد تعجَّل ضَرَرُه، وآجل الخير يُخْشى فَوْتُه، وربما وقع الإخفاق منه، كما أن آجل الشر يُرجى زواله، وربما لم يقع، فكيف لا يكون العاجلُ بدلاً أو خَلَفاً من الآجل؟

فإن قال قائل: إن الذي أراده أبو تمام وقاله صحيح، ومذهبه فيه مستقيم؛ لأن العاجل لا يكون أبداً بدلاً ولا خَلَفاً من الآجل؛ لأن البَدَل لا يكون قبل المبدلِ منه، ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خَلْفَ الذي هو قُدَّامه؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجلُ بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل.

قيل: هذا غلط من التأويل أو مغالطة؛ لأنه ليس على هذا الوجه مَنَع أبو تمام من أن يكون العاجلُ بدلاً من الآجل؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه في الحاجة إليه، فكيف يكون الأول يقوم

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٥، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. والرفد: العطاء.

(٢) صدره:

إنـي لآمـل مـنـك خـيـراً عـاجـلاً

والبيت لجرير بن عطية في ديوانه ص٩٣٢.

(٣) البيت لعبد الله بن عبد الله بن مسعود في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٢٨.

مقام الثاني والمتقدم مقام المتأخر؟ وكان وَجْه الكلام الذي يصح به المعنى ويستقيم أن يقول: لو كان في عاجِلِ قولٍ بدلٌ من آجلِ فعلٍ لكان في وعده من رِفْدِهِ بَدَل.

فإن قال: فهذا هو الذي أراد أبو تمام.

قيل: ليس الأمر كذلك؛ لأن طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل.

وبعد؛ فلو أراد ما ظننتَه وذهبتَ إليه ـ وذلك ليس بمعلوم، ولا في البيت عليه دليل ـ لم يُلْتَفت إلى إرادته؛ لأنك إذا فصلت الإضافة من عاجل قول أو آجل فعلٍ ففرقت بين المضاف والمضاف إليه لم يدلّ أحدهما على الآخر؛ لأن لفظة «عاجل» لا تدلّ غيرَ مضافةٍ على ما تدلّ عليه لفظة «عاجل قولٍ» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجل فعلٍ» ولا يدلان أيضاً على شيء مُضْمَر، كما أن قولك: «زيد أولُ ناطقٍ وآخِرُ ساكتٍ، وعمرو أولُ خارج وآخر قادم، وبكر أولُ آخِذٍ وآخر تارك» إذا أفردت «أول» و«آخر» لم يدلاّ على شيء مما أضيفَ إليه. ألا ترى أن الأصمعيَّ أنكر على ذي الرُّمة قولَه يصف الوتر: [البسيط]

* كـأنـهُ فـي نِـيَـاطِ الْـقَـوْسِ حُـلْـقُـومُ[1] *

فقال: حُلقُوم ماذا؟ إذ كان يجب أن يقول: حلقوم طائر، أو حلقوم قَطَاةٍ، أو غيرهما مما يُشْبِهُ الوتَرَ في الدِّقَّةِ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل، أو حلقوم بعير، وهذا من الأصمعي إنكارٌ صحيحٌ، وإن كان لا يلزم ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام؛ لأن العرب لا تُشَبه الوتر إلا بحلقوم الطائر.

وذلك قول الراجز: [الرجز]

* لأم مـمـرٌ مِـثْـلِ حُـلْـقُـومِ الـنُّـغَـرْ[2] *

أخذه أبو نُواسٍ فقال: [الرجز]

* لأم كـحـلـقـوم الـنُّـغَـرْ[3] *

---

(١) صدره:

يـؤود مـن مـتـنـهـا مـتـنٌ ويـجـذبـه

والبيت في ديوان ذي الرمة ص٤٢٢.

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) الرجز في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

وبـلـدة فـيـهـا زوز

وقال الراجز: [الرجز]

* لأم كَـحُـلـقُـوم الْـقَـطَـاةِ تَـغْـتَـرِفْ[١] *

وأبو تمام إنما أراد أن هذا الممدوح يقيم وَغْدَه لصحته مُقام عَطِيَّتِهِ، وأَحَبَّ الإغراق على رَسْمه فأخطأ في تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل؛ لأنه أطلق القولَ عموماً لا يدل على الخصوص.

والجيدُ النادرُ في هذا قولُ البحتري: [الخفيف]

لَـوْ قَـلِـيـلٌ كـفـى ٱمْـرَأً مِـنْ كَـثِـيـرٍ ... لاكْـتَـفَـيْـنَـا بِـقَـوْلِـهِ مِـنْ فِـعَـالِـهْ[٢]

وأَحْسَنَ الراعي في قوله: [البسيط]

ضَـافِـي الْـعَـطِـيَّـةِ: رَاجِـيـه وَسَـائِـلُـهُ ... سِيَّانِ، أَفْلَحَ مَنْ يُعْطِي وَمَنْ يَعِدُ[٣]

* * *

١١ ـ ومن خطئه قوله: [الطويل]

بِيَـوْمٍ كَـطُـولِ الـدَّهْـرِ فـي عَـرْضِ مِـثْـلِـهِ ... وَوَجْـدِيَ مِـنْ هٰـذا وَهٰـذاكَ أَطْـوَلُ[٤]

فجعلَ للدهر ـ وهو الزمان ـ عَرْضاً، وذلك مَحْض المحال، وعلى أنه ما كانت به إليه حاجة؛ لأنه قد استوفى المعنى بقوله: «كطول الدهر» فأتى على العرض في المبالغة.

فإن قيل: فلِمَ لا يكون سَعَةً ومجازاً؟

قيل: هذهِ ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة، وهي بعيدة من المجاز؛ لأن المجاز في هذا له صورة معروفة، وألفاظ مألوفة معتادة، لا يُتَجاوز في النطق بها إلى ما سواها، وهي قول الناس: عِشْنا في خَفض ودَعَة زماناً طويلاً عريضاً، وما زلنا في رخاءٍ ونَعْمَةٍ الدهرَ الطويلَ العريض. وإنما أرادوا إتمامَه وكمالَه واتِّساعَه لهم بما أَحَبُّوهُ؛ لأنهم إذا وصَفُوا بالطول والعَرْضِ ما له طول وعرضٌ على الحقيقة فإنما

(١) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٦٤، من قصيدة يمدح بها بعض بني حميد.
(٣) البيت في ديوان الراعي النميري ص٥٨.
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣٠، من قصيدة يمدح بها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي. وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٧.

يريدون تمامه وكماله وسَعَته، نحو قولهم: ثوبٌ طويل عريض، أي: تامّ واسع، وأرض طويلة عريضة، أي: تامة في الطول والسَّعة، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال، ألا ترى إلى قول الراعي: [البسيط]

أَنْتَ ٱبْنُ فَرْعَيْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَاسِمُها ... في الْمَجْدِ صَارَ إلَيْكَ الْعَرْضُ وَالطُّول[1]

فاستعار للمجد ههنا الطول والعَرْض؛ لأنه أراد صار إليك المجد بتمامه وكماله، وكذلك قول كثير: [الوافر]

بِطَاحِيٌّ لَهُ نَسَبٌ مُصَفًّى ... وأخْلاقٌ لَهَا عَرْضٌ وطُولُ[2]

أي: لها سَعَة وتمام وكمال في الفضائل والمحاسن، وكذلك قوله: [الطويل]

إذا ٱبْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ بَزَّهُمْ ... عَرَاضَةُ أَخْلاَقِ ٱبْنِ لَيْلَى وطُولُها[3]

أي بَزَّهم منه أخلاقُه وتمامُها وكمالُها في الفضل؛ لأن الأخلاق تمْدَحُ بالسَّعة وتُذَمُّ بالضيق، إلا أن أكثر ما يأتي في كلامهم العَرْضُ المراد به السَّعة إذا جاء مفرداً عن الطول، نحو قولهم: فلان في نِعْمَةٍ عريضة، وله جاهٌ عريض، وكما قال الله عزّ وجل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي: سَعتها، وكما قال الله عزّ وجل في موضع آخر: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، وكما قال تميم بن أبيّ بن مُقْبل: [الكامل]

يَقْطَعْنَ عَرْضَ الأرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ ... وكَأَنَّ بَخْرَيْهَا لَهُنَّ صَحَارِ[4]

أي: يقطعْنَ سَعَة الأرض، وكما قال الآخر: [الطويل]

سَأَجْعَلُ عَرْضَ الأرْضِ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ ... وأجْعَلُ بَيْتِي في غَنِيٍّ وأعْصُرِ[5]

---

(١) البيت في ديوان الراعي النميري ص١٩٤، والبيت لكثير عزة في كتاب الصناعتين ص١٢٧، وليس في ديوانه.
(٢) البيت في ديوان كثير عزة ص٣١٤، وكتاب الصناعتين ص١٢٧.
(٣) البيت لجرير في ذيل ديوانه ص١٠٣٣، ولسان العرب (عرض)، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٠، ولكثير عزة في ديوانه ص٣٠٤، وخزانة الأدب ٨/ ٤٧٧، ولجرير أو لكثير في تاج العروس (عرض)، وبلا نسبة في مجمل اللغة ٣/ ٤٦٨.
(٤) البيت في ديوان ابن مقبل ص١١٩.
(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

وكما قال العجاج: [الرجز]

إذا تَـغَـشَّـوْا بـعـدَ أرضٍ أرضَـا   حَسِبْتَهُمْ زادوا عليها عَرْضَا[١]

أي: سعة وكثرة، وكما قال تميم بن أبَيّ بن مُقْبِل أيضاً: [البسيط]

حَتَّى إذا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَباً   عَرْضَ البِلاَدِ أشَتَّ الأمْرُ وَاختَلَفَا[٢]

أي: سعة البلاد؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حَسُن ولم يقبح، وإذا عدلْتَ به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً؛ لأنك إذا قلت: «مضى لنا في الخَفْضِ والدَّعَة دَهْرٌ طويل كأن طوله كعرضه» لم يَجُزْ ذلك؛ لأن هذا على هذا الترتيب كأنه وصفٌ لأشياء مجسَّمة، كما قال الطائي: [الطويل]

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ[٣] *

فكانَ بهذا اللفظِ كأنه يَذْرَعُ ثوباً أو يمسح أرضاً أو يصف بالاجتماع والتَّدْوير رجلاً، كما قال تميم بن أبيّ بن مُقْبِل: [الطويل]

وكُلُّ يَمَانٍ طُولُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ   فَلَيْسَ لَهُ أصْلٌ ولا طَرَفَانِ[٤]

فإن قيل: فإذا جعلت للزمان العرض الذي هو سعة على المجاز فَلِمَ لا تجعل له العرض الذي هو خلاف الطول على المجاز؟

قيل له: العرض الذي هو خلاف الطول حقيقة، والزمان لا عرض له على الحقيقة، فكيف تكون الحقيقة مجازاً؟

فإن قيل: فإن الزمان لا يُوصَفُ بالسعة، كما لا يوصف بالعرض، فَلِمَ ٱستعرت له العرض الذي هو السعة؟

---

(١) الرجز في ديوان العجاج ١/ ١٣٢.

(٢) البيت في ديوان ابن مقبل ص١٨٢، ورواية صدر البيت في الديوان:

حتى إذا الريح هاجت بالسفا خبتاً

(٣) عجزه:

ووجدي من هذا وهذال أطولُ

وتقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

(٤) البيت ليس في ديوان ابن مقبل، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

قيل: العرض ـ وإن جاء وَصْفاً وحِلْيَة للزمان في قولهم: عاش فلان في نعمة زمناً طويلاً عريضاً ـ فإنما صلح لأنك وَصَلته بالطول، وقَرَنْته به، فكأن المعنى عاش في زمن تمَّ له وكمل واتَّسَعَ، كما أخبرتك، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال: قد اتَّسع لك الوقت والزمان في فِعْلِ كذا، ولا يقال عَرُضَ لك في الوقت سَعَة، والعرض ههنا هو السعة، ولكن أجرى هذا على حسب ما استعملوه، وإنما يُرَاد في الوقت فُسْحة لك وامتداد يراد به معنى الطول، وقال ضِرَارُ بن الخطاب: [الطويل]

وَلَــوْلاَ هَــاجِــرٌ وَبَــنُــو قِــتَــالٍ وَمَـا لاَقَـيْـتُ فـي الـزَّمَـنِ الـعَـرِيـضِ(١)

فذكر العرض مفرداً عن الطول: أي الزمن الذي اتَّسَعَ لك، وقد يجوز ـ إن قلت: عاش في الخير دهراً عَرِيضاً ـ أن تُرِيدَ بالعرض سعة الخير فيه، لا سعته في نفسه، كما قالوا «ليل نائم» أي: يُنَام فيه، «ولَمْحٌ باصر» أي: يُبْصَرُ بِهِ.

وإنما تُسْتعار اللفظة لغير ما هي له إذا احْتَمَلَت معنًى يصلح لذلك الشيء الذي استعيرت له ويليق به؛ لأن الكلام إنما هو مبنيٌّ على الفائدة في حقيقته ومجازه، وإذا لم تتعلق اللفظة المُسْتَعَارَةُ بفائدة في النطق فلا وَجْهَ لاستعارتها، ولو كان الزمان يوصف بالعرض على الحقيقة ـ وهذا محال ـ لَمَا كان في بيت أبي تمام معنى؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ في طول وَجْدِه؛ إذ كان الوَجْد يوصف بالطول، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما؛ فيقال: طال وَجْدِي، وطال شوقي، وطال غرامي.

وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول؛ فيقال: طال ليلي، وطال نهاري، فما كانت حاجة إلى العرض؛ وإنما فضل وَجْدُه على الدهر وعلى اليوم الذي جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض، ألا تراه قال: [الطويل]

* وَوَجْــدِيَ مِــنْ هٰــذَا وهٰــذاكَ أطْــوَلُ *

وقد ذكر أبو تمام العرض في بيت آخر فقال: [الكامل]

إنَّ الـثَّـنَـاءَ يَـسِـيـرُ عَـرْضـاً فـي الـوَرَى وَمَـحَـلُّـهُ فـي الـطُّـولِ فَـوْقَ الأنْـجُـمِ(٢)

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة.

وكيف يُعْقَلُ سَيْر الثناء عَرْضاً في الورى وهو لم يحدِّد موضعاً بعينه فيحسن فيه ذكر الطول أو العرض، فيكون كما قال الراعي: [الكامل]

وجرَى عَلَى حَرْبِ الصُّوَى فَطَرَدْتُهُ طَرْدَ الوَسِيقَةِ في السَّمَاوَةِ طُولا[1]

فحسن أن يقول «طولاً» لأنه ذكر السماوة، كما قال النابغة، ويقال: إنه محمول عليه: [الوافر]

جُنِبْنَ مَعَ الغُطَاطِ يُقَدْنَ حَتَّى قَطَعْنَ الْحَزْنَ عَرْضاً والرِّمالا[2]

فصلح لأنه ذكر أنهن قطعن أرضَ الحزن والرمال؛ ومثلُ قولِ أبي تمام قولُ المَرَّار: [الوافر]

فَلَوْ كانَتْ تَجُوبُ الأرْضَ عَرْضاً ولكن جَوْبُهُنَّ الأرْضَ طُولا[3]

وله، ولبيت أبي تمام معنى غامض يَصِحَّانِ به، وأنا أذكره مع شرح المعاني الغامضة من شعر أبي تمام.

ومما يشبه قول أبي تمام: [الطويل]

* بيوم كطول الدهر في عَرْض مثله *

أو يقاربه قولُ الكمَيْتِ يصف عِدَّةَ قوم بالكثرة: [مجزوء الكامل]

كاللَّيْلِ، لا، بَلْ يَضْعُفُو نَ عَلَيْهِ مِنْ بَادٍ وَحَاضِرْ[4]

وكيف يتحصَّل مقدار الليل حتى يتحصَّل ضِعْفُه؟!

وهذا أيضاً يصح على السَّبْر والتفتيش، إذا حصل معناه، وذلك أن الليل لا يغشى الأرض كلها بظلمته، وإنما يغشى بعضها، فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها، على سبيل المبالغة، وكما قال الأحمر بن شجاع الكلبي: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان الراعي النميري ص٢٣٧. والوسيقة من الإبل، كالرفقة من الناس. فإذا سرقت طردت معها. والسماوة: موضع بين الكوفة والشام بجوار صحراء تنسب إليها.

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. والغطاط، بضم الغين: الصبح، أو بقية من سواد الليل، والسحر.

(٣) البيت في ديوان المرار بن سعيد الفقعسي ص٤٧٦.

(٤) البيت في ديوان الكميت بن زيد الأسدي ١/٢٣٩.

بِـجَـأْوَاء تُـغْـشِـي الـنَّـاظِـرِيـنَ كـأَنَّـهَـا دجُى الليلِ، بل هِي مِنْ دُجَى الليل أكْثَرُ[1]

* * *

١٢ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

وَرَحْـبَ صَـدْرٍ لَـوَ اَنَّ الأرْضَ وَاسِـعَـةٌ كَـوُسْـعِـهِ، لـم يَـضِـقْ عَـنْ أَهْـلِـهِ بَـلَـدُ[2]

وهذا أيضاً غلط؛ من أجل أن كلَّ بلد يضيق بأهله، وليس ضيقُه من جهة ضيق الأرض؛ لأن الأرض لو كانت واسعةً عشرة أضعافها في المقدار، أو ألفَ ضِعْفِ مثلها لَمَا كان ذلك بموجب أن يكون الحَزْنُ أو الصَّمانُ أو الغول أو نجد أو المدينة أو مكة أو الكوفة أو البصرة، في قدر مساحة كل ناحية منها، أو أوسع وأزيد مما هي عليه الآن، إذ لم يختطّ البصرةَ والكوفة من اختطهما، ولا أسَّس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض وضيقها، ولا صار قدرُ الحزْنِ والصمَّان هذا القدرَ، في ذَرْعِهما ومساحتهما على قدر مساحة الأرض وذرعها بقسطٍ أخذاه منها، وإنما ذلك على حسب ما أدّى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسَّس كل بلدة ومَصَّر كل مصر.

وكان ينبغي أن يقول: ورَحْبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك ولَضَاقت عنها السماء، أو أن يقول: لو أن سَعَة كل بلد أو مِصْرٍ كَسَعَةِ صدره لم يضق عن أهله بلد، وكان حينئذ يكون المعنى لائقاً مستقيماً.

والجَيِّدُ الصحيحُ في هذا المعنى قولُ البحتري: [الطويل]

مَـفَـازَةُ صَـدْرٍ لَـوْ تُـطَـرَّقُ لَـمْ تَـكُـنْ لِيَسْلُكَهَا فَرْداً سُلَيْكُ المَقَانِبِ[3]

أي: لم يكن ليسلكه إلا بدليلٍ لسَعَتِهِ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض وهو ما يكون فيه الحيوان والنبات، وإنما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الأرض أو أقل من الربع، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من ألف جزء من ذلك؛ فما معنى جعله ضِيقَ البلدان الضيقة إنما هو من أجل ضيق الأرض؟

فإن قيل: فإنما أراد بقوله «لو أن الأرض» أي لو أن البلدان واسعة.

---

(١) البيت في ديوان الأحمر بن شجاع الكلبي، من قصيدة مطلعها:
ونحن صقعنا قيس عيلان صقعةً بكنها معاويل من الشكل حسرُ
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.
(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٠٥، من قصيدة في رفع أهل الجزيرة على أبي سعيد. وسليك: رجل من صعاليك العرب قيل كان يطلب الخيل فيدركها وتطلبه فلا تدركه، وكان يقال له: سليك المقانب.

قيل: لا يدل قوله «الأرض» وهو لفظُ عمومٍ على البلدان التي هي مخصوصة، ولا يكون الغلط إلا هكذا: أن يريد القائل لفظة تَدل على معنى فيأتي بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة.

* * *

١٣ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

وَكُلَّمَا أَمْسَتِ الأخْطَارُ بَيْنَهُمُ ... هَلْكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ
لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أكْثَرَ مَا ... فِي الخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الأوْضَاحُ والغُرَرُ(١)

فالأوضاح: هي البياض في الأطراف، وقد يكون أيضاً في البَهْم، وكذلك أيضاً الغُرَرُ قد توجد في البَهْم كثيراً، وهذا فساد في ترتيب البيت؛ لأنه ليس إذا وُجدت شِيَاتُ البَهْم ـ وهي صغار الغنم ـ أكثر ما في الخيل، أو وجدت شِيَاتُ الخيلِ أكثرَ ما في البَهْم كان ذلك موجباً لحمد الأوضاح والغرر، وإنما كان يصحُّ نظمُ الكلام لو لم توجد الأوضاح والغُرَرُ في البهم، حتى تكون مخصوصة بالخيل؛ فيقول: لو لم تعدم الأوضاح والغرر في البهم لما حُمِدت في الخيل، فأما أن توجد شِيات البهم في الخيل كثيراً، أو شيات الخيل في البهم دائماً، فليس هذا بموجبٍ حَمْدَ الأوضاح والغرر في الخيل؛ لأن الأوضاح والغرر موجودة في الغنم أيضاً.

وقال طارقُ بْنُ شِهَابٍ المازنيُّ يَصِفُ المِعْزَى وتَيْسَ الغنم: [الطويل]

وَرَاحَتْ أُصَيْلانَاً كَأَنَّ ضُرُوعَهَا ... دِلاءٌ، وَفِيهَا وَاتِدُ القَرْنِ لَبْلَبُ
لَهُ رَعَثَاتٌ كَالشُّنُوفِ، وَغُرَّةٌ ... شَدِيخٌ، وَلَوْنٌ كَالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ(٢)

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٤١ ـ ١٤٢، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الطائي. والأخطار: عظائم الأمور ومهامها. وهلكى: بمعنى عظيمة وسامية يتنافس فيها ويحرص على بلوغها. يريد أن عظائم الأمور مقياس علوّ الهمة، والتطلع إليها في حرص على بلوغها دليل على عظمة النفس.

والشيات: جمع شية، وهي في ألوان البهائم بياض في سواد. والبهم: جمع بهيم، وهو ما لا شية فيه من الخيل. والأوضاح: جمع وضح، وهو بياض في قوائم الفرس. والغرر: جمع غرة وهي بياض في جبهته.

(٢) البيت الأول لمخارق بن شهاب في لسان العرب (لبب)، وتاج العروس (لبب). وواتد: القرن: ثابته وقويه، وذلك عندما يكتمل. واللبلب: الحريص على إناثه، ويقال: رجل لبلب، إذا كان بارًا بأهله.

ورعثت العنز: إذا ابيضّ طرف زنمتها. والشنوف: جمع شنف، بفتح الشين، وهو ما يعلق في أعلى الأذن. والوذيلة، بزنة السفينة: المرآة، أو قطعة من الفضة مجلوة.

فذكر أن له غُرَّة. وقال آخر في وصف عنز سَوْداء: [السريع]

سَـــوْدَاءُ إلاَّ وَضَــحــاً فــي الــشَّــوَى كــأنــمَــا الــجَــوْزَاءُ فــي الأكْــرُعِ(١)

فذكر بياض أكرعها، وذلك موضع التحجيل، بل لو قال: «لو لم تقِلَّ الأوضاحُ والغُرَرُ في البُهْمِ، لما حُمِدت في الخيل» لكان أقربَ إلى الصواب؛ لأني أظنها في البهم أقلّ، وفي الخيل أكثر، وليس في هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك.

* * *

١٤ ـ ومن خطأ المدح قولُه: [الطويل]

سَأَحْـمَـدُ نَـصْـراً مـا حَـيِـيـتُ، وَإنَّـنِـي لأعْـلَـمُ أنْ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الحمدِ(٢)

فإنه رفع الممدوح عن الحمد الذي نَدَبَ الله عباده إليه بأن يذكروه به، وينسبوه إليه، وافتتح فُرْقَانَهُ في أولِ سورةٍ بذكره، وحَثَّ عليه، وللعَرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها وأشعارها، ما فيهم مَنْ رفع أحداً أن يحمد، ولا من استقلَّ الحمد للممدوح، قال زُهَير بن أبي سُلْمَىٰ: [الكامل الأحذّ]

مُـتَـصَـرِّفٍ لِـلْـحَـمْـدِ، مُـعْـتَـرِفٍ لِـلـرُّزْءِ، نَـهَّـاضٍ إلَـى الـذِّكْـرِ(٣)

فقوله «متصرف للحمد» أي حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد الْتَمَسَهَا وطلبها.

وقال زُهير أيضاً: [الطويل]

أَلَـيْـسَ بِـفَـيَّـاضٍ يَـدَاهُ غَـمَـامَـةٌ ثِمَالِ الْيَتَامىٰ فِي السِّنِينَ مُحَمَّدِ(٤)؟

فقوله «محمد» أي: يُحمد كثيراً. وقال الأعشى: [المتقارب]

وَلٰـكِـنْ عَـلَـى الْـحَـمْـدِ إنْـفَـاقُـهُ وَقَـدْ يَـشْـتَـرِيـهِ بِـأَغْـلَـى ثَـمَـنْ(٥)

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١١١، من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام.
(٣) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٩٤ ورواية البيت في الديوان:
مـتـصـرف لـلـمـجـد مـعـتـرفٍ لـلـنـائـبـات يـراحُ لـلـذكـرِ
وانظر أيضاً العقد الثمين ص٣٤، وكتاب الصناعتين ص١٢٤.
(٤) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٣٥، والعقد الثمين ص٣٣.
(٥) البيت في ديوان الأعشى ص٧٤.

وقال أيضاً: [الرمل]

يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِأَغْلَى سَعْيِهِ وَاشْتِرَاءُ الْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبْحْ(١)

وقال أيضاً: [الطويل]

إِلَيْكَ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - كَانَ كَلاَلُهَا إِلَى المَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ محمدِ(٢)

فوصفه بأن جعله محمداً: أي يُحمد كثيراً. وقال الآخر: [الطويل]

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ(٣) *

فهذه هي الطريقة المعروفة في كلام العرب، ولو قال الطائي «لو جلّ أحد عن المدح لجللتَ عنه» كان أغذَرَ، كما قال البحتري: [الطويل]

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أُكْرُومَةٍ تُبْنَى جَلَلْتَ عَنِ النَّدَى وَالْبَاسِ(٤)

أي: كنتَ تَجلُّ لعلوّ شأنك عن أن يقال: سخيّ، أو شجاع؛ إذ كان هذان الوصفان قد يُوصَف بهما مَنْ هو دونك.

وقال البحتري أيضاً: [الكامل]

وَالْحَمْدُ أَنْفَسُ مَا تَعَوَّضَهُ آمْرُؤٌ رُزِىءَ التِّلاَدَ إِنِ الْمُرَزَّأُ عُوِّضَا(٥)

فأما قول البحتري: [الخفيف]

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى ٱبْنِ يُوسُفَ؟ لاَ كَيْـ ـفَ! سَرَى مَجْدُهُ فَعَابَ الثَّنَاءَ(٦)

---

(١) البيت في ديوان الأعشى ص٢٨٩.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص٢٣٩، ولسان العرب (حمد)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٠، ومقاييس اللغة ٢/ ١٠٠، وتاج العروس (حمد).

(٣) صدره:

تزور أمراً أعطى على الحمد ماله

والبيت للحطيئة في ديوانه ص٤٩، ولحسان بن ثابت في ديوانه ص١٣٣. وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٥.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٦٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك، وفي الديوان: «تُثْنى»، بدل: «تبنى». وتثنى: تشاع وتذاع.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٧٥، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل. ورزىء التلاد: أي أنقص ماله الموروث، والمرزأ: الكريم السخي.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٨، ورواية عجز البيت في الديوان:

كيف سما مجده ففات الثناء

فعيبه الثناء إنما معناه عَظُمَ أن يدركه ويبلغ حَدَّه، ألا تراه قال «كيف نثني على ابن يوسف؟ لا كيف!» أي: لا طريق إلى كيفية الثناء الذي يستحقه ويليق به، ثم قال «سرى مجده فعاب الثناء» قَطْعاً من الكلام الأول.

* * *

١٥ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلاً بَعْدَهُمْ ثُمَّ ٱرْعَوَيْتُ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ
أَجْدِرْ بِجَمْرَةِ لَوْعَةٍ إطْفَاؤُهَا بِالدَّمْعِ أنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ[(١)]

وهذا خلاف ما عليه العربُ، وضدُّ ما يُعْرَفُ من معانيها؛ لأن المعلومَ من شأن الدمع أن يطفىء الغليل، ويُبْرد حرارة الحزن، ويزيل شدة الوجد، ويُعْقب الراحةَ، وهو في أشعارهم كثيرٌ موجودٌ يُنْحىٰ به هذا النحو من المعنى؛ فمن ذلك قول امرىء القيس: [الطويل]

وَإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[(٢)]؟

وقول ذي الرمّة: [الطويل]

لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ، أوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلاَبِلِ[(٣)]

وقال الفرزدق: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا: إنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أنْ لاَ تَلاَقِيَا[(٤)]

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٨٣، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد. وارعويت: انتهيت وكففت عن البكاء. ويشير بقوله: حكم لبيد، إلى قول لبيد بن ربيعة: [الطويل]

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص٩، وخزانة الأدب ٣/٤٤٨، ٥/٢٧٧، ٢٨٠، ١١/٢٩٢، والدرر ٥/١٣٩، وسر صناعة الإعراب ١/٢٥٧، ٢٦٠، وشرح أبيات سيبويه ١/٤٤٩، وشرح شواهد المغني ٢/٧٧٢، والكتاب ٢/١٤٢، ولسان العرب (عول)، (هلل)، والمنصف ٣/٤٠، والبيت بلا نسبة في خزانة الأدب ٩/٢٧٤، ١١/٢٩، والدرر ٦/١٥٤، وشرح الأشموني ٢/٤٣٤، وشرح شواهد المغني ٢/٨٧٢، ومغني اللبيب ٢/٣٥٠، وهمع الهوامع ٢/٧٧، ١٤٠.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٣٣٥، وكتاب الصناعتين ص١٢٦.

(٤) البيت في ديوان الفرزدق ٢/٣٦٠، وكتاب الصناعتين ص١٢٦.

وهو كثير في أشعارهم، ما عَدَل به أحَدٌ منهم عن هذا المعنى، وكذلك المتأخرون، هذا السبيلَ سلكوا، وأبو تمام من بينهم ركب هذا المعنى؛ وكَرَّرَهُ في شعره متبعاً لمذاهب الناس؛ فمن ذلك قولُه: [الكامل]

نَثَرَتْ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمِ وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثُقْلِ المُغْرَمِ[1]

وقال في موضع آخر: [الخفيف]

وَاقِعاً بِالْخُدُودِ، وَالْحَرُّ مِنْهُ وَاقِعٌ بِالْقُلُوبِ وَالأكْبَادِ[2]

وقال أيضاً: [الكامل]

فَافْزَعْ إلَى ذُخْرِ الشُّؤُون وَعَذْبِهَا فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الجَاهِدِ[3]

وقال أيضاً: [الكامل]

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أنْ تَجُودَ بِمَائِهَا وَالدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمُوَاسِ[4]

وقال أيضاً: [الكامل]

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ سَاعَةٍ أذْرَيْتَهَا تَشْفِيك مِنْ إرْبَابِ وَجْدِ مُحْوِلِ[5]

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جَرَت به العادة في وصف الدمع لكان المذهبَ الصحيح المستقيم. ولكنه أحبَّ الإغراب؛ فخرج إلى ما لا يُعْرَف في كلام العرب، ولا مذاهب سائر الأمم.

وقد تبعه على الخطأ البحتريُّ فقال: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة. ورواية عجز البيت في الديوان:

والدمع يحمل بعض شجو المغرم

وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٥.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٧٧، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد. وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٥.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٦، من قصيدة يمدح بها علي بن الجهم وكان له صديقاً وأراد سفراً.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٢، من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم بالله.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٠، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ووجه بها إليه من الموصل. وأذريتها: ذرفتها. والإرباب: الإقامة. والوجد: الغرام. والمحول: الذي أتى عليه الحول.

فَعَلامَ فَيْضُ مَدَامِعٍ تَدِقُ الْجَوَى ... وَعَذَابُ قَلْبٍ فِي الْحِسَانِ مُعَذَّبِ[(١)]

قوله: «تَدِقُ الجوى» من قولهم «لم يَدِقِ الأرْضَ منه شيء» أي: لم يَصِلْ، وفي شعر امرىء القيس * ما فيه مودقي[(٢)] * أي: على أثَرِي. وأصله من الدنو، فكأنه قال «تدق الجوى» أي: تُدْنِي الجوى، يقال: أتان وَدِيقٌ، أي: تَدْنُو من الفَحْلِ، ومنه الوَدِيقة الهاجرة؛ لدنو الحر، وقيل لقَطْرِ المطر وَدْقٌ لا نحلاً به من السحاب ودُنُوِّه من الأرض.

* * *

١٦ ـ ومن خطئه قولُه: [الطويل]

رَضِيتُ وَهَلْ أرْضَى إذَا كَانَ مُسْخِطِي ... مِنَ الأمْرِ مَا فِيهِ رِضَا مَنْ لَهُ الأمْرُ[(٣)]

فمعنى هَلْ في هذا البيت التقرير، والتقرير على ضربين: تقرير للمخاطب على فعلٍ قد مَضَى ووَقَع، أو على فعل هو في الحال ليوجِبَ المُقَرَّرُ ذلك ويحققه، ويقتضي من المخاطب في الجواب الاعتراف به، نحو قوله: هل أكرمتك؟ هل أحسنت إليك؟ هل أوَدُّكَ وأوثرك، وهل أقضي حاجتك؟ وتقرير على فعل يدفعه المُقَرَّرُ وينبغي أن يكون قد وقع، نحو قوله: هل كان قَطّ إليك شيء كَرِهْتَهُ؟ هل عرفت مني غير الجميل؟ فقوله في البيت «وهل أرضى» تقرير لفعل ينفيه عن نفسه، وهو الرضا، كما يقول القائل: وهل يمكنني المُقَامُ على هذه الحال؟ أي: لا يمكنني، وهل يصبر الحرُّ على الذلّ؟ وهل يَرْوَى زيد؟ أو هل يشبع عمرو؟ وهذه أفعال معناها النفي؛ فقوله «وهل أرضى» إنما هو نفي للرضا، فصار المعنى ولستُ أرضى؛ إذ كان الذي يُسْخطني ما فيه رضا مَنْ له الأمر: أي رضا اللّهِ تعالى، وهذا خطأ منه فاحش.

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/١١٩، من قصيدة يمدح بها أبا صالح بن يزدان، وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٦.

(٢) بيت امرىء القيس الذي يشير إليه هو: [الطويل]
دخلت على بيضاء جمّ عظامها ... تعفّي بذيل المرط إذ جئتُ مودقي
والبيت في ديوان امرىء القيس ص١٧١، ولسان العرب (ودق)، ومجمل اللغة ٤/٥١٥، وأساس البلاغة (ودق)، وتاج العروس (ودق)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/٩٦.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٣، من قصيدة له في الفخر، وانظر كتاب الصناعتين ص١٢٦.

فإن قال قائل: لِمَ لا يكون قوله «وهل أرضى» تقريراً على فعلٍ هو في الحال ليؤكده من نفسه نحو قوله: هل أَوَدُّكَ؟ هل أوثِرُكَ؟ ونحو قول الشاعر: [الطويل]

هَلْ أُكْرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إنْ جَاءَ طَارِقاً وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي؟[1]

قيل له: ليس قول القائل لمن يخاطبه «هل أودُّك» «هل أوثرك» وقوله «سَلْ عني هل أصلح للخير» أو «هل أكتم السر» أو «هل أقنع بالمَيْسُور» مثل قول أبي تمام «هل رضيت، وهل أرضى» فإن صيغة هذا الكلام دالة على أنه قد نفى الرضا عن نفسه؛ بإدخاله الواو على «هل» وإنما يُشْبِه هذا قولَ القائل «وهل أرضى إذا كانت أفعالك كذا» «وهل أصلح للخير عندك إذا كنت تعتقد غير ذلك» «وهل ينفع في زيد العتابُ» كقول الشاعر: [الطويل]

* وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أفْسَدَ الدَّهْرُ[2]؟ *

وقول ذو الرمة: [الطويل]

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ العَمىٰ ثَلاَثُ الأَثَافِي والرُّسُومُ البَلاَقِعُ[3]

لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جواباً على قول قائل: إن فلاناً سَيَصْلُحُ ويرجع إلى الجميل، فقال آخر: [الطويل]

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّار مَا أفْسَدَ الدَّهْرُ؟ *

وكقول ذي الرمة: [الطويل]

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) صدره:

ورامــوا بــأنــواع الــعــقــاقــيــر بُــزأَهُ

والبيت لصفي الدين الحلي، في ديوانه، من قصيدة مطلعها:

وفي لي فيك الدمع إذ خانني الصبرُ وأنجدُ فيك النظم إذ خُذل النصرُ

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٢٧٤ برواية:

وهل يرجع التسليم أو يدفع البكا ثلاث الأثافي والديار البلاقعُ

وانظر البيت في الأشباه والنظائر ٥/ ١٢٢، ٢٨٠، وإصلاح المنطق ص٣٠٣، وجواهر الأدب ص٣١٧، وخزانة الأدب ١/ ٢١٣، والدرر ٦/ ٢٠١، وشرح شواهد الإيضاح ص٣٠٨، وشرح المفصل ٢/ ١٢٢، ولسان العرب (خمس)، ومجالس ثعلب ص٢٧٥، والبيت بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٥٨، وتذكرة النحاة ص٣٤٤، وشرح الأشموني ١/ ٨٧، والمقتضب ٢/ ١٧٦، ٤/ ١٤٤، والمنصف ١/ ٦٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٠.

أَمَـنْـزِلَـتَـيْ مَـيٍّ سَـلامٌ عَـلَـيْـكُـمَـا هَـلِ الأَزْمُنُ اللائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ[١]؟

لمَّا علم أن التسليمَ غيرُ نافعٍ عاد على نفسه فقال «وهل يرجع التسليم» وكما قال امرؤ القيس: [الطويل]

* وَإِنَّ شِـفَـائِـي عَـبْـرَةٌ مُـهَـرَاقَـةٌ *

ثم قال:

* وَهَـلْ عِـنْـدَ رَبْـعٍ دَارِسٍ مِـنْ مُـعَـوَّلِ[٢]؟ *

وكذلك قولُ أبي تمام «رضيت» ثم قال «وهل أرضى إذا كان مُسْخِطِي» إنما معناه ولست أرضى، فكان وجه الكلام أن يقول: رضيت وكيف لا أرضى إذ كان مسخطي ما فيه رضا الله تعالى، وكذا أراد فأخطأ في اللفظ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده.

فإن قيل: إن «هل» هنا بمعنى قد، وإنما أراد الطائيُّ رضيت وقد أرضى، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] أي: قد أتى.

قيل: هذا إنما قاله قومٌ من أهْلِ التفسير، وتبعهم قوم من النحويين. وأهلُ اللغة جميعاً على خلاف ذلك؛ إذ لم يأتِ في كلام العرب وأشعارها «هل قام زيد» بمعنى قد قام زيد، وإذا كان ذلك معدوماً في كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يُعَوَّل عليه؟ وقد قال أبو إسحاق الزجّاجُ وجماعةٌ من أهل العربية في قوله عزّ وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] معناه ألم يأت، على سبيل التقرير. وهب الأمر في هذا كاذكروا، والخلاف ساقط فيه، فإن بيت أبي تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية؛ لأن «هل» إنما شبَّهها مَنْ شبهها بقد إذا وليت لفظ الماضي خاصة، وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل؛ فسقط عنها أن تضارع قد؛ لأن قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما، و«هل» ليس فيها ذلك.

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٢٧٣، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٢٠، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٦٣، وشرح المفصل ٥/ ١٧، والكتاب ٣/ ٥٧١، ولسان العرب (نزل)، واللمع في العربية ص٢٤٨، وتاج العروس (نزل)، والبيت بلا نسبة في أسرار العربية ص٣٥٢، وشرح المفصل ٦/ ٣٣، والمقتضب ٢/ ١٧٦.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

وبعد؛ فإن كان الرجل إنما أراد بِهَلْ معنى قد فَلِمَ لَمْ يقل رضيت وقد أرضى؛ فيأتي بلفظة «قد» إذا كان يريد الخبر، ولا يأتي بهل فيلتبس الخبر الذي إيّاه قَصَدَ بالاستفهام؟ فإن البيت كان يستقيم بقد ويغنينا عن الاحتجاج الطويل.

وقد استقصيْتُ القولَ في هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره في معنى قَدْ وهَلْ، ولخصته في جزء مفرد، وإنما فعلت ذلك لكثرة من عارَضَنِي فيه، وادَّعىٰ الدعاوى الباطلة في الاحتجاج لصحته.

* * *

١٧ ـ ومن خطئه قولُه في البُكاء على الديار: [البسيط]

دارٌ أُجِــلُّ الْـهَـوَى عَــنْ أنْ أُلِــمَّ بــهَـا ... في الرَّكْبِ إلاَّ وَعَيْنِي مِنْ مَنَائِحِهَا[1]

وهذا لفظ مُحال عن وجهه؛ لأن «إلا» ههنا تحقيق وإيجاب، فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها إذا لم يُلم بها؟ وإنما وَجْه الكلام أن يقول: «دار أجل الهوى عن أن ألم بها وليس عيني من منائحها» وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نَظَمَ الشعر، وأن غَلَطاً وقع عليه في نقل البيت، حتى رجعت إلى النسخ العتيقة التي لم تقع في يد الصُّولي وأضرابه، فوجدت البيتَ في غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ.

١٨ ـ ومن خطئه أيضاً في وَصْفِ الرَّبْعِ وساكنِهِ قولُه: [الكامل]

قَـدْ كُـنْـتَ مَـعْـهُـوداً بِـأَحْـسَنِ سَـاكِـنِ ... ثَــاوٍ وَأَحْــسَــنِ دِمْـــنَـــةٍ وَرُسُـــومِ[2]

والربع لا يكون رَسْماً إلا إذا فارقه ساكنوه؛ لأن الرسم هو الأثر الباقي بعد سُكَّانِهِ، والصواب قولُ البحتري: [الخفيف]

يـا مَـغَـانِـي الأَحْـبَـاب صِـرْتِ رُسُـومَـا ... وَغَـدَا الـدَّهْـرُ فِـيـكِ عِـنْـدِي مَـلُـومَـا[3]

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

* وَهَــلْ عِــنْــدَ رَسْــمٍ دَارِسٍ مِــنْ مُــعَــوَّلِ[4]؟ *

فقال ذلك لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس، وقال: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٧٤، من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٧، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٥٩، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٤) تقدم البيت بتمامه مع تخريجه.

قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أزْمَانِ[١]

* * *

١٩ ـ ومن خطئه أيضاً قولُه: [الكامل]

طَلَلَ الجمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا[٢]

أراد وكفى بأنه مَضَى حميداً شاهداً على أني رُزِئت، وكان وَجْه الكلام أن يقول: وكفى برزئي شاهداً على أن مَضَى حميداً؛ لأن حَمْد أمر الطَّلَلِ قد مضى، وليس بمشاهد ولا معلوم، ورزؤه بما ظهر من تفجُّعه مشاهد معلوم، فلأنْ يكونَ الحاضرُ شاهداً على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر.

فإن قيل: إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزئه عند مَنْ لم يعلمه.

قيل: فمن لا يعلم قَدْر مرزأتِهِ التي بعضُها ظاهرٌ عليه كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل؛ حتى يكون ذلك شاهداً على هذا؟

فإن قيل: هذا إنما جاء به على القلب.

قيل له: المتأخر لا يُرَخص له في القلب؛ لأن القلب إنما جاء في كلام العرب على السَّهْوِ، والمتأخرُ إنما يَحْتَذِي على أمْثِلَتهم، ويقتدي بهم، وليس ينبغي له أن يَتْبعهم فيما سَهَوْا فيه.

فإن قيل: فقد جاء القلب في القرآن، ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السَّهْوِ والضرورة؛ لأن كلام الله عزّ وجل يَتَعالَى عن ذلك، وهو قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح، أي تنهض بثقلها، وقال عزّ وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: ٨] وإنما هو تدلَّى فَدَنَا، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] أي: وإن حبه للخير لشديد، ولهذا أشْبَاهٌ كثيرة في القرآن.

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٨٩، والدرر ٣/ ١٤٢، وشرح التصريح ٢/ ١٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٧٤، ٢/ ٧٥٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٣/ ٤٩، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩٧، ومغني اللبيب ١/ ٣٣٥، وهمع الهوامع ١/ ٢١٧.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٧، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. والطلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار. وعفوت: درست وأمحيت. والرزء، بضم فسكون: المصيبة.

قيل: هذا ليس بقلب، وإنما هو صحيح مستقيم، إنما أراد الله تعالى اسمه: ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة، أي: نميلها من ثقلها، ذكر ذلك الفَرَّاء وغيره، وقالوا: إنما المعنى لَتُنِيءُ العصبةَ، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] قيل: المعنى إنه لحبِّ المال لشديد، والشدة: البخل، يقال «رجل شديدٌ ومتشدِّد» أي: بخيل، يريد إنه لحب المال لَبَخِيل متشدد، يريد إنه لحب المال: أي لأجل حبه المال يبخل، وقالوا في قوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ إنما كان تدلّيه عند دُنُوِّه واقترابه، وكما قال أبو النجم: [الرجز]

* قَبْلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ[(١)] *

والجوزاءُ إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفقُ منها، وليس هذا من القلب المُسْتَكْرَهِ، ومثلُه في الشعر كثير، قال الشاعر: [الرجز]

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أرْجَاؤُهُ كأنَّ لَوْنَ أرْضِهِ سَمَاؤُهُ[(٢)]

قوله «كأن لون أرضه سماؤه» أي: كأنَّ لون سمائه من غُبْرَتِها لونُ أرضه، وليس الأمر في ذلك بواجب؛ لأن أرضه وسماءه مضافان جميعاً إلى الهاء، وهي كناية عن المهمه، فأيهما يشبَّه بصاحبه كانا فيه سواء، وإنما تَغْبَرُّ آفاق السماء من الْجَدْب واحتباس القطر، وقال الحطيئة: [الطويل]

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرُ مُمْسِكٌ عَلى رَغْمِهِ ما أمْسَكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ[(٣)]

قال: وكان الوجه أن يقول: ما أمسك الحافر حبله، وكلاهما متقاربان؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضاً قد شَغَلَ الحبْلَ.

فهذا كله سائغ حسن، ولكن القلب القبيح لا يجوز في الشعر، ولا في القرآن، وهو ما جاء في كلامهم على سبيل الغلط، نحو قول خِداش بن زُهَير: [الطويل]

---

(١) الرجز بلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ١١٥.

(٢) الرجز لرؤبة في ديوانه ص٣، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٩٦، وخزانة الأدب ٦/ ٤٥٨، وشرح التصريح ٢/ ٣٣٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٧١، ولسان العرب (عمى)، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٨، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٥، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٧، وتاج العروس (كبد)، (عمى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٧، وأوضح المسالك ٤/ ٣٤٢، وجواهر الأدب ص١٦٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٣٦، ٦٣٧، وشرح شذور الذهب ص٤١٤، وشرح المفصل ٢/ ١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص٢٠٢.

(٣) البيت في ديوان الحطيئة ص٢٣.

وَتَـرْكَـبُ خَـيْـلاً لا هَـوَادَةَ بَـيْـنَـهـا وَتَشْقَى الرِّماحُ بالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ[١]

وإنما الضياطرة هي التي تشقى بالرماح، وكقول الآخر: [الكامل]

كـانـت فـريـضـة مـا تـقـول كـمـا كـان الـزنـاءُ فـريـضَـةَ الـرَّجْـم[٢]

وإنما الرجم فريضة الزناء، وكقول الفرزدق يصف ذئباً: [الطويل]

وَأَطْـلَـسَ عَـسَّـالٍ وَمَـا كـانَ صَـاحِـبـاً رَفَـعْـتُ لِـنَـارِي مَـوْهِـنـاً فَـأَتَـانِـي[٣]

وإنما النار رفعها للذئب، وأنشده المبرد، وقال: القلب جائز للاختصار، إذا لم يدخل الكلامَ لَبْسٌ، كأنه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين، وما علمت أحداً قال «للاختصار» غيره، فلو قال لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه، ويجوز أن يكون الفرزدق في هذا البيت سها أو اضطر لإصلاح الوزن، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يُسَوِّغون مثل هذا وإنما أراد أبو تمام وكَفَى بما يظهر من تفجعي بهذا الرزء الذي رُزِئْتُه شاهداً على أن الطلل مضى حميداً، قلت: وليس له أن يقلب في مثل هذا؛ لأنه القلب المستكره.

فإن قيل: إنه لم يُرِد القلب، وإنما أراد وكفى على رزئي بمحمود أمر الطلل شهيداً.

قيل: فبأيِّ شيء اُستشهدَ؟ وأين شهيدُه؟

* * *

٢٠ ـ ومن خطئه قولُه في باب الفراق: [الطويل]

دَعَـا شَـوْقُـهُ يَـا نَـاصِـرَ الـشـوقِ دَعْـوَةً فَـلَـبَّـاهُ طَـلُّ الـدَّمْـعِ يَـجْـرِي وَوَابِـلُـهْ[٤]

أراد أن الشوقَ دعا ناصراً ينصره فلبَّاه الدَّمْعُ، بمعنى أنه يخفف لاعِجَ الشوق، ويطفىء حرارته. وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق، والدمع إنما هو حَرْبٌ للشوق؛ لأنه يَثْلِمه ويَتَخوَّنه ويكسر منه حَدَّه، كما قال البحتري: [الخفيف]

---

(١) البيت لخداش بن زهير في الأضداد ص١٥٣، وأمالي المرتضى ١/٤٦٦، ولسان العرب (ضطر)، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١/٣٢٣، والصاحبي في فقه اللغة ص٢٠٣. والضياطرة: جمع ضيطر، وهو الرجل الضخم الذي لا غناء عنده.

(٢) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص٣٥، ولسان العرب (زنى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/٢١٦، والإنصاف ١/٣٧٣.

(٣) البيت في ديوان الفرزدق ص٣٢٩، وتاج العروس (عسل).

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله.

وبُكَــاءُ الدِّيَــارِ مِـمَّــا يَــرُدُّ الشَّــوْقَ ذِكْراً والحـبَّ نِـضْـواً ضَـئِيــلاَ(١)

قوله «يرد الشوق ذكراً» أي: يخففه ويَثْلِمه حتى يصير ذكراً لا يُقْلِق ولا يُزعج كإقلاق الشوق، وقوله «والحب نضوا» أي يصغره ويَمْحَقُه، كما قال جرير: [الطويل]

فَلَمَّا الْتَقَى الْحُبَّانِ أُلْقِيَتِ الْعَصىٰ وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ(٢)

فلو كان الدمع ناصراً للشوق لكان يُقَوِّيه ويزيد فيه، ألا ترى أنك تقول: قد ذبحني الشوقُ إليك، فالشوق عَدُوُّ المشتاق وحَرْبه، والدمع سِلْمٌ لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق، وليس بهذا الخطأ خفاء.

وقد تبِعه البحتريُّ في هذا الخطأ فقال ينعي الديار التي وقَفَ عليها: [الطويل]

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمُعٍ تَلاَحَقْنَ في أعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا(٣)

٢١ ـ ومن خطئه في معنى الشوق قولُه: [الكامل]

يَكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ فَإذا سَقَاهُ سَقَاهُ سُمَّ الأسْوَدِ(٤)

فقوله «شوق يطيل ظماءه» غلط؛ لأن الشوق هو الظَّمَأ نفسه، ألا ترى أنك تقول: أنا عطشان إلى رؤيتك، وظمآن، ومشتاق، بمعنى واحد، فكيف يكون الشوق هو المُطِيلَ للظمأ؟ وكيف يكون هو الساقي، والمحبوب هو الذي يظمىء ويسقى، أو البعد أو الهجر! لا الشوق، فكيف يكون الشوق يطيل شوقه؟

* * *

٢٢ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

أمَرَ التَّجَلُّدَ بالتَّلَدُّدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُوم(٥)

جعل الحرقةَ آمرةَ التجلد بالتلدُّد، والحرقة التي يكون معها التلدد تُسْقط التجلد ألبتة وتذهب به، فأما أن يجعله متلدداً فإن هذا من أحمق المعاني وأوْلاها

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧٤، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي. والنضو: النحيل. والضئيل: الضعيف.
(٢) البيت في ديوان جرير ص٩٦٤.
(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٣٦، من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر.
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٧، من قصيدة يمدح بها المأمون أو المعتصم.
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٧، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.

بالاستحالة، وأيضاً فأيُّ لفظ أسْخَفُ من أن يجعل الحرقة آمرة وإن كان ليس بخطأ، وإنما العادة في مثل هذا أن تكون باعثةً أو جالبة أو نحو هذا، وأما الأمر فليس هذا موضعه، ولو قال «بَعَثَتْ» أو «جَلَبَتْ» لكان له وجه.

* * *

٢٣ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

مِنْ حُرْقَةٍ أطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أسَرَتْ ... قَلْباً، وَمِنْ عَذَلٍ في نَحْرِهِ غَزَلُ(١)

قوله «أطلقتها فرقة» أي ثَوَّرتها وأظهرتها، وإنما قال «أطلقتها» من أجل قوله «أسرت قلباً» ليطابق بين الإطلاق والأسر، وقوله «أسرت قلباً» يعني الفرقة، وهو معنى رديء؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه شدة الحب، لا الفراق، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك حب، فَلِمَ حَضَر التوديع؟ وما كان وجه البكاء والاستهلاكِ والوَجَل الذي ذكره قبل البيت، والقصةِ الفظيعةِ التي وصف الحال فيها عند مفارقتهم؟ وما علم أن للفراق لوعةً صعبة وناراً مُحْرِقَةً عند وروده وفجأته؛ فلا يسمى ذلك أسراً ولا علاقة! وإنما يسمى محنة تطرأ على أسير الحب، وربما قتلته كما يقتل الأسير، والفراق إنما له لوعة ثم تبرد ناره، وتخمد وقتاً فوقتاً، حتى يَدْرس الحب.

فالفراق يفكّ أسْرَ الحب، ويُنْسى الخليلَ خليله إذا امْتَدَّ به زمان؛ ألا ترى إلى قول زُهَيْر بن جنابٍ الكَلْبي: [الوافر]

إذا ما شِئْتَ أنْ تَسْلَى حَبِيباً ... فأكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيالِي

فما أنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَأْيٍ ... وما أبْلَى جَدِيدَكَ كابْتِذَالِ(٢)

وقول الآخر: [الطويل]

يُنْسِي الخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا ... وَتَلْتَقِي طُرُقٌ شَتَّى فَيَأْتَلِفُ(٣)

هذا هو المعنى الصحيح المعروف، وإن كان قد تقدم أبا تمام في هذا المعنى مَنْ تبعه، وحذا على حذوه؛ فالرديء لا يُؤتَمُّ به. ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده لسوء عبارته، وكثيراً ما يفعل هذا، وكان ينبغي أن يقول: من حرقة بعثتها فرقة أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً، حتى يكون أسير الهوى قتيل الفراق.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٤، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله.

(٢) البيتان في التذكرة السعدية منسوبان لإبراهيم بن جناب الكلبي.

(٣) البيت للأسلع بن قصاف بن عبد قيس في المؤتلف والمختلف ص٨٣.

فإن قيل: فلمَ لا يكون قوله «أسرت قلباً» للحرقة للفرقة؟

قيل: لا يكون ذلك؛ لأن الأسر إذا قَبُح أن يكون فعلاً للفرقة قبح أيضاً أن يكون فعلاً للحرقة؛ لأن الفرقة هي التي جلبت الحرقة، فشأنها كشأنها.

* * *

٢٤ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

مَا لامْرِىءٍ خَاضَ في بَحْرِ الهَوَى عُمُرٌ إلاَّ وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السهلُ وَالجلَدُ[١]

وهذا عندي خطأ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة؛ لأنه اسم واحد للمدة بأسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه: عمر، كما لا يقال: ما لزيد رأس إلا وفيه شَجَّة أو ضَرْبَة، وما له لسان إلا وهو ذَرِب أو فصيح، وكذلك لا يقال: ما له عمر إلا وهو قصير، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد، مثل أن تقول: ما له ضِلَعٌ إلا مكسورة؛ وما له يد إلاَّ وفيها أثرٌ، ولا رِجْلٌ إلا وفيها حَنَف.

وليس قولهم «ما له عيش إلا مُنَغَّص، ولا حياة إلا كَدِرة» مثل قولك: ما له عمر إلا قصير، ولو قلته؛ لأن عَيْشَ الإنسان ليس له مُدَّةَ حياته بأسْرِها؛ لأنك قد تقول: كان عيشي بالعراق طيباً، وكانت حياتي بمكة لذيذة، وكان عيشي بالحجاز أطيب من عيشي باليمن، ولا تقول: كان عمري؛ لأن العمر هو المدة بأسْرِهَا، والعيش والحياة ليسا كذلك؛ لأنهما يتبعَّضان.

فإن قيل: فأنت تقول «ما لزيد رأس حسن، ولا أنف أشمّ، ولا لسان ذَرِب».

قيل: إنما يصلح هذا من أجل النفي؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة، ولا لسان من الألْسُنِ الذَّرِبة. وإذا دَخَلت «إلاَّ» ههنا فقد جعلت المَنْفِيَّ موجَباً، وحقيقة؛ فإذا قلت «ليس لزيد رأس إلاَّ حسن» فقد أوجبت لهُ عِدَّةَ رؤوس!! وهذا خطأ؛ وكذاك سبيل العُمُر.

وإن كان أراد بالعمر منزله الذي يَتَوَطَّنه ويعمره، فذلك هو المعمر، وما علمت أن أحداً سماهُ عمراً إلا أن يكون دَيْر النَّصَارى فإنهم يسمونه عمراً، وما كان يمنعه أن يقول «وطن» مكان «عمر» لأن لفظهما ومعناهما واحد، وقد يكون للإنسان عدة أوطان تَوَطَّنها.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.

وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره، وهو يريد مدة الحياة؛ فقال: [الطويل]

إِذَا مَـارِقٌ بِـالْـغَـدْرِ جَـاوَزَ عُـمْـرَهُ فَـذَاكَ حَـرِيٌّ أَنْ تَـئِـيـمَ حَـلائِـلُـهْ[1]

أراد أنه إن جاور عمره ـ أي قاربه ـ بالغدر، فقد عرَّضه للزوال والنفاد، وهذا من عَويص ألفاظه، وما أراد بالبيت الأول إلا مُدَّةَ الحياة؛ لأن ما قَبْلَ البيت وما بعده عليه يَدُلُّ.

* * *

٢٥ ـ وقال في علي بن الجهم: [الطويل]

هِـيَ فُـرْقَـةٌ مِـنْ صَـاحِـبٍ لَـكَ مـاجِـدِ فَـغَـداً إِذَابَـةُ كُـلِّ دَمْـعٍ جَـامِـدِ
فـافْـزَعْ إِلـىٰ ذُخْـرِ الـشُّـؤونِ وَعُـذْبِـهِ فَـالدَّمْعُ يُـذْهِـبُ بَـعْـضَ جُـهْـدِ الْـجَاهِـدِ
وإذا فَـقَـدْتَ أخـاً فَـلَـمْ تَـفْـقِـدْ لَـهُ دَمْـعـاً ولا صَـبْـراً فَـلَـسْـتَ بِـفَـاقِـدِ[2]

قوله «يذهب بعض جهد الجاهد» أي: بعض جهد الحزن الْجَاهِدِ، أي: الحزن الذي جَهَدَكَ فهو الجاهد لك، ولو كان استقام له أن يَقُول «بعض جهد المجهود» لكان أحسن وأليق، وهذا أغرب وأظرف.

وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول؛ قالوا «عِيشَةٌ راضية» بمعنى مَرْضِيَّة، و«لمح بَاصِرٌ» وإنما هو مُبْصَرٌ فيه، وأشباه هذا كثيرة معروفة، ولكن ليس في كل حال يقال، وإنما ينبغي أن يُنْتَهَى في اللغة إلى حيث أَنْتَهَوْا، ولا يُتَعَدَّى إلى غيره؛ فإن اللغة لا يقاس عليها.

وقوله «فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً» من أفْحَشِ الخطأ: لأن الصابر لا يكون باكياً، والباكي لا يكون صابراً، فقد نَسَق بلفظةٍ على لفظةٍ وهما نعتان متضادان، ولا

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٨، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. ورواية صدر البيت في الديوان:

إذا مـارقٌ بـالـغـدر حـاول غـدرةً

والمارق: الخارج عن الجماعة. وحريّ: خليق وجدير ولائق. وتئيم حلائله: تبقى بلا أزواج. والحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة، وكنى بذلك عن موته.

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ص٨٦.

يجوز أن يكونا مجتمعين، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليكَ فلستَ بفاقِدٍ، ولم يُرِدْ بفاقدٍ شَخْصَه، وإنما أراد لست بفاقد ودّه ولا أُخُوَّته، وهو محصّل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك، وإلى هذا ذَهَبَ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء، وذلك خطأ ظاهر، ولو كان قال «فلم تفقد له دَمْعاً ولا جَزَعاً» أو «دمعاً ولا شوقاً ولا قَلَقاً» لكان المعنى مستقيماً، وظننته قد قال غير هذا، وأن غَلَطاً وقع في كتابة البيت عند النقل، حتى رجعت إلى أصل أبي سعيد السُّكَّرِي وغيره من الأصول القديمة فلم أجد إلا «دمعاً ولا صبراً» وذلك غفلة منه عجيبة.

وقد لاح لي مَعْنًى أظنه ـ والله أعلم ـ إليه قَصَدَ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً ـ أي يواصل البكاء عليك ـ فَلَسْتَ بفاقده، على ما قدمْتُ ذكره: أي فقد حصل لك وصار ذُخْراً من ذخائرك، وإن غاب عنك وغبت عنه، وإن لم تفقد له صبراً ـ أي وإن صَبَرَ عنك ـ فلست بفاقد؛ لأنه إن صَبَر وسَلاَكَ فليس ذاك بأخٍ يُعَوَّل عليه، فلسْتَ أيضاً بفاقده؛ لأنك لا تعتدُّ به موجوداً ولا مفقوداً، ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز؛ لأنه وصف رجلاً واحداً بالوصفين جميعاً، وهما متضادان، ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال: [الطويل]

وَإذَا فَقَدْتَ أخاً لِفَقْدِكَ بَاكِياً أوْ صَابِراً جَلْداً فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

أي: لست بفاقد هذا؛ لأنه محصل لك، أو لست بفاقد هذا؛ لأنه ناسٍ مودّتك ـ لكان المعنى سائغاً حسناً واضحاً، أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين فقال: [الطويل]

وَإذَا فَقَدْتَ أخاً فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ أوْ ظَلَّ مُضْطَبِراً فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب، أوَ لو كان استوى له في ذلك اللفظ بعينه أن يقول «فلم تَفْقِدْ له دمعاً أو صبراً» حتى لا يجعل له إلا أحدهما لَسَاغَ ذلك، لكنه نَسَقَ بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له، ففسد المعنى.

فهذا وأشباهه الذي قاله الشيوخ فيه، من إنه يريد البديع فيخرج إلى المحال.

* * *

٢٦ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

لَمَّا ٱسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَٱنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كَاظِماً وَجِمَا

رَأَيْتُ أحْسَنَ مَرْئِيٍّ، وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمَعَيْنِ لِيَ التَّوْدِيعَ وَالْعَنَمَا(١)

العنم: شجر له أغصان لطيفة غَضَّة كأنها بَنَانُ جاريةٍ، الواحدة عَنَمَة، كأنه استحسن أصبعها واستقبح إشارتها إليه بالوداع، وهذا خطأ في المعنى، أتراه ما سمع قولَ جرير: [الوافر]

أَتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ(٢)!

فدعا للبَشَام بالسُّقيا لأنها ودَّعته به؛ فسرَّ بتوديعها، وأبو تمام استحسن أصبعها واستقبح إشارتها، ولعمري إن منظَر الفراق منظر قبيح، ولكن إشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحها إلا أجهل الناس بالحب، وأقلهم معرفَةً بالغزل، وأغلظهم طبعاً، وأبعدهم فَهْماً.

* * *

٢٧ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

فَلَوَيْتَ بِالْمَعْرُوفِ أَعْنَاقَ الْمُنَى وَحَطَمْتَ بِالإنْجَازِ الْمَوْعِدِ(٣)

حَطْم ظهر الوعدِ بالإنجاز: استعارةٌ قبيحة جدًّا، والمعنى أيضاً في غاية الرداءة؛ لأن إنجاز الموعد هو تصحيحُه وتحقيقُه، وبذلك جرت العادة أن يقال: قد صَحَّ وَعْدُ فُلاَنٍ، وتَحَقَّقَ ما قال، وذلك إذا أَنْجَزَه، فجعل أبو تمام في موضع صحة الوعد حَطْم ظهره، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب، ألا تراهم يقولون: قد مَرَّض فُلاَنٌ وَعْدَه، وعَلَّلَهُ، وَوَعَدَ وَعْداً مريضاً، وإذا أخلف وَعْدَه فقد أماته؛ فالإخلاف هو الذي يَحْطم ظهرَ الموعد، لا الإنجاز، ولا خَفَاء بفساد ما ذهب إليه، وكان ينبغي أن يقول: وحَطَمْتَ بالإنجاز ظهر المال، لا الموعد، وحينئذٍ فالموعد كان يصحُّ ويَسْلَم، ويتلف المالُ.

* * *

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٨٤، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي. واستحرّ: اشتدّ. والمحض: الخالص. وانصرمت: تقطعت. والكاظم: الذي يكتم الغيظ. والوجم الذي يسكت حزناً. والعنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها النبات، وهو المراد هنا.

(٢) البيت في ديوان جرير ص٢٧٩، ورواية البيت فيه:
أتذكر يوم تصقل عارضيها بفرع بشامةٍ سُقي البشام
وانظر أيضاً لسان العرب (عرض)، (بشم)، وتهذيب اللغة ١/٤٦٧، ١١/٣٨٤، وتاج العروس (عرض)، (بشم)، وديوان الأدب ١/٣٥٣.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٩، من قصيدة يمدح بها المأمون ويقال: المعتصم.

٢٨ ـ وقال: [الطويل]

إذَا وَعَـدَ انْـهَـلَّـتْ يَـدَاهُ فَـأَهْـدَتَـا   لَكَ النُّجْحَ مَحْمُولاً عَلَى كَاهِلِ الْوَعْدِ(١)

كاهلُ الوعد إذا حَمَلَ النُّجْحَ فمن سبيله أن يكون صحيحاً مُسَلَّماً، لا أن يكون محطوماً كما قال في البيت الأول؛ فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت. وإن كان «كاهل الوعد» قبيحاً.

* * *

٢٩ ـ ومثلُ البيت الأول في الفساد أو قريب منه قولُه: [الطويل]

إذَا مَـا رَحًـى دَارَتْ أدَرَّتْ سَـمَـاحَـةً   رَحىٰ كُلِّ إنْـجَـازٍ عَـلَـى كُـلِّ مَـوْعِـدِ(٢)

وهذا إتلافُ الموعد، وإبطاله؛ لأنه جعله مطحوناً بالرحَى، وإنما ذهب إلى أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد، وليس الأمر كذلك؛ لأن الموعد ليس بضد للإنجاز، فإذا صَحَّ هذا بطل ذلك، بل الوعدُ الصادقُ طرفٌ من الإنجاز، وسَبَبٌ من أسبابه، فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد، وتصحيح له، وتحقيق وتصديق، فهو في هذه الاستعارة غَالِطٌ، والمعنى الصحيح قوله: [الطويل]

أَبَـلُّـهُـمُ رِيـقـاً وَكَـفًّـا لِـسَـائِـلٍ   وَأَنْـضَـرُهُـمْ وَعْـداً إذَا صَـوَّحَ الْـوَعْـدُ(٣)

فتصويح الوعد هو أن يُخْلفه الواعِدُ فيبطل، ولا يصح؛ لأنه من «صَوَّح النبت» إذا جَفَّ، ومثله في الصحة قولُه: [الكامل]

تَـزْكُـو مَـوَاعِـدُه، إذَا وَعَـدَ امْـرَأً   أَنْـسَـاكَ أَحْـلاَمَ الْـكَـرَى الأضْـغَـاثَـا(٤)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢١، من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه. وانهلّت يداه: انسكبتا بالماء. والنجح: الظفر والفوز. والكاهل: ما بين الكتفين. جعل للوعد يدين وكاهلاً. وجعل يديه تنهمران بالعطاء كما تنهمر السحائب بالمطر.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. والرحى: طاحون معروفة. وأدرت: أصله أنزلت الدر، وهو اللبن.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة. وأنضرهم: أحسنهم وأرطبهم. وصوّح: يبس وجف.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٦٦، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق. والكرى: النوم. وأضغاث الأحلام: ما التبس منها واختلط.

فهذا هو المعنى الصحيح: أن يكون الوعد يَزْكُو، لا أن يبطل ويذهب. ولله در أبي إسحاق إبراهيم بن هَرْمَةَ إذ يقول: [المنسرح]

يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنَّ سَائِلِهِ وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِنْدَهُ الْعَجَلُ[(١)]

فهذه الاستعارة الصحيحة: أن يَقْتُلَ العَجَلُ الإبطاء، لا أن يقتل الإنجازُ الْوَعْدَ، فأما قولُه: [الوافر]

نَؤُمُّ أَبَا الْحُسَيْنِ، وَكَانَ قِدْماً فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ[(٢)]

وقولُ البحتري: [الكامل]

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تِلْوَ قَوْلِكَ قَاصِراً عُمْرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمْرَ الْمَوْعِدِ[(٣)]

فإن عمر الموعد مدةُ وقته؛ فإذا أُنجز صار مالاً؛ فنفاد وَقْتِهِ ليس بِمُبْطِلٍ له، بل ذلك نَقْله من حال إلى حال أخرى. ألا ترى إلى البحتري كيف كَشَفَ عن هذا المعنى، وجاء بالأمر من فَصِّه؟ فقال: [الكامل]

يُولِيكَ صَدْرَ الْيَوْمِ ما فِيهِ الْغِنَى بِمَوَاهِبٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدَا[(٤)]

فبطلان الموعد هو بطلان الشيء الذي الموعِدُ واقعٌ به، وصحته هو صحة ذلك الشيء.

ثم أتبع البحتري هذا البيت بأن قال: [الكامل]

شِيَمُ السَّحَائِبِ: مَا بَدَأْنَ بَوَارِقاً فِي عَارِضٍ إلاَّ انْثَنَيْنَ رَوَاعِدَا[(٥)]

فجعل البوارق مثالاً للمواعد، وجعل الرواعد التي هي البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالاً للغيث الذي هو العطايا؛ فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق، بل هي هي؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام السحاب، والرعد صوت ذلك الازدحام؛

(١) البيت في ديوان ابن هرمة ص١٦٩، ورواية البيت في الديوان:
يسبق بالفضل ظن صاحبه ويقتل الريث عرفه العجلُ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٥٩، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٣٦، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل.

(٥) انظر الحاشية السابقة.

فالبرق يُرَى أولاً، والرعد يسمع آخراً، وهو هو، وذلك أن العين أسبق إلى الإبصار من الأذن للاستماع؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها، فشبهها بالمواعد التي تجر المواهب، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصحه، وإنما أقام الرواعد مُقَام المواهب، لأنه قد يكون بَرْقٌ ولا مَطَرَ فيه، ولا يكاد يكون رعد إلا ومعه مطر، ثم إن التشبيه صَحَّ بأن صار الرعد بعد البرق.

وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقْطَع: [الطويل]

مَـوَاعِـدُهُـمْ فِـعْـلٌ إذَا مَـا تَـكَـلَّـمُـوا فَتِلْكَ التي إنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعْلُ(١)

يعني قول «نَعَمْ» فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه، وقد مثل البحتري أيضاً الموعد وكيف تحول عَطَاء تمثيلاً آخَرَ حَسَناً، فقال: [الكامل]

وَشَـكَـرْتُ مِـنْـكَ مَـوَاهِـبـاً مـشـكـورَةً لَـوْ سِـرْنَ فـي فَـلَـكٍ لَـكُـنَّ نـجُـومـا
وَمَـوَاعِـداً لَـوْ كُـنَّ شـيـئـاً ظـاهِـراً تُـفْـضِـي إلَـيْـهِ الْـعَـيْـنُ كُـنَّ غـيـومـا(٢)

وذلك لأن الْغَيم يصير مَطَراً، كما أن الموعد يصير عطاء، وأبو تمام ـ فيما يذهب إليه ـ غالط؛ لأنه وضع الاستعارة في غير موضعها.

* * *

٣٠ ـ ومن خطئه قولُه: [الوافر]

فَـلَـوْ ذَهَـبَـتْ سِـنَـاتُ الـدَّهْـر عَـنْـهُ وَأُلْـقِـيَ عَـنْ مَـنَـاكِـبِـهِ الـدِّثَـارُ
لَـعَـدَّلَ قِـسْـمَـةَ الأرْزَاقِ فِـيـنَـا وَلَـكِـنْ دَهْـرُنَـا هْـذَا حِـمَـارُ(٣)

قوله «وألقى عن مناكبه الدثار» لفظ رديء، وليس من المعنى الذي قَصَدَه في شيء، وصَدْر البيت لائق بالمعنى؛ فلو كان أتْبَعَهُ بما يكون مثلَه في معناه، بأن يقول: فلو ذهبت سِنَاتُ الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومته أو انكشف الغطاء

(١) البيت في ديوان خلف الأقطع، من قصيدة مطلعها:
عـدلـت إلـى فـخـر الـعـشـيـرة والـهـوى إلـيـهـم وفـي تـعـداد مـجـدهـم شـغـلُ
(٢) البيتان في ديوان البحتري ١/ ٢٧٣، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.
(٣) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٣٣ ـ ١٣٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة. والسنات، بكسر السين: جمع سنة، وهي النوم، أو أوائله، وأراد هنا الغفلات. والمناكب: جمع منكب، وهو مجتمع العضد والكتف. والدثار، بزنة الكتاب: ما يلبس فوق الشعار.

عن وجهه؛ لكان المعنى يَمْضي مستقيماً؛ لأن مَنْ كان في سِنَةٍ أو نَوْم أو مغطًى على وجهه أو عينيه فإنه لا يُبْصِر الرشد، ولا يكاد يهتدي لصواب، وإنما هذه كلها استعارات، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفَهْمه، وقد جَرَت العادة باستعارتها في هذا المعنى، فأما دِثَار المناكب فليس من هذا الباب في شيء؛ إذ قد يُبْصر الإنسان رُشْدَه ويهتدي لصواب أمره وعلى مَنَاكِبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضاً حِمْل، ولا يكون ذلك مع النوم والرُّقاد والغطاء على العين؛ لأنه إنما يراد نوم القلب والتغطية عليه؛ لأن الإنسان إنما يقال له: «قد عَمِيَ قلبك» و«قد عَمِيَتْ عن الصواب عَيْنُكَ» و«قد غُطِّيَ على فهمك» ولا يقال: «قد غُطِّيَتْ بالدثار عن الصواب مناكِبُكَ، ولا ظهرك»، ولفظة الدِّثَار أيضاً إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد، لا لمنع الفَهْم والرشد.

* * *

٣١ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

وَأرَى الأمُـورَ الْـمُـشْـكِـلاَتِ تَـمَـزَّقَـتْ ... ظُـلُـمَـاتُـهَـا عَـنْ رَأيِـكَ الْـمُـتَـوَقِّـدِ
عَـنْ مِـثْـلِ نَـصْـلِ الـسَّـيْـفِ، إلاَّ أنَّـهُ ... مُـذْ سُـلَّ أوَّلَ سَـلَّـةٍ لَـمْ يُـغْـمَـدِ
فَـبَـسَـطْـتَ أزْهَـرَهَـا بِـوَجْـهٍ أزْهَـرٍ ... وَقَـبَـضْـتَ أرْبَـدَهَـا بِـوَجْـهٍ أرْبَـدِ[1]

فقال «الأمور المشكلات» وجعل لها ظلمات، فكيف يقول: فبسطت أزْهَرَها، والزُّهْر هي النَّيِّرَات، والمشكلات لا يكون شيء منها نَيِّراً؟ وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريقُ إليه، ومنها رديء قد جُهلت أيضاً حاله؛ فهي كلها مظلمة، فيمزق ظلماتها برأيه، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه: أي يستعمله، ويكشف عن رديئها ويَقْبضه: أي يكفّه ويطرحه، ولكن ما كان ينبغي له أن يقول «بوجه أزهر» و«بوجه أربد»؛ لأنه لا صُنْع ههنا للوجه ولا تأثير؛ لأن الصنع إنما هو للرأي وللعقل؛ فإذا رأى ذو الرأي أمراً اَسْتَبَانَ منه الأشياء المظلمة، وانفتحت المُغْلَقَةُ، أو رأى أن يُغْلِقَ أمراً مفتوحاً إذا كان الصواب مُوجِباً ذاك عنده؛ فالرأي على الأحوال كلها أزهر مُسْفر، والوجه على الأحوال كلها أبيض، وليس يريد أبيض في لونه.

والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهظه تَبَيَّنت الكآبةُ في وجهه؛ ولله در منصور النمري حيث يقول: [الطويل]

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص١٠٨ ـ ١٠٩، من قصيدة يمدح بها المأمون، وقيل المعتصم.

تَـرَى سَـاكِـنَ الأَوْصَـالِ بَـاسِـطَ وَجْـهِـهِ يُـرِيـكَ الْـهُـوَيْـنَـا، وَالأُمُـورُ تَـطِـيـرُ(١)

فقال «ساكن الأوصاف باسط وجهه» فدلَّ على قلة اكتراثه بالأمور التي تَرِدُ عليه، وقول أبي تمام «بِوَجْهٍ أَرْبَدٍ» لا معنى له؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه، وهو عندي في ذلك غالط، وفي ذلك مسيء.

* * *

٣٢ ـ ومن خطئه قولُه يذكر سَيْرَ الإبل: [البسيط]

كـالأَرْحَـبِـيِّ الْـمُـذَكّـى سَـيْـرُهُ الْـمَـرَطَـى وَالْوَخْدُ وَالْمَلْعُ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ(٢)

فالأَرْحَبِيُّ من الإبل: منسوبٌ إلى أَرْحَب، حَيٌّ من هَمْدَان تنسب إليهم النَّجَائب، والمذكى: الذي قد انتهى في سنه وقُوَّته، والمَرَطَى: من عَدْو الخيل فوق التَّقْرِيب ودون الإهذاب، والْوَخْد: الاهتزاز في السير مثل وَخْد النعام، والْمَلْعُ: من سير الإبل السريع، والتقريب: من عَدْو الخيل معروفٌ، والْخَبَبُ: دونه، وليس التقريب من عَدْو الإبل، وهو في هذا الوصف مُخْطِىء، وقد يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان، ولا يكون للإبل، وإنَّا ما رأينا بعيراً قَطّ يقرب تقريب الفرس، والمَرَطَى أيضاً: من عَدْو الخيل، ولم أره في أوصاف الإبل ولا سيرها.

* * *

٣٣ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

وَمَـشْـهَـدٍ بَـيْـنَ حُـكْـمِ الـذُّلِّ مُـنْـقَـطِـعٌ صَـالِـيـهِ، أَوْ بِـحِـبَـالِ الـمَـوْتِ مُـتَّـصِـلُ
جَـلَّـيْـتَ وَالـمَـوْتُ مُـبْـدٍ حُـرَّ صَـفْـحَـتِـهِ وَقَـدْ تَـفَـرْعَـنَ فِـي أَفْـعَـالِـهِ الأَجَـلُ(٣)

وقوله «بين حكم الذلّ» لو كان حكم الذلّ أشياء متفرقة لصحت فيها «بين»، غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة، وكذلك حكم العز والعز؛ فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال هذا؛ لأن «بين» إنما هي وَسَطٌ بين شيئين.

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٥١، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات.

(٣) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢١٦، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وصاليه: اسم الفاعل من قولك: صلى النار يصلاها، كرضي يرضى، إذا وقع فيها، أو تدفأ بها. وصفحة الوجه: جانبه. وحر الوجه: ما ظهر منه. وتفرعن: طغى. وأصله أشبه فرعون في طغيانه.

فإن قال: إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومَنْ يَصْلاها؛ فكأنه ذهب بقوله «بين» إلى معنى وَسَطٍ: أي ومشهد وسط حكم الذل.

قيل: وَسط لا يحلّ محل بَيْنَ، وبين لا يحلّ محل وسط؛ لأنك تقول: البئر وسط الدار، ولا تقول: البئر بين الدار، وتقول: المال بيننا نصفين، ولا تقول: المال وسطنا، والمعنى الذي بَنَى أبو تمام البيتَ عليه سياقَةُ لفظِه أن يقول: ومشهدٍ بين حكم الذل وحكم العز: أي ومشهد بين الذل والعز، محجمٌ من يَصْلاه ـ وهو الذليل ـ أو مُقْدِم ـ وهو العزيز ـ جلّيته وكشفته، يعني الممدوحَ؛ فحذف أحد القسمين الذي لا يصلح «بين» إلا به مع القسم الآخر، وجعل قوله «مُنقَطِع» في موضع مُحْجِم، و«متصل» في موضع مُقْدم، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ في غير مواضعها من أجل الطِّباق والتجنيس اللّذَيْنِ بهما فَسَدَ شعرهُ وشعر كل من اقتدى به، وقوله «وقد تَفَرْعَنَ في أفعاله الأجل» معنًى في غاية الركاكة والسخافة، وهو من ألفاظ العامة.

وما زال الناس يعيبونه به، ويقولون: اشتقَّ للأجَلِ الذي هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فرعون، وقد أتى الأجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان في الدنيا.

* * *

٣٤ ـ ومن خطئه قولُه: [الوافر]

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرَفَ اقْتِسَاراً   وَلَوْلاَ السَّعْيُ لم تَكُنِ المَسَاعِي[(١)]

قوله «سعى فاستنزل الشرف اقتساراً» ليس بالمعنى الجيد، بل هو عندي هجاء مصرح؛ لأنه إذا استنزل الشرفَ فقد صار غير شريف، وذلك أنك إذا ذَمَمْتَ رجلاً شريفاً شريف الآباء كان أبلغ ما تذمُّه به أن تقول: قد حَطَطْت شرفك، ووضَعْت من شرفك، وقد وكّده بقوله «اقتساراً».

وقوله «ولولا السعي لم تكن المساعي» فبئس السعي والله سَعَى؛ لأن الشرف لا يُحَطُّ إلا بألأم ما يكون من الأفعال، وكأنه أراد سَعَى فَحَوى الشرف نفسه، فأفسد

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٢، من قصيدة يمدح بها مهدي بن أصرم. والاقتسار: القهر والغلبة.

المعنى بذكر استنزاله إياه، كأنه لو لم يستنزله ما كان يكون حاوياً له، فهلا قال: تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى فَحَواه، أو بلغ النجم، أو عَلاَ على الشمس، كما قال الآخر: [البسيط]

لَوْ كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِسُؤْدَدِهِمْ أوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا[١]

٣٥ ـ ومن خطئه قولُه: [الخفيف]

يَقِظٌ وَهْوَ أكْثَرُ النَّاسِ إغْضَا ءً عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقِ[٢]

قوله «على نائل له مسروق» خطأ؛ لأن نائله هو ما يُنيله، فكيف يكون مسروقاً منه؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا: أن يُجْعَلَ نائله مأخوذاً منه على طريق السرقة؟ وإنما اعتمد المطابقَةَ لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه؛ إذ كان من شأن المتيقِّظِ أن لا يغفل حتى يستتم عليه السَّرَقُ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال: على مال له مسروق، حتى يكون يعطى ما لَه اختياراً لجوده ويُغْضِي إذا سُرِق منه لكرمه.

* * *

٣٦ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

لَوْ يَعْلَم العَافُونَ كَمْ لَكَ في النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ[٣]

ويروى «من لذة أو فرحة» أي من لذة وفرح؛ أي ابتداع واستخراج وهذا عندي غلط؛ لأن هذا الوصف الذي وصفه داعيةٌ أن يتناهى الحامدُ له في الحمد، ويجتهد في الثناء بأن لا يدعَ حَمْدَه، وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمد على الشيء الذي يتكلفه ويتجشَّمه ويتحمل المشقة فيه، لا على الشيء الذي له بَوَاعِثُ شهوة من نفسه وشدة صبابةٍ إليه ومحبة لفعله، ومَنْ كان غرامُه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمد ويمدح.

أما قول البحتري: [الكامل]

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. والنائل: العطاء.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٩، من قصيدة يمدح بها المأمون. ويقال: المعتصم بالله. وفي الديوان: «لم تخمدِ» بالخاء المعجمة. بدل: «لم تحمدِ» بالحاء المهملة. وقد تقدم البيت مع تخريجه.

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الحمدَ، حَتَّى لَوْ بَنَتْ ... كَفَّاكَ مَجْداً ثَانِياً لم تُحْمَدِ[(١)]

فمذهب صحيح، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد؛ فإن جئت بنوع من المكارم تَبْنِي به مجداً آخر لم يَقْدِرْ مَنْ يحمدُكَ ويُثْنِي عليك على أكثر مما تقدم.

* * *

٣٧ ـ ومن خطئه قولُه: [البسيط]

تَنَاوَلُ الفَوْتَ أَيْدِي المَوْتِ قَادِرَةً ... إذا تَنَاوَلَ سَيْفاً مِنْهُمُ بَطَلُ[(٢)]

قوله «تناول الفوت أيدي الموت» عَوِيصٌ من عويصاته، وهذا أيضاً محال وإنما سمع قول سعد بن مالك: [مجزوء الكامل]

هَيْهَاتَ حَالَ المَوْتُ دُو ... نَ الفَوْتِ وَانْتُضِيَ السِّلاَحُ[(٣)]

والفَوْتُ: هو النجاة، أي حال الموت دون النجاة، وهذا صحيح مستقيم، فقال هو «تناول الفوت أيدي الموت» وهذا محال؛ لأن النجاة لا تتناولها يدُ الموت، ولا تصل إليها، وإلا لم تكن نجاة، وهذا من تعقيده الذي يُخْرِجه إلى الخطأ، وإنما قَصَد إلى ازدواج الكلام في الفوت والموت، ولم يتأمل المعنى، والوَجْهُ الصحيح قولُ البحتري: [الخفيف]

تَتَدَانَى الآجَالُ ضَرْباً وَطَعْناً ... حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الهَيْجَاءَ[(٤)]

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٥٩، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. ورواية صدر البيت في الديوان:

فلقد بنيت المجد حتى لو بَنَتْ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٦، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وتناول: مضارع حذفت منه إحدى التاءين، وأصله تتناول، وفاعله: أيدي الموت. يقول: إذا تناول بطل من أتباع الممدوح سيفاً فإن أيدي الموت تتناول النجاة للهرب، وهذا كناية عن أنهم يقتلون أعداءهم ولا يمكنونهم من الرب.

(٣) البيت في ديوان سعد بن مالك جد طرفة ص٥٤٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٥٠٣.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٩٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. وتتدانى الآجال: تقصر الأعمار. والهيجاء: الحرب الطاحنة.

٣٨ ـ ومن خطئه قولُه: [الخفيف]

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيَادِ المَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الهَيْجَا دَماً وَحَمِيما
فِي مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الحَرْبُ فِيهِ وَهْيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيما[١]

فهذا معنى قبيح جداً: أن جعلَ الحرب تلوك الخيل من أجل قوله «تلوك الشكيما» و«تلوك الشكيما» أيضاً ههنا خطأ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم في المَكَرّ وَحَوْمَة الحرب، وإنما تفعل ذلك واقفةً لا مكرّ لها.

فإن قيل: إنما أراد أن الحرب تَلُوكُهَا كما تلوك هي الشكيم.

قيل: هذا تشبيه، وليس في لفظ البيت عليه دليل، وألفاظ التشبيه معروفة، وإنما طرح أبا تمام في هذا قلة خُبْرِهِ بأمر الخيل، ألا ترى إلى قول النابغة: [البسيط]

خَيْلٌ صِيَامٌ، وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللجُمَا[٢]

والصيامُ ههنا القيام؛ أي خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهي واقفة، وخيل تحت العجاج في الحرب، وخيل تعلك اللجما، قد أُسْرِجت وأُلجمت، وأُعِدَّت للحرب.

والشاعر الحصين كان أحذق من الطائي وأعلم بأمر الخيل قال: [الكامل]

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ[٣]

وإلا فمتى رأى فرساً يجري وهو يلوك شَكِيمَهُ؟ فأما قول أنس بن الريان: [المتقارب]

أَقُودُ الجِيَادَ إلى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدِّمَاءَ[٤]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف وكان قد قدم من مكة. والضمّر: جمع ضامر، وهو الخفيف اللحم. والمذاكي: الخيل: المسنّة. والهيجا: الحرب. والحميم: الماء الحار، وأراد به العرق. والمكرّ: المكان الذي يكر الأبطال فيه بعضهم على بعض. والمقورة: الضامرة.

(٢) البيت في ملحق ديوان النابغة الذبياني ص٢٤٠، ولسان العرب (علك)، (صوم)، وتهذيب اللغة ١/٣١٣، ١٢/٢٥٩، وجمهرة اللغة ص٨٩٩، وكتاب العين ١/٢٠٢، ومقاييس اللغة ٣/٣٢٣، ٤/١٣٢، ومجمل اللغة ٣/٢٥١، والمخصص ١٣/٩٠، والمعاني الكبير ص٩١٥، والكامل ص٩٩٢، وتاج العروس (علك)، (صوم)، والبيت بلا نسبة في المخصص ٦/١٨٤.

(٣) البيت ليزيد بن مسلمة بن عبد الملك في معاهد التنصيص ص٢٤٠ (طبعة بولاق). والقَرَبوس، بفتح القاف والراء: حنو السرج، وللسرج قربوسان. والعنان، بكسر العين: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. والشكيم: الحديدة المعترضة في فم الفرس. ويقال لها شكيمة أيضاً.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

فإن القَوْدَ قد يكون في خلاله تلبُّثٌ وتوقُّفٌ تلوك فيه الخيلُ لجمها، والمكَرُّ لا يستقيم ذلك فيه؛ فأما قول أبي حزابة التميمي: [البسيط]

خَاض الردَى في العدى قدماً بِمُنْصُلِهِ والخيلُ تَعْلُكُ ثِنْيَ المَوْتِ باللُّجُمِ[1]

فإنما جعل ثنى الموت مَثَلاً، والثنى: حطام النبات اليابس، ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة.

* * *

٣٩ ـ ومن خطئه قولُه: [الكامل]

والحربُ تَرْكَبُ رَأسهَا في مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمِ
في سَاعَةٍ لَوْ أنَّ لُقْمَاناً بِهَا وَهُوَ الحكيمُ لكانَ غَيْرَ حَكِيمِ
جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ في أوْكَارِهَا فَتَرَكْنَ طَيْرَ العَقْلِ غَيْرَ جُثُومِ[2]

فالبيتان الأولان جيدان، وقوله «جثمت طيور الموت في أوكارها» بيت رديء في القسمة، رديء في المعنى؛ لأنه جَعل طير الموت في أوكارها جاثمةً: أي ساكنة لا ينفِّرها شيء، وطَيْرَ العقل غير جُثُومٍ، يعني أنها قد نفرت فطارت، يريد طيران عقولهم من شدة الرَّوْع، وما كان ينبغي أن يجعل طير الموت جثوماً في أوكارها، وإنما كان الوجه أن يجعلها جاثمة على رؤوسهم، أو واقعة عليهم، فأما أن تكون جاثمة في أوكارها فإنها في السلم أو في الأمن جاثمة في أوكارها أيضاً، وطَيْرُ العقل ليست بضدٍّ لطير الموت، وإنما هي ضد لطير الجهل، وطير الحياة هي الضد لطير الموت، ولو كان قال: [الكامل]

جَثَمَتْ طُيُورُ المَوْتِ فَوْقَ رؤُوسِهِمْ فَتَرَكْنَ أطْيَارَ الحَيَاةِ تَحُومُ

لكان أشْبَهَ وألْيَقَ، أو لو قال: [الكامل]

سَقَطَتْ طُيُورُ الرَّوْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَتَرَكْنَ أطْيَارَ العُقُولِ تَحُومُ

---

(١) البيت في التذكرة السعدية ص٣٧.

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ص٢٨٩، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي. ورواية صدر البيت الثالث في الديوان:

جشمت طيور الهلك في أوكارها

لكان أيضاً قريباً من الصواب؛ لأنهم يقولون: طار عقله من الرَّوْع، فإذا ثاب إليه عقله وسكن قيل: قد أفرَخَ رَوْعُه، هذا مَثَل، وذلك أن الطائر إذا أفْرَخَ لزم عُشّه وفراخَه، وقد يجوز أن يكون «أفرخ رَوْعُه» أي: ذهب؛ لأن الطائر إذا أفْرَخَ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش، وقولهم «جَثَمَ الطائر» إنما هو أن يلصق جُثمانه بالأرض، يذهبُ إلى أن طيور الموت ساكنة، وطيور العقل منزعجة طائرة، وقوله «غير جُثُوم» لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة؛ لأن الطائر قد لا يكون جاثماً وقد يكون قائماً على رجليه ساكناً مطمئناً، وهذه حاله في أكثر أوقاته؛ فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به، ولا يؤدي التأدية الصحيحة عنه.

* * *

٤٠ ـ ومن خطئه قولُه في وصف الفرس: [الكامل]

مَا مُقْرِبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ   مَلآنُ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلَهْوُقِ(١)

قوله «ملآن من صَلف» يريد التِّيهَ والكبر، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى، وإنما تقول: قد صَلِفَتِ المرأة عند زوجها، إذا لم تَحْظَ عنده، وصَلِفَ الرجلُ كذلك؛ إذا كانت زوجته تكرهه، وقال جرير: [الكامل]

إنّي أوَاصِلُ مَنْ أرَدْتُ وِصَالَهُ   بِحِبَالِ لاَ صَلِفٍ وَلاَ لَوَّامِ(٢)

والصَّلِف: الذي لا خير عنده، ومَثَل يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تحْتَ الرَّاعِدَة» يعنون الرَّعْدَ بغير مطر: فهذا معنى الصلف في كلامهم، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرسَ من حيث أراد أن يمدحه، والتلهوق: هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة، ومنه قولُ الأغلب الْعِجْلي يصف مُدَارَاة رجل له امرأةٌ نال منها: [الرجز]

فَلَمْ يَزَلْ بِالْخَلِفِ النَّجِيِّ   لَهَا وَبِالتَّلَهْوُقِ الْخَفِيِّ

أنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضَاءٍ قِيِّ   وَغَابَ كُلُّ نَفَسٍ مَخْشِيِّ(٣)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٩، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه. ومقرب: أراد به الفرس. ويختال: يمشي الخيلاء، يريد يتبختر. والأشطان: جمع شطن، بفتح الشين والطاء، وهو الحبل. والصلف الكبر. والتلهوق: التحسن بما ليس فيه، وهو أيضاً أن تظهر شيئاً وباطنك على خلافه، ويقال أيضاً: التلهوق: عدم التحكيم في العمل.

(٢) البيت في ديوان جرير ص٩٩١.

(٣) الرجز للأغلب العجلي في تاج العروس (لهق)، وليس في ديوانه.

وقد ذكر أبو عبيدة القاسمُ بن سلام في الغريب المصنَّف في أول نوادر الأسماء التَّلَهْوُقَ، وقال: وهو مثل التملق، وما أرى أبا تمام في وضْع هاتين اللفظتين إلا غالطاً.

* * *

٤١ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

عَطَفُوا الْخُدُورَ عَلَى الْبُدُورِ، وَوَكَّلُوا ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ خُرَّدِ
وَثَنَوْا عَلَى وَشْيِ الْخُدُودِ صِيَانَةً وَشْيَ الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ[1]

والبيت الأول حسنٌ حُلْو، وأخذ قوله «وثنوا على وشي الخدود صيانة وشي البرود» من قول الكُمَيْت: [الوافر]

وَأَرْخَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزَيِّنَّ الْفَدَاغِمَ بِالأَسِيلِ[2]

وقوله «بِمُسْجَفٍ وممهدِ» فالمسجَفُ يريد ستر باب الحَجَلَةِ، وكل باب مشقوق فكل شق منها سِجْفٌ، وكذلك سجف الخباء، والمسجَّف: المرخى، والتسجيف: إرخاء السِّجْفَيْن، وقوله «بمسجف» أي من مُسْجَف وممهد؛ فجعل الباء في موضع «من» كما قال عنترة: [الكامل]

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ[3]

أي: من ماء الدُّحْرُضَيْنِ، والممهَّد: الْوِطَاء الذي يُوَطَّأ تحت المرأة، فكيف يكون ذلك مَنْسُوقاً على الْمُسْجَفِ الذي ذكر أنهم ثَنَوْه على وَشْيِ الخدود؟ والممهَّد ليس هذه حاله فيعطفه عليه.

فإن قيل: كيف لا يكون محمولاً على قول الشاعر: [مجزوء الكامل]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٠٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم. وتقدم البيت الثاني مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٣) البيت في ديوان عنترة ص٢٠١، وأدب الكاتب ص٥١٥، والأزهية ص٢٨٣، وجمهرة اللغة ص٨٧٢، ١١٧٠، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٣٤، ولسان العرب (نبت)، (دحرض)، (وسع)، (وشع)، (دلم)، والمحتسب ٢/ ٨٩، وتاج العروس (دلم)، والبيت بلا نسبة في رصف المباني ص١٥١، وشرح المفصل ٢/ ١١٥.

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا[١]

والرُّمح لا يُتَقَلد، وقول الآخر: [الوافر]

* وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا[٢] *

والعيون لا تُزَجَّج، وإنما أراد ذلك متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، وأراد هذا وزَجَّجْن الحواجب وكحّلْنَ العيونا.

قيل: متقلّد السيفِ هو حامله أيضاً؛ فَحَسُن أن يعطف الرمْحُ على السيف؛ لأنهما جميعاً محمولان، وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زِينةٌ؛ فحَسُن أن يعطف أحدهما على الآخر، والممهَّد لا يشرك الستر في شيء من تَغْطِية الوجه ولا صيانته، ولا بنيت ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور، ولا يتعلق الممهد بالمعنى بإضمار لفظٍ ولا تأوُّلٍ.

* * *

٤٢ ـ ومن خطئه قولُه: [الطويل]

بِقَاعِيَّةٌ تَجْرِي عَلَيْنَا كُؤُوسُهَا فَتُبْدِي الَّذِي نُخْفِي، وَتُخْفِي الذِي نُبْدِي[٣]

ذهب في هذا إلى أن الخمر تُخفي الذي نُبديه في حال الصَّحو من الحِلم والوقار والكَفِّ عن الهزل واللعب، و«تبدي الذي نخفي» أي: الذي نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله؛ لأنه في الطبيعة والغريزة.

---

(١) يروى البيت بلفظ:

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨، ٦/ ٢٣٨، وأمالي المرتضى ١/ ٥٤، والإنصاف ٢/ ٦١٢، وخزانة الأدب ٢/ ٢٣١، ٣/ ١٤٢، ٩/ ١٤٢، والخصائص ٢/ ٤٣١، وشرح شواهد الإيضاح ص١٨٢، وشرح المفصل ٢/ ٥٠، ولسان العرب (رغب)، (زجج)، (مسح)، (قلد)، (جدع)، (جمع)، (هدى)، والمقتضب ٢/ ٥١.

(٢) صدره:

إذا ما الغانيات برزن يوماً

والبيت للراعي النميري في ديوانه ص٢٦٩، والدرر ٣/ ١٥٨، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٧٥، ولسان العرب (زجج)، والمقاصد النحوية ٣/ ٩١، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣/ ٢١٢.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٠، من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام. وبقاعية: منسوبة إلى البقاع، وهو مكان تعصر فيه الخمر. وأراد بكونها تبدي ما يخفيه أنه تجري لسانه وتحل عقدته، فيبوح بأسراره ويفشي ما كان يكتمه. وأراد بأنها تخفي ما يبديه أنها تذهب عنه آثار الحزن والاهتمام بشواغله والتفكير فيما يحيط به من كرب الحياة وبأسائها.

والذي كنا نُظهره إنما هو تصنُّع وتكلف، ويدخل في هذا ما يَبُوحُ به المحب من الحب الذي كان يكتمه في صَحْوه ويُظهر ضدَّه، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر في صَحْوه مودَّتَهُ ويُنَافِقُه.

وكذلك ما يظهرُ السكر من بُخْل البخيل فيمنع ما كان يتحمله من بَذْله في الصَّحو، أو ما يظهر من السماحة التي كان لا يسمح بمثلها في صحوه خوفَ العاقبة، ونحو هذا.

وما سقط من قول الحكماء «إن الشراب يثير كل ما وجد» أي: يظهر كل ما في النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح؛ فكلُّ شيء يظهره الإنسان وليس في اعتقاده ولا نيته فإن الذي يضمره ويكتمه في نفسه فهو ضده، فإذا أظهر السكرُ اعتقاد المعتقد الذي هو الصحيحُ فإن ضدَّه مما كان يتجمل بإظهاره يَبْطُلُ ويتلاشى؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه في الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة، هذا مُحَال؛ لأن القلبَ هو مَحَلُّ المعتقدات؛ فلا يجوز أن يجتمع فيها الشيء وضِدُّه، والاعتقادات لا تكون باللسان؛ لأن اللسان يكذب، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة.

وقول أبي تمام: «فتبدي الذي نخفي» قولٌ صحيحٌ، وقوله «وتخفي الذي نبدي» اللفظُ فاسد؛ لأن تخفي معناه تكتم وتستر، والذي قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته.

فإن قيل: ولِمَ لا يكون هذا توسعاً ومجازاً؟

قيل: المجاز في مثل هذا لا يكون؛ لأن الشيء الذي تكتمه وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ؛ فهو ضد للشيء الذي تزيله وتُبْطِله، والأضداد لا يستعمل أحدها في موضع الآخر على سبيل المجاز.

* * *

٤٣ ـ ومن خطئه قولُه في وَصْف فَرَس: [الكامل]

وَبِشُغْلَةٍ نَبْذٍ كَأَنَّ فَلِيلَهَا ... فِي صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ[1]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٩، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه. والشعلة: بياض في الفرس. ونبذ، بفتح النون وسكون الباء: أراد به مطروحة، وأصله قولهم: نبذ الشيء ينبذه، من باب ضرب، إذا طرحه. والفلول: جمع فل، بفتح الفاء وتشديد اللام، وأراد به متفرقها. والغليل: بمعنى الغل. والصهوة: مقعد الفارس من الفرس. والمفرق: الموضع الذي يفترق فيه الشعر من الرأس.

قوله: «فليلها» يريد ما تفرق منها في صَهْوَتيه، والصَّهْوة: موضع اللبد، وهو مقعد الفارس من الفرس، وذلك الموضع أبداً يُنْحَتُ شَعْرُه لغَمْز السرج إياه فينبت أبيض؛ لأن الجلد ههنا يرقّ، وأنت تراه في الخيل كلها على اختلاف شِيَاتِهَا، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل؛ فهذا خطأ من هذا الوجه.

وهو خطأ من وجه آخر، وهو أنْ جَعَله شُعْلة، والشعلة لا تكون إلا في الناصية أو الذنب، وهو أن يبيضّ عرضها وناحية منها، فيقال: فرس أشْعَلَ وشَعْلاء، وذلك عَيْبٌ من عيوب الخيل، فإن كان ظهر الفرس أبيضَ خلقةً فهو أرْحَلُ، ولا يقال أشْعَل.

وقد أخذ البحتري قوله «بَدْءُ شَيْبِ المفرق» فجاء به حسناً جداً، ثم ما سلم أيضاً من العيب، فقال: [الكامل]

وَبِشُعْلَةٍ كالشَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرِقَيْ ... غَزِلٍ لَهَا عَنْ شَيْبِهِ بِغَرَامِهِ[(١)]

فقال «بشعلة» ولم يَنُصَّ على موضعها، ومعلوم أنه أراد بياضاً في الناصية، وقال «مر بمفرقَيْ غَزِلٍ» فأوضح أنه ذلك الموضِعَ أراد، وقال «لها عن شيبه بغرامه» فأتى بشيء يفوق كل حُسْن، إلا أن البياض في الناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض في الذَّنَب، ليس بين الناس في ذلك اختلاف، ويقال لبياض الناصية أيضاً السَّعَفُ.

وأيضاً؛ فإن البحتري وصف فرساً أدهم فقال: [الكامل]

جَذْلانُ تَلْطِمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ ... جاءتْ مَجِيءَ الْبَدْرِ عِنْدَ تمامِهِ[(٢)]

فأي حُسْن يكون لبياض ناصية على بياض غرة؟

ومن قبيح وصف شِيَاتِ الخيل قولُ أبي تمام في هذا الفرس أيضاً: [الكامل]

مُسْوَدّ شَطْرٍ مِثْلَ ما اسْوَدَّ الدُّجى ... مُبْيَضُّ شَطْرٍ كابْيِضَاضِ الْمُهْرَقِ[(٣)]

شَطْر الشيء: جانبه وناحيته، قال الله عزّ وجل: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي ناحيته، وقد يُراد بالشطر نصفُ الشيء، يقال: قد شَاطَرْتُكَ

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٢، من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الرحمٰن الحراني ويصف فرساً، وفي الديوان: «في شعلة كالشيب»، بدل: «وبشعلة كالشيب».
(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٢، من القصيدة نفسها التي منها البيت السابق.
(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٩، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه. والمهرق: الصحيفة.

مالي، أي: ناصفتك؛ فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون، وذلك من أقبح شِيات الأبلق على ظاهر هذا المعنى، ولم يُرده أبو تمام، وإنما أراد بالشطر ههنا البعض أو الجزء: أي مسودّ جزء مبيض جزء، فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض في هذا الموضع.

والجيدُ النادر قولُ البحتري: [الكامل]

أوْ أبْـلَـقٍ يَـلْـقَـى الـعُـيُـونَ إذا بَـدَا مِـنْ كُـلِّ لَـوْنٍ مُـعْـجِـبٍ بِـنَـمُـوذَجِ(١)

وقد جعله أبو تمام في أول الأبيات أشْعَلَ بقوله «بشُعْلَةٍ» ثم جعله هنا أبْلَقَ؛ فهذا الفرس هو الأشعل الأبلق على مذهبه في هذا التشبيه، ولا يُنْكر مثلُ هذا من ابتداعاته.

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرِ بنِ يَحْيىٰ الآمِديُّ:

قد ذكرتُ في الجزء الثاني الموازنَةَ بين شعر أبي تمام حبيبِ بن أوسٍ الطائي وشعر أبي عبادة الوليدِ بن عبيدٍ البحتري، وخَطَأ أبي تمام في الألفاظ والمعاني، وبَيَّضْت آخرَ الجزء لألحِقَ به ما يمر من ذلك في شعره، وأستدركه من بعدُ في قصائده.

وأنا أذكر في هذا الجزء الرَّذْلَ من ألفاظه، والساقطَ من معانيه، والقبيحَ من استعاراته، والمستكْرَهَ المتعقِّد من نَسْجه ونَظمه، على ما رأيت المتأخرين يتذاكرونه، وينعَوْنَه عليه ويعيبونه، وعلى أني وجدتُ لبعض ذلك نظائر في أشعار المتقدمين؛ فعلمتُ أنه بذلك اغترَّ، وعليه في العذر اعتمد؛ طلباً منه للإغراق والإبداع، ومَيْلاً إلى وَحْشِيِّ المعاني والألفاظ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيتُ أو البيتان يُتَجاوز له عن ذلك؛ لأن الأعرابي لا يقول إلا على قريحته، ولا يعتصم إلا بخاطره، ولا يَسْتَقِي إلا من قلبه، وأما المتأخِّر الذي يَطْبع على قَوَالِبَ، ويَحْذو على أمثلة، ويتعلم الشعر تعلماً، ويأخذه تلقناً؛ فمن شأنه أن يتجنّب المذموم، ولا يتبع من تقدَّمه إلا فيما استُحْسِن منهم، واستُجيد لهم، واُخْتِير من كلامهم، أو في المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع، ولا يوقع الاحتطابَ والاستكثار مما جاء عنهم نادراً ومن معانيهم شاذاً، ويجعله حجة له

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٠، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ويصف فرساً وبغلاً.

وعذراً؛ فإن الشاعر قد يُعاب أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائرَ شعره، وبالإبداع جميعَ فنونه؛ فإنَّ مُجَاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرِجةٌ سهلَ التأليف إلى سوء التكلفِ وشِدَّةِ التعمُّل، كما عيب صالحُ بن عبد القُدوس وغيرُه ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره؛ لأن لكل شيء حدًّا: إذا تجاوزه المتجاوزُ سمي مُفْرِطاً، وما وقع الإفراط في شيء إلا شانَه، وأعاد إلى الفساد صحتَه، وإلى القبح حسنَه وبهاءَهُ، فكيف إذا تتبَّع الشاعرُ ما لا طائل فيه: من لفظة شنيعة لمتقدم، أو معنًى وَحْشِيٍّ فجعله إماماً، واستكثر من أشباهه، ووَشَّح شعره بنظائره؟ إنَّ هذا لَعَيْنُ الخطأ، وغايةٌ في سوء الاختيار.

* * *

باب
ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات[1]

١ ـ فمن مَرْذول ألفاظ وقبيح استعاراته قولُه: [المنسرح]

يـا دَهْـرُ قَـوِّمْ مِـنْ أَخْـدَعَـيْـكَ؛ فَـقَـدْ أَضْـجَـجْـتَ هٰـذَا الأَنَـامَ مِـنْ خُـرُقِـكْ[2]

٢ ـ وقال: [الوافر]

سَـأَشْـكُـرُ فُـرْجَـةَ الـلَّـيـتِ الـرَّخِـيِّ وَلِـيـنَ أَخَـادِعِ الـدَّهْـرِ الأَبِـيِّ[3]

---

(١) قال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين ص٣٠٣ وما بعدها: «.. وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس، اغتراراً بما سبق منه في كلام القدماء فأسرف، فنعي عليه ذلك وعيب به، وتلك عاقبة الإسراف..» ثم قال بعد أن أنشد ما جاء به من الأبيات: «.. وقد جنى أبو تمام على نفسه بالإكثار من هذه الاستعارات، وأطلق لسان عائبه، وأكد له الحجة على نفسه، واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم..».

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم ويهنئه ببرئه. والأخدعان: عرقان في العنق. والخرق: عدم إحسان العمل. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٣، والوساطة ص٦٣.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢٨، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ورواية عجز البيت في الديوان:

ولـيـن الأخـادع الـزمـن الأبـيّ

والفرجة: ما انفرج بين الشيئين أي اتسع. والليث: صفحة العنق. والرخي: الواسع. والأخادع: عروق في العنق متشعبة من الوريد. والأبيّ: المتكره المتكبر.

٣ ـ وقال: [الخفيف]

فَضَرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَا[(١)]

٤ ـ وقال: [الطويل]

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي خُطُوبٌ كأنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ[(٢)]

٥ ـ وقال: [الطويل]

ألاَ لاَ يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّءٍ إلَى مُجْتَدِي نَصْرٍ؛ فَيُقْطَعَ لِلزَّنْدِ[(٣)]

٦ ـ وقال: [الكامل]

وَالدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلُؤْمِهِ إلاَّ إذَا أَشْرَقْتَهُ بِكَرِيمِ[(٤)]

٧ ـ وقال: [الطويل]

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْراً أَيُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ[(٥)]

٨ ـ وقوله يَصِفُ قصيدة: [الطويل]

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّى كَأَنَّهَا عَلَى كُلِّ رَأسٍ مِنْ يَدِ المَجْدِ مِغْفَرُ
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرٌ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تَنْفُخْ وَلاَ هِيَ تَزْمُرُ[(٦)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. وانظر أيضاً كتاب الصناعتين ص٣٠٤، والوساطة ص٦٣. والعود: المسن من الإبل والشاة.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٤. والخطوب: جمع خطب، بفتح فسكون، وهو النازلة من نوازل الدهر.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٠، من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٤.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩٠، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٤. وشرقت: غصصت. وأشرقته: أغصصته.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣١، من قصيدة يمدح بها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٤، والشطر: النصف. والعبء: الحمل.

(٦) البيتان في ديوان أبي تمام ص١٥٠، من قصيدة يمدح بها جعفراً الخياط. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

تحلّ بقاع المجد حتى كأنها

والمغفر: زردٌ ينسج من الدرع يلبس على الرأس.

٩ ـ وقوله: [الطويل]

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَمَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٌ وَهْوَ مُرْتَدُّ
أَمَا وَأَبِي أَحْدَاثِهِ إِنَّ حَادِثاً حَدَا بِيَ عَنْكَ الْعِيسَ لَلْحَادِثُ الْوَغْدُ(١)

١٠ ـ وقوله: [الطويل]

جَذَبْتُ نَدَاهُ غَدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ(٢)

١١ ـ وقوله: [البسيط]

لَوْ لَمْ تُفَتْ مُسِنَّ الْمَجْدِ مُذْ زَمَنٍ بِالْجُودِ وَالْبَأْسِ كانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا(٣)

١٢ ـ وقوله: [الطويل]

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ(٤)

١٣ ـ وقوله: [المنسرح]

فِي غُلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ السَّائِلِ نَاراً أَخْنَتْ عَلَى كَبِدِهْ(٥)

١٤ ـ وقوله: [الكامل]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص١١٥ ـ ١١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة. والبيت الأول رقمه ٣١ في القصيدة. والبيت الثاني رقمه ١٦ في القصيدة أي قبله بخمسة عشر بيتاً، وأسلم: انقاد وخضع، أو صار مسلماً. وثوى: أقام في مكانه ولم يبرحه. وأودى: هلك. وخالد: هو خالد بن يحيى البرمكي. والمرتد: الخارج عن دينه. وحدا: من الحداء، وهو الغناء للإبل، وأراد: صرفني عنك. والوغد: اللئيم.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٤، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. والندى: الكرم والمعروف. والصريع: الطريح.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٢، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، ورواية البيت في الديوان:

لو لم تفتَّ مسنَّ المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرفا

وتفتّ: تصيره فتى بعد أن فات سن الفتاء والشباب. والمسن: اسم الفاعل من: أسنّ الرجل، إذا طعن في السن. والبأس: الشدة.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٥، من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٥.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٣، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٥. والغُلة: حرارة الجوف. وأخنت: أهلكت.

حَـتَّـى إذَا ٱسْـوَدَّ الـزَّمَـانُ تَـوَضَّـحُـوا فِـيـهِ؛ فَـغُـودِرَ وَهْـوَ مِـنْـهُـمْ أبْـلَـقُ(١)

١٥ ـ وقوله: [المنسرح]

إيـثَـارَ شَـزْرِ الْـقُـوَى رَأى جَـسَـدَ الْـ ـمَـعْـرُوفِ أوْلَـى بِـالـطِّـبِّ مِـنْ جَـسَـدِهْ(٢)

١٦ ـ وقوله: [الطويل]

وَمَـا ذُكِـرَ الـدَّهْـرُ الْـعَـبُـوسُ بِـأَنَّـهُ لَـهُ ٱبْـنٌ كَـيَـوْمِ الـسَّـبْـتِ إلاَّ تَـبَـسَّـمَـا(٣)

١٧ ـ وقوله: [الطويل]

وكَـمْ أَحْـرَزَتْ مِـنْـكُـمْ عَـلـى قُـبْـحِ قَـدِّهـا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ(٤)

١٨ ـ وقوله يصف الأرض: [الطويل]

إذَا الْـغَـيْـثُ غَـادَى نَـسْـجَـهَـا خِـلْـتُ أنه مَـضَـت حِـقْـبَـةٌ حَـرْسٌ لَـهُ وَهْـوَ حـائِـكُ(٥)

١٩ ـ وقوله: [الطويل]

وَلاَجْـتُـذِبَـتْ فُـرْشٌ مِـنـع الأمْـنِ تَـحْـتَـكُـمْ هِـيَ الـمـثـل فِـي لِـيـنِ بِـهَـا وَالأرَائِـكُ(٦)

٢٠ ـ وقوله: [الطويل]

إذاً لَـلَـبِـسْـتُـمْ عـارَ دَهْـرٍ كـأنـمَـا لَـيَـالِـيـهِ مِـنْ بَـيْـنِ الـلَّـيَـالِـي عَـوَارِكُ(٧)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٢٦، من قصيدة يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٥، ورواية صدر البيت في الديوان:

بـيـضٌ إذا اسـودّ الـزمـان تـوضّـحـوا

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٣، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. والإيثار: التفضيل. والشزر: الشديد. والقُوَى: جمع قوّة. والطب: العلاج.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. ورواية صدر البيت في الديوان:

فـمـا ذُكِـرَ الـدهـرُ الـعـبـوسُ بـأنـه

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٠، من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقي ويعتذر إليه.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. وفي الديوان: «أتت»، بدل: «مضت».

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٢، من القصيدة نفسها المتقدمة في الحاشية السابقة.

(٧) هو البيت الذي قبل البيت السابق.

٢١ ـ وقوله يرثي غالباً: [الخفيف]

أنـزَلَـتْـهُ الأيّـامُ عَـنْ ظَـهْـرِهـا مِـنْ ... بَـعْـدِ إثْـبَـاتِ رِجْـلِـهِ فـي الـرِّكَـابِ(١)

٢٢ ـ وقوله: [البسيط]

كـأنَّـنِـي حِـيـنَ جَـرَّدْتُ الـرَّجَـاءَ لَـهُ ... غَـضًّا صَـبَـبْـتُ لـهَـا مَـاءً عَـلى الـزَّمَـنِ(٢)

٢٣ ـ وقوله يصف فرساً: [الكامل]

فَـكـأنَّ فَـارِسَـهُ يُـصَـرِّفُ إذْ بَـدَا ... فِـي مَـتْـنِـهِ ابْـنـاً لِـلـصَّـبـاحِ الأبْـلَـقِ(٣)

وأشباه هذا مما إذا تتبّعتَهُ في شعره وجَدْتَهُ؛ فجعل كما ترى ـ مع غَثَاثة هذه الألفاظ ـ للدهر أخْدَعا، ويَداً تُقْطَع من الزند، وكأنه يُصْرَعُ، ويحل، ويشرق بالكرام، ويتبسم، وأن الأيام تنزله، والزمانَ أبْلَقَ، وجعل للمدح يداً، ولقصائده مزامر إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر، وجعل المعروف مُسْلماً تارةً ومرتداً أخرى، والحادثَ وَغْداً، وجَذْبَ نَدَى الممدوحِ بزعمه جذبةً حتى خرّ صريعاً بين يدي قصائده، وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف، وأن له جسداً وكبداً، وجعل لصروف النوى قَدًّا، وللأمن فُرُشاً، وظنّ أن الغيث كان دهراً حائكاً، وجعل للأيام ظهراً يُرْكَب، والليالي كأنها عَوَارِك، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء، والفرس كأنه ابن الزمان الأبلق، وهذه استعارات في غاية القَبَاحَة والهَجَانة والبُعد من الصواب.

وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه؛ فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقةً بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه، نحو قول امرى القيس: [الطويل]

فَـقُـلْـتُ لَـهُ لَـمّـا تَـمَـطَّـى بِـجَـوْزِهِ ... وَأرْدَفَ أعْـجَـازاً وَنَـاءَ بِـكَـلْـكَـلِ(٤)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٣٩، من قصيدة يرثي بها محمد بن الفضل الحميري. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٥.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٦، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن علي بن مرة. ورواية عجز البيت في الديوان:

غَـضًّـا أخَـذت بـه سَـيْـفـاً مِـنَ الـزمـنِ

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٠، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف فرساً حمله عليه، وانظر كتاب الصناعتين ص٣٠٥.

(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعاني ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة، وهو إنما قَصَد وَصْفَ أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطه، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث، وترادفَ أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون على مَنْ يُرَاعيه ويترقَّب تَصَرُّمه؛ فلما جعل له وَسَطاً يمتد وأعجازاً رادفة للوسط وصَدْراً متثاقلاً في نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب، وجعله متمطِّياً من أجل امتداده؛ لأنَّ تمطِّى وتمدَّد بمنزلة واحِدَة، وصلح أن يستعير للصَّدْر اسم الكَلْكَلِ من أجل نهوضه، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة، وأسَدُّ ملاءمةً لمعناها لما استعيرت له.

وكذلك قول زهير: [الطويل]

* وَعُرِّيَ أفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ[1] *

لما كان من شأن ذي الصِّبا أن يوصف أبداً بأن يقال: ركِبَ هَوَاه، وجَرَى في مَيْدَانه، وجَمَح في عِنَانه، ونحو هذا، حَسُن أن يُسْتعار للصبا اسم الأفراس، وأن يجعل النزوع أن تُعَرَّى أفراسه ورواحله، وكانت هذه الاستعارة أيضاً من ألْيَقِ شيء بما استعيرت له.

ونحو ذلك قول طُفَيل الغَنَوِي: [الكامل]

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ ... يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ[2]

لما كان شحمُ السنام من الأشياء التي تُقْتَاتُ، وكان الرحلُ أبداً يتخوفه ويتنقص منه، ويذيبه ـ كان جعله إياه قوتاً للرحل من أحسن الاستعارات، وأليقها بالمعنى.

وكذلك قول عمرو بن كلثوم: [الطويل]

ألاَ أبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً ... فَمَجْدُكَ حَوْلِيٌّ وَلُؤْمُكَ قَارِحُ[3]

---

(١) صدره:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان طفيل الغنوي ص١٠٨، ولسان العرب (قوت).

(٣) البيت في الأغاني ١١/٦١، وكتاب الصناعتين ص٢٨٤، ونقد الشعر ص٦٧.

لما جعل مجدَه حديثاً غيرَ قديم حَسُن أن يقول «حَوْليّ»؛ لأن العرب إذا نسبت الشيء إلى الصغر وقِصَر المدة قالوا: حَوْلِيٌّ؛ لأن أقَلَّ عدد الأحوال ـ وهي السنون ـ حَول واحد، ولهذا قال حسان: [الخفيف]

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الـ ... ـذَرِّ عَلَيْهَا لأنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ[١]

لم يرد بالحوليّ من ولد الذَّرّ ما أتى عليه الحولُ، ولكنه أراد بالحوليّ أصْغَرَ ما يكون من الذر، وإنما أخذ ذلك من قول امرىء القيس: [الطويل]

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإتْبِ مِنْهَا لأثَّرَا[٢]

ومما يدل على صحة هذا المعنى وأنَّ الحوليَّ إنما يراد به الصِّغَر دون معنى الْحَوْلِ قولُ الراجز: [الرجز]

* واسْتَبَقَتْ تَخذِفُ حَوْلِيَّ الْحَصَى[٣] *

فأراد بحوليّ الحصى أصْغَره، وقول الآخر أنشده ثعلب: [الطويل]

تلقّط حَوْلِيَّ الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ ... مِنَ الْحَيِّ أضْحَتْ بِاللّحَيَّيْنِ بَلْقَعَا[٤]

ولما جعل لؤمه قديماً حسن أن يقول «قارح».

ونحو ذلك قول أبي ذؤيب: [الكامل]

وَإذا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفَارَهَا ... ألْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[٥]

لما كانت المنية ـ إذا نزَلت بالإنسان خالطته ـ صحَّ أن يقال: نشبت فيه، وصحَّ أن يستعار لها اسمُ الأظفارِ؛ لأن النشوب قد يكون بالظفر.

---

(١) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص٨١، وتاج العروس (ندب).
(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص٦٨، ولسان العرب (قصر)، (حول)، ومقاييس اللغة ١/ ٥٣، وتاج العروس (قصر)، (حول)، والبيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٨/ ٣٥٩.
(٣) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٨، وتهذيب اللغة ١١/ ٣٨٠، ١٤/ ٢٦٠، وسمط اللآلي ص٨٨٨، وأمالي القالي ٢/ ٢٥٥، وكتاب الصناعتين ص٢٨٤، وللهذلي في لسان العرب (تمم)، وبلا نسبة في لسان العرب (نشب)، وتاج العروس (نشب)، (تمم)، والعقد الفريد ٥/ ٢٤.

وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى اسمه، نحو قوله عزّ وجل: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤] لما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحِيله إلى غير حالهِ الأولى كالنار التي تشتعل في الجسم من الأجسام فتُحيله إلى النقصان والاحتراق، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] لما كان انسلاخ الشيء من الشيء وهو أن يتبرأ منه ويتزيَّلَ منه حالاً فحالاً كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً، وكذلك قوله عزّ وجل: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر: ١٣] لما كان الضرب بالسَّوْط من العذاب استعير للعذاب سَوْطٌ.

فهذا مَجْرَى الاستعارات في كلام العرب.

وأما قول أبي تمام «ولين أخادع الزمن الأبي» فأي حاجة إلى الأخادع حتى يستعيرها للزمن؟ وكان يمكنه أن يقول: ولين معاطف الدهر الأبيِّ، أو لين جوانب الدهر، أو خلائق الدهر، كما تقول: فلان سَهْلُ الخلائق، ولَيِّنُ الجوانب، ومُوَطأ الأكناف، ولأن الدهر قد يكون سَهْلاً وحَزْناً وليناً وصعباً على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه؛ لأن هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع، وكانت تنوب عن المعنى الذي قَصَده، ويتخلص من قبح الأخادع؛ فإن في الكلام مُتَّسَعاً، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وما أوْضَحَهُ: [الوافر]

لَيَالِيَ نَحْنُ في وَسَنَاتِ عَيْش ... كأنَّ الدَّهْرَ عَنَّا في وَثَاقِ
وَأيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَاناً ... غَنِينَا في حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ(١)

فاستعار للأيام الحواشِيَ، وقوله: [الكامل]

أيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أطْرَافُهَا ... بِكَ، وَاللَّيَالِي كُلهَا أسْحَارُ(٢)

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام العرب قوله: [الكامل]

---

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٠٢، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، وأنفذها إليه من الموصل والحسن ببغداد. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

سنبكي بعده غفلات عيشٍ

ورواية عجز البيت الثاني في الديوان:

عرينا من حواشيها الرقاقِ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري.

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلاَ يَدٌ مَذْمُومَةٌ لِلْحَادِثَاتِ وَلاَ سَوَامٌ تُذْعَرُ[١]

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسنَ بالقبيح، والجيدَ بالردي، وإنما قبح الأخادع لمَّا جاء به مستعاراً للدهر، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضَعه في موضعه ما قبح، نحو قول البحتري: [الطويل]

* وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي[٢] *

ونحو قوله: [الوافر]

* وَلاَ مَالَتْ بِأَخْدَعِكَ الضِّيَاعُ[٣] *

وممَّا يزيد على كل جَيِّدٍ قولُ الفرزدق: [الطويل]

وَكُنَّا إذا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الأخَادِعُ[٤]

فأما قوله: «فضربت الشتاء في أخدعيه»[٥] فإن ذكر الأخدعين ـ على قبحهما ـ أسْوَغُ؛ لأنه قال «ضربةً غادرته عَوْداً رَكوباً» وذلك أن العَوْدَ المسِنُّ من الإبل يُضْرَب على صفحتَي عنقه فيذل؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلاً، ومن القبيح في هذا قوله: [المنسرح]

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هٰذَا الأنَامَ مِنْ خُرُقِكْ[٦]

أيُّ ضرورةٍ دعته إلى الأخدعين؟ وكان يمكنه أن يقول «من اعوجاجك» أو «قوم ما تعوج من صنعك» أي: يا دهر أحْسِنْ بنا الصنيع؛ لأن الأخْرَقَ هو الذي لا يُحْسِن العملَ، وضده الصَّنَعُ، وكذلك قوله: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤٩، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. والسوام: جمع السائمة، وهي الإبل الراعية. وتُذعر، بالبناء للمجهول: تخوّف.

(٢) رواية البيت بتمامه في الديوان:

وإني وإن أبلغتني شرف العلى وأعتقتَ من رقّ المطامع أخدعي

والبيت في ديوان البحتري ١/ ٩٠، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان.

(٣) صدره:

فما رفع التصفّح منك طرفاً

والبيت في ديوان البحتري ١/ ٢١٨، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر.

(٤) البيت في ديوان الفرزدق ١/ ٤٢٠.

(٥) هذا صدر بيت لأبي تمام تقدم بتمامه مع تخريجه قبل قليل، وعجزه:

ضربةً غادرته عوداً ركوبا

(٦) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ ... لَفَكَّرَ دَهْراً أيُّ عِبْأَيْهِ أَثْقَلُ[(١)]

فجعل للدهر عقلاً، وجعله مفكراً في أي العبأين أثقل، وما معنًى أبعد من الصواب من هذه الاستعارة، وكان الأشْبَهُ والأَلْيَقُ بهذا المعنى لما قال «تحملت ما لو حمل الدهر شطره» أن يقول: لتضعضع، أو لانهدَّ، أو لأمن الناس صروفَهُ ونوازله، ونحو هذا مما يعتمده أهلُ المعاني في البلاغة والإفراط.

وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرةً من بعيد الاستعارات متفرقةً في أشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهي في البُعد إلى هذه المنزلة، فاحْتَذَاها، وأَحَبَّ الإبداعَ، وأغرق في إيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها: فمن ذلك قولُ ذي الرمة: [الطويل]

تَيَمَّمْنَ يَافُوخَ الدُّجَى فَصَدَعْنَهُ ... وَجَوْزَ الْفَلاَ صَدْعَ السُّيوفِ الْقَوَاطِعِ[(٢)]

فجعل للدجى يافوخاً، وقولُ تأبط شراً: [الوافر]

نَحُزُّ رِقَابَهُمْ حتى نَزَعْنَا ... وَأَنْفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمُ[(٣)]

فجعل للموت أنفاً، وقولُ ذي الرمة: [الطويل]

يُعِزُّ ضِعافَ الْقَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ ... وَيَقْطَعُ أَنفَ الْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْكِبْرِ[(٤)]

فجعل للكبرياء أنفاً، وقال معقل بن خُوَيْلد الهذلي، أو غيرُه: [الطويل]

تُخَاصِمُ قَوْماً لا تَلَقَّى جَوَابَهُمْ ... وَقَدْ أخذَتْ مِنْ أنفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ[(٥)]

فجعل للحية أنفاً: أي قَبَضْتَ بِيَدِك على طرف لحيتك كما يفعل النادمُ أو المهمومُ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشيء والمتقدمَ منه، كما قال يصف الحمار: [الطويل]

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص٨٠٥.

(٣) البيت في ديوان تأبط شراً ص٢٠٤، وفي الديوان: «رميمُ» بدل: «رثيمُ».

(٤) البيت في ديوان ذي الرمة ص٩٦٩، ورواية صدر البيت في الديوان:
تُعِزُّ ضِعافَ النَّاسِ عِزَّةُ نَفْسِهِ

(٥) البيت لمعقل بن خويلد الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٣٨٥، ولأبي خراش الهذلي في لسان العرب (أنف)، وتاج العروس (أنف)، والمعاني الكبير ص٨٢١، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/١٤٧.

إذَا شَمَّ أنْفَ الضَّيفِ أَلْحَق بَطْنَهُ   مِرَاس الأوَاسِي وَامْتِحَانُ الكَرَائم[1]

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء: وهذا البيت غَرَّ الطائيَّ حتى أتى بما أتى به، وإنما أراد ذو الرمة بقوله «أنف الضيف» أول الضيف، كقولهم «أنف النهار» أي أوله، و«رَعَيْنَا أنْفَ النَّبْتِ» أي أوله، قال امرؤ القيس: [الرمل]

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أنْفِهِ   لاحِقُ الإطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ[2]

وقوله «في أنفه» أي في أول جريه وأشده، ويقال «في أنفه» في أنف الغَيْثِ الذي ذكره، أي في أوله، يقول: لم يطأ هذا الغيثَ أحَدٌ قبلي، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس، وكذلك قول أعرابي يصف البرق: [الطويل]

إذا شَمَّ أنْفَ اللَيْلِ أوْمَضَ وَسْطَه   سَناً كابْتِسَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفُ[3]

إنما أراد إذا اشْتَمَّ أول الليل، وقال آخر أنشدَنَاه الأخفش عن ثعلب يذم رجلاً: [الرجز]

مَا زَالَ مَجْنُوباً عَلَى اَسْتِ الدَّهْرِ   ذَا جَسَدٍ يَنْمِي وَعَقْلٍ يَحْرِي[4]

فجعل للدهر اَستاً، وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس: [الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتَ الدَّهْرَ وَعْراً سَبِيلُهُ   وَأَبْدَى لَنَا ظَهْراً أَجَبَّ مُسَلَّعَا
وَمَعْرَفَةً حَصَّاءَ غَيْرَ مُفَاضَةٍ   عَلَيْهِ وَلَوناً ذَا عَثَانِينَ أَجْمَعَا
وَجَبْهَةَ قِرْدٍ كالشِّرَاكِ ضَئِيلَةً   وَصَعَّرَ خَدَّيْهِ وَأَنْفاً مُجَدَّعَا[5]

فجعل للدهر ظهراً أجبّ، ومعْرَفةً حَصَّاء، ولوناً ذا عثانين، وشبه جبهته بجبهة قرد، وجعل أنفه أنفاً مجدَّعاً، وهذا الأعرابي إنما تمَلَّحَ بهذه الاستعارات في هجائه

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص٧٦٢، ورواية البيت في الديوان:
إذا شمّ أنف البرد ألحق بطنه   مراسُ الأوابي وامتحان الكوتمِ

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ١٤٤، والعقد الثمين ص٧٥.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) الرجز لأبي نخيلة في لسان العرب (أست)، (سته)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٥٥، وتاج العروس (أست)، وأساس البلاغة (سته)، وبلا نسبة في لسان العرب (حرى)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢١٢، ٦/ ١١٨، ١٣/ ٤٦، والمخصص ٩/ ٦٦، وتاج العروس (حرى).

(٥) الأبيات لم أجدها في المصادر والمراجع التي بين يدي.

للدهر، وجاء بها هازئاً، ومثل هذا في كلامهم قليل جداً، وليس مما يعتمد ويجعل أصلاً يُحْتَذَى عليه ويستكثر منه.

* * *

٢٤ - ومن رديء استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله: [البسيط]

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الهَوَى ماء أقَلَّ قَذًى ... مِنْ مَاءِ قَافِيَةٍ يَسْقِيكَهُ فَهِمُ[1]

فجعل للقافية ماء على الاستعارة؛ فلو أراد الرونَقَ لصلح، ولكنه قال «يسقيكه» فَفَسَدَ معنى الرونق؛ لأنك إذا قلت «هذا ثوب له ماء» لم تجعل الماء مشروباً فتقول: ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان، أو رأيته على فلان الملك؛ وكذلك لا تقول: ما شربت ماء أعذب من ماء «قِفَا نَبْكِ» أو أعذب من ماء قصيدة كذا؛ لأن للاستعارة حدًّا تصلح فيه، فإذا جاوزته فسدت وقبحت.

فأما قولهم «فلان حُلْوُ الكلام» و«عَذْبُ المنطق» أو «كأن ألفاظه فُتَاتُ السكَّر» فهذا كلام الناس على هذه السياقة، وليس يريدون حلاوة على اللسان، ولا عذوبة في الفم، وإنما يريدون عذباً في النفوس، وحُلواً في القلوب، كما قال هو، أعني أبا تمام: [الكامل]

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا ... أَرَجاً، وتُؤْكَلُ بالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ[2]

وكذلك قولهم «حلو المنظر» إنما يريدون حُلْواً في العين، ولا تقول: ما ذقت أحْلَى من كلام فلان، ولا ما شربت أعذب من ألفاظ عمرو؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة، لا الاستعارة، ولكن يقال: هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّلَ به، وزيد يُشْرَب مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته، وعمرو يؤكل ويشرب لرقة طبعه، ولا تقول: ما شربت أعذب من عمرو، ولا ما أكلت أحْلَى من عبد الله، فاعلم هذا؛ فإن حدود الاستعارة معلومة.

فأما قوله: [الكامل]

لَمَكَاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطْيَبُ ... وَأَمَرُّ فِي حَنَكِ الْحَسُودِ وَأَعْذَبُ[3]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٠٣، من قصيدة يعاتب فيها محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل، ورواية البيت في الديوان:

لم تسق بعد الهوى ماءً على ظمأٍ ... ماءً كقافية يسقيكه فهِمُ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٣، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه.

(٣) هو مطلع القصيدة المتقدمة في الحاشية السابقة.

فالمكاسر: الأخلاق، وإنما أراد أمرَّ في حنك العدو إذا نطق بها، أو أمَرَّ في حنكه أن يذكرها، أو يخبر بها، وأعذب في حنك وليه ووَدِيدِهِ إذا نَشَرها، وكما قال زُهَير: [الوافر]

تُـلَـجْـلِـجُ مُـضْـغَـةً فِـيـهَـا أَنِـيـضٌ أَصَـلَّـتْ فَـهْـيَ تَـحْـتَ الـكَـشْـحِ دَاءُ(١)

لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض: أي لم تنضج، وأصلّت: تغيرت وأنْتَنَتْ، وذلك لما جعلها مضغة أي لقمة في فيه؛ فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد؛ فتفهمه فإنه واضح.

وأما قوله: [الكامل]

لا تَـسْـقِـنِـي مـاءَ الـمَـلامِ فـإنَّـنِـي صَـبٌّ قَـدِ اسْـتَـعْـذَبْـتُ مـاءَ بُـكَـائِـي(٢)

فقد عِيبَ، وليس بعيب عندي؛ لأنه لما أراد أن يقول «قد استعذبْتُ ماء بكائي» جعل للملام ماء؛ ليقابل ماءَ بماءٍ وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة، كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة، وإنما هي جزاء عن السيئة؛ وكذلك: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ [هود: ٣٨] والفعل الثاني ليس بسُخْرِيَةٍ، ومثلُ هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل.

فلما كان مجرى العادة أن يقول القائل: أغلظت لفلان القول، وجَرَّعته منه كأساً مرّة، وسقيته منه أمرَّ من العلقم، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة ـ جعل له ماء على الاستعارة، ومثل هذا كثير موجود.

وقد احتجَّ محتج لأبي تمام في هذا بقول ذي الرمة: [الطويل]

أَدَاراً بِـحُـزْوَى هِـجْـتِ لِـلْـعَـيْـنِ عَـبْـرَةً فـمَـاءُ الـهَـوَى يَـرْفَـضُّ أو يَـتَـرَقْـرَقُ(٣)

وقول الآخر: [الطويل]

وكـأْسٍ سَبَـاهَـا الـتَّـجْـرُ مِـنْ أرْضِ بَـابِـلٍ كَـرِقَّـةِ مَـاءِ الـبَـيْـنِ فِـي الأعْـيُـنِ الـنُّـجْـلِ(٤)

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤، من قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت.

(٣) البيت في ديوان ذي الرمة ص٤٥٦، وخزانة الأدب ٢/ ١٩٠، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٨٨، والكتاب ٢/ ١٩٩، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٣٦، ٥٧٩، وبلا نسبة في الأغاني ١٠/ ١١٩، وأوضح المسالك ٤/ ٣٨٨، وشرح الأشموني ٢/ ٤٤٥، والمقتضب ٤/ ٣٠٣.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

وهذا لا يشبه ماء الملام؛ لأن ماء الملام استعارة، وماء الهوى ليس باستعارة؛ لأن الهوى يُبكي؛ فتلك الدموع هي ماء الهوى في الحقيقة، وكذلك البين يبكي؛ فتلك الدموع هي ماء البين على الحقيقة.

فإن قيل: فإن أبا تمام أبكاه المَلاَمُ، والملام قد يبكي على الحقيقة؛ فتلك الدموع هي ماء الملام على الحقيقة.

قيل: لو أراد أبو تمام ذلك لما قال «قد استعذبت ماء بكائي» لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء أيضاً، ولم يكن يستعفى منه.

* * *

٢٥ ـ ومن رديء استعاراتِهِ وقبيحها قولُه: [البسيط]

مُـقَـصِّـرٌ خُـطُـوَاتِ الْـبَـثِّ فِـي بَـدَنِـي عِـلْـمـاً بـأنّـيَ مَـا قَـصَّـرْتُ فـي الـطَّـلَـبِ[1]

فجعل للبَثِّ ـ وهو أشد الحزن ـ خطواتٍ في بدنه، وأنه قد قصرها؛ لأنه ما قَصَّرَ في الطلب، وهذا من وساوسه المحكمة، وإنما أراد به قد سهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر في الطلب؛ لأنه لو قَصَّر كان يأسف ويشتد حزنه، فجعل للحزن خُطًى في بدنه قصيرةً لما جَعَله سهلاً خفيفاً، وهذا ضد المعنى الذي أراد؛ لأن الخطى إذا طالت أخذت من الشيء الذي تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة؛ فعلى هذا يجوز أن يقع قلبه أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسها من البث ـ وهو الحزن ـ قليلٌ ولا كثير.

فإن قيل: إنما أراد أن الحزن هو في قلبه خاصة، وأن قوله «في بدني» أي في قلبي؛ لأن قلبه في بدنه.

قيل: الأمر واحد في أن الْخُطَى إذا طالت على الشيء ـ قَلْبَهُ كان أو ما سواه ـ أخذت منه أقلَّ مما تأخذ إذا قصرت

فإن قيل: أراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة.

قيل: هذا غلط من التأويل، وليس العملُ على إرادته، وإنما العمل على توجيه معاني ألفاظه.

وبعد، فإن من أعجب الوَسْوَاس خطوات البث في البدن.

* * *

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧٨، من قصيدة له في الفخر، ورواية صدر البيت في الديوان:

مـقـصّـرٌ خـطـرات الـهـمّ فـي بـدنـي

٢٦ ـ ومن رديء استعاراته وقبيحها قولُه: [الكامل]

جَارَى إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَصْلَ خَرِيدَةٍ ... مَاشَتْ إِلَيْهِ الْمَطْلَ مَشْيَ الأَكْبَدِ(١)

الهاء في «إليه» راجعةٌ إلى المحب، يريد أن البيت ووَصْلَ الخريدة تجارَيَا إليه، فكأنه أراد أن يقول: إن البين حالَ بينه وبين وصلها، واقتطعها عن أن تَصِلَه، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجاري، فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارَيَا إليه، وأن الوصل في تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه، فجعلهما متجارِيَيْنِ، ثم أتى في المصراع الثاني بنحو من هذا التخليط، فقال: ماشت إليه المطل مشي الأكْبَدِ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل: أي لما عزمَتْ على أن تصله عزمَتْ عزمَ متثاقلٍ مماطل فجعل عزمها مشياً، وجعل المطل مماشياً لها، فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية: خَبِّرُونا كيفَ يُجَارِي البينُ وَصْلَهَا؟ وكيف تماشي هي مَطْلَها؟ ألا تسمعون؟ ألا تضحكون؟

وأنشد أبو العباس ابن المعتز في كتاب سرقات الشعراء لسَلْم الخاسر يعيبه برديء الاستعارة في قوله يرثي موسى الهادي: [البسيط]

لَوْلاَ الْمَقَابِرُ ما حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ ... لا، بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفِ كَلْمُهُ دَامِي(٢)

وقال: هذا رديء كأنه من شعر أبي تمام الطائي! وليت لم يكن لأبي تمام من رديء الاستعارة إلا مثل استعارة سَلْم هذه أو نحوها، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق.

* * *

ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ مُفَرَّقاً في أشعار الأوائل، وهو ما اشتق بعضه من بعض، نحو قول امرىء القيس: [الطويل]

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرضِهِ ... لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا(٣)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٧، من قصيدة يمدح بها المأمون، وقيل: المعتصم بالله. والأكبدِ: الذي يشتكي كبده.

(٢) البيت في ديوان سلم الخاسر، وهو بيت منفرد.

(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

وقوله أيضاً: [الطويل]

وَلَـكِـنَّـنِـي أَسْـعَـى لِـمَـجْـدٍ مُـؤَثَّـلٍ   وَقَـدْ يُـدْرِكُ الـمجدَ الـمُـؤَثَّـلَ أَمْـثَالِي[1]

وقول القطَاميّ: [الوافر]

ولـمّـا رَدَّهَـا فـي الـشَّـوْلِ شَـالَـتْ   بِـذَيَّـالٍ يَـكُـونُ لَـهَـا لِـفَـاعَـا[2]

وقول ذي الرمة: [الطويل]

كَـأَنَّ الـبُـرَى وَالْـعَـاجَ عِـيـجَـتْ مُـتُـونُـهُ   عـلـى عُـشَـرٍ يَـزمِـي بِـهِ الـسَّـيْـلُ أَبْـطَـحُ[3]

وقول رجل من عَبْسٍ: [البسيط]

وذَلِـكُـمْ أَنَّ ذُلَّ الـجَـارِ حَـالَـفَـكُـمْ   وَأَنَّ أَنْـفَـكُـمُ لا يَـعْـرِفُ الأَنَـفَـا[4]

وقول مسكين الدارمي: [البسيط]

وَأَقْـطَـعُ الْـخَـرْقَ بِـالْـخَـرْقَـاءِ لاَهِـيَـةً   إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجىٰ سُرُجَا[5]

وقول حَيَّان بن ربيعة الطائي: [الوافر]

لَـقَـدْ عَـلِـمَ الْـقَـبَـائِـلُ أَنَّ قَـوْمِـي   لَـهُـمْ حَـدٌّ إِذَا لُـبِـسَ الْـحَـدِيـدُ[6]

وقول النعمان بن بشير لمعاوية: [الطويل]

أَلَـمْ تَـبْـتَـدِرْكُـمْ يَـوْمَ بَـدْرٍ سُـيُـوفُـنَـا   وَلَـيْـلُـكَ عَـمَّـا نَـابَ قَـوْمَـكَ نَـائِـمُ[7]

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص٣٩، وإصلاح المنطق ص٢١، والإنصاف ١/ ٨٤، وجمهرة اللغة ص١٢١، وخزانة الأدب ١/ ٣٢٧، والدرر ٢/ ٢٠٧، ورصف المباني ص٣١٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨، وشرح شواهد الإيضاح ص٩٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤٢، ٢/ ٦٤٢، ولسان العرب (أثر)، وتاج العروس (أثل)، (لو)، والبيت بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٣٤٠، ومغني اللبيب ١/ ٢٥٦، وهمع الهوامع ١/ ١٤٣.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.

(٣) تقدم البيت مع تخريجه.

(٤) البيت بلا نسبة في كتاب الصناعتين ص٣٢٧، ونقد الشعر ص٦١.

(٥) البيت في كتاب الصناعتين ص٣٢٦ (صدره فقط)، ونقد الشعر ص٦١.

(٦) البيت لحسان بن ربيعة الطائي في لسان العرب (ملح)، والتنبيه والإيضاح ١/ ٢٧٤، وكتاب الصناعتين ص٣٢٧، ونقد الشعر ص٦١.

(٧) البيت في كتاب الصناعتين ص٣٢٧، ونقد الشعر ص٦١.

وقول جرير: [الطويل]

فَمَا زَالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عَنِ النَّدَى ... وَمَا زَالَ مَحْبُوساً عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ[(١)]

وقول الفرزدق: [الطويل]

خُفَافٌ أَخَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابَهُ ... وَأَوْسَعَهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبِ[(٢)]

وكأن هذين الشاعرين في تجنيس ما جنّسا من هذه الألفاظ وحاجتهما إليه يشبه قول النبي ﷺ: **«عُصَيَّةُ عَصَتِ الله، وغِفَارٌ غَفَرَ الله لَهَا، وأَسْلَمُ سَالمها الله»**.

ونحوُ هذا مما تعمَّد الشعراء لتجنيسه قولُ جَنْدَل بن الراعي: [الطويل]

فَمَا عَمَرَتْ عَمْرٌو وَقَدْ جَدَّ سَعْيُهَا ... وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا بَنُو سَعْدِ[(٣)]

ومن ألطف ما جاء من التجنيس وأحْسَنِه في كلام العرب قولُ القُطَامي: [البسيط]

كنية الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظِ فَاحْتَمَلُوا ... مُسْتَخْقِبِينَ فُؤَاداً مَا لَهُ فَادِي[(٤)]

ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود، لكنَّه إنما يأتي منه في القصيدة البيتُ الواحد والبيتان، على حسب ما يتفق للشاعر، ويحضر في خاطره، وفي الأكثر لا يعتمده، وربما خلا ديوان الشاعر المكْثِرِ منه؛ فلا تُرَى فيه لفظة واحدة.

فاعتمده الطائي، وجعله غَرَضَه، وبنى أكثر شعره عليه، فلو كان قَلَّلَ منه واقتصر على مثل قوله: [الكامل]

* يَا رَبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومِ[(٥)] *

وقوله: [الوافر]

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٥) عجزه:

مستسلم لجوى الفراق سقيم

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٧، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.

* أرَامَـــةُ كُـــنْـــتِ مَـــأْلَـــفَ كُـــلِّ رِيــــمِ[(١)] *

وقوله: [البسيط]

* يَـا بُـعْـدَ غَـايَـةِ دَمْـعِ الْـعَـيْـنِ إنْ بَـعُـدُوا[(٢)] *

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ـ لكان قد أتى بالغَرَض، وتخلص من الهُجْنَة والعيب، فأما أن يقول: [البسيط]

قَـرَّتْ بِـقَـرَّانَ عَـيْـنُ الـدِّيـنِ وَانْـشَـتَـرَتْ بِالأشْتَرَيْنِ عُيُونُ الشِّرْكِ فَاصْطُلِمَا[(٣)]

فانشتار عيون الشرك في غاية الْغَثَاثة والقباحة، وأيضاً فإن انتشار العين ليس بموجب للاصطلام، وقوله: [الخفيف]

إنَّ مَـــنْ عَـــقَّ وَالِـــدَيْـــهِ لَـــمَـــلْـــعُـــو نٌ، وَمَـنْ عَـقَّ مَـنْـزِلاً بِـالْـعَـقِـيـقِ[(٤)]

وقوله: [الكامل]

ذَهَـبَـتْ بِـمَـذْهَـبِـهِ الـسَّـمَـاحَـةُ فَـالْـتَـوَتْ فِـيـهِ الـظُّـنُـونُ أَمَـذْهَـبٌ أَمْ مُـذْهَـبُ[(٥)]

وقوله: [الوافر]

* خَـشُـنْـتِ عَـلَـيْـهِ أُخْـتَ بَـنِـي خُـشَـيْـنِ[(٦)] *

---

(١) عجزه:

لَـــو اســـتـــمـــتـــعـــت بـــالأنـــس الـــمـــقـــيـــم

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٧١، من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين.

(٢) عجزه:

هـــي الـــصـــبـــابـــة طـــول الـــدهـــر والـــســـهـــدُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٩٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٤، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٣، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. وانظر كتاب الصناعتين ص٣٣٥.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٣، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه.

(٦) عجزه:

وأنـــجـــح فـــيـــك قـــول الـــعـــاذلـــيـــن

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٠٣، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم. ويذكر إيقاعه بالمحمرة وأصحاب بابك، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكل من جاء قتل وجزت أذنه، حتى وجّه إلى المعتصم بستين ألف أذن.

فهذا كله تجنيسٌ في غاية الشناعة والركاكة والهجانة، ولا يزيد زيادة على قبح قوله: [الطويل]

فَاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ مَا سَلِمَتْ   سِلامُ سَلْمىٰ، وَمَهْمَا أَوْرَقَ السَّلَمُ[١]

فإن هذا من كلام الْمُبَرْسَمِينَ، وقد عابه أبو العباس عبدُ الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات في كتاب البديع، جاء بها في قبح التَّجْنيس.

وقد جاء من التجنيس في أشعار العرب ما يُسْتكره، نحو قول امرىء القيس: [الطويل]

* وَسِنًّا كَسُنَّيْقٍ سَنَاءً وَسُنَّمَا[٢] *

ولم يعرف الأصمعي هذا، ولا أبو عمرو وقال أبو عمرو: وهو بيت مَسْجِدِيّ: أي من عمل أهل المسجد، وقال الأصمعي: السن: الثور، ولم يعرف سنيقاً، ولا سنماً، ويقال: سنيق جبل، ويقال: أكَمَةٌ، وسنم ههنا: البقرة الوحشية، سناء: أي ارتفاعاً، ويروى «سناماً» أي ارتفاعاً أيضاً، من «تَسَنَّمْتُ الجبَل» علوته.

وقول الأعشى: [البسيط]

* شَاوٍ شَلُولٌ مِشَلٌّ شُلْشُلٌ شَوِلُ[٣] *

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء، وقرأ هذه القصيدة على أبي الحسن علي بن سليمان النحوي قَارِئٌ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن: صُرِعَ والله الرجلُ.

وما زلت أراهم يستكرهون قول ذي الرمّة: [الطويل]

---

(١) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) يروى البيت بتمامه:

وسِنٌّ كسُنَّيقٍ سناءً وسُنَّماً   ذعرتُ بمدلاج الهجير نهوضِ

والبيت لامرىء القيس في ديوانه ص٧٦، وجمهرة اللغة ص٨٦١، ولسان العرب (سنق)، وله أو لأبي دؤاد الإيادي في الدرر ٤/١٢٩، وشرح شواهد المغني ١/٤٠٣، وليس في ديوان أبي دؤاد، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٩/٥٦٧، وهمع الهوامع ٢/٢٧.

(٣) صدره:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

* عَـصَـا قَـسٍّ قُـوسٍ لِـيـنُـهَـا وَٱعْـتِـدَالُـهَـا[١] *

ويروى «عَصَا عَسَّطُوسٍ» وقد قيل: إنه الخيزران.

وهذا إنما جاء من هؤلاء مُقَلّلاً نادراً؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى لوَاحِدٍ منهم حرفاً واحداً ما وَجَدْته، والطائيُّ استفْرَغ وُسْعه في هذا الباب، وجَدَّ في طلبه، واستكثر منه، وجعله غَرَضَه؛ فكانت إساءته فيه أكْثَرَ من إحسانه، وصوابُهُ أقَلَّ من خطئه.

* * *

ما يستكره للطائي من المطابق

ورأى الطائي الطِّبَاقَ في أشعار العرب، وهو أكثر وأوْجَدُ في كلامها من التجنيس، وهو: مقابلة الحرف بضدِّه أو ما يقارب الضد، وإنما قيل «مطابق» لمساواة أحد القسمين صاحبه، وإن تضادَّا أو اختلفا في المعنى، ألا ترى إلى قولهم في أحد المعنيين ـ إذا لم يشاكل صاحبه ـ ليس هذا طبق هذا، وقولهم في المثل «وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَه» والطبق للشيء إنما قيل له طَبَقٌ لمساواته إياه في المقدار، إذا جُعل عليه أو غُطِّي به، وإن اختلف الجنسان.

قال الله عزّ وجل: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩] أي: حالاً بعد حال، ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى، وإنما أراد جلّ وعز ـ وهو أعلم ـ تساويَهما فيكم، وتغييرهما إياكم؛ بمرورهما عليكم، ومنه قول العباس بن عبد المطلب: [المنسرح]

* إذا انْـقَـضَـى عَـالَـمٌ بَـدَا طَـبَـق[٢] *

---

(١) صدره:

عـلـى أمـر مـنـقـدُ الـعـفـاء كـأنـه

والبيت لذي الرمة في ديوانه ص٥٢٦، وأساس البلاغة (قسس)، ولسان العرب (عسطس)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٩٠، وتهذيب اللغة ٢/ ٦٤، ٣/ ٣٣٧، وكتاب العين ٢/ ٣٢٧، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٣٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٤١، ومجمل اللغة ٤/ ١٣٢، ولسان العرب (عسط). ورواية عجز البيت في الديوان:

عـصـا عـسـطـوس لـيـنـهـا واعـتـدالُـهـا

(٢) يروى البيت بتمامه:

تـنـقـل مـن حـالـبٍ إلـى رحـم إذا مـضـى عـالَـمٌ بـدا طـبـقُ

والبيت في لسان العرب (صلب)، وتهذيب اللغة ٩/ ٩، ١٢/ ١٩٧، وأساس البلاغة (طبق)، وتاج العروس (صلب).

أي: جاءت حال أخرى تتلو الحالَ الأولى؛ ومنه طباق الخيل، يقال: طابَقَ الفرس إذا وَقَعَتْ قوائم رجليه في موضع قوائم يديه في المشي أو العَدْو؛ وكذلك مشي الكلاب، قال الجَعْدِيُّ: [المتقارب]

* طِبَاقَ الكِلَابِ يَطَأْنَ الهَرَاسَا[١] *

فهذا حقيقة الطباق، إنما هو مُقابلة الشيء لمثله الذي هو على قدره، فَسَمَّوْا المتضادين - إذا تقابلا - مطابقين؛ ومنه قول زهير: [البسيط]

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إذَا ... ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أقْرَانِهِ صَدَقَا[٢]

فطابق بين قوله «كذب» وبين قوله «صدقا»؛ وقول طُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ يصف فرساً: [البسيط]

* يُصَانُ وَهْوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ[٣] *

فطابق بين قوله «يُصَان» وبين قوله «مبذول»، وقول طرفةَ بن العبد: [الطويل]

* بَطِيءٍ عَنِ الْجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَا[٤] *

فطابق بين «بطيء» و«سريع»: فلو اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى نحو قوله: [الكامل]

---

(١) صدره:

وخيلٍ يطابقن بالدارعين

والبيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص٧٩، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣١٠، وجمهرة اللغة ص٣٥٩، ٧٢٤، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٤٠، ٦/ ٤٦، وتهذيب اللغة ٩/ ٧، ولسان العرب (هرس)، (طبق)، وتاج العروس (هرس)، والشعر والشعراء ص٣٠٢، وبلا نسبة في مجمل اللغة ٤/ ٤٧٤.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٣) صدره:

بساهم الوجه لم تقطع أباجله

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٤) عجزه:

ذلولٍ بإجماع الرجال ملهَّدِ

والبيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص٤٠، ولسان العرب (لهد)، وتهذيب اللغة ٦/ ٢٠٢، وتاج العروس (لهد)، (جمع)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٤٨٤، والمخصص ٦/ ١٠١.

* نَـشَـرَتْ فَـرِيـدَ مَـدَامِـعٍ لَـمْ تُـنْـظَـمِ[١] *

ونحو قوله: [الطويل]

* جُفُوفَ الْبِلَى أَسْرَعْتَ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ[٢] *

ونحو قوله: [البسيط]

قَدْ يُنْعِمُ اللّهُ بالْبَلْوَى وَإنْ عَظُمَتْ ... ويَبْتَلِي اللّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بالنِّعَمِ[٣]

وأشباه هذا من جيد أبياته، وتجَنَّبَ مثلَ قوله: [الكامل]

قَـدْ لانَ أكـثـرُ مَـا تُـرِيـدُ، وَبَـعْـضُـهُ ... خَـشِـنٌ، وَإنِّـي بـالـنَّـجَـاحِ لَـوَاثِـقُ[٤]

وقوله: [الطويل]

لَـعَـمْـرِي لَـقَـدْ حُـرِّرْتَ يَـوْمَ لَـقِـيـتَـهُ ... لَـوَ آنَّ الْـقَـضَـاءَ وَحْـدَهُ لَـمْ يُـبَـرِّدِ[٥]

وقوله: [الطويل]

وَإنْ خَـفَـرَتْ أَمْـوَالَ قَـوْمٍ أَكُـفُّـهُـمْ ... مِنَ النَّيْلِ وَالْجَدْوَى فَكَفاهُ مِقْطَعُ[٦]

ونحو هذا مما يكثر، إن ذكرته ذهب عظيم شعره وسَقَطَ، وأكثر ما عيب عليه منه.

---

(١) عجزه:

والـدمـع يـحـمـل بـعـض ثـقـل الـمـغـرمِ

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) عجزه:

وخـطـب الـردى والـمـوت أبـرحـت مـن خَـطْـبِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٤١، من قصيدة يرثي بها امرأة محمد بن سهل، وهي أخت مروان بن محمد، وفي نسخة: وهي امرأته.

(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٩، من قصيدة يمدح بها أبا زيد كاتب عبد الله بن طاهر ويشكر له سعيه.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٠، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. وخفرت: حرست ومنعت. والنيل: العطاء. وكذلك الجدوى. والمقطع، بكسر الميم: آلة القطع. يريد أنه يجود ويفني ماله ويذهبه في العطاء في حين أن كثيراً من الناس يقبضون أيديهم ويجعلون أنفسهم حرّاساً على أموالهم وخزّاناً لها.

وهذا باب ـ أعني المطابق ـ لقَّبه أبو الفرج قُدَامة بن جعفر في كتابه المؤلف في نقد الشعر «المتكافىء»، وسمي ضرباً من المجانس المطابق، وهو: أن تأتي الكلمة مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها، ويكون معناها مخالفاً، نحو قول الأفْوَهِ الأَوْدِيِّ: [السريع]

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلَ مُسْتَأْنِساً ... بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسْ(١)

والهوجل الأول: الأرض البعيدة، والهوجل الثاني: الناقة العظيمة الخلق الموثّقة، وقول أبي دُوَاد الإياديّ: [المتقارب]

عَهِدْتُ لَهَا مَنْزِلاً دَارِساً ... وَآلاً عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلْنَ آلا(٢)

فالآل الأول: أَعْمِدةُ الخيامِ، والآل الثاني: ما يرفع الشُّخُوصَ.

وقول زياد الأعجم: [الطويل]

وَنُبِّئْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ ... وَلِلُّؤْمِ فِيهِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ(٣)

وما علمت أن أحداً فَعلَ هذا غير أبي الفرج؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقَّبَات، وكانت الألفاظ غير محظورة؛ فإني لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألَّف فيها؛ إذ قد سبقوه إلى اللقب، وكَفَوْه المؤونة.

وقد رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع المجانس المماثل، ويلحقون به الكلمة إذا تكررت وتردَّدت، نحو قول جرير: [الوافر]

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا ... فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادا(٤)

* * *

(١) البيت في ديوان الأفوه الأودي ص١٦، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ص٦٠.

(٢) البيت في ديوان أبي دؤاد الإيادي ص٣٣١، ولسان العرب (أول)، ونقد الشعر ص٦٠، وفي الديوان: «عرفتُ»، بدل: «عهدتُ».

(٣) البيت في كتاب الصناعتين ص٣٠٧، ونقد الشعر ص٦٠.

(٤) البيت لجرير في ديوانه ص١١٩، وخزانة الأدب ٩/ ٣٩٤ ـ ٣٩٩، والخصائص ١/ ٨٣، ٣٩٦، والدرر ٥/ ٢١٠، وشرح شواهد الإيضاح ص١٠٩، وشرح شواهد المغني ص٥٧، وشرح المفصل ٧/ ١٣٢، ولسان العرب (زود)، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٠، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ص٨٦٢، وشرح ابن عقيل ص٤٥٦، ومغني اللبيب ص٤٦٢، والمقتضب ٢/ ١٥٠.

وهذا باب
في سوء نظمه، وتعقيد ألفاظ نَسْجه، ووحشيّ ألفاظه

وما أكثر ما تراه من ذلك، وتجده في شعره، وأظنه سمع ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير بن أبي سُلْمىٰ لما قال فيه: «كان لا يُعاظِلُ بين الكلام، ولا يتتبع حُوشِيَّه، ولا يمدح رجلاً إلا بما في الرجال» فلم يَرْتَضِ هذا لشعره، وأحَبَّ أن يستكثر مما ذَمَّه وعابه.

وقد فَسَّرَ أهْلُ العلم هذا من قول عمر، وذكروا معنى المعاظلة، وهي: مُداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض، من قولك: تعاظَلَ الجراد، وتعاظلت الكلاب، ونحوهما مما يتعلق بعضه ببعض عند السِّفاد، وأكثر ما يستعمل في هذين النوعين، وكذلك فَسَّرُوا حُوشِيّ الكلام، وهو الذي لا يتكرر في كلام العرب كثيراً؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَناً.

وقالوا في معنى قوله «وكان لا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال» أراد أنه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك، ولا يمدح التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف كُلَّ فريق بما ليس فيه، فذكروا هذه الجمل، ثم مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضي الله عنه وضوحاً وبياناً، إلا أبو الفرج قُدَامَةُ بن جعفر فإنه ذكر ذلك في كتابه المؤلف في نقد الشعر ومَثَّلَ له أمثلة فغلط في أمثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً، وقد ذكرت ذلك في كتابٍ بَيَّنْتُ فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه.

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من سائر ما في شعر أبي تمام من هذه الأنواع فإنها كثيرة، وأورد من كل نوع قليلاً، فيستدل به على الكثير؛ فأقول:

إن من المعاظلة التي قد لخصْتُ معناها في الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر ألفاظَ البيتِ بعضَها ببعضٍ، وأن يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها، وإن اختلَّ المعنى بعضَ الاختلال.

* * *

١ ـ وذلك كقول أبي تمام: [البسيط]

خَانَ الصَّفَاءَ أَخٌ خَانَ الزَّمَانُ أخاً عَنْهُ فلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الْكَمَدُ(١)

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت، وهي سبع كلمات آخرها قوله «عنه» ما أشَدَّ تشبثَ بعضها ببعض، وما أقبح ما اعتمده من إدخال ألفاظٍ في البيت من أجل ما يشبهها، وهو «خان» و«خان» و«يتخون» وقوله «أخ» و«أخا» فإذا تأملت المعنى ـ مع ما أفسده من اللفظ ـ لم تجد له حلاوة، ولا فيه كبير فائدة؛ لأنه يريد خان الصفاء أخٌ خانَ الزمانُ أخاً من أجله إذا لم يتخوَّن جسمَه الكمد.

* * *

٢ ـ وكذلك قوله: [الكامل]

يَا يَوْمُ شَرَّدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ بِصَبَابَتِي، وَأَذَلَّ عِزَّ تَجَلُّدِي(٢)

فهذه الألفاظ إلى قوله «بصبابتي» كأنها سلسلة، من شدة تعلق بعضها ببعض، وقد كان أيضاً استغنى عن ذكر اليوم في قوله «يوم لهوي»؛ لأن التشرد إنما هو واقع بلهوه، فلو قال «يا يوم شرد لهوى» لكان أصحَّ في المعنى من قوله: «يا يوم شرد يوم لهوي» وأقربَ في اللفظ؛ فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الأول، وباللهو الثاني من أجل اللهو الذي قبله، ولهوُ اليوم أيضاً بصبابته هو أيضاً من وَسَاوسه وخطئه، ولا لَفظَ أوْلى بالمُعَاظلة من هذه الألفاظ.

* * *

٣ ـ ونحو قوله: [الكامل]

يَوْمٌ أفَاضَ جَوًى أغَاضَ تَعَزِّياً خاضَ الْهَوَى بَحْرَيْ حِجاهُ الْمُزْبِدِ(٣)

فجعل اليوم أفاض جَوًى، والجوى أغاض تعزِّياً، والتعزِّي موصولاً به «خاض الهوى» إلى آخر البيت؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه، مع أن «أفاض» و«أغاض» و«خاض» ألفاظ أوقعها في غير موضعها، وأفعال غير لائقة بفاعلها، وإن

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٢، من قصيدة يرثي بها بني حميد. وانظر كتاب الصناعتين ص٢٩، ٣٣٤.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٧، من قصيدة يمدح بها المأمون، وقيل: المعتصم بالله.

(٣) البيت من أبيات القصيدة التي منها البيت السابق.

كانت مستعارة؛ لأن المستعمل في هذا أن يقال: قد عُلم ما بفلان من جَوًى، وظَهَر ما يكتمه من هَوًى، وبانَ عنه العزاء، وذهب عنه العزاء والتعزي، فأما أن يقال: فاض الجوى، أو أفيض، أو غاض، أو غِيضَ؛ فإنه ـ وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة ـ قبيحٌ جداً، وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزِّي معنًى في غاية البُعد والهجانة، ثم اضطر إلى أن قال «بَحْرَيْ حجاه المزبد» فوحَّد المزبد، وخَفَضَه، وكان وجهه أن يقول «المزبدين» صفة للبحرين؛ فجعله صفة للحجى، ويقال: إنه أراد ببَحْرَي حِجاه المزبد قلبه ودماغه؛ لأنهما موطنان للعقل، وذلك محتمل؛ إلا أنه جعل المزبد وصفاً للحجى، ولا يوصف العقل بالإزباد، وإنما يوصف به البحر، وهذا وإن كان يُتجَاوز في مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عَدَلَ به، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح.

فإذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنياً على مثل هذا وأشباهه، وقد ذكرت من هذه الأمثلة من شعره ما دلَّ على سواها.

فإن قال قائل: إن هذا الذي أنكرته وذَمَمته في الأبيات المتقدمة وفي هذا البيت ـ من شدة تشَبُّث الكلام بعضِه ببعض، وتعلق كل لفظةٍ بما يليها، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها ـ هو المحمود من الكلام، وليس من المُعَاظلة في شيء، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لمّا وَصفوا ما يستجاد ويستحبُّ من النثر والنظم قالوا: هذا كلام يدل بعضُه على بعض، وآخذ بعضُه برقاب بعض.

قيل: هذا صحيح من قولهم، ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف، وإنما أرادوا المعاني إذا وقعت ألفاظُهَا في مواقعها، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكِلة لها التي تقتضي أن تجاورها بمعناها: إما على الاتفاق، أو التضاد، حسبما تُوجبُه قسمة الكلام، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُه، ونحوُ ذلك قولُ زهير بن أبي سُلْمَى: [الطويل]

سَئِمْتُ تَكالِيفَ الْحَيَاةِ، ومَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً ـ لا أَبَا لَكَ ـ يَسْأَمِ[1]

لما قال «ومن يعش ثمانين حولاً» وقدم في أول البيت «سئمت» اقتضى أن يكون في آخره «يسأم» وكذلك قوله أيضاً: [الكامل]

(١) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٩، وكتاب العين ٥/ ٣٧٢، وأساس البلاغة (كلف)، وتاج العروس (كلف).

السِّتْرُ دُونَ الفَاحِشَاتِ، وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ[(١)]

فالستر الأول اقتضى الستر الثاني، وكذلك قوله: [الطويل]

وَمَنْ لاَ يُقَدِّمْ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيُثْبِتَهَا فِي مُسْتَوَى الأَرْضِ تَزْلَقِ[(٢)]

لما قال «ومن لا يقدم رجله مطمئنة» اقتضى أن يأتي في آخر البيت «تزلق» وكذلك قولُ امرىء القيس: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قَنْوَةً وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا[(٣)]

اقتضى «العدم» في البيت أن يأتي بعده «قنوة» وكذلك اقتضى قوله: «وبعد المشيب» قوله طول عمر وملبسا» وكذلك قوله: [المتقارب]

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ[(٤)]

كل لفظة تقتضي ما بعدها.

فهذا هو الكلام الذي يدلُّ بعضُه على بعضٍ، ويأخذ بعضُه برقاب بعض؛ إذا أَنْشَدْتَ صدر البيت علمت ما يأتي في عَجُزه؛ فالشعر الجيد ـ أو أكثره ـ على هذا مبنيّ، وليست بنا حاجة إلى الزيادة في التمثيل على هذه الأبيات.

وأما قول عمر رضي الله عنه في زهير: «إنه كان لا يَتَبَّعُ حُوشِيَّ الكلام» فإن أبا تمام كان لعَمْري يتتبعه، ويتطلبه، ويتعمد إدخاله في شعره؛ فمِنْ ذلك قولُه: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٩٤.

(٢) البيت لابن زهير في شرح أبيات سيبويه ٢/١١٣، ولكعب بن زهير في الكتاب ٣/٨٩، وليس في ديوانه، ولزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٢٥٠، وبلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ص٣٦٠، والمقتضب ٢/٢٣، ٦٧.

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص١٠٨، وأساس البلاغة (لبس)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٣٤١، ومقاييس اللغة ٥/٢٣٠، وتهذيب اللغة ١٢/٤٤٤، ومجمل اللغة ٤/٢٦٣، ولسان العرب (لبس).

(٤) البيت ملفّق من بيتين في ديوان امرىء القيس ص١٨٦، وهما:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعدِ

وإن تقتلونا نقتلكم وإن تقصدوا لدمٍ نقصدِ

أَهْـلَـسُ أَلْـيَـسُ لَـجَّـاءٌ إِلَـى هِـمَـمٍ تُـغَـرِّقُ الأَسْـدَ فِـي آذِيِّـهَـا الـلِّـيَـسَـا[1]

ويروى «أهيسُ أليسُ» والأهيس: الجادّ، وهذه الرواية أجود، وهي مثل: [الرجز]

* إِحْـدَى لَـيَـالِـيـكِ فَـهِـيـسِـي هِـيـسِـي[2] *

والهُلاَسُ: السُّلاَلُ من شدة الهزال؛ فكان قوله «أهلس» يريد خفيف اللحم، والأَلْيَسُ: الشجاع البطل الغاية في الشجاعة، وهو الذي لا يكاد يبرح موضعه في الحرب حتى يَظْفَر أو يهلك؛ فهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اْجتمعتا، لم يقنع بأهلس أليس حتى قال في آخر البيت «اللِّيَسَا» يريد جمع أليس، وقوله: [البسيط]

وَإِنْ بُـجَـيْـرِيَّـةٌ نَـابَـتْ جَـأَرْتُ لَـهَـا إِلَى ذُرَى جَلَدِي فَاسْتُؤْهِلَ الْجَلَدُ[3]

فقال «بجيرية» و«جأرت لها» وهذه الألفاظ وإن كانت معرُوفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت اسْتُقْبحت وثقلت، وكذلك قوله: [الكامل]

* هُـنَّ الْـبَـجَـارِيُّ يَـا بُـجَـيْـرُ[4] *

والبجاري: جمع بُجْرِيَّة، وهي الداهية، وقوله: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦١، من قصيدة يمدح بها عياش بن ربيعة. وفي الديوان: «أهيس»، بدل: «أهلس»، والأهيس والأليس: الشجاع. والهمم: جمع همة، وهي العزيمة. والآذي: الموج. واللّيسا: صفة للأسد.

(٢) يليه:

لا تـنـعـمـي الـلـيـلـة بـالـتـعـريـسِ

والرجز للأسود بن عفار في تاج العروس (هيس)، وبلا نسبة في لسان العرب (هيس)، وتهذيب اللغة ٦/ ٣٦٨، وجمهرة اللغة ص٤٤٧، ٨٦٤، ومقاييس اللغة ٦/ ٢٤، ومجمل اللغة ٤/ ٤٦٠، والمخصص ٧/ ١١٣، وديوان الأدب ٣/ ٤٠٦، ومجالس ثعلب ص٢٤٣، وكتاب العين ٤/ ٧٣، والمستقصى ١/ ٦٠.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٣، من قصيدة يرثي بها بني حميد. والبجيرية: الداهية. ونابت: أصابت. وجأرتُ: رفعتُ صوتي. والذرى: الأعالي، واحدها ذروة. واستؤهل: استحق واستوجب. والجلد: الصبر.

(٤) عجزه:

أهـدى لـهـا الأبـؤس الـغـويـرُ

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

بِـنَـدَاكَ يُـوَسْـى كُـلُّ جُـرْحٍ يَـعْـتَـلِـي رَأبَ الأسَـاةِ بِـدَرْدَبِـيـسٍ قَـنْـطَـرِ[(١)]

الدردبيس والقنطر: من أسماء الدواهي، وقوله: [الكامل]

* قَـدْكَ اتَّـئِـبْ أرْبَـيْـتَ فِـي الْـغُـلَـوَاءِ[(٢)] *

وزاد هذه الألفاظ هجنة أنها ابْتِدَاءُ في ابتداء القصيدة، وقوله: [الطويل]

لَـقَـدْ طَـلَـعَـتْ فِـي وَجْـهِ مِـصْـرَ بِـوَجْـهِـهِ بِـلاَ طَـائِـرٍ سَـعْـدٍ وَلاَ طَـائِـرٍ كَـهْـلِ[(٣)]

وإنما سمع قول بعض الهذليين: [الطويل]

فَـلَـوْ كَـانَ سَـلْـمَـىٰ جَـارَهُ أوْ أجَـارَهُ رِيَـاحُ بْـنُ سَـعْـدٍ رَدَّهُ طَـائِـرٌ كَـهْـلُ[(٤)]

ووجدت في تفسير أشعار هذيل أن الأصمعي لم يعرف قوله «طائر كهل» وقال بعضهم: كهل ضخم، وما أظن أحداً قال «طائر كهل» غير هذا الهذلي، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها، وأحَبَّ أن لا تفوته؛ فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر متقدمٌ إلا أن يأتي في جملة شعره منها اللفظة واللفظتان، وهي في شعر أبي تمام كثيرةٌ فاشية، وقد أنكر الرواةُ على زهير ـ مع ما قاله عمر رضي الله عنه «إنه كان لا يتتبع حُوشِيَّ الكلام» ـ قولَه: [الطويل]

تَـقِـيٌّ نَـقِـيٌّ لَـمْ يُـكَـثِّـرْ غَـنِـيـمَـةً بِـنَـهْـكَـةِ ذِي قُـرْبَـىٰ وَلاَ بِـحَـقَـلَّـدِ[(٥)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٨٨، من قصيدة في عتاب عياش بن لهيعة. والندى: الكرم والعطاء. ويؤسي: يداوي. والرأب الإصلاح وجبر الصدع. والأساة: جمع آس، وهو الطبيب. والدردبيس والقنطر: من أسماء الداهية. يقول: إن كرمك يداوى به الجرح الذي يشق على الأساة علاجه.

(٢) عجزه:

كـم تـعـذلـون وأنـتـم سـجـرائـي

وتقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤١٩، من قصيدة يصف تقتير الرزق عليه في مصر. ورواية عجز البيت في الديوان:

بـلا طـالـعٍ سـعـدٍ ولا طـائـرٍ سـهـلِ

(٤) البيت لأبي خراش الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص١٢٣٨، ولسان العرب (كهل)، وأساس البلاغة (كهل)، وتاج العروس (كهل).

(٥) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٣٤، وشرح شواهد المغني ٢/٦٤٢، ٨٩٠، ولسان العرب (حفلد)، (حقلد)، ومغني اللبيب ٢/٥٢٨.

واستشنعوا «بحقلد» وهي السيء الخلق، ولا يُعْرَف في شعره لفظة هي أنْكَرُ منها، وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحاً فيما وصفه به عمر رضي الله عنه، وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الْوَحْشِيَّة في أراجيز الأعراب، نحو قول بعضه أنشده أبو حاتم: [الكامل]

* فَـشَـجَـا جَـحَـافِـلَـهُ جُـرَافٌ هِـبْـلَـعُ[1] *

وقول آخر: [الرجز]

* غَـزْبـاً حـروراً وجُـلالاً خُـزخُـزَهْ[2] *

وأنشد الأصمعي: [الرجز]

وَآخِـذٌ طَـعْـمَ الـسِّـقَـاءِ سَـامِـط   وَخَـاثِـرٌ عُـجَـالِـطٌ عُـكَـالِـطُ[3]

إذا ذهب عن اللبن حلاوةُ الحليب ولم يتغير فهو سامط، وإذا خَثَرَ اللبن جدًّا حتى ثخن فهو عُكالط، وقال آخر أنشده الأصمعي: [الرجز]

وَرَبْـرَبٍ خِـمَـاصِ   يَـأكُـلْـنَ مِـنْ قَـرَّاص

وَحَمَصِيصٍ وَاصِ[4]

واص: نبتٌ متصل بعضه ببعض.

---

(١) صدره:

وُضِـعَ الـخـزيـرُ فـقـيـل أيـن مـجـاشـعٌ؟

والبيت لجرير في ديوانه ص٩١٣، ولسان العرب (خزر)، (هبلع)، (جرف)، وتاج العروس (خزر)، (جشع)، (هبلع)، (جرف)، (جحفل) وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/ ٥١، وكتاب العين ٢/ ٢٨٢.

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) الرجز لم أجده.

(٤) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (حمص)، (قرص)، (وصي)، وتاج العروس (حمص)، (قرص)، (وصى)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٦٧، والربرب: القطيع من بقر الوحش، وقد يطلقونه على جماعة النساء. والخماص، بكسر الخاء المعجمة، جمع خمصانة، وهي الضامرة البطن. والقراص: جمع قارص، وهو الحامض من لبن الإبل خاصة. والحمصيص، بفتح الحاء والميم، بقلة طيبة الطعم من أحرار البقول تنبت في الرمل، وقال أبو حنيفة الدينوري: بقلة الحمصيص حامضة تجعل في الأقط تأكله الناس والإبل والغنم.

وإذا كان هذا يُسْتَهْجَنُ من الأعرابي القُحّ الذي لا يتعمَّل له ولا يطلبه، وإنما يأتي به على عادته وطبعه؛ فهو من المحدَثِ ـ الذي ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذي تجري عادته به ـ أحْرَى أن يُسْتَهجن، ولهذا أنكر الناسُ على رؤبَةَ استعمالَهُ الغريبَ الوَحْشِيَّ، وذلك لتأخره وقرب عهده، حتى زهد كثير من الرواة في رواية شعره إلا أصحاب اللغة والغريب.

وقد ذكر أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ومعانيهم، عن العنزي، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الصمد السلمي الزارع، قال: حدثني ابن عائشة، قال: قال أبو العتاهية لابن مُنَاذر: إن كنت أردت بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئاً؛ وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا، أرأيت قولك: [الرجز]

* وَمَــنْ عَــادَاكَ يَــلْــقَــى الــمَــرْمَــرِيــسَــا[1] *

أيُّ شيء في المرمريس أعجبك؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر في كتاب الخيل في باب ما يُسْتَدَل به على جَوْدة الفرس وهو يُخضِرُ «وبيضة مرمريس، وهَامَةٌ مَرْمريس، وهي الضخمة» وأراد ابنُ مُنَاذِرِ الداهية.

وقد جاء أبو تمام بالدَّرْدَبيس، وهي أخت المرمريس، فقال: [الكامل]

بِـنَـدَاكَ يُـوسَـىٰ كـلُّ جَـرْحٍ يَـعْـتَـلِـي   رَأَبَ الأسَـاةِ بِـدَرْدَبِـيـسٍ قَـنْـطَـرِ[2]

وهي الداهية أيضاً، وكذا القَنْطر.

* * *

باب
ما كثر في شعره الزِّحاف واضطراب الوزن

وذلك هو ما قاله دِعْبِلُ بن علي الْخُزَاعِيُّ وغيره من المطبوعين: إن شعر أبي تمام بالْخُطَب وبالكلام المنثور أشْبَهُ منه بالكلام المنظوم.

فمن ذلك قوله: [الطويل]

---

(١) الرجز في الأغاني ٤/٩١، ٩٥.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

وَأَنْـتَ بِـمِـصْـرٍ غَـايَـتِـي وَقَـرَابَـتِـي بِـهَـا، وبَـنُـو أَبِـيـكَ فِـيـهَـا بَـنُـو أَبِـي[(١)]

وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل، ووزنه «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُن» وعروضه وضَرْبُه مَفَاعِلُنْ؛ فحذف نون فَعُولُنْ من الأجزاء الثلاثة الأوَل، وحذف الياء من مفاعيلن التي هي المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضاً؛ لأنه حذف خامسه.

وكذلك قوله من هذا النوع: [الطويل]

كَـسَـاكَ مِـنَ الأَنْـوَارِ أَبْـيَـضُ نَـاصِـعٌ وَأَصْـفَـرُ فَـاقِـعٌ وَأَحْـمَـرُ سَـاطِـعُ[(٢)]

فحذف النون من آخر «فعولن» كلها، وهي أربعة، وحذف الياء من «مفاعيلن» التي في المصراع الثاني أيضاً، كما فعل في البيت قبله.

ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً: [الطويل]

يَـقُـولُ فَـيَـسْـمَـعُ، وَيَـمْـشِـي فَـيُـسْـرِعُ وَيَـضْـرِبُ فِـي ذَاتِ الإِلَـهِ فَـيُـوجِـعُ[(٣)]

فحذف النون من «فعولن» الأول، والياء من «مفاعيلن» التي تليها، ومن «فعولن» التي هي أول المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضاً، وهو من الزحاف الحسن الجائز، إلا أنه إذا جاء على التوالي والكثرة في البيت الواحد قَبُح جداً.

وقال: [البسيط]

لَـمْ تَـنْـتَـقِـضْ عُـرْوَةٌ مِـنْـهُ وَلاَ قُـوَّةٌ لَـكِـنَّ أَمْـرَ بَـنِـي الآمَـالِ يَـنْـتَـقِـضُ[(٤)]

وهذا من النوع الأول من البسيط، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ، وعروضه وضربه فَعِلُنْ، فزاد في عروضه حرفاً فصار فاعلن؛ لأنه قال «قُوَّة» فشدد، وذلك إنما يُحسب له في أصل الدائرة لا في هذا الموضع، فإن خَفَّفَها حتى تصير على وزن فَعِلُنْ فيتّزن البيت كان مخطئاً من طريق الغلة، ثم نقص من فاعلن الأول من المصراع الثاني الألف فصار فعلن، وهذا يسمى مخبوناً لأنه حذف ثانيه.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢، من قصيدة يمدح بها عياش بن أبي لهيعة الحضرمي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٦، من قصيدة يصف فيها قومه ويفتخر بهم.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٩، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، ويهجو رجلاً فاخره في المجلس، ورواية صدر البيت في الديوان:

لـم تـنـتـقـض عـروةٌ مـنـه ولا سـبـبٌ

وقال: [المنسرح]

إلـى الـمُـفَـدَّى أبـي يَـزيـدَ الـذي   يَـضِـلُّ غَـمْـرُ الـمُـلُـوكِ فـي ثَـمَـدِهْ[(١)]

وهذا من النوع الأول من المنسرح، ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاتُ مُسْتَفعلن، فحذف السين من مستفعلن الأولى ومن مستفعلن التي هي أول المصراع الثاني فبقي متفعلن، وهذا يُنْقَلُ إلى مفاعلن، ويسمى مخبوناً؛ لأنه حذف ثانيه، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فبقي مستعلن فينقل إلى مُفتعلن، ويقال له: مَطْوِيّ؛ لأنه ذهب رابعه، وحذف الواو مِن مفعولات الأولى والثانية، فصار فاعلات، ويقال له أيضاً: مَطوِيٌّ؛ فأفسد البيت بكثرة الزحاف، وتقطيعُهُ:

إلَلْمفَدْ * دَا أبى ىَ * زيدَ الَّذي * يَضِلْلُغَمْ * رُلْمُلُوكِ * فِيثَمَدِهْ

مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاَتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاَتُ * مُفْتَعِلُنْ

ثم قال في هذه القصيدة: [المنسرح]

جِـلَّـةُ أنْـمَـارِهِ وَهَـمْـدَانِـهِ   والـشُّـمُّ مِـنْ أزْدِهِ وَمِـنْ أُدَدِهْ[(٢)]

فحذف الفاء من مستفعلن الأولى، فعادت إلى مفتعلن، وحذف الواو من مفعولات الأولى ومفعولات الثانية فصارت فاعلات، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن، وتقطيعه:

جِلْلَتُأَنْ * مَارِهِيوَ * هَمْدانِهِي * وَشْشُمْمُمِنْ * أزْدِهِي وَ * مُنْأُدَدِهْ

مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلاَتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلاَتُ * مُفْتَعِلُنْ

وهذه الزحافات جائزة في الشعر غير منكرة إذا قَلَّتْ، فأما إذا جاءت في بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في نهاية القبح، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون.

ومن هذا النوع من المنسرح قوله: [المنسرح]

ولـم يُـغَـيِّـرْ وَجْـهـي عَـنِ الـصِّـبْـغَـةِ ٱلْ   أُوْلَـى بِـمَـسْـفُـوعِ الـلَّـوْنِ مُـلْـتَـمِـعِـهْ[(٣)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٩١، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٣، من القصيدة نفسها المتقدمة.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، وأنفذ إليه حلة وهو بالموصل.

وتقطيعه:

وَلَمْ يُغَىْ * يِزْوَجْهِيعَ * نِصْصِبْغَتِلْ * أُوْلَى بِمَسْ * فِوعِلْلَوْنِ * مُلْتَمِعِهْ

مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولات * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولات * مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن.

ومثل هذه الأبيات في عشره كثير إذا أنت تَتَبَّعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً.

* * *

تمّ السفر الثاني من الموازنة على ما جزّأه مؤلفه رحمه الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ الآمِدِيُّ:

لما كنت قد خَرَّجْت مساويَ أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب أن أبتدىء من مساوي البحتري بسرقاته؛ فإنه أخذ من معاني مَنْ تَقَدَّم من الشعراء وممن تأخر أخْذاً كثيراً.

وحكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه أن ابن أبي طاهر أعْلَمه أنه أخرج للبحتري ستمائةِ بيتٍ مسروق، ومنها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت.

وكان ينبغي أن لا أذكر السرقات فيما أخَرِّجه من مساوي هذين الشاعرين؛ لأنني قَدَّمْتُ القولَ في أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يَرَوْنَ سرقات المعاني من كبير مساوِي الشعراء، وخاصة المتأخرين؛ إذ كان هذا باباً ما تَعَرَّى منه متقدم ولا متأخر، ولكن أصحاب أبي تمام ادّعوا أنه أول سابق، وأنه أصل في الابتداع والاختراع؛ فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس؛ ووجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحتري أيضاً من معاني الشعراء، ولم أستقصِ بابَ البحتري، ولا قصدت الاهتمام إلى تتبعه؛ لأن أصحاب البحتري ما ادّعوا ما ادّعاه أصحابُ أبي تمام لأبي تمام، بل استقصيت ما أخذه من أبي تمام خاصة؛ إذ كان من أقبح المساوي أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من معاني أبي تمام، ولو كان عشرة أبيات، فكيف والذي أخذه منه يزيد على مائة بيت؟

فأما مساوي البحتري ـ من غير السرقات ـ فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بإزاءِ ما أخرجتُهُ من مساوي أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها، فلم أجد في شعره ـ لشدة تَحَرُّزه، وجَوْدةِ طبعه، وتهذيبه لألفاظه ـ من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته، فإن مَرَّ بي شيء منها ألحقته به، إن شاء الله تعالى.

* * *

سرقات البحتري

١ ـ قال: [الكامل]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الكَأْسِ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ[١]

أخذه من قول علي بن جَبَلَة حيث يقول: [الوافر]

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعاً لا يُحِيطُ عَلَيْهِ كَاسُ[٢]

٢ ـ وقال البحتري: [الكامل]

كَالرُّمْحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ فِقْرَةً مُنْقَادَةً تحتَ السِّنَانِ الأصْيَدِ[٣]

أخذه من قول بَشَّار: [الخفيف]

خُلِقُوا قَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً كَكُعُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ[٤]

وأخذه أبو تمام فقال: [الطويل]

جَمَعْتَ عُرَى أَعْمَالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ إلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الأنَابِيبَ عَامِلُ[٥]

٣ ـ وقال البحتري: [الكامل]

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعَةً لَمْ تُوهَبِ[٦]

أخذه من قول الفرزدق: [البسيط]

أعْطَانِيَ الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي أوْ قُلْتُ أُعْطِيتُ مَالاً قَدْ رَآهُ لَنَا[٧]

وبيت البحتري أجود.

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٥٨، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. وفي الديوان: «خلف السنان»، بدل: «تحت السنان». والفقر، بكسر الفاء وسكون القاف: حلية تصاغ على شكل فقار الظهر، شبه كعوب قناة الرمح بها، ويقال: هذا الرمح كعب واحد، إذا كان مستوي الكعوب. وسنان الرمح: طرفه. يقول: إن هؤلاء الفتية ينقادون لأمره ويخضعون لإرادته، فهو منهم بمنزلة السنان من الكعوب.

(٤) البيت في ديوان بشار بن برد ص٢٣٢ (طبعة دار الثقافة).

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤٢، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/١٩٢، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.

(٧) البيت ليس في ديوان الفرزدق، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

٤ ـ وقالَ البحتري: [البسيط]

أُرَدُّ دُونَـكِ يَـقْـظَـانـاً وَيَـأْذَنُ لِـي عَلَيْكِ سُكْرُ الْكَرَى إنْ جِئْتُ وَسْنَانَا(١)

أخذه من قول قَيْس بن الْخَطِيم: [الكامل]

مَـا تَـمْـنَـعِي يَـقْـظَـىٰ فَـقَـدْ تُـؤْتِـيـنَـهُ فِـي الـنَّـوْمِ غَـيْـرَ مُـصَـرَّدٍ مَـحْـسُـوبِ(٢)

٥ ـ وقال البحتري: [الطويل]

مُـلُـوكٌ يَـعُـدُّونَ الـرِّمَـاحَ مَـخَـاصِـراً إذَا زَعْـزَعُـوهَـا وَالـدُّرُوعَ غَـلاَئِـلا(٣)

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسي، ولعله منه أخذه: [الطويل]

ولاَ لاَقِـيـاً كَـعْـبَ بْـنَ عَـمْـرٍو يَـقُـودُهُـمْ أَبُـو دهـشـم نَـسْـجُ الْـحَـدِيـدِ ثِـيَـابُـهَـا(٤)

٦ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

كَـعُـول الـهِـضَـابِ رُحْنَ وَمَا يَمْـلِكْنَ إلاَّ صُـمَّ الـرِّمَـاحِ قُـرُونَـا(٥)

وهذا من نوادر المعاني، وما عُرف مثله إلا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمي، ولعله منه أخذه: [الطويل]

تَـرَى غَـايَـةَ الْـخَـطِّـيِّ فَـوْقَ مُـتُـونِـهِـمْ كَـمَـا أَشْـرَفَـتْ فَـوْقَ الـصِّـوَارِ قـرُونُـهَـا(٦)

٧ ـ وقال البحتري: [الطويل]

يَـنَـالُ الْـفَـتَـى مَـا لَـمْ يُـؤَمِّـلْ، وَرُبَّـمَـا أَتَـاحَـتْ لَـهُ الأَقْـدَارُ مَـا لَـمْ يُـحَـاذِرِ(٧)

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت في ديوان قيس بن الخطيم ص٥٥. والمصرّد: القليل.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والمخاصر: جمع مخصرة، وهي ما يتوكأ عليه كالعصا. والغلائل: الثياب الرقيقة الشفافة، أو ثياب النوم. والمعنى أن هؤلاء الملوك يحسبون الرماح عصياً لكونهم ألفوا حملها وهزها، ويعدون الدروع غلائل لكثرة ابتذالهم لها.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٣٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.

(٦) البيت بلا نسبة في كتاب الصناعتين ص١٥.

(٧) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٣١، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر، ويرثي طاهر بن عبد الله بن طاهر والحسين بن طاهر عم محمد بن عبد الله بن طاهر. وأتاحت: هيأت. والأقدار: جمع قدر، يعني يأتيه الخوف من حيث لا يرتقب.

أخذه من قول الآخر، وأنشده ثَعْلَبٌ: [الكامل]

وَحَـذِرْتُ مِـنْ أَمْـرٍ فَـمَـرَّ بِـجَـانِـبِـي ... لَـمْ يَـلْـقَـنِي، وَلَـقِـيـتُ مَـا لَـمْ أَحْـذَرِ[1]

٨ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

وَإِذَا الأَنْـفُـسُ اخْـتَـلَـفْـنَ فَـمَا يُغْـنِي اتِّفَـاقُ الأَسْـمَـاءِ وَالأَلْقَـابِ[2]

أخذه من قول الفرزدق: [الطويل]

وَقَدْ تَلْتَقِي الأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى ... كَثِيراً، وَلٰكِنْ فُرِّقُوا فِي الْخَلاَئِقِ[3]

٩ ـ وقال البحتري: [المنسرح]

لَـمْ تـخْـطُ بَـابَ الـدِّهْـلِـيـزِ مُـنْـصَـرِفـاً ... إِلاَّ وَخَـلْـخَـالُـهَـا مَـعَ الـشَّـنَـفِ[4]

أخذه من قول أبي نُوَاس: [الرجز]

* قَـدْ جَـمَـعُـوا آذَانَـهُ وَعَـقْـبَـهُ[5] *

١٠ ـ وقال البحتري: [البسيط]

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكِ لِي ... عَمْداً، إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكِ يَعْصِينِي[6]

أخذه من قول حُسَين بن الضحاك الخليع: [الوافر]

وَتَـطْـمَـعُ أَنْ يُـطِـيـعَـكَ قَـلْـبُ سُـعْـدَى ... وَتَـزْعُـمُ أَنَّ قَـلْـبَـكَ قَـدْ عَـصَـاكَـا[7]!

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٥٨، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب. وفي الديوان: «وإن الأنفس»، بدل: «وإذا الأنفس».

(٣) البيت في ديوان الفرزدق ٢/٤٩، ورواية البيت في الديوان:
فقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى ... كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائق

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٣١، من قصيدة يهجو بها ابن أبي قماش. والشنف: القرط يعلق في الأذن، والخلخال: ما يعلق في الرجل، أراد أن رجليها تصير إلى جانب أذنيها، وهي كناية.

(٥) الرجز في ديوان أبي نواس، من أرجوزة مطلعها:
بـات عـلـيّ وبـات صَـخـبُـهْ

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/١٨، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله بن حمدون ويعاتبه.

(٧) البيت للخليل بن أحمد الفراهيدي في ديوانه، من قصيدة مطلعها:
ألا ينهاك شيبك عن صباكا ... وتترك ما أضلك من هواكا
ورواية صدر البيت في الديوان:
أترجو أن يطيعك قلب سلمى

وبيت البحتري أجود.

١١ ـ وقال محمد بن وهيب: [الطويل]

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وَشِيكاً، وَإلاَّ ضِيقَةٌ فَتَفَرَّجُ[(١)]

أخذه البحتري فقال: [الطويل]

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ وَانْجِلاَؤُهَا وَشِيكاً، وَإلاَّ ضِيقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا[(٢)]

١٢ ـ وقال في وصف الذئب: [الطويل]

فَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى وَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ[(٣)]

وقال في هذا المعنى: [الكامل]

قَوْمٌ تَرَى أرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ[(٤)]

أخذه من قول عمرو بن معديكرب الزبيدي: [الكامل]

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ[(٥)]

إلا أن قول عمرو «والطاعنين مجامع الأضغان» في غاية الجودة والإصابة؛ لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب.

١٣ ـ وقال البحتري: [البسيط]

إلَى فَتًى يُتْبِعُ النُّعْمَىٰ نَظَائِرَهَا كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ[(٦)]

أخذه من قول أبي دَهْبل الجمحي: [البسيط]

---

(١) البيت لمحمد بن وهب في الوساطة ص١٥٥.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٢٠٧، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر. وانجلى: انكشف وانقشع، وزال.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/١٦٧، من قصيدة يصف فيها الذئب حين لقيه.

(٤) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه في الموسوعة الشعرية (المجمع الثقافي ـ أبو ظبي) من قصيدة مطلعها:

فلئن حرصتُ على اليسار فربما راح الحريصُ برمّة الحرمانِ

(٥) البيت في ديوان عمرو بن معديكرب ص١٧٢.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٣٦٦، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن كنداج.

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ أَجْرَاسٍ وَأَزْوِقَةٍ كَالبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجِ[(١)]

وهذا إنما أراد قول امرىء القيس: [الطويل]

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي[(٢)]

١٤ ـ وقال البحتري: [المنسرح]

مُحَرِّكاً رَأسَهُ تَوَهَّمُهُ مِنْ عَطْسَةٍ قائماً عَلَى شَرَفِ[(٣)]

يشبه قول الآخر: [الوافر]

كأنَّ أبا السَّمِيّ إذا تَغَنَّى يُحاكِي عَاطِساً فِي عَيْنِ شَمْسِ[(٤)]

١٥ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

سَقَمٌ دونَ أعْيُنٍ ذاتِ سُقْمِ وَعَذابٌ دُونَ الثنايَا الْعِذَابِ[(٥)]

أخذه من قول بشار: [المجتث]

ذات الثَّنَايا الْعِذابِ مِنْ دُونِهِنَّ عَذَابُ[(٦)]

١٦ ـ وقال البحتري: [مجزوء الكامل]

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الذي فِي نَاظِرَيْكَ مِنَ السَّقَمْ[(٧)]

أخذه من قول منصور بن الفرج: [مجزوء الرمل]

---

(١) البيت في ديوان أبي دهبل الجمحي ص٤٦، وهو بيت منفرد.

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٨، وخزانة الأدب ٢/٣٢٦، ٣/٢٧١، وشرح شواهد المغني ٢/٥٧٤، ٧٨٢، وشرح عمدة الحافظ ص٢٧٢، والمقاصد النحوية ٣/٣٣٨، والبيت بلا نسبة في أوضح المسالك ٣/٧٥، وشرح الأشموني ٢/٣٠٠، وشرح شذور الذهب ص٤١٥.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٣٢، من قصيدة يهجو بها ابن أبي قماش. ورواية البيت في الديوان:

مُحَرِّكٌ رأسَهُ تَوهَّمُهُ قد قام عن عطسةٍ على شُرُفِ

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/١٥٦، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب.

(٦) البيت في ديوان بشار بن برد ص٣٣ (طبعة دار الثقافة)، ورواية عجز البيت في الديوان:

مِنْ دونهنّ عذابي

(٧) البيت في ديوان البحتري ١/١٦، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

حَـــلَّ فـــي جِـــسْـــمِـــكِ مَـــا كـــا نَ بِـــعَـــيْـــنَـــيْـــكِ مُـــقِـــيـــمـــا(١)

١٧ ـ وقال البحتري: [الوافر]

تَـجِـدُ بَـدْرَ الـدُّجَـى يَـدْنُـو بِـشَـمْـسٍ إلَـيَّ مِـنَ الـرَّحِـيـقِ الْـخُـسْـرُوَانِـي(٢)

أخذه من قول الخليع: [مجزوء الرمل]

قَـــمَـــرٌ يَـــحْـــمِـــلُ شَـــمْـــســـاً مِـــنْ رَحِـــيـــقِ الْـــخُـــسْـــرُوَانِـــي(٣)

١٨ ـ وقال البحتري: [الطويل]

كَـأَنَّ سُـهَـيْـلاً شَـخْـصُ ظَـمْـآنَ جَـانِـحٍ مَعَ الأفْقِ في نِهْيٍ مِنَ الأرْضِ يَكْرَعُ(٤)

أخذه من قول محمد بن يزيد الحصني السلمي يصف النجوم: [مجزوء الرجز]

حَـــتَّـــى إذَا مَـــا الْـــحُـــوتُ فِـــي حَـــوْضٍ مِـــنَ الـــدَّلْـــوِ كَـــرَعْ(٥)

١٩ ـ وقال البحتري: [الكامل]

قَـوْمٌ إذَا شَـهِـدُوا الْـكَـرِيـهَـةَ صَـيَّـرُوا كُـمَـمَ الـرِّمَـاحِ جَـمَـاجِـمَ الأقْـرَانِ(٦)

أخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول: [البسيط]

يَـكْـسُـو الـسُّـيُـوفَ رُؤُوسَ الـنَّـاكِـثِـيـنَ بِـهِ وَيَـجْـعَـلُ الْـهَـامَ تِـيـجَـانَ الْـقَـنَـا الـذُّبُـلِ(٧)

وأخذه مسلم من قول جرير: [الطويل]

---

(١) البيت في الوساطة ص١٧٦.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٤٠، من قصيدة يمدح بها المعتز بالله، ورواية صدر البيت في الديوان:

تـجـد شـمـس الـضـحـى تـدنـو بـشـمـسٍ

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٩٠، من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد. والنهي: الغدير أو شبهه.

(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه في (الموسوعة الشعرية) من قصيدة مطلعها:

فـلـئـن حـرصـتُ عـلـى الـيـسـار فـربـمـا راح الـحـريـصُ بـرمّـة الـحـرمـانِ

(٧) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غَدَاةَ الْوَغَى تِيجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا[١]

٢٠ ـ وقال البحتري: [الطويل]

وَلِمْ لا أُغالِي بِالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا عَلَيَّ مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ اعْوِجَاجُهَا
إِذَا كَانَ لِي تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلالُهَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَرَاجُهَا[٢]

أظنه ـ والله أعلم ـ حذا على قول شَبيب ابن البَرْصَاء: [الطويل]

تَرَى إِبِلَ الْجَارِ الْغَرِيبِ كَأَنَّمَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا
يَكُونُ عَلَيْهِ نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا وللجَارِ، إنْ كانَتْ تَزِيدُ، ازْدِيادُها[٣]

٢١ ـ وقال أبو صَخْر الهُذَلي: [الطويل]

أَغَرُّ أَسِيديٌّ تَرَاهُ كَأَنَّهُ إذا جَدَّ يُعْطِي مَالَهُ وَهْوَ لاعِبُ[٤]

أخذه البحتري فقال: [الرمل]

وَادِعٌ يَلْعَبُ بِالدَّهْرِ إذا جَدَّ فِي أُكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلْ[٥]

٢٢ ـ وقال عبد الصمد بن المعذَّل: [مجزوء الكامل]

ظَبْيٌ كَأَنَّ بِخَصْرِهِ مِنْ رِقَّةٍ ظَمَأً وَجُوعَا
إِنِّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي يَا قَوْمِ مَمْنُوعاً مَنِيعَا[٦]

أخذه البحتري فقال: [الكامل]

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا وَلَوَ انَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ[٧]

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٢) البيتان في ديوان البحتري ١/٢٠٨، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر. والتربيع: تصييرها ذات ربع، أو أخذ ربعها. واغتلالها: أخذ غلتها.
(٣) البيتان في ديوان شبيب ابن البرصاء، من قصيدة مطلعها:
يدلّ علينا الجارَ آخر قبله وأحلامنا معروفة وسدادُها
(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٥) البيت في ديوان البحتري ١/٣١٥، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر الطائي.
(٦) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٧) البيت في ديوان البحتري ٢/٣١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب. وبذلتْ لنا: أعطيتْ لنا. ولم تبذل: لم تجد.

فزاد على عبد الصمد بقوله «لو بذلت لنا لم تبذل».

٢٣ ـ وقال البحتري: [الكامل]

سُلِبُوا وَأشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا[1]

وهذا مثل قول الحنتف بن السجف الضبي ويجوز أن يكون أخذه منه: [الطويل]

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ٱبْنَيْ هُمَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لها عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إزارا[2]

قوله «لها عاند» يريد الدم.

٢٤ ـ وقال عبد الملك بن عبد الرحمٰن الحارثي: [الطويل]

وَإنِّي لَيَدْعُونِي لأنْ أَسْتَزِيدَهَا فُؤَادِي، وَأَخْشَى سُخْطَهَا وَأَهَابُهَا[3]

ونحوه قول البحتري، ويجوز أن يكون أخذهُ منه: [الكامل]

وَعَتَبْتِ مِنْ حُبِّيكِ حَتَّى إنَّنِي أَخْشَى مَلامَكِ أَنْ أَبُثَّكِ مَا بِي[4]

٢٥ ـ وقال أبو نُوَاس: [مجزوء الرمل]

بُحَّ صَوْتُ المَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ[5]

أخذه البحتريُّ فقال: [الطويل]

فَكَمْ لَكَ فِي الأمْوَالِ مِنْ يَوْمِ وَقْعَةٍ طَوِيلٍ مِنَ الأهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا[6]

٢٦ ـ وقال جابر بن السليك الهمْدَاني: [البسيط]

أَرْمِي بِهَا اللَّيْلَ قُدَّامِي فَيَغْشِمُ بي إذ الكَوَاكِبُ مِثْلَ الأعْيُنِ الحُولِ[7]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧١، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب.

(٢) البيت لبعض العرب في الوساطة ص١٩٧.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٢٢، من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي.

(٥) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
غرّد الديك الصدوحُ فاسقني طاب الصبوحُ

(٦) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، من قصيدة مطلعها:
هواها على أن الصدود سبيلُها مقيمٌ بأكناف الحشا ما يزولُها

(٧) البيت في كتاب الصناعتين ص٣٠٥.

أخذه البحتريُّ فقال: [الخفيف]

وَخَـدَانُ الـقِـلاصِ حُـولاً إذا قـا ... بَـلْـنَ حُـولاً مِـنْ أنْـجُـمِ الأسْـحَـارِ(١)

٢٧ ـ وقال عُرْوَة بن الوَرْد: [الطويل]

مُـطِـلاً عـلـى أعْـدَائِـهِ يَـزْجُـرُونَـهُ ... بِسَاحَاتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ
فَـإنْ بَـعُـدُوا لا يَـأْمَـنُـونَ اقْـتِـرَابَـهُ ... تَـشَـوُّفَ أَهْـلِ الـغَـائِـبِ الـمُـتَـنَـظرِ(٢)

أَلَمَّ به البحتري فقال: [الكامل الأحذّ]

فَـتَـرَى الأعَـادِيَ مـا لَـهُـمْ شُـغُـلٌ ... إلاَّ تَـوَهُّـمُ مَـوْقِـعِ يَـقَـعُـه(٣)

٢٨ ـ وقال البحتري: [البسيط]

عَـلَـيَّ نَـحْـتُ الـقَـوَافِـي مِـنْ مَـقَـاطِـعِـهَـا ... ومـا عَـلَـيَّ إذا لـم تَـفْـهَـمِ الـبَـقَـرُ(٤)

ذكر علي بن يحيى المنجم أن البيت للمجثم الراسبي، وكان شاعراً اتصل بمحمد بن منصور بن زياد، فكسب معه ألف درهم، فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكي فأساء صحبته فهجاه، فقال: [الكامل]

شَـتَّـانَ بَـيْـنَ مُـحَـمَّـدٍ وَمُـحَـمَّـدٍ ... حَـيٌّ أَمَـاتَ وَمَـيِّـتٌ أَحْـيَـانِـي
فَـصَـحِـبْـتُ حَـيًّـا فـي عَـطَـايَـا مَـيِّـتٍ ... وَبَـقِـيـتُ مُـشْـتَـمِـلاً عَـلَـى الـخُـسْـرَانِ(٥)

* * *

فهذا ما مرّ بي من سرقة البحتري من أشعار الناس على غير تتبُّع، فخرَّجتها، ولعلي لو استقصيتها لكانت نحو ما خَرَّجْته من سرقات أبي تمام وتزيد عليها، وعلى أنني قد بَيَّضْتُ في آخر الكتاب، فمهما مَرَّ بي شيء ألحقته به، إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٤٤، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً.
(٢) البيتان في ديوان عروة بن الورد ص٧٠، وتقدم البيت الثاني مع تخريجه.
(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٢٦، من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد.
(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٦١، من قصيدة يمدح بها علي بن مرّ الأرمني. وانظر أخبار أبي تمام ص٥٠.
(٥) البيتان لمخيم الراسبي في لباب الأدب للثعالبي ص٣١٩، والإعجاز والإيجاز للثعالبي ص١٨٥.

وهذا ما أخذه البحتري من معاني أبي تمام خاصة

مما نَقَلْتُهُ من صحيح ما خَرَّجه أبو الضياء بشر بن تميم الكاتب؛ لأنه استقصى ذلك استقصاء بالغَ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق، فكفانا مؤونة الطلب.

١ ـ قال أبو تمام: [الخفيف]

فَسَوَاءٌ إجَابَتِي غَيْرَ داعٍ وَدُعَائِي بالقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ(١)

فقال البحتري: [الكامل]

وَسَأَلْتَ ما لا يَسْتَجِيبُ، وَكُنْتَ في اسْتِخْبَارِهِ كَمُجِيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ(٢)

٢ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

فكادَ بأن يُرَى للشَّرْقِ شَرْقاً وكادَ بأَنْ يُرَى للغَرْبِ غَرْبَا(٣)

فقال البحتري: [الكامل]

فأكُونُ طَوْراً مَشْرِقاً لِلْمشرِقِ الـ أقصىٰ، وَطَوْراً مَغْرِباً للمَغْرِبِ(٤)

٣ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

وإذَا أَرَادَ اللّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ(٥)

فقال البحتري: [الطويل]

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إذا أنتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ(٦)

٤ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

فإنْ تَكُنْ وَعْكَةٌ قَاسَيْتَ سَوْرَتَهَا فالوِرْدُ حِلْفٌ لِلَيْثِ الغَابَةِ الأَضِمِ
إنَّ الرِّيَاحَ إذا ما أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانَ نَجْدٍ ولم يَعْبَأْنَ بالرَّتَمِ(٧)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤١، من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب.
(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٧، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.
(٣) البيت ليس في ديوان أبي تمام، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٩١، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.
(٥) تقدم البيت مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.
(٦) البيت في ديوان البحتري ١/ ٥٥، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وأبا الفتح ابنه.
(٧) البيتان في ديوان أبي تمام ص٢٩٧، من قصيدة قالها في مرض إلياس بن أسد. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

فإن يكن وصبٌ عانيت سورته

والوصب: المرض. والسورة: الحدة. والورد: الحمى. والأضم: الغضوب. والنجد: شجر ذو شوك. والرتم: نبات دقيق جداً كالخيط.

فقال البحتري: [الطويل]

فَلَسْتَ تَرَى شَوْكَ القَتَادَةِ خَائِفاً ... سَمُومَ الرِّيَاحِ الآخِذَاتِ مِنَ الرَّنْدِ
وَلاَ الكَلْبَ مَحْمُوماً وإنْ طَالَ عُمْرُهُ ... ألاَ إنَّمَا الحميّ على الأسَدِ الوَرْدِ[(١)]

٥ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحْدَكَ هِمَّةً ... وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ[(٢)]

فقال البحتري: [الطويل]

ثَنَى أَمَلِي فاحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ ... يَبِيتُونَ والآمَالُ فِيهِمْ مَطَامِعُ[(٣)]

٦ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

بمُحَمَّدٍ وَمُسَوَّدٍ ومُحَسَّدٍ ... وَمُكَفَّرٍ ومُمَدَّحٍ وَمُعَذَّلِ[(٤)]

فقال البحتري: [مجزوء الكامل]

ذاكَ المُحَمَّدُ والمُسَوَّ ... دُ والمُكَرَّمُ وَالمُحَسَّدْ[(٥)]

٧ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَقَدْ قَرَّبَ المَرْمَى البَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الأرْضَ العَزَازَ رَكَائِبُهْ[(٦)]

فقال البحتري: [الطويل]

---

(١) البيت الأول ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، والبيت الثاني في الديوان ٢/ ٣٤٠.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨١، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٧٢، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٢، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ووجه بها إليه من الموصل، ورواية البيت في الديوان:
بمحمدٍ ومكنَّدٍ ومحسَّدٍ ... ومسوَّدٍ وممدَّح ومعذَّلِ

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٧٥، من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلَّد، ورواية البيت في الديوان:
ذاك المرجّى والمبجّـ ... ـل والمؤملُ والمحسّدْ

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب. ورواية عجز البيت في الديوان:
وسهّلت الأرض العزار كتائبُهْ

أَدَارَ رَجَاهُ فَاغْتَدَى جَنْدَلُ الْفَلاَ تُرَاباً، وَقَدْ كَانَ التُّرَابُ جَنَادِلا[(١)]

٨ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

رَافِعٌ كَفَّهُ لِسَبْرِي فَمَا أَحْـ ـسَبُهُ جَاءَنِي لِغَيْرِ اللِّطَامِ[(٢)]

فقال البحتري: [الوافر]

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ عُبُوسِ انْـ ـقِبَاضِهِمُ أَوَعْدٌ أَمْ وَعِيدُ[(٣)]

٩ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أَحْلَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ[(٤)]

فقال البحتري: [الكامل]

نَشْوَان مِنْ طَرَبِ السُّؤَالِ كَأَنَّمَا غَنَّاهُ مَالِكُ طَيِّىءٍ أَوْ مَعْبَدُ[(٥)]

١٠ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لَقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ[(٦)]

فقال البحتري: [الكامل]

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ[(٧)]

١١ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٩٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والجندل: الصخر.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٦، من قصيدة يمدح بها سليمان بن نصر. والسبر: من سبر الجرح وغيره ليتعرف مقداره. واللطام: الضرب على صفحة الخد بالكف.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٥، من قصيدة يقولها لرجل من أهل نصيبين.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٢، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن أصرم، ورواية صدر البيت في الديوان:

ونغمةُ معتفٍ يرجوه أحلى

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧٧، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير، ورواية صدر البيت في الديوان:

نشوان يطرب للسؤال كأنما

(٦) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٧) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٩٢، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.

لاَ الـمَـنْـطِـقُ الـلَّـغْـوُ يَـزْكُـو فِـي مَـقَـاوِمِـهِ يَـوْمـاً، وَلاَ حُـجَّـةُ الـمَـلْـهُـوفِ تُـسْـتَـلَـبُ[1]

فقال البحتري: [البسيط]

إنْ أغْـفَـلُـوا حُـجَّـةً لَـمْ يُـلْـفَ مُـسْـتَـرِقـاً لَـهَـا، وَإنْ يَـهِـمُـوا فِـي الـقَـوْلِ لَـمْ يَـهِـمِ[2]

١٢ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

مَـجْـدٌ رَعَـى تَـلَـعَـاتِ الـدَّهْـرِ وَهْـوَ فَـتًـى حَـتَّـى غَـدَا الـدَّهْـرُ يَـمْـشِـي مِـشْـيَـةَ الْـهَـرَمِ[3]

فقال البحتري: [الكامل]

صَـحِـبُـوا الـزَّمَـانَ الـفَـرْطَ، إلاَّ أنَّـهُ هَـرِمَ الـزَّمَـانُ وَعِـزُّهُـمْ لَـمْ يَـهْـرَمِ[4]

١٣ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

كَـرِيـمٌ مَـتَـى أَمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ وَالْـوَرَى مَـعِـي، وَإذَا مَـا لُـمْـتُـهُ لُـمْـتُـهُ وَحْـدِي[5]

فقال البحتري: [الطويل]

أَأَشْـكُـو نَـدَاهُ بَـعْـدَ أَنْ وَسِـعَ الْـوَرَى وَمَـنْ ذَا يَـذُمُّ الْـغَـيْـثَ إلاَّ مُـذَمَّـمُ[6]

١٤ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

الْـبِـيـدُ وَالْـعِـيـسُ وَالـلَّـيْـلُ الـتَّـمَـامُ مَـعـاً ثَـلاَثَـةٌ أَبَـداً يُـقْـرَنَّ فِـي قَـرَنِ[7]

فقال البحتري: [الخفيف]

أُطْـلُـبَـا ثَـالِـثـاً سِـوَايَ فَـإنِّـي رَابِـعُ الْـعِـيـسِ وَالـدُّجَـى وَالْـبِـيـدِ[8]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥١، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات، وفي الديوان: «الملهوب تستلبُ» بدل: «الملهوف تستلب».

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٤٣، من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٣، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق. والتلعات: جمع تلعة، وهي المجرى من أعلى الأرض إلى بطن الوادي، ويقال: هي ما ارتفع من الأرض، وما انخفض أيضاً. فهي من الأضداد.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/١٢٢، من قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوي.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٢، من قصيدة يمدح بها موسى بن إبراهيم الرافقي، ويعتذر إليه.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٦٨، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٥، وتقدم مع تخريجه.

(٨) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

١٥ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ بَاتَ بِالأَمْسِ صَادِياً ... إِذَا مَا السَّمَاءُ الْيَوْمَ طَالَ انْهِمَارُهَا[١]

فقال البحتري: [الكامل]

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَّانِهِ[٢]

١٦ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُهَا ... فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ[٣]

فقال البحتري: [الكامل]

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا ... فِي وُسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ[٤]

١٧ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلسَّحَابِ صَنِيعَةً ... بِإِسْقَائِهَا قَبْراً وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ[٥]

فقال البحتري: [الكامل]

مَلآنُ مِنْ كَرَمٍ؛ فَلَيْسَ يَضُرُّهُ ... مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهْوَ جَهَامُ[٦]

١٨ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ وَدَرْوَزاً ... فَهُمُ لِدَرْوَزَ وَالظَّلاَمِ مَوَالِي[٧]

فقال البحتري: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٩٠، من قصيدة يعاتب فيها ابن أبي دؤاد.
(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٢، من قصيدة يعاتب فيها الحسن بن وهب.
(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٦، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي. والمغاني: جمع مغنى، وهو المسكن. والعراص: جمع عرصة، وهي ساحة الدار.
(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٠، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله ويذكر خروجه يوم الفطر.
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٦، من قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي. وتقدم البيت مع تخريجه.
(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٨٥، من قصيدة يرثي بها أبا سعيد.
(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله، ويذكر أخذه لبابك.

نَجَا وَهْوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ، وَمَنْ يُولَ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرِ(١)

١٩ - وقال أبو تمام: [البسيط]

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَغْدُو رَوَاحِلُهُ وَعَزْمُهُ أَبَداً مِنْهُ عَلَى سَفَرِ(٢)

فقال البحتري: [البسيط]

مُسَافِرٌ وَمَطَايَاهُ مُحَلَّلَةٌ غُرُوضُهَا، وَمُقِيمٌ وَهْوَ مُرْتَحِلُ(٣)

٢٠ - وقال أبو تمام: [الكامل]

وَتُشَرِّفُ الْعَلْيَا، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمُ(٤)؟

فقال البحتري: [الكامل]

مُتَقَلْقِلُ الْعَزَمَاتِ فِي طَلَبِ الْعُلاَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمَا(٥)

٢١ - وقال أبو تمام: [الطويل]

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلاَ الْمَجْدُ في كَفِّ امْرِىءٍ والدَّرَاهِمُ(٦)

فقال البحتري: [الخفيف]

لِيَفِرْ وَفْرُكَ الْمُوَفَّى وإِنْ أَعْوَزَ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهْ(٧)

٢٢ - وقال أبو تمام: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٣٧٨، من قصيدة يمدح بها أحمد بن دينار بن عبد الله، ويصف مركباً كان اتخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم، وفي الديوان: «مضى»، بدل: «نجا».

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٩١، من قصيدة يعاتب فيها الحسن بن وهب بسبب غلامه، ورواية البيت في الديوان:

أنت المقيم فما تغدو رواحلُهُ وفعلُهُ أبداً منه على سفرِ

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٠٤، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والغروض: جمع غرض، وهو للرحل كالحزام للسرج.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٩، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق حين عزل من الجزيرة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/٢١٩، من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابنَي المدبر.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٩، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.

(٧) البيت في ديوان البحتري ٢/١٠٣، من قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل. وفي الديوان: «الملقّى»، بدل: «الموفّى».

فَـوَفَّـرْتُ يَـافُـوخَ الْـجَـبَـانِ عَـلَـى الـرَّدَى   وَزِدْتَ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي نَجْدَةِ النَّجْدِ(١)

فقال البحتري: [المتقارب]

وَيَـغْـدُو وَنَـجْـدَتُـه فـي الـوَغَـى   تُـدَرِّبُ نَـجْـدَاتِ فُـرْسَـانِـهِ(٢)

٢٣ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

مـا زَالَ وَسْـوَاسِـي لِـعَـقْـلِـيَ خَـادِعـاً   حَـتـى رَجَـا مَـطَـراً وَلَـيْـسَ سَـحَـابُ(٣)

فقال البحتري: [الخفيف]

وَعَـجِـيـبٌ أنَّ الـغُـيُـومَ يُـرَجِّـيـهِنَّ مَنْ لاَ يَـرَى مَـكَـانَ الـغُـيُـومِ(٤)

٢٤ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

بكـلِّ صَعْبِ الذُّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ   أَقَـامَ مُـتَّـئِـداً أَمْ سَـارَ مُـغْـتَـزِمَـا(٥)

فقال البحتري: [البسيط]

لاَ يَـبْـرَحُ الْـحَـزْمُ يَـسْـتَـوْفِي صَـرِيـمَـتَـهُ   أَقَـامَ مُـتَّـئِـداً أَمْ سَـارَ مُـغْـتَـزِمَـا(٦)

٢٥ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

لَـرَدَدْتُ تُـحْـفَـتَـهُ عَـلـيْـهِ وَإِنْ غَـلَـتْ   عَـنْ ذَاكَ وَٱسْتَهْدَيْتُ بعضَ خِصَالِهِ(٧)

وقال أبو تمام: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٤، من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي. وفي الديوان: «ووقرت»، بدل: «ووفرت».

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٦٦، من قصيدة يمدح بها أحمد بن سليمان ابن أخت أبي الصقر. والوغى: الحرب.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٠١، من قصيدة يهجو بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٥٢، من قصيدة يمدح بها يونس كاتب أحمد بن إبراهيم. وفي الديوان: «وعجيب أن الغيوث»، بدل: «وعجيب أن الغيوم».

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٥، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي. والمتئد: المتثبت.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/١٢٧، من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة. وفي الديوان: «يستوفي عزيمته»، بدل: «يستوفي صريمته».

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٦، من قصيدة يمدح بها عبد الحميد بن غالب.

وَٱنْفَخْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيمِكَ نَفْحَةً ... إنْ كَانَتِ الأَخْلَاقُ مِمَّا تُوهَبُ[(١)]

فقال البحتري: [الخفيف]

لا تَسَلْ رَبَّكَ الكَثِيرَ وَسَلْهُ ... خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهْ[(٢)]

٢٦ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الآدَابَ وَحْشَتُهَا ... فَمَا تَحُلُّ عَلَى قَوْمٍ وَتَرْتَحِلُ[(٣)]

فقال البحتري: [الطويل]

ضَوَارِبُ فِي الآفَاقِ لَيْسَ بِنَازِحٍ ... بِهَا مِنْ محلٍّ أوْطَنَتْهُ ٱرْتِحَالُهَا[(٤)]

٢٧ ـ وقال أبو تمام: [السريع]

كَأَنَّمَا خَامَرَهُ أَوْلَقٌ ... أوْ غَازَلَتْ هَامَتَهُ الْخَنْدَرِيسْ[(٥)]

فقال البحتري: [الكامل]

وَتَخَالُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ ... مِنْ جَنَّةٍ أوْ نَشْوَةٍ أوْ أفْكَلِ[(٦)]

٢٨ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

حَمْدٌ حُبِيتَ بِهِ وَأَجْرٌ حَلَّقَتْ ... مِنْ دُونِهِ عَنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٦٤، من قصيدة يمدح بها بعض بني حميد، ورواية صدر البيت في الديوان:

لا تسل ربك الخطير وسله

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٧، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وفي الديوان: «فترتحلُ»، بدل: «وترتحلُ».

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢١٤، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٨، من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء ويطلب منه فرساً. وخامره: خالطه. والأولق: الجنون. وهامته: رأسه. والخندريس: الخمر.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣١٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب. وفي الديوان: «وتظنّ»، بدل: «وتخال». والجنة: الجنون. والأفكل: الرعدة.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه.

فقال البحتري: [الطويل]

فَأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلألأت   كَوَاكِبُهُ إنْ أنْتَ لَمْ تُصِبِ الأجْرَا[(١)]

٢٩ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

تُدْعَى عَطاياهُ وَفْراً وَهْيَ إنْ شُهِرَتْ   كانَتْ فَخَاراً لِمَنْ يَعْفُوهُ مُؤتَنِفَا[(٢)]

فقال البحتري: [الكامل]

وإذا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فإنّهُ   يَهَبُ العُلَى فِي سَيْبِهِ المَوْهُوبِ[(٣)]

٣٠ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَتَلْبَسُ أَخْلاقاً كِرَاماً كأنَّها   على العِرْضِ مِنْ فَرْطِ الحصَانَةِ أدْرُعُ[(٤)]

فقال البحتري: [الكامل]

قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ   لَبِسُوا مِنَ الأحْسَابِ فِيهِ دُرُوعَا[(٥)]

٣١ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمامُكَ أَصْبَحَتْ   تِلْكَ الشُّهُودُ عليَّ وَهْيَ شُهُودِي[(٦)]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/١٥٣، من قصيدة كتبها إلى محمد بن علي القمي، وكان محمد كتب إلى البحتري ببيت، وهو:
هجرت كأنّ الوصلَ أعقبَ هجرةً   وما خلت وصلاً قبلها يعقب الهجرا

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٠، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي. والوفر: الكثير. ويعفوه: يسأله ويطلب رفده. ومؤتنفاً: معيداً.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/١٧٠، من قصيدة يمدح بها يعقوب بن إسحاق النوبختي، ورواية عجز البيت في الديوان:
يهب العلى في نيله الموهوبِ

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦١، من قصيدة يرثي بها إدريس بن بدر السامي من ولد سامة بن لؤي.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/٢٤٥، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف، ورواية عجز البيت في الديوان:
لبستهم الأعراض فيه دروعا

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٥، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ويستشفع بخالد بن يزيد.

فقال البحتري: [الوافر]

وَمُعْتَرِضُونَ إنْ حَاوَلْتُ أمْراً ... بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وَهُمْ شُهُودِي[١]

٣٢ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

أَنْضَرَتْ أيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى ... صارَ سَاقاً عُودِي وكانَ قَضِيبَا[٢]

فقال البحتري: [الكامل]

حَتَّى يَعُودَ الذِّئْبُ لَيْثاً ضَيْغَماً ... والْغُصْنُ سَاقاً والْقَرَارَةُ نِيقَا[٣]

٣٣ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

* فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصَّيِّدِ[٤] *

فقال البحتري: [الطويل]

* وتَصْطَاد الفَوَارِسَ صيدها[٥] *

٣٤ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

الآنَ حِينَ غَرَسْتُ فِي كَرْمِ النَّدَى ... تِلْكَ الْمُنَى وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[٦]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٢٦٩، من قصيدة يعاتب بها إبراهيم بن الحسن بن سهل على عربدة كانت منه عليه، ورواية صدر البيت في الديوان:

ومعترضين إنْ عظّمت أمراً

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٣١١، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والقرارة: القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر. والنيق: أعلى مكان في الجبل.

(٤) البيت بتمامه:

وحشيّةٌ ترمي القلوب إذا اغتدت ... وَسْنَى فما تصطاد غير الصيّدِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٨٢، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه ويستشفع بخالد بن يزيد. والوسْن: الناعسة.

(٥) البيت بتمامه في ديوان البحتري ٢/٦٣:

على أنني أخشى على دار أمنها ... بني الروع يصطادُ الفوارس صيدها

والبيت من قصيدة يمدح بها علي بن مرة. والصِيْد: الأقيال والأبطال والملوك.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٤، من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم بالله. ورواية صدر البيت في الديوان:

فالآن حين غرست في كرم الثرى

فقال البحتري: [الطويل]

غُفْلُ الرِّجالِ بَنَوْا عَلَى جَدَدِ الثَّرَى ... لَمَّا بَنَوْا، وبَنَيْتُ فَوْقَ أَسَاسِ[1]

٣٥ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

فَعَلامَ الصُّدُودُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... والصُّدُودُ الْفِرَاقُ قَبْلَ الْفِراقِ[2]

فقال البحتري: [الطويل]

عَلى أنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَيَّ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ العَذْلُ[3]

٣٦ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

وَفَتًى إذا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرَى ... إلاَّ إلَى عَزَمَاتِهِ يَتَظَلَّمُ[4]

فقال البحتري: [الطويل]

وَلَوْ أَنْصَفَتْنِي سُرَّ مَرَّاءُ لَمْ أَكُنْ ... إلى العِيسِ مِنْ قُطَّانِهَا أَتَظَلَّمُ[5]

٣٧ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

مِنْ دَوْحَةِ الْكَلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْفَكِكْ ... وَقْفاً عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسا[6]

فقال البحتري: [الكامل]

وَلَكَ السَّلامَةُ والسَّلامُ؛ فإنني ... غادٍ، وَهُنَّ عَلى عُلاَكَ حَبائِسُ[7]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٦٤، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك، ورواية البيت في الديوان:

فإذا بنى غُفْلُ الرجال بنّى على ... جددٍ بنيتَ على ذرّى وأساسِ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٥٨، من أربعة أبيات في الغزل.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٦٠، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ويذكر حرب ربيعة وعفو المتوكل عنهم بواسطته.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي، ورواية صدر البيت في الديوان:

وفتًى إذا ظلم الزمان فما يرى

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/ ٦٧، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه، وفي الديوان: «من إيطانها أتظلّمُ»، بدل: «من قطّانها أتظلّمُ».

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٧، من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي. والدوحة: الشجرة العظيمة. والرصين: المحكم الثابت.

(٧) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٠، من قصيدة يقولها لعلي بن يحيى المنجم.

٣٨ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

وكَـذَاكَ لَـمْ تُـفْـرِطْ كـآبـة عـاطِـلٍ حَـتّـى يُـجَـاوِرَهـا الـزَّمَـانُ بِـحَـالِ[1]

فقال البحتري: [الطويل]

وَقَـدْ زادَهـا إفْـرَاطَ حُـسْـنٍ جِـوَارُهَـا خَـلائِـقَ أصْـفَـارٍ مِـنَ الـمَـجْـدِ خُـيَّـبِ[2]

٣٩ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

ومـا الـعُـرْفُ بـالـتَّـسْـويـفِ إلاّ كَـخُـلّـةٍ تَـسَـلَّـيْـتَ عَـنْـهـا حِـيـنَ شَـطَّ مَـزارُهَـا[3]

فقال البحتري: [الطويل]

وكُـنْـتُ وَقَـدْ أمَّـلْـتُ مُـرًّا لِـحَـاجَـتِـي كَـطـالِـبِ جَـدْوَى خُـلّـةٍ لا تُـوَاصِـلُ[4]

٤٠ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

آسَـادُ مَـوْتٍ مُـخْـدِراتٌ مـا لَـهـا إلا الـصَّـوَارِمَ والـقَـنَـا آجَـامُ[5]

فقال البحتري: [الخفيف]

خُـشِـدَتْ حَـوْلَـهـا سِـبَـاعُ الـمَـوَالِـي وَالـعَـوَالِـي غـابٌ لِـتِـلْـكَ الـسِّـبـاعِ[6]

٤١ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤٤، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله، ويذكر أخذه بابكاً الخرمي.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٧٥، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان. والأصفار: جمع صفر، وهو الخالي. والخيب: جمع خائب. يريد أن أخلاق هذا الممدوح قد زادت وضوحاً، وتبين حسنها، لمجاورتها لأخلاق قوم لا صلة بينهم وبين المجد.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٩٠، من قصيدة يعاتب فيها ابن أبي دؤاد. والتسويف: المطل. وشطّ مزارها: بعد موضع زيارتها.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٥٠، من قصيدة يهجو بها مرّ بن علي بن مرّ عندما سرقوا فرسه حين نزل عليهم.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٥، من قصيدة يمدح بها المأمون. والمخدرات: الداخلات الخدور. وأصل الخدر المسكن الذي تحبس فيه النساء، واستعير هنا للأسد. وتقول: ليث خادر، ومخدر. والآجام: جمع أجمة، وهي الخطيرة من القصب. وأراد هنا الغابات، وهي مساكن الأسود.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٢٨، من قصيدة يمدح بها المعتز بالله. والعوالي الرماح.

ولاذَتْ بـحِـقْـوَيْـهِ الْـخِـلافَـةُ، والـتَـقَـتْ عَـلـى خِـدْرِهـا أَرْمـاحُـهُ ومَـنـاصِـلُـهُ[١]

فقال البحتري: [الكامل]

لاذَتْ بِـحِـقْـوَيْـهِ الْـخِـلاَفَـةُ؛ إنَّـهَـا قِـسـمٌ لأفْـضَـلِ هـاشِـمٍ فـالأفـضَـلِ[٢]

٤٢ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

قَـدْ جَـاءنَـا الـرَّشَـأ الـذِي أهْـدَيْـتَـهُ خِـرَقـاً، وَلَـوْ شِـئْـنَـا لَـقُـلْـنَـا الـمَـرْكَـبُ[٣]

فقال البحتري: [الطويل]

حَـمَـلْـتُ عَـلَـيْـهِ فـي سَـبِـيـلِ فُـتُـوَّةٍ هِيَ الثَّغْرُ خَلْفَ المَجْدِ بَلْ تَفْضُلُ الثَّغْرَا[٤]

٤٣ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَقَـدْ تَـأْلَـفُ الـعَـيْـنُ الـدُّجَـى وَهْـوَ قَـيْـدُهـا وَيُـرْجَـى شِـفَـاءُ الـسُّـمِّ وَالـسُّـمُّ قَـاتِـلُ[٥]

فقال البحتري: [الوافر]

وَيَـحْـسُـنُ دَلُّـهـا والـمَـوْتُ فِـيـهِ وَقَـدْ يُـسْـتَـحْـسَـنُ الـسَّـيْـفُ الـصَّـقِـيـلُ[٦]

٤٤ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

أوْرَقْـتَ لِـي وَعْـداً وَثِـقْـتُ بِـنُـجْـحِـهِ بِـالأمْـسِ، إلاّ أنَّـهُ لَـمْ يُـثْـمِـرِ[٧]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٨، من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. والمناصل: السيوف.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/١٨، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ورواية صدر البيت في الديوان:

عـاذت بـحـقـواك الـخـلافـة إنـهـا

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهداه إليه.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/١٥٣، من كلمة أرسل بها إلى محمد بن علي القمي جواباً على بيت من الشعر أرسله إليه.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٤٣، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٢٨٣، من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد. ودلّها: دلالها.

(٧) البيت بهذا اللفظ لم أجده في ديوان أبي تمام (طبعة دار الكتب العلمية) وله في المعنى نفسه وقريب منه بيتان، الأول من قصيدة له يعاتب فيها عياش بن لهيعة (الديوان ص٣٨٨) ولفظه: [الكامل]

أفـديـك مـورق مـوعـدٍ لـم يـفـدنـي مـن قـول بـاغ إنّـه لـم يـثـمـرِ

والبيت الثاني من قصيدة يقوله فيه أيضاً (الديوان ص٣٩٠)، ولفظهُ: [الكامل]

وأعـوذ بـاسـمـك أن تـكـون كـعـارضٍ لا يـرتـجـى وكـنـابـت لـم يـثـمـرِ

فقال البحتري: [الكامل]

وَالْوَعْدُ كَالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ مِنْهُ الغُصُونُ وَنُجْحُهُ أَنْ يُثْمِرَا(1)

٤٥ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

إنَّ الهِلاَلَ إذا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْراً كَامِلا(2)

فقال البحتري: [الكامل]

مِثْلُ الهِلالِ بَدَا؛ فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْغُ اللَّيَالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا(3)

٤٦ ـ وقال أبو تمام: [المنسرح]

نَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إلى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ(4)

فقال البحتري: [البسيط]

نَغْدُو فَإِمَّا اسْتَمَحْنَا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلاً، وَإِمَّا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ آدَابَا(5)

٤٧ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لاَحَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَوَادٍ غَدَا مَلآنَ قَبْلَ أَوَانِهِ(6)

فقال البحتري: [الكامل]

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إبَّانِهِ(7)

---

(1) البيت في ديوان البحتري ١/٣٥٧، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن كنداج عندما توّج وقلّد السيفين، ورواية البيت في الديوان:
والوعدُ كالورقِ النضير تأوّدتْ فيه الغصونُ ونجحها أن يثمرا
(2) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(3) البيت في ديوان البحتري ١/٣٥٧، من القصيدة نفسها التي يمدح فيها إسحاق بن كنداج، في الحاشية ما قبل السابقة.
(4) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي.
(5) البيت في ديوان البحتري ١/١٦٩، من قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابة، ورواية البيت في الديوان:
نغدو فإمّا استعرنا من محاسنه فضلاً وإما استمحنا من أياديه
(6) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٠٢، من قصيدة يمدح بها الحسن وسليمان ابنَي وهب.
(7) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٩٢، من قصيدة يعاتب بها الحسن بن وهب.

٤٨ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

لا يَكْرُمُ النَّائِلُ المُعْطَى وَإنْ أُخِذَتْ ... بِهِ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطلَبُ[(١)]

فقال البحتري: [الكامل]

عَلَّمْتَنِي الطلَبَ الشرِيفَ، وَإنَّمَا ... كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنَ اتِّضَاعِ مَطَالِبِي[(٢)]

٤٩ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

أرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى، وَتَنَفَّسَتْ ... نَفَساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيَاحُ ضَعِيفَا[(٣)]

فقال البحتري: [الكامل]

رَاحَتْ لأرْبُعِكِ الرِّيَاحُ ضَعِيفَةً ... وَأَصَابَ مغْنَاكِ الْغَمَامُ الصَّيِّبُ[(٤)]

٥٠ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ولكِنْ رِفْدُهُ ... لِلأبْعَدِ الأوْطَانِ دُونَ الأقْرَبِ[(٥)]

فقال البحتري: [البسيط]

بَلْ كَانَ أقْرَبَهُمْ مِنْ سَيْبِهِ سَبَباً ... مَنْ كَانَ أبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمَا[(٦)]

٥١ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

شَرْخٌ مِنَ الشرَفِ الْمُنِيفِ يَهُزُّهُ ... هَزَّ الصفِيحَةِ شَرْخُ غَمْرٍ مُبْقِلِ[(٧)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥١، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٨٤، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٤، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف ويعرض بوالٍ ولي الثغر بعده فهزم. وتقدم البيت مع تخريجه.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٦٩، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم. والصيب: السكوب. وفي الديوان: «الرياحُ مريضةً»، بدل: «الرياح ضعيفةً».

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣، من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبي. وتقدم البيت مع تخريجه.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٢٧، من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة، وتقدم البيت مع تخريجه.

(٧) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٣، من قصيدة يمدح بها أبا الوليد أحمد بن أبي دؤاد.

فقال البحتري: [الكامل]

أَدْرَكْتَ ما فاتَ الكُهُولَ مِنَ الحِجَى فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِكَ المُسْتَقْبَلِ[(١)]

٥٢ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

بَعَثْنَ الْهَوَى في قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائماً فَقُلْ في فُؤَادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هائمُ[(٢)]

فقال البحتري: [الكامل]

فَبَعَثْنَ وَجْداً لِلْخَلِيِّ، وَزِدْنَ في بُرَحَاءِ وَجْدِ الْهَائمِ المُسْتَهتَرِ[(٣)]

٥٣ ـ وقال أبو تمام: [الخفيف]

غُرَّةٌ بَهْمَةٌ، ألاَ إنما كُنْتُ أغَرًّا أيَّامَ كُنْتُ بَهِيمَا[(٤)]

فقال البحتري: [الكامل]

عَجِبَتْ لِتَفْويفِ الْقَذَالِ، وَإنمَا تَفْويفُهُ لَوْ كانَ غَيْرَ مُفَوَّفِ[(٥)]

٥٤ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

وَما زالَتْ تُجِدُّ أَسًى وَشَوْقاً لَهُ وَعَلَيْهِ أَخْلاَقُ الرُّسُومِ[(٦)]

فقال البحتري: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٦٣، من قصيدة يمدح بها محمد بن صالح الهاشمي. والحِجَى: العقل والبصيرة وحسن الرأي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٨، من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٣، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله. وفي الديوان: «وجْدِ العاشقِ المستهترِ»، بدل: «وجد الهائم المستهترِ». والوجد: الشوق. والخلي: الفارغ من الحب. والبرحاء، بضم الباء وفتح الراء: الشدة والمشقة. والمستهتر بالشيء: المولع به. أو المستسلم إلى هواه لا يبالي بما يقول.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٤، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف وقد قدم من مكة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٦٣، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. والقذال: مؤخر الرأس. والتفويف: من قولهم: برد مفوف، أي فيه خطوط بيض على الطول. والمراد هنا أن شعر القذال وخطه الشيب فأصبح كأنه برد ملفوف.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٣٢، من قصيدة يهجو بها عياش بن لهيعة. وفي الديوان: «أخلاق الطلولِ» بدل: «أخلاق الرسومِ».

فَهَيَّجَ وَجْدِي رَبْعُهَا وَهْوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ شَوْقِي رَسْمُها وهْوَ مُخْلَقُ[(١)]

٥٥ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِي فَتَحْسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ[(٢)]

فقال البحتري: [المنسرح]

حَامَى عَنِ الْمَكْرُماتِ مُجْتَهِداً ذَبَّ الْمُحَامِي عَنْ مَالِهِ وَدَمِهْ[(٣)]

٥٦ ـ وقال أبو تمام: [الوافر]

تَنَصَّلَ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدَادِ[(٤)]

فقال البحتري: [الطويل]

أُقِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ، عَلى أَنِّي إِخَالُكَ أَلْوَمَا[(٥)]

٥٧ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

وَتَنِدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إلاَّ عُلًى جُعِلَتْ لَهَا مُرَرُ الْقَصِيدِ قُيُودَا[(٦)]

فقال البحتري: [السريع]

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ لَوْلا عُرَى الشِّعْرِ الَّذِي قَيَّدَهْ[(٧)]

٥٨ ـ وقال أبو تمام: [المنسرح]

شَكَّ حَشَاهَا بِخُطْبَةٍ عَنَنٍ كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلْسُ[(٨)]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١١٤، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي القمي، ورواية البيت في الديوان:
فحرّك بثّي ربعها وهو ساكنٌ وجدّد وجدي رسمها وهو مخلقُ
والبث: الحزن وأشده. والربع: الدار. والمخلق: البالي الدارس.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧١، من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٨٧، من قصيدة يمدح بها ابن ثوابة.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٢، من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ويعتذر إليه.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/ ٩٤، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويعاتبه.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٠، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني.

(٧) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٩٨، من قصيدة يمدح بها عبدون بن مخلد.

(٨) البيت في ديوان أبي تمام ص١٥٨، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب.

فقال البحتري: [الكامل]

فَـرَّجْـتَ جـونـتـهـا بِـخُـطْـبَـةِ فَـيْـصَـلِ مِـثْـلٌ لـهَـا فـي الرَّوْعِ طَـعْـنَـةُ فَـيْـصَـلِ(١)

٥٩ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

جَـمُّ الـتَّـوَاضُـعِ والـدنـيَـا بِـسُـؤْدَدِهِ تَـكَـادُ تَـهْـتَـز مِـنْ أقْـطَـارِهـا صَـلَـفَـا(٢)

فقال البحتري: [البسيط]

أَبْـدَى الـتَّـوَاضُـعَ لـمـا نَـالـهَـا رِعَـةً عَـنـهَـا، وَنَـالَـتْـهُ فَـاخْـتَـالَـتْ بِـهِ تِـيـهـا(٣)

٦٠ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

إذَا أَطْـلَـقُـوا عَـنْـهُ جَـوَامِـعَ غُـلِّـهِ تَـيَـقَّـنَ أنَّ الـمَـنَّ أيـضـاً جَـوَامِـعُ(٤)

فقال البحتري: [الطويل]

وَفـي عَـفْـوِهِ ـ لَـوْ يَـعْـلَـمُـونَ ـ عُـقُـوبَـةٌ تُـقَـعقِـعُ فـي الأغـراضِ إنْ لَـمْ يُـعَـاقِـبِ(٥)

٦١ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

قَـصَّـرْ بِـبَـذْلِـكَ عُـمْـرَ وَعْـدِكَ تَـخـولِـي شُـكْـراً يُـعَـمَّـرُ عُـمْـرَ سَـبْـعَـةِ أَنـسُـرِ(٦)

فقال البحتري: [الكامل]

وَجَـعَـلْـتَ نَـيْـلَـكَ تِـلْـوَ وَعْـدِكَ قَـاصِـراً عُـمْـرَ الْـعَـدُوِّ بِـهِ وَعُـمْـرَ الـمَـوْعِـدِ(٧)

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري، وهو لأبي تمام في ديوانه ص٢٢٤، من قصيدة يمدح بها أبا الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد، ورواية البيت في الديوان:

فـرّجـت ظـلـمـتـهـا بـخـطـبـة فـيـصـلٍ مـثـلٌ لـهـا فـي الـروع ضـربـةُ فـيـصـلِ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٠، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، ورواية عجز البيت في الديوان:

تـكـاد تـهـتـزّ فـي أطـرافـه صـلـفـا

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٠، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ويصف البركة.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٨، من قصيدة يصف فيها قومه ويفتخر بهم.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٠٧، من قصيدة قالها في رفع أهل الجزيرة على أبي سعيد.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٨٨، من قصيدة يعاتب بها عياش بن ربيعة.

(٧) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٥٩، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. ورواية صدر البيت في الديوان:

وجـعـلـتُ فـعـلـك تـلـو قـولـك قـاصـراً

٦٢ ـ وقال أبو تمام: [الطويل]

دَعَا شَوْقُه يا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهْ(١)

فقال البحتري: [الطويل]

نَصَرْتُ لَهُ الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ تَوَاصَلُ في أَعْقَابِ وَصْلٍ تَصَرَّمَا(٢)

٦٣ ـ وقال أبو تمام: [الرجز]

مِنْ لَيْلَةٍ فِي وَبْلِهَا لَيْلاَءَ فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءَ(٣)

فقال البحتري: [الكامل]

أَشْرَقْنَ حَتّى كَادَ يَقْتَبِسُ الدجَى وَرَطِبْنَ حَتّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ(٤)

٦٤ ـ وقال أبو تمام: [الكامل]

بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ وَدَارٌ بَابُهَا لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقْفَلُ(٥)

فقال البحتري: [البسيط]

إلاَمَ بَابُكَ مَغْقُودٌ عَلَى خُلُقٍ وَرَاءَهُ مِثْلُ مَدِّ النِّيلِ مَحْلُولِ(٦)

هذا ما أخذه البحتري من أبي تمام.

* * *

ولعل قائلاً يقول: قد تجاوزت في هذا الباب، وقَصَّرْت، ولم تَسْتَقص جميع ما خَرَّجَه أبو الضياء بشر بن تميم من المسروق، وليس الأمر كذلك، بل قد استوفيتُ

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٣٣٦، من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر، ورواية البيت في الديوان:

نصرتُ لها الشوقَ اللجوجَ بأدمعٍ تلاحقن في أعقاب وَصْلٍ تصرّما

(٣) الرجز في ديوان أبي تمام ص٤٠٧، في وصف الأمطار، وروايته فيه:

فلو عصرت الصخر صار ماءَ من ليلة بتنا بها ليلاءَ

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٢٧، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٦، من قصيدة يمدح بها أبا دلف.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٢٦٢، من قصيدة يعاتب فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل. والمزن: المطر المنسكب. والرواء: الماء العذب.

جميعه، فأوضحت، وسامحت بأنْ ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقاً، وإن اتفق المعنَيَانِ أو تَقَارَبَا، غير أني اطّرحت سائر ما ذكره أبو الضياء بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التأملُ الصحيحُ بصحّته، حتى تعدّى ذلك إلى التكثير، وإلى أن أدخل في الباب ما ليس منه، بعد أن قَدَّم مقدمَةً افتتح بها كلامه.

وقال: ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يَعْجَل بأن يقول: ما هذا مأخوذ من هذا، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ، ويُعْمل الفكر فيما خفي، فإنما السَّرَقُ في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه، وأبْعَدَ آخذُه في أخْذِهِ.

قال: ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرىء القيس وطَرَفة حين لم يختلفا إلا في القافية، فقال أحدهما «وتحمَّلِ»[١]، وقال الآخر «وتجلَّدِ»[٢].

قال: وفي الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليلٍ من اللفظ مع المعنى، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر، وهم قليل.

فجعل هذه المقدمة توطئةً لما اعتمده من الإطالة والحَشْد، وأن يُقْبَلَ منه كلُّ ما يورده، ولم يستعمل مما وصّى به - من التأمل وإعمال الفكر - شيئاً، ولو فعل ذلك لرجوتُ أن يُوَفّقَ لطريق الصواب؛ فيعلم أن السَّرَقَ إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنّة فيه عن الذي يورده أن يقال: أخذه من غيره.

غير أن أبا الضياءِ استكثر من هذا الباب، وخَلَطَ به ما ليس من السَّرَقِ في شيء، ولا بين المعنيين تناسُبٌ ولا تقارب، وأتى بضَرْبٍ آخَرَ ادّعى فيه أيضاً السرق والمعاني مختلفة؛ وليس فيه إلا اتّفاق ألفاظ ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر؛ إذ كانت الألفاظ مُبَاحَةً غير محظورة، فبلغ غرضَهُ في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب.

وأنا أذكر في كل بابٍ من هذه الأبواب أمثلة تدل على صحة ما ذكرناه، ونجعلها قياساً على ما لم نذكره؛ فإن في البعض غِنًى عن الإطالة بذكر الكل.

***

(١) يشير إلى بيت امرىء القيس في ديوانه ص٩: [الطويل]
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسًى وتحمّلِ

(٢) يشير إلى بيت طرفة بن العبد في ديوانه ص١٩: [الطويل]
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسًى وتجلّدِ

١ ـ فمما أورده أبو الضياء من المعاني المستعملة الجارية مجاري الأمثال وذكر أن البحتري أخذه من أبي تمام قولُ أبي تمام: [الطويل]

جَرَى الجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ؛ فَلَمْ يَكُنْ بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحَالِمِ[1]

وقال البحتري: [الكامل]

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بِالمَكارِمِ وَالعُلَى حَتَّى يَكُونَ المجدُ جُلَّ مَنَامِهِ[2]

وهذا الكلام موجود في عادات الناس، ومعروف في معاني كلامهم، وجارٍ كالمَثَلِ على ألسنتهم، بأن يقولوا لمن أَحَبَّ شيئاً أو استكثر منه: فلان لا يحلم إلا بالطعام، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وَجْده بها، وهذا الزِّنْجِي ما حُلْمه إلا بالتمر؛ ولا يقال لمن كانت هذه سبيله: سَرَقَ، وإنما يقال له: اتفاق؛ فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحْتَذاه فإنما ذكر معنًى قد عرفه واستعمله، لا أنه أخذه أخذ سرقة.

٢ ـ وأنشد لأبي تمام: [البسيط]

إذا القَصَائِدُ كانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ يَوْماً فَأَنْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدَائِحِهَا[3]

فذكر أن البحتري أخذه فقال: [البسيط]

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِراً بِالشِّعْرِ يُذْكَرُ في أَضْعَافِهِ فَبِكَ الأشْعَارُ تَفْتَخِرُ[4]

وهذا غلط على البحتري؛ لأن الناس لا يزالون يقولون: فلان يَزِينُ الثياب ولا تزينه، ويجمِّل الولايةَ ولا تجمله، وفلانة تزيدُ في حسن الحلى ولا يزيد في حسنها، وفلان تفتخر به الأنسابُ ولا يفخَر بها، وهذا ليس من المعاني التي يجوز أن يَدَّعي أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَقَ إليها، ولا يجوز أن يكون مثل هذا ـ إذا اتفق فيه خطيبان، أو شاعران ـ أن يقال: إن أحدهما أخذه من الآخر.

* * *

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٧٤، من قصيدة يرثي بها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي، ورواية عجز البيت في الديوان:

بغير طعان أو سماح بحالم

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٣١، من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الرحمٰن الحراني ويصف فرساً.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٧٦، من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٦٣، من قصيدة يمدح بها علي بن مرّ الأرمني، ورواية البيت في الديوان:

ومن يكن فاخراً بالشعر يُمدح في أضعافه فبك الأشعار تفتخرُ

٣ ـ وأنشد لأبي تمام: [الكامل]

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وكَأَنَّهُمْ أحْلامُ[(١)]

وذكر أن البحتري أخذه فقال: [الطويل]

وَأَيَّامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِي تَصَرَّمَتْ مَعَ الوَصْلِ أَضْغَاثٌ وَأَحْلامُ نَائِمِ[(٢)]

وكأنه ما سمع الناس يقولون: ما كان الشباب إلا حلماً، وما كانت أيامه إلا نومه نائم، وما أشبه ذلك من اللفظ، فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقاً؟

* * *

٤ ـ وذكر أن من ذلك قول أبي تمام: [البسيط]

* قَدْ يُقْدِمُ العَيْرُ مِنْ ذُعْرٍ عَلَى الأَسَدِ[(٣)] *

* * *

وقول البحتري: [الطويل]

فَجَاءَ مَجِيءَ العَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ إلى أَهْرَتِ الشِّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظَافِرُهْ[(٤)]

أوَلم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العَيْر إذا رأى السبعَ أقبل إليه من شدة خوفه منه، حتى صار مثلاً يُتَمثل به، كما يُتَمثل بالفَرَاشة إذا تهافَتَتْ في النار، وفي ذلك أمثال وأشعار كثيرة، فما أظن علمها سَقَط عن البحتري.

* * *

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، من قصيدة يمدح بها المأمون.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٤٦، من قصيدة يمدح بها أبا مسلم بن حميد، ورواية عجز البيت في الديوان:

مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم

(٣) صدره:

أطلت روعك حتى صرت لي غرضاً

والبيت في ديوان أبي تمام ص٥١٣، من قصيدة يهجو بها محمد بن يزيد.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٢٣٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والعير: الحمار، أياً كان ولكنه غلب على الوحشي. والأهرت: الواسع الشدقين. وأراد بأهرت الشدقين: الأسد.

٥ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

هَيْهَاتَ لم يَعْلَمْ بأَنَّكَ لَوْ ثَوَى بالصِّينِ لم تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ[(١)]

وقول البحتري: [البسيط]

يُضْحِي مُطِلاً عَلَى الأعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا في الصِّينِ في بُعْدِهَا ما اسْتَبْعَدَ الصِّينَا[(٢)]

وهذا جار على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل في البُعد بالصين، وأن يوقعوا التهديد به؛ فيقولوا: لو أنك بالصين لما بعدت عليَّ، فكيف لا يهتدي البحتري إلى مثل هذا؟

* * *

٦ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

كأنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بينها البَدْرُ[(٣)]

وقول البحتري: [الكامل]

فإذا لَقِيتَهُمُ فَمَوْكِبُ أَنْجُمٍ زُهْرٍ وَعَبْدُ اللّهِ بَدْرُ المَوْكِبِ[(٤)]

وهذا معنى متقدِّم مبتذَل: جاء به النابغة وغيره، وكثر على الألْسُنِ حتى صار أشهر من كل مشتهر، وبيت أبي تمام خاصة فإنما سَرَقه على سياقِهِ من مريم بنت طارق ترثي أخاها: [البسيط]

كُنَّا كأَنْجُمِ لَيْلٍ بَيْنَها قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا القَمَرُ[(٥)]

أو من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٠٩، من قصيدة يمدح بها الأفشين.

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) من قصيدة مطلعها:

يكاد عاذلنا في الحبّ يغرينا فما لجاجك في لوم المحبينا

ورواية البيت في الموسوعة الشعرية:

يمسي قريباً من الأعداء لو وقعوا بالصين في بعدها ما استبعد الصينا

(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/١١٩، من قصيدة يمدح بها أبا صالح بن يزدان.

(٥) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ(١)

* * *

٧ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الخفيف]

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهْوَ حَضِيضُ(٢)

وقول البحتري: [الكامل]

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعَزْمٍ قَائِمٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٌّ قَاعِدِ(٣)

وهذان المعنيان جنسهما واحد، ولفظهما مختلف، وهما شائعان في الكلام، وجاريان في الأمثال، يقال: فلان عالي الهمة، وهمته في الثريا وحاله في الحضيض، وفلان يُسَامِي بهمته النجمَ ولكن قَعَدَ به حَظّه، ونحو هذا من اللفظ؛ فليس يجوز أن يَعْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال: أحدهما أخذه من الآخر.

* * *

٨ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الوافر]

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلاّ لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الوَدَاعِ(٤)

وقول البحتري: [الخفيف]

مَا لِشَيءٍ بَشَاشَةٌ بَعْدَ شَيءٍ كَتَلاَقٍ مُوَاشِكٍ بَعْدَ بَيْنِ(٥)

وهذا معنى مستفيض معروف، ومنه قول الحجاج بن يوسف: لولا فَرْحَة الأوبات لما عَذبتهم إلا بالأسفار، وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وأحزنه التوديع، وأراد البحتري أنه ليس شيء من المسرّة والجذل إذا جاء في أثر شيء ما كالتلاقي بعد التفرق؛ فليس ـ وإن كان جنس المعنيين واحداً ـ يصح أن

(١) تقدم البيت مع تخريجه.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٦٢، من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨١، من قصيدة يمدح بها مهدي بن أصرم. والأوبات: جمع أوبة، وهي العودة والرجعة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٦، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن كنداج. والبين: الفراق.

يقال: إن أحدهما أخذ من الآخر؛ لأن هذا قد صار جارياً في العادات وكثيراً على الألسن؛ فالتهمة ترتفع عن أن يأخذ أحد عن آخَرَ.

* * *

٩ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الوافر]

لَـهُـمْ نَـشَـبٌ، وَلَـيْـسَ لـهُـمْ سَـمَـاحٌ ... وَأَجْـسَـامٌ، ولـيـس لَـهُـمْ قُـلُـوبُ(١)

وقول البحتري: [الكامل]

خَـلْـقٌ مُـمَـثَّـلَـةٌ بِـغَـيْـرِ خَـلاَئِـقٍ ... تُـرْجِـى، وَأَجْـسَـامٌ بِـلاَ أَرْوَاحِ(٢)

وهذا الكلام أيضاً هو أَعْرَفُ في كلامهم وأشْهَرُ من أن يحتاج شاعرٌ أن يأخذه من الآخر، وهم دائماً يقولون: ما فلان إلا شَبَحٌ من الأشباح، وما هو إلا صورة في حائط، أو جَسَدٌ فارغ؛ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر.

* * *

١٠ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

لا تَـدْعُـوَنْ نُـوحَ بْـنَ عَـمْـرٍو دَعْـوَةً ... لِـلْـخَـطْـبِ إلا أنْ يـكُـونَ جَـلِـيـلا(٣)

وقول البحتري: [الخفيف]

يـا أبـا جـعـفَـرٍ! وَمَـا أَنْـتَ بـالـمَـدْ ... عُـوِّ إلاَّ لِـكُـلِّ أَمْـرٍ كُـبَـارِ(٤)

---

(١) البيت ليس في ديوان أبي تمام (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) في القصيدة التي مطلعها في الديوان:

متى ترعى لقلبك أو تنيبُ ... وخِذْناه الكآبة والنحيبُ

ورواية صدر البيت في الموسوعة:

لهم نسبٌ وليس لهم فعالٌ

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) من قصيدة مطلعها:

يضحكن عن بَرَدٍ ونور أقاحِ ... ويشبن طعم رضابهنّ براحِ

ورواية البيت في الموسوعة الشعرية:

خِلَقٌ مخيّلةٌ بغير خلائقٍ ... ترضَى وأبدانٌ بلا أرواح

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٩، من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي من كندة.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٤٥، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً.

ونسي قولَ الناس: اخْتَرْ لعظيم الحوائج العظيمَ من الناس، ولكبير الأمور كبيرهم، وقال رَجل لابن عباس: إن لي إليك حاجَةً صغيرة، فقال: اطْلُبْ لها رجلاً صغيراً.

* * *

١١ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

بِـيـضٌ فَـهُـنَّ إذا رُمِـقْـنَ سَـوَافِـراً ... صُـوَرٌ، وَهُـنَّ إذَا رَمَـقْـنَ صِـوَارُ(١)

وقول البحتري: [الطويل]

أَنَّـى لَـحَـظْـتِ فَـأَنْـتِ جُـؤْذَرُ رَمْـلَـةٍ ... وإذا صَـدَدْتِ فَـأَنْـتِ ظَـبْـيُ كِـنَـاسِ(٢)

وهذا تشبيه أعين النساء بأعين البقر، وتمثيلهن بالصِّوَار، وبالظباء؛ وجُلّ كلام العرب عليه يجري، فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين.

* * *

١٢ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

وَلَـقَـدْ جَـهَـدْتُـمْ أَنْ تُـزِيـلُـوا عِـزَّهُ ... فَـإذا أَبَـانٌ قَـدْ رَسَـا وَيَـلَـمْـلَـمُ(٣)

وقول البحتري: [الطويل]

وَلَـنْ يَـنْـقُـلَ الْـحُـسَّـادُ مَـجْـدَكَ بَـعْـدَمَـا ... تَـمَـكَّـنَ رَضْـوَى وَاطْـمَـأَنَّ مُـتَـالِـعُ(٤)

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم، وكثير من أشعارهم، ومنه قول الفرزدق: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٣٧، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٣٦٧، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك. وفي الديوان: «إمَّا لحظتَ»، بدل: «أنّى لحظت». ولحظت: نظرت. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان في سعة العين. وصددت: هجرت. والكناس: بيت الظباء في الغابة.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٨، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة. وأبان ويلملم: جبلان.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٧٣، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان. ورضوى ومتالع: جبلان.

فَــٱدْفَــعْ بِــكَــفِّــكَ إنْ أَرَدْتَ بِـنَــاءَنَــا ثَـهْلانَ ذَا الـهَـضَبَاتِ، هَـلْ يَتَحَلْحَلُ[١]

وقوله يخاطب جريراً أيضاً: [الطويل]

* فَـرُمْ حَـضَـنـاً فَـٱنْـظُـرْ مَـتَـى أَنْـتَ نَـاقِـلُـهْ[٢] *

أفترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيرهِ فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله؟

* * *

١٣ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الوافر]

وَفِـي شَـرَفِ الْـحَـدِيـثِ دَلِـيـلُ صِـدْقٍ لِـمُـخْـتَـبِـرٍ عَـلَـى شَـرَفِ الـقَـدِيـمِ[٣]

وقول البحتري: [الوافر]

عَـــلَـــى أَنَّـــا نُـــوَكّـــلُ بِـــالأَدَانِـــي وَتُـخْـبِـرُنـا الـفُـرُوعُ عَـنِ ٱلْأُصُـولِ[٤]

وهذا مَعْنًى شائعٌ في الكلام أيضاً، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا: إن العروقَ عليها ينبتُ الشجر، ومَنْ أشبه أباه فما ظلم، والعَصىٰ من العُصَيَّة، والغصن من الشجرة، ودلّتْ على الأم السَّخْلةُ، ومثل هذا لا يكون مأخوذاً مستعاراً.

* * *

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق ٢/ ١٥٧، ولسان العرب (حلل)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠، وتاج العروس (ثهل)، (حلل)، والبيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٤٤١، ٦/ ٢٧٠، وجمهرة اللغة ص١٨٨، ومجمل اللغة ٢/ ٢١، وأساس البلاغة (ثهل).

(٢) صدره:

فـــإن كـــنـــت تـــرجـــو أن تـــوازي دارمـــاً

والبيت في ديوان الفرزدق ٢/ ١٧٠. وحَضَن، بفتح الحاء والضاد: جبل معروف بنجد. وأراد بقوله: فرم حضناً: فحاول أن تنقل حضناً عن مكانه. والغرض أن هجاءه فيهم لن يؤثر في كرامتهم على الناس إلا بمقدار تأثيره في حضن إذا حاول نقله عن مكانه. يريد أنه من أمحل المحالات.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٢، من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين.

(٤) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) من قصيدة مطلعها:

رأيـت الـفـضـل مـن فـرضٍ وقـرضٍ تـعـذّر عـنـد آبـاءِ الـفـضـولِ

ورواية البيت في الموسوعة:

وتـسـتـولـي الـشـكـوك عـلـيـك مـا لـم تـخـبـرك الـفـروعُ عـن الأصـولِ

١٤ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

وِلِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ، وَفِي بَعْضِ القُلوبِ عُيُونُ[١]

وقول البحتري: [الخفيف]

وَإذا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْماً فَسَواء ظَنُّ ٱمْرِىءٍ وَعِيانُهُ[٢]

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتَدَاوَلَةِ السائرة، وهو قولهم: ظَنُّ العاقِلِ كيقين غيرِهِ، ومن ذلك قول أَوْس بن حَجَر: [المنسرح]

الألْمَعِيّ الّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[٣]

* * *

١٥ ـ وقال أبو تمام: [البسيط]

لاَ نَجْمَ مِنْ مَعْشَرٍ إلاَّ وَهِمَّتُهُ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يَأَيُّهَا القُطُبُ[٤]

بقي بيت البحتري لم يذكره، وهو هذا: [الطويل]

وَدَارَتْ بَنُو سَاسَانَ طُرًّا عَلَيْهِمُ مَدَارَ النُّجُومِ السَّائِرَاتِ عَلَى القُطْبِ[٥]

وكأنه ما سمع قول الناس: فلان قُطْبُ هذا الأمر، وعلى فلان مَدَار القصة، ونحو هذا من القول الذي يستغني الإنسانُ بما جَرَى منه في عاداته أن يستعيره من غيره.

* * *

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١١، من قصيدة يمدح بها الواثق بالله.
(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٣٠٢، من قصيدة يمدح بها عبدون بن مخلد.
(٣) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص٥٣، ولسان العرب (حظرب)، (لمع)، وتهذيب اللغة ٢/٤٢٤، وديوان الأدب ١/٢٧٣، وكتاب الجيم ٣/٢١٤، والكامل ص١٤٠٠، وذيل أمالي القالي ص٣٤، ومعاهد التنصيص ١/١٢٨، ولأوس أو لبشر بن أبي خازم في تاج العروس (لمع)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/٢١٢.
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٢، من قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي مروان الزيات.
(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/٥، من قصيدة يمدح بها عبد الله بن دينار بن عبد الله.

١٦ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الخفيف]

وَأَقَلُّ الأشْيَاءِ مَحْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ[(١)]

وقول البحتري: [المنسرح]

وَمَا لِمِثْلِي فِي الْقَوْلِ مِنْكَ رِضاً وَالْقَوْلُ فِي الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبِ[(٢)]

وأبو تمام زَعَم أن رَوْنَق القول بالمواعيد لا يتحصَّل منه نفع إذا لم يكن فعال، وجَعَل الصحة في القول والمرض في الأفعال مثلين في الاستعارة، والبحتري إنما ذكر أنه لا يرضى بالقول؛ لأن القول لا يُحْتَسَب به للماجد بغير فعل؛ فالغرضان مختلفان، والمعنى معنى واحد شائع جارٍ في عادات الناس أن يقولوا: إنما زيد كلام، وإنما عمرو قول بلا فعل، ومثل هذا ـ مع كثرته على الألْسُنِ ـ لا يقال: إنه مسروق.

* * *

١٧ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

سَتَرَ الصَّنِيعَةَ وَاسْتَمَرَّ مُلَعَّناً يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ الْمَظْلُومُ[(٣)]

وقول البحتري: [مجزوء البسيط]

أَكَافِرٌ مِنْكَ فَضْلَ نُعْمَىٰ وَسَتْرُ نُعْمَىٰ الْكَرِيمِ كُفْرُ[(٤)]

فذكر أبو تمام رجلاً ذمَّهُ بسَتْرِ الصنيعة، وجعله مُلَعَّناً يدعو عليه النائل المظلوم، على الاستعارة، والبحتري ذكر أن سَتْرَ النُّعمى كفر، وكِلاَ اللفظين مستعملان شائعان على الألْسُنِ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد اللفظين: إنه استعارةُ من الآخر.

* * *

١٨ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

شَهِدْتُ جَسِيماتِ الْعُلَى وَهْوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضاً شَاهِداً كَانَ غَائِبَا[(٥)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٧١، من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٥٣، من قصيدة يمدح بها عبد الرحمٰن بن نهيك.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٣، من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة، ورواية صدر البيت في الديوان:

سرق الصنيعة فاستمرّ بلعنةٍ

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٧١، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦، من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل.

وقول البحتري: [الطويل]

بَشِيراً لَكُمْ فِيهَا، نَذِيراً لِغَيْرِكُمْ لَهُ شَاهِدٌ عَنْ مَوْضِعِ الْفَهْمِ غَائِبُ[١]

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه، ومستعمل في الكلام، تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، وذلك قولهم: فلان شاهد كغائب، وحاضر كمَنْ لم يحضر، وفلان سَوَاء والعَدَمُ.

* * *

١٩ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

دعِينِي عَلَى أَخْلاَقِيَ الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبٍ تَرِنُّ نَوَادِبُهْ[٢]

وقول البحتري: [الكامل]

وَخْدُ القِلاَصِ يَرُدُّنِي لَكَ بِالْغِنَى فِي بَعْضِ ذَا التَّطْوَافِ أَوْ يُرْدِينِي[٣]

وهذان المعنيان أصلُهما واحد، وهو قول امرىء القيس: [الطويل]

* نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٤] *

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه يُغْنِي البحتريَّ عن أن يقال: إنه استعاره، أو أخذه.

* * *

(١) البيت بهذا اللفظ ليس في ديوان البحتري، وفي ديوانه ٢/٣٠٧، بيت قريب منه، وهو:
نصحتكم لو كان للنصحِ موضعٌ لدى سامع عن موضع النصح غائبِ

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٧، من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٢٠١، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر. والوَخْدُ: نوع من العدو. والقلاص: النياق السريعة.

(٤) صدره:
فقلت له لا تبكِ عينك إنما
والبيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦، وكتاب العين ٨/٤٣٨، ولسان العرب (أوا)، والأزهية ص١٢٢، وخزانة الأدب ٤/٢١٢، ٨/٥٤٤، ٥٤٧، وشرح أبيات سيبويه ٢/٥٩، وشرح المفصل ٧/٢٢، ٣٣، والصاحبي في فقه اللغة ص١٢٨، والكتاب ٣/٤٧، واللامات ص٦٨، والمقتضب ٢/٢٨، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/٣١٣، والجنى الداني ص٢٠١، والخصائص ١/٢٦٣، ورصف المباني ص١٣٣، وشرح الأشموني ٣/٥٥٨، وشرح عمد الحافظ ص٦٤٤، واللمع ص٢١١.

٢٠ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الوافر]

كُحِلْتُ بِقُبْحِ صُورَتِهِ فَأَمْسى لَهَا إِنْسَانُ عَيْنِي فِي السِّيَاقِ[١]

وقول البحتري: [الوافر]

شَكَوْتَ قَذًى بِعَيْنِكَ بَاتَ يَدْمَى كَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلى طِمَاسِ[٢]

وهذا أيضاً من المعاني التي تمنع شهرتُهَا وٱبتذالُ العامة والخاصة لها من أن يقال: إنها مسروقة، وإن واحداً ائْتَمَّ فيها بآخر.

* * *

٢١ ـ ومما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق، والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب، قولُ أبي تمام: [الخفيف]

فَاقْسِمِ اللَّحْظَ بَيْنَنَا؛ إِنَّ فِي اللَّحْـظِ لَعُنْوَانَ مَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ[٣]

وقول البحتري: [الطويل]

سَلامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي المُسَلِّمَا[٤]

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطبه أن يُقْبِلَ عليه، ويجعل له قِسْطاً من النظر؛ فإنَّ إدامة النظر تدلُّ على المودة، كما أن الإعراضَ يدل على البغض. والبحتريُّ إنما سَلَّم على الهيثم الغَنَوِيِّ، وذكر أن السلام تحية، وأن وجهه لجماله وطلاقته يكفي المسلم قبل رَدِّه، والمعنيان مختلفان، وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب أحدهما إلى أنه مَحْذُوٌّ على الآخر أو مسروق منه.

* * *

٢٢ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [البسيط]

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ[٥]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٢٨، من قصيدة يهجو بها ابن الأعمش.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٢٠، من قصيدة يهجو بها شخصاً اسمه طماس. والطماس: ذاهب البصر.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٨٩، من قصيدة له في العتاب. ويجنّ: يستر ويخفي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٢٤، من قصيدة يمدح بها هيثم الغنوي.

(٥) تقدم البيت مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.

وقول البحتري: [الطويل]

مَـفَـازَةُ صَـدْرٍ لَـوْ تُـطَـرَّقُ لَـمْ يَـكُـنْ ... لِيَسْلُكَهَا فَرْداً سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ[(١)]

وأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْره الممدوح وسَعَته تزيد على سعة الأرض، فأسْرَفَ، وأخطأ في المعنى بما قد ذكرته في باب خطئه في المعنى، والبحتريُّ ذكر سَعَة صدر الممدوح، وجعل له مفازة على الاستعارة، وذكر أنه لو تُطَرَّقُ لم يكن ليسلكها سُلَيْكٌ الذي لم يكن ليكبر عليه سلوكُ الأرض وإن عَرُضت وطالت، وإنما أرادا جميعاً سَعَةَ صدر الممدوح، كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح، فأفرطا، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنًى غير معنى صاحبه كما تَرَى.

* * *

٢٣ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الخفيف]

إنَّـمَـا الـبِـشْـرُ رَوْضَـةٌ؛ فـإذا مـا ... كـانَ بِـرٌّ فَـرَوْضَـةٌ وَغَـدِيـرُ[(٢)]

وقول البحتري: [الطويل]

فـإنَّ الـعَـطَـاءَ الْـجَـزْلَ ـ مـا لَـمْ تُـحَـلِّـهِ ... بِبِشْرِكَ ـ مِثْلُ الرَّوْضِ غَيْرَ مُنَوَّرِ[(٣)]

فأراد أبو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير، وأراد البحتري أن العطاء ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور؛ فليس بين المعنيين اتفاق إلا في ذكر البشر والروض، والألفاظ غير محظورة على واحد.

* * *

٢٤ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

وإنِّـيَ مَـا حُـورِفْـتُ فِـي طَـلَـبِ الـغِـنَـى ... ولـكِـنَّـمَـا حُـورِفْـتُـمُ فـي الـمَـكَـارِمِ[(٤)]

وقول البحتري: [البسيط]

إذا ٱبْـتَـدَا بُـخَـلاَءُ الـنَّـاسِ عـارِفَـةً ... يَتْبَعُهَا الـمَنُّ فـالـمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا[(٥)]

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٨٩، من قصيدة له في العتاب.
(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٢٦٦، من قصيدة يقولها وقد كان له غلام اشتراه منه إبراهيم بن الحسن بن سهل، فلم يزل به حتى ردّه إلى البحتري.
(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/١٢٦، من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة.

فأراد أبو تمام أنه ليس بمَحْدود ولا مُحَارَفٍ في ملتمساتِهِ ومطالبِهِ، ولكن الذين أمَّلَهم وطلب ما عندهم حُورِفوا في مكارمهم؛ فأحْسَنَ في المعنى واللفظ كلَّ الإحسان؛ وأراد البحتري أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوقُ من حُرِم ذلك المعروف؛ فهذا المعنى غير معنى أبي تمام، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب.

* * *

٢٥ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

إذا شَبَّ نَاراً أقْعَدَتْ كلَّ قائمٍ ... وقامَ لها مِنْ خَوْفِهِ كلُّ قاعِدِ[١]

وقول البحتري: [الكامل]

ومُبَجَّلٌ وَسَطَ الرِّجَالِ، خُفُوفُهُمْ ... لِقِيَامِهِ، وَقِيَامُهُمْ لِقُعُودِهِ[٢]

وليس أحد المعنيين من الآخر في شيء؛ لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته: أي تُزْعِجُ كلَّ واحد خوفاً وفَرَقاً؛ وذلك مأخوذ من قول الفرزدق: [الطويل]

أَتَانِي وَرَحْلِي بالمدِينَةِ وَقْعَةٌ ... لآلِ تَمِيمٍ أقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ[٣]

وقوله «وقام لها من خوفه كل قاعد» أي: زال عن الطمأنينة والهُدُوِّ والقَرَارِ فقام، وإنما يريد انزعاج الخائِفِ؛ فجعل ذلك قياماً له، والبحتري إنما ذكر أن الرجال يخفُّونَ لقيام ممدوحه، أي: يُسْرِعون بين يديه إذا قام، فإذا قعد قاموا إجلالاً وهَيْبَةً، وأن من شأنه أن لا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياماً إذا جلس، والمعنيان مختلفان، وليس بينهما اتفاق إلا في ذكر القيام والقعود، والألفاظ مباحة.

* * *

٢٦ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [البسيط]

وَرُبَّ يَوْمٍ كأيَّامٍ، تَرَكْتَ بِهِ ... مَتْنَ القَنَاةِ وَمَتْنَ القرنِ مُنْقَصِفَا[٤]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٢، من قصيدة يرثي بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٤٧، من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى. والخفوف: السرعة.

(٣) البيت في ديوان الفرزدق ٢/٣١٠.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩١، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، وفي الديوان: «متصفا»، بدل: «منقصفا».

وقول البحتري: [الكامل]

فِـي مَـعْـرَكٍ ضَـنْـكٍ تَـخَـالُ بِـهِ الـقَـنَـا   بَـيْـنَ الـضُّـلُـوعِ إِذَا انْـثَـنَـيْـنَ ضُـلُـوعَـا(١)

وليس بين المعنيين اتفاق إلا في أن الشاعرين وَصَفَا حال الطعن بالقَنَا كيف يقع؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ متن القِرْن ومتن القناة، وشَبَّه هذا انطواء الرماح واعوجاجَهَا ـ إذا وقعت بضلوع القوم ـ باعوجاج ضلوعهم، وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة، وهو المعنى الذي استغربه واستحسنه أبو تمام لما أنشد البحتريُّ محمدَ بن يوسُفَ القصيدةَ، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما على ما يرويه الشاميون.

* * *

٢٧ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الخفيف]

بَيَّـنَ الـبَـيْـنُ فَقْـدَهَـا، قَلَّمَـا يُعْـرَفُ فَـقْـدٌ لِلشَّمْسِ حَتَّـى تَغِـيـبَـا(٢)

وقول البحتري: [المنسرح]

فَـاضَـلَ بَـيْـنَ الإِخْـوَانِ عُـسْـرِيَ فِـي   ظَـلْـمَـاءِ لَـيْـلٍ تَـفَـاضَـلَـتْ شُـهُـبُـهْ(٣)

وليس بين المعنيين تناسُبٌ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدها بَانَ، وأنه قلما يُعْرف فَقْدُ الشمسِ إلا بعد غروبها، وهذا جارٍ في عادات الناس واستعمالهم أن يقولوا: لا يُعرف فَضْلُ الإنسان حتى يفقد، ولا يعرف فضل العافية إلا عند البَلِيَّة، ولا قَدْرُ الدرهم إلا عند الحاجة إليه؛ والبحتري أراد أن عُسْرَه بَيَّنَ له عن مراتب إخوانه، وفَضْلِ بعضهم على بعض في مَعُونته وبِرِّهِ، كما يتفاضل الشهُبُ في ظلمة الليل، وأراد بالشهب الكواكب، وهذا معنى لطيف جداً، وليس من معاني أبي تمام في شيء.

* * *

هذا، ومما ادعىٰ أبو الضياء على البحتري فيه السَّرَقَ، والاتفاقُ في أكثر ذلك إنما هو في الألفاظ التي ليست محظورة على أحد، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات.

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري.
(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٩٠، من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن بسطام. ورواية صدر البيت في الديوان:

فـاضـل بـيـن الإخـوان عـدمـي وَعَـنْ

٢٨ ـ فمن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

إنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكَ قَدْ نُضِدَتْ عَلى ... مَلْقَى عِظَامٍ ـ لَوْ عَلِمْتَ ـ عِظَامِ[(١)]

وقول البحتري: [الطويل]

مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا ... وإنْ بَلِيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظُمِ[(٢)]

فأراد أبو تمام أن عِظَامَ الرجل الذي رثاه عِظَامُ القدر، وأراد البحتري أن مساعي القومِ عظام لا يبلى جديدها وإن بَلِيَتْ عظامهم، وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ العظام لا غير.

* * *

٢٩ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [البسيط]

لا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ ... فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ جُلَّهُمْ بَقَرُ[(٣)]

وقول البحتري: [البسيط]

عَلَيَّ نَحْتُ القَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا ... وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ البَقَرُ[(٤)]

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم؛ فإن أكثرهم بقر، وذكر البحتري أن عليه أن يُجيد القول، وليس عليه أن تفهمه البقر، وما هٰهنا اتفاق إلاَّ في لفظة البقر.

* * *

٣٠ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلا[(٥)] *

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٠، من قصيدة يهني بها الواثق بالله بالخلافة ويعزيه بالمعتصم بالله. والصفائح: الحجارة العريضة التي يسد بها القبر. ونضدت: ركبت فوق بعضها. والعظام الأولى: جمع عظم معروف. والعظام الثانية: جمع عظيم.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٨٤، من قصيدة يرثي بها بني حميد الطائيين، ويخص من بينهم أبا مسلم.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤١، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الطائي. ورواية عجز البيت في الديوان:

فإنّ جلّهم أو كلهم بقرُ

(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٥) عجزه:

ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

والبيت في ديوان أبي تمام ص٢٣٧، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.

وقول البحتري: [الكامل]

إنَّ الْخَلِيفَةَ لَيْسَ يَرْقُبُ في الذي حاوَلْتُ إلاَّ أَنْ نَقُولَ ويَفْعَلا[(١)]

والاتفاق ههنا إنما هو في القول والفعل.

* * *

٣١ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

ومَا يَوْمُ زُرْتُ اللحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَهُ عَلَيْنَا، ولٰكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحَاتِمِ[(٢)]

وقول البحتري: [الطويل]

بِأَبْيَضَ وَضّاحٍ كأنَّ قَمِيصَهُ يُزَرُّ على الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمِ[(٣)]

أفَتَرَى البحتري ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائي اللذين يَفْخَر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما إلا من بيت أبي تمام؟

* * *

٣٢ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا كانُوا ثَلاَثَةَ إخْوَةٍ ولٰكِنَّهُمْ كانُوا ثَلاَثَ قَبَائِلِ[(٤)]

وقول البحتري: [الكامل]

كانُوا ثَلاَثَةَ أبْحُرٍ أَفْضَى بِهِمْ وَلَعُ الْمَنُونِ إلى ثَلاَثَةِ أقْبُرِ[(٥)]

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، من قصيدة مطلعها:

لما استعنت على الخطوب بصالح سلكت هواديها البريق الأمثلا

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٧٣، من قصيدة يرثي بها هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي. ورواية عجز البيت في الديوان:

علينا ولكن يوم عمرو وحاتم

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٤٧، من قصيدة يمدح بها أبا مسلم بن حميد الطائي. ورواية صدر البيت في الديوان:

بأروع من طيٍّ كأنّ قميصَهُ

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦٩، من قصيدة يرثي بها بني حميد، وقد مات بعد أبي نصر أخوان له: محمد وهو الأكبر، والآخر قحطبة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٦٧، من قصيدة يرثي بها قومه.

فجعلهم أبو تمام ثلاثَ قبائل، وجعلهم البحتري ثلاثة أبحر؛ فليس ههنا اتفاق إلا في ذكر ثلاثة.

* * *

٣٣ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

كَسَاكَ مِنَ الأنْوَارِ أبْيَضُ نَاصِعٌ وأحْمَرُ سَاطِعٌ وَأَصْفَرُ فَاقِعُ[١]

وقول البحتري: [الكامل]

مِنْ وَاضِحٍ يَقَقٍ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ وَمُضَرَّجٍ جَسَدٍ وَأَحْمَرَ قَانِي[٢]

أفتَرَى البحتري لم يكن ليهتدي إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبي تمام؟

* * *

٣٤ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [البسيط]

لَوْلاَ مُنَاشَدَةُ القُرْبَى لَغَادَرَكُمْ فَرِيسَةَ المُرْهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالقَلَمِ[٣]

وقول البحتري: [البسيط]

زِنْتَ الْخِلاَفَةَ إشْرَافاً وَقَدْ خَبِطَتْ وَذُدْتَ عَنْ حَقِّهَا بالسَّيْفِ والقَلَمِ[٤]

وكذلك أيضاً لم يكن البحتري يهتدي إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما له أبو تمام!

* * *

(١) تقدم البيت مع تخريجه برواية مختلفة عما هنا، وهي:
كساك من الأنوار أبيضُ ناصعُ وأصفرُ فاقعٌ وأحمرُ ساطعُ
وانظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٤٤، من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان.
والفاقع: صفة للشديد الاصفرار كما أن الجَسِد صفة للكثير الاحمرار كأنه الدم.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٥، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق. ورواية عجز البيت في الديوان:
حصائد المرهفين السيف والقلم

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٤٣، من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان. ورواية صدر البيت في الديوان:
سُسْتَ الخلافة إشرافاً وحيطة

٣٥ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

أَبَى لِيَ نَجْرُ الغَوْثِ أَنْ أَرْأَمَ الَّتِي أُسَبُّ بِهَا، والنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ[١]

وقول البحتري: [الرمل]

سَيِّدٌ نَجْرُ المَعَالِي نَجْرُهُ يَمْلِكُ الجُودُ عليهِ ما مَلَكْ[٢]

وقد كان ينبغي لأبي الضياء أن لا يُخَرِّج مثل هذا في السَّرَقِ، ولا يفضح نفسه!!

* * *

٣٦ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ، ثُمَّةَ تَسْتَوِي الأَقْدَامُ[٣]

وقول البحتري: [الكامل]

حُزْتَ الْعُلَى سَبْقاً، وَصَلَّى ثَانِياً ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الأَقْدَامُ[٤]

* * *

٣٧ ـ ومثله قول أبي تمام: [الخفيف]

فِي غَدَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كَانَ فِيهَا نَاضِرُ الرَّوْضِ لِلسَّحَابِ نَدِيمَا[٥]

وقول البحتري: [الخفيف]

قَدْ تَعَالَتْ بِكَ الْمُرُوءَةُ حَتَّى قَدْ حَسِبْنَاكَ لِلسِّمَاكِ نَدِيمَا[٦]

وما يَجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجليّ المعاني فَضْلاً عن خفيها.

* * *

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٣، من قصيدة له في الفخر. والنجر: الأصل. والغوث: هو الغوث بن طيىء جده الأعلى. وأرأم: أحب وأتعهد.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٩، من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٦، من قصيدة يمدح بها المأمون، ويقال: المعتصم بالله.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٨٦، من قصيدة يرثي بها أبا سعيد.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف وقد قدم من مكة.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٢٥٩، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

٣٨ ـ ومن ذلك قول أبي تمام يصف الفرس: [الكامل]

مِـنْ نَـجْـلِ كـلِّ تَـلِـيـدَةٍ أعـراقُـهُ   طِـرْفٍ مُـعِـمٍّ فـي الـسَّـوَابِـقِ مُـخْـوِلِ(١)

وقول البحتري: [الكامل]

وَافِـي الـضُّـلُـوعِ يَـشُـدُّ عَـقْـدَ حِـزَامِـهِ   يَـوْمَ الـلِّـقَـاءِ عَـلَـى مُـعِـمٍّ مُـخْـولِ(٢)

وما في «معمٍّ مخول» من الغرابة حتى يتلقنه البحتريُّ من أبي تمام، على كثرته على الألسن، قولِ الناس في مَدْحِ الفرس: كريم الآباء والأمهات، وشريف الأنساب ونحو هذا؟

* * *

٣٩ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

فـأَذْرَتْ جُـمَـانـاً مِـنْ دُمُـوعٍ نـظـامُـهَـا   عَـلى الْـخَـدِّ إلاّ أنَّ صَـائِـغَـهَـا الـشِّـعْـرُ(٣)

وقول البحتري: [الوافر]

جَـرَى فِـي نَـحْـرِهَـا مِـنْ مُـقْـلَـتَـيْـهـا   جُـمَـانٌ يَـسْـتَـهِـلُّ عَـلـى جُـمَـان(٤)

فالاتفاق ههنا إنما هو في لفظ «جُمَانٍ» وقول ذلك «نظامها على الخد» وقول هذا «جرى في نحرها» فلا يقتضي أن يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر؛ لأن الدمع على الخد جَرْيُه، وإلى النحر يَصِلُ، وهذهِ حال لا يجهلها أحد ممن وصف الدمع.

* * *

٤٠ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

وَهَـلْ لِـلْـقَـرِيـضِ الْـغَـضِّ أوْ مَـنْ يَـحُـوكُـه   عَـلـى أحَـدٍ ـ إلا عَـلَـيْـكَ ـ مُـعَـوَّلُ(٥)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٢، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ووجه بها إليه من الموصل.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٣١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب. ووافي: تام. ومعمّ ومخول: أي ذو أعمام وأخوال.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٨٢، من قصيدة له في الفخر، ورواية البيت في الديوان:

فـأبـدت جـمـانـاً مـن دمـوع نـظـامـهـا   عـلـى الـصـدر إلاّ أنّ صـائـغـهـا الـشـعـرُ

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٢٠٣، من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابنَي المدبر.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣١، من قصيدة يمدح بها أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي، ورواية صدر البيت في الديوان:

فـهـل لـلـقـريـض الـغـضّ أو مـن يـصـوغـه

وقول البحتري: [الكامل]

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي نَوْبَةٍ إلاَّ عَلَيْكَ مُعَوَّلُ(١)

فحظَر على البحتري لفظة «معول» وحَرَّمَها عليه من أجل أن أبا تمام لَفظ بها!.

* * *

٤١ ـ ومن ذلك قول أبي تمام: [الكامل]

وَإذا امْرُؤٌ أَهْدَى إلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأنهَا مِنْ مَالِهِ(٢)

وقول البحتري: [الخفيف]

حَازَ حَمْدِي، وَلِلرِّيَاحِ اللَّوَاتِي تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ(٣)

فمعنى أبي تمام مشترك بين الناس، وليس مخترعاً؛ لأنك أبداً تسمع قول القائل ـ إذا بلغ حاجته بشفاعة ـ أن يقول للشفيع: ما أعتدُّ هذه إلا من الله ومنك؛ فليس لأبي تمام فيه شيء أكثر من أن عَبَّر فيه بعبارة حسنة مكشوفة؛ فالبحتري لم يأخذ المعنى منهِ لأنه في العادات موجود، ولكنه أحسن في التمثيل، وأغرب وأبدع.

* * *

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحتري من المعاني

١ ـ قال البحتري: [الكامل]

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ، وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبَلِ(٤)

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٥٤، من قصيدة قالها في علي بن يحيى.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢٧، من أبيات قالها لإسحاق بن أبي ربعي كاتب أبي دلف ويسأله أن يشفع له: ورواية صدر البيت في الديوان:

وإذا أمرؤ أسدى إليك صنيعةً

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٠، من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الرحيم الحراني، ويستعينه في حاجة له.

(٤) هذا البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) في القصيدة التي مطلعها:

أهلاً بذلكم الخيال المقبلِ فعل الذي نهواهُ أو لم يفعل

وهذه القصيدة في الديوان ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٨.

هذا خطأ من الوصف؛ لأن ذَنَب الْفَرَس ـ إذا مسَّ الأرض كان عيباً، فكيف إذا سَحَبه، وَإنما الممدوح من الأذناب ما قَرُبَ من الأرض ولم يمسَّها، كما قال امرؤ القيس: [الطويل]

* بِـضَـافٍ فُـوَيْـقَ الأرْضِ لَـيْـسَ بِـأَعْـزَلِ[١] *

فقال «فويق الأرض» أي: فوق الأرض بقليل.

وقد عِيبَ على امرىء القيس قولُه: [المتقارب]

لَـهَـا ذَنَـبٌ مِـثْـلُ ذَيْـلِ الْـعَـرُوسِ   تَـسُـدُّ بِـهِ فَـرْجَـهَـا مِـنْ دُبُـرْ[٢]

وما أرى العيب لحق امرأَ القيس في هذا؛ لأن العروس إذا كانت تَسْحَبُ ذيلها، وكان ذنب الفرس إذا مَسَّ الأرضَ فهو عيبٌ؛ فليس ينكر أن يُشَبَّه الذنب به إن لم يبلغ أن يمس الأرض؛ لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه، أو دَنَا من معناه، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه، ولاَقَ به، ولأن امرأ القيس لم يقصد طولَ الذنب أن يشبهه بطول ذَيْلِ العروس فقط، وإنما أراد السبوغَ والكثرةَ والكثافة، ألا تراه قال «تسد به فرجها من دُبُرْ» وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً، بل يكون رقيقاً نَزْرَ الشعر خفيفاً؛ فلا يَسُدُّ فرج الفرسِ، فلما قال «تسد به فرجها» علمنا أنه إنما أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فإنما أشبه الذنبُ الطويلُ ذيلَ العروس من هذه الجهة، وكان في الطول قريباً منه؛ فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعيب، ولا أن يكون ذنبُ الفَرَسِ من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض، وإنما العيب في قول البحتري «ذنَبٌ كما سُحِب الرداء» فأفصح بأن الفرسَ يسحبُ ذَنَبَه.

ومثلُ قول امرىء القيس قولُ خِدَاش بن زهير: [المتقارب]

لَـهَـا ذَنَـبٌ مِـثْـلُ ذَيْـلِ الْـهَـدِيِّ   إلَـى جُـؤْجُـؤٍ أَيِّـدِ الـزَّافِـرِ[٣]

---

(١) صدره:

وأنــت إذا اســتــدبــرتــه ســدّ فــرجــه

والبيت في ديوان امرىء القيس ص٢٣، ولسان العرب (عزل)، (ضفا)، وتهذيب اللغة ٢/ ١٣٤، وتاج العروس (ضلع)، وأساس البلاغة (عزل).

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص١٦٤، ولسان العرب (فرج)، (لون)، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٩٩، ومجمل اللغة ٤/٩٦، وتاج العروس (أمع).

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

الهديّ: العروس التي تُهْدَى إلى زوجها، وأيّد: شديد، والزافر: الصدر؛ لأنها تزفر منه، فإنما أراد بذيل العروس طولَه وسُبُوغَه؛ فشبه الذنبَ الطويل السابغ به، وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمسَّ الأرض.

ومما يصحح ذلك قولُهم: فرسٌ ذَيَّال؛ إذا كان طويلاً طويل الذنب، فإذا كان قصيراً طويل الذنب قالوا: ذائل، وإنما قالوا ذلك تشبيهاً للذنب بالذّيْلِ لا غير، قال النابغة الذبياني: [الوافر]

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كالليْثِ يَسْمُو إلى أوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ[1]

رفنّ ورفلّ واحِدٌ، وهو الطويل الذنب.

وقد استقصيت الاحتجاجَ لبيت امرىء القيس فيما بيّنته من سَهْوِ أبي العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط في كتابه الذي جمع فيه سرقات الشعراء.

* * *

٢ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

هَجَرَتْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا دَتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى[2]

وهذا عندي غَلَطٌ؛ لأن خيالها يَتَمَثَّلُ له في كل أحوالها، يَقْظَى كانت أو وَسْنَى، والجيدُ قولُه: [البسيط]

أُرَدُّ دُونَكِ يَقْظَاناً، وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكِ سُكْرُ الكرى إنْ جِئْتُ وَسْنانَا[3]

فصحح المعنى، وأتى به على حقيقته.

وكذلك قوله: [الطويل]

إذا ما تَبَاذَلْنا النَّفائِسَ خِلْتَنَا مِنَ الجد أَيْقاظاً ونَحْنُ نِيَامُ[4]

(١) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص٢٤٩، ولسان العرب (رفن)، وتهذيب اللغة ١٥/٢٠٨، ومقاييس اللغة ٢/٣٦٦، وللنابغة الذبياني في ديوانه ص١٢٨، وتاج العروس (ذيل)، (رفن)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/٣.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٣٣٨، من قصيدة يمدح بها ابن الفياض. وانظر العمدة لابن رشيق.

(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٣٤٣، من قصيدة يعتذر فيها إلى يعقوب بن أحمد بن صالح.

وقوله: [الطويل]

* نُـعَـذَّبُ أَيْـقَـاظـاً وَنَـنْـعَـمُ هُـجَّـدَا[١] *

جيدٌ أيضاً؛ لأنه حملها على أن حالها مع خياله إذا نامت كحاله مع خيالها إذا نام، وأن كل واحد منهما ينعَم مُفْرَداً مع خيال صاحبه؛ لا أنهما ينعمان معاً في حال واحدة إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر. وإنما أخذ معنى بيته الأول ـ وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال ـ من قول قيس بن الخطيم: [الكامل]

أَنَّـى سَـرَبْـتَ وَكُـنْـتَ غَـيْـرَ سَـرُوبِ   وَتُـقَـرِّبُ الأَحْـلامُ غَـيْـرَ قَـرِيـبِ
مَـا تَـمْـنَـعِـي يَـقْـظَـى فَـقَـدْ تُـؤْتِـيـنَـهُ   فِـي الـنَّـوْمِ غَـيْـرَ مُـصَـرَّدٍ مَـحْـسُـوبِ[٢]

وما أظن أحداً سبق قيساً إلى هذا المعنى في وصف الخيال، وهو حسن جداً، ولكنْ فيه أيضاً مقال لمعترض، وذلك هو الذي أوقع البحتري في الغلط؛ لأن قَيْساً قال «ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم» فأراد أيضاً أنها تؤتيه نائمة، وخيال المحبوب يتمثل في حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت، وكان الأجود لو قال: ما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم: أي ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي، حتى يكون النوم واليقظة معاً منسوبين إليه، إلا أنه يتّسع من التأويل لقيس ما لا يتسع للبحتري؛ لأن قيساً قال «فقد تؤتينه في النوم» ولم يقل: فقد تؤتينه نائمة فقد يجوز أن يُحْمل على أنه أراد ما تمنعي يقظي وأنا يقظان فقد تؤتينه في النوم: أي في نومي، ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري؛ لأن البحتري قال وَسْنىٰ ولم يقل في الْوَسَنِ.

* * *

٣ ـ وقال البحتري في مدح المعتز بالله: [مجزوء الكامل]

لا الْـعَـذْلُ يَـرْدَعُـهُ وَلا الـتَّـعْـنِـيفُ عَـنْ كَـرَمٍ يَـصُـدُّهْ[٣]

---

(١) صدره:

ولـم أرَ مـثـلـيـنـا ولا مـثـل شـأنـنـا

والبيت في ديوان البحتري ١/١٢٩، من قصيدة يمدح بها المعتز بالله.

(٢) البيتان في ديوان قيس بن الخطيم ص٥٥، وتقدم البيت الأول مع تخريجه.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٢٢. والعذل: اللوم. ويردعه: يمنعه. والتعنيف: القاسي والشديد من الكلام.

وهذا عندي من أهْجَنِ ما مُدِحَ به خليفة وأقبحه، ومن ذا يُعَنِّفُ الخليفَةَ على الكرم أو يصُده؟ إن هذا بالهجو أولى منه بالمَدْحِ.

* * *

٤ ـ وقال البحتري: [الطويل]

تَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الغَمَامِ بَيْنَ بِكْرٍ وَأَيِّمِ[1]

وهذا أيضاً غلط؛ لأنه ظن أن الأيم هي الثيب، وقد غلط في مثله أبو تمام، وذكرته في أغاليطه، وسها فيه أيضاً بعضُ كبار الفقهاء؛ فظن البحتري أن الأيم هي الثيب، فجعلها في البيت ضدَّ البكر، والأيم: هي التي لا زَوْجَ لها، بكراً كانت أو ثيباً، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢] أراد جلّ ثناؤه اللواتي لا أزواج لهن؛ فالبكر والثيب جميعاً داخلتان تحت الأيّم؛ فتكون بكراً وتكون ثيباً، وإنما أراد الثيب.

فإن قيل: إن الأيم قد تكون ثيباً، وإنما أراد الثيب.

قيل: أجل إنها تكون ثيباً وتكون بكراً ومعنساً وكَعَابا، إلا أن لفظة «أيِّم» لا تدل على شيء من هذه الأوصاف، وليست عبارة إلا عن التي لا زوج لها لا غير؛ وقد شرحت هذا المعنى شرحاً شافياً في غلط أبي تمام.

* * *

٥ ـ وقال البحتري: [الرمل]

شَرْطِيَ الإنْصَافُ إنْ قِيلَ اشْتَرِطْ وَصَدِيقِي مَنْ إذا قَالَ قَسَطْ[2]

وكان يجب أن يقول «أقسط» أي: عَدَلَ، وقَسَط ـ بغير ألف ـ معناه جار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

* * *

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٨٢، من قصيدة يرثي بها بني حميد ويخص أبا مسلم.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٢٦، مطلع قصيدة يمدح بها العلاء بن صاعد، ورواية عجز البيت في الديوان:

وخليلٌ من إذا صافى قسطْ

٦ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

صِبْغَةَ الأفْقِ بينَ آخِرِ لَيْلٍ ... مُنْقَضٍ شَأنُهُ وأوّلِ فَجْرِ[١]

يصف فرساً أشقر أو خلوقياً. والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر وهو عندي في هذا غالط؛ لأن أول الفجر الزرقة، ثم البياض، ثم الحمرة عند بُدُوّ قَرْنِ الشمس. كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرةُ، ثم البياض، ثم الزرقة وهي آخر الشفق؛ وقال البحتري: [البسيط]

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ ... وَأَوّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ[٢]

وقال آخر: [الطويل]

وأن يسجع القمريُّ فيها إذا غدا ... بركبانه قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ[٣]

وكأن البحتري أراد أن يقول بين آخر ليل منقض شأنه وأول نهار؛ فيكون قد قابل بين الليل والنهار، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل، فقال «وأول الفجر»، والجيدُ في مثل هذا المعنى قولُ أبي تمام يصف فرساً أشقر: [المنسرح]

كـــــــــــــــأنْ ... قَدْ كُسِفَتْ فِي أدِيمِهِ الشَّمْسُ[٤]

* * *

٧ ـ وقال البحتري: [الطويل]

قِفِ الْعِيسَ قَدْ أدْنَى خُطاهَا كَلالُهَا ... وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[٥]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٥١، من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٣، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير، ورواية البيت في الديوان:

وأزرقُ الفجرِ يأتي قبل أبيضِه ... وأوّل الغيثِ طلٌّ ثمّ ينسكبُ

والطلّ: المطر الخفيف.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت بتمامه:

ضمّخ من لونه فجاء كأن ... قد كُسفت في أديمه الشمسُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٥٨، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. ضُمخ، بالبناء للمجهول: لطخ بالطيب ونحوه. والأديم: الجلد.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٥٢، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

هذا لفظ حسن، ومعنى ليس بالجيد؛ لأنه قال «قد أدنىٰ خُطَاهَا كلالُهَا» أي: قَارَبَ من خَطْوِها الكَلال، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التي تَعَرَّض لأن يشفيه سؤالها، وإنما وقف لإعياء المطيِّ.

والجيد قولُ عنترة؛ لأنه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبّه ناقته بالقَصْر، فقال: [الكامل]

فَـوَقَـفْـتُ فِـيـهَـا نَـاقَـتِـي، وَكَـأنـهـا فَـدَنٌ؛ لأقْـضِـيَ حـاجَـةَ الْـمُـتَـلَـوِّمِ[١]

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها. وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد، فقال: [الطويل]

أَنَـخْـتُ بِـهَـا الْـوَجْـنَـاءَ لاَ مِـنْ سَـآمَـةٍ لِـثِـنْـتَـيْـنِ بَـيْـنَ ٱثْـنَـيْـنِ جَـاءٍ وَذَاهِـبِ[٢]

يقول: أنخت لأصَلّي، لا من سآمة بها، وقوله «لثنتين» يريد اللتين يَقصُرهما المسافر «بين اثنين جاء» يريد الليل «وذاهب» يريد النهار.

فإن قيل: فإنما قال «قد أدنى خُطَاهَا كلالها» ليعلم أنه قصد الدار من شُقَّةٍ بعيدة.

قيل: العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها، وإنما تجتاز بها، فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه: قِفْ، وقِفَا، ولو كان هناك قصدٌ إليها لكانوا إذا وصَلوا لا يقولون: قِفْ، ولا قِفَا وإنما ذلك تعريج على الديار في مسيرها، وسأزيد في شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار.

* * *

٨ ـ وقال البحتري: [الطويل]

غَـرِيـبُ الـسَّـجَـايَـا مَـا تـزَالُ عُـقُـولُـنَـا مُـدَلَّـهَـةً فِـي خَـلَّـةٍ مِـنْ خِـلالِـهِ
إذا مَـعْـشَـرٌ صـانُـوا الـسَّـمـاحَ تَـعَـسَّـفَـتْ بِـهِ هِـمَّـةٌ مَـجْـنُـونَـةٌ فِـي ابْـتِـذَالِـهِ[٣]

---

(١) البيت في ديوان عنترة ص١٨٨، وكتاب العين ٨/ ٥١، وأساس البلاغة (لوم)، وشرح القصائد العشر ص١٧٣. والفدن، بفتح الفاء والدال: القصر. والمتلوّم: المتمهل.

(٢) البيت ليس في ديوان ذي الرمة، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي.

(٣) البيتان في ديوان البحتري ١/ ١٨٨، من قصيدة يمدح بها علي بن يحيى. والخلّة: الخصلة. وابتذاله: بذله.

قوله «إذا معشر صانوا السماح» معنًى رديء؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يَصُونه، وسواء عليه قال: صانوا السماح، أو صانوا السخاء؛ أو صانوا الْجُودَ، أو صانوا الكرم؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً، وهو منهم بعيد، فكيف يَصُونونه؟

فإن قيل: إنما أقام السَّمَاحَ مقام الشيء الذي يُسْمَح به، وفي مَجَازات العرب ما هو أبعد من هذا.

قيل: البحتري لا يُسَوَّغ مِثْلَ هذا، ولا يجوز له؛ لأنه متأخر، ولا سيما أن ليست ههنا ضرورة؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول «صانوا الثراء» مكان «صانوا السماح».

* * *

وهذا ما عِيبَ به البحتريُّ وليس بعَيْبٍ

وإنما ذكرته لئلا يظن ظان أنه صحيح، وأني تخطَّيته، فمن ذلك ما نعاه عليه أصحابُ أبي تمام، وهما بيتان، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحتريُّ فيهما في الجزء الأول من هذا الكتاب، وأنا أعيد ذكرها هُهُنَا لزيادةٍ عندي في الاحتجاج يحتاج إليها.

* * *

١ ـ أنكروا عليه قوله: [الكامل]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكأنها ... فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إنَاءِ[(١)]

وقالوا: لو ملىء الإناء دِبْساً لكانت هذه حاله، والمعنى عندي صحيح: لا عيب فيه، ولا قَدْح، وذلك أن الرجل قد دَلّ بهذا الوصف على أن شُعَاع الشراب في غاية الغلبة، وأن الكأس غاية في الرقة؛ فاعتمد أنْ وَصَفَ الإناء وما فيه وَصْفَ الهيئةِ على ما هي عليه، وإنما أخذ المعنى من قول علي بن جَبَلَةَ: [الوافر]

كأنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنهَا ... شُعَاعاً لا تُحِيطُ عَلَيْهِ كاسُ[(٢)]

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه.

ألا ترى أن هذا أيضاً قد دلّ على أن الكاس في غاية الرقة، ومثله قول الآخر: [الرمل]

إنما نعجتنا مَوْسُومَةٌ ضمنت حمراء تَرْمِي بِالزَّبَدْ
وإذا ما نَزَلَتْ في كأسها فَهْيَ وَالْكأْسُ مَعاً شيْءٌ أَحَدْ(١)

وقد أنشد أبو العباس ثعلب بيت البحتريّ هذا في أماليه، وقال: إنه أخذ المعنى من قول الأعشى: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونها وَهْيَ دُونَهُ إذَا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ(٢)

قال أبو العباس: وهذا البيت أجود ما قيل في وصف الخمرة؛ لأنه جمع بين اللون والطعم، ونحوه قول الآخر، وهو الأخطل: [الكامل]

وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِي عَلَى لَذَّاتِهَا صَهْبَاءُ عَارِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ(٣)

يريد أنها صافية؛ فالقذى فيها لا يستتر، ولم يَعِبْ ثعلبٌ البحتريَّ، ولا طعن في بيته، بل يدُلّك إنشاده وذكرُهُ في موضع السرق على استجادته له، واستحسانه إياه.

* * *

٢ ـ وأنكروا قوله: [الخفيف]

ضَحِكَاتٌ فِي إثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهْ(٤)

وقالوا: أقام الرعود مُقَام العطايا، وإنما كان ينبغي له أن يقيم الغيوث مُقَام العطايا، وهذا جهل ممن قاله بمعاني كلام العرب، ومعنى التمثيل في البيت صحيح؛ لأن الرعد مُقَدِّمة الغيث، وقَلَّ رعدٌ لا يتلوه المطر، وإذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كأنه أوّلٌ، وإنما أخذ البحتري المعنى من قول بشار: [الكامل الأحذّ]

وَعْدُ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلَهُ كَالْبَرْقِ ثُمَّ الرَّعْدِ فِي أثَرِهْ(٥)

---

(١) تقدم البيت الثاني مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.
(٢) البيت في ديوان الأعشى ص٢٦٩، وتهذيب اللغة ١٦/٩، ١٤/ ١٨٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٣٣، وأساس البلاغة (مطق)، وتاج العروس (مطق)، والبيت بلا نسبة في لسان العرب (مطق)، (دون)، وجمهرة اللغة ص٩٢٤، وتاج العروس (دون).
(٣) البيت في ديوان الأخطل ص٤٣٠.
(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٥) البيت في ديوان بشار بن برد ص١٤٠ (طبعة دار الثقافة). ورواية البيت في الديوان:
وعدُ الكريم يحثّ نائلَهُ كالغيث يسبقُ رَعْدَهُ مَطَرَهْ

فأقام الرعد مقام الغيث، ونحوه قول بشار: [الطويل]

حَلَبْتُ بِشِعْرِي رَاحَتَيْهِ فَدَرَّتَا ... سَمَاحاً، كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ[١]

وأظنهما جميعاً أخذا المعنى من قول الأعشى: [المنسرح]

وَالشِّعْرُ يستَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا ... اسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلاَ[٢]

وأنشد ابن الأعرابي في نوادره: [الطويل]

فَإنْ لَمْ أُصَدِّقْ ظَنَّهُمْ بِتَيَقُّنِي ... فَلاَ سَقَتِ الأوْصَالَ مِنِّي الرَّوَاعِدُ[٣]

فجعل التي تسقي هي الرواعد، وقال الكميت: [المنسرح]

وأَنْتَ فِي الشَّتْوَةِ الْجَمَادِ إذَا ... أَخْلَفَ مِنْ أنجُمٍ رَوَاعِدُهَا[٤]

ومثلُ هذا كثيرٌ في كلامهم لا ينكره منكر، وقال أبو تمام: [الكامل]

وَكَذَا السَّحَائِبُ، قَلَّمَا تَدْعُو إلَى ... مَعْرُوفِهَا الرُّوَّادَ مَا لَمْ تُبْرِقِ[٥]

فجعل البرق عند الرُّوَّاد دليلَ الغيثِ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيراً، وبرقُ الخلَّب هذه حاله؛ فالبحتري في أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أعْذَرُ من أبي تمام لأنه قد يرتفع سحاب ويبرق ولا يُمْطِر، فإذا أرعد لا يكاد يُخْلِفُ.

* * *

٣ ـ ومن ذلك قول البحتري: [الخفيف]

يَا هِلاَلاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبِ ... وَقَضِيباً عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلِ[٦]

وقالوا: هذا خطأ؛ لأن الكثيب ـ إذا كان مَهِيلا ـ فإنه يذهب ولا يستمسك، وذلك مذموم من الوصف، قالوا: والجيد قولُه: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان بشار بن برد ص٨٨. (طبعة دار الثقافة).
(٢) البيت في ديوان الأعشى ص٢٨٧.
(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي.
(٤) البيت في ديوان الكميت ١/١٥٧.
(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٠، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ويصف فرساً حمله عليه.
(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/١٩٣، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب بن طوق.

كالبَدْرِ غَيْرَ مُخَيلٍ وَالغُصْنِ غَيْرَ مُمَيَّلٍ وَالدِّعْصِ غَيْرَ مهيَّلِ[١]

وقالوا: قد تراه هنا كيف شرط في الدِّعْصِ ـ لما شَبَّهَ العَجُزَ به ـ أنْ جَعَلَه غير مهيل؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بِكُثبان الرمل شَرَطت فيها أن تكون ندية، وأن تكون ممطورة، كما قال الراجز: [الرجز]

جُبْنَ بأعْجَازٍ لَهُنَّ نَاوِيَهْ كَأَنَّهَا الكُثْبَانُ غِبَّ سَارِيَهْ[٢]

ناوية: سِمَانٌ، من النيّ وهو الشحم، وكقول الآخر: [البسيط]

* مِثْلُ الْكَثِيبِ إذَا مَا بَلَّهُ الْمَطَرُ[٣] *

وكما قال مِرْداس بن أبي عامر السُّلَمِيُّ: [الطويل]

إذَا هِيَ قَامَتْ فِي النِّسَاءِ حَسِبْتَ مَا فُوَيْقَ نِطَاقِ الْعِقْدِ صَعْدَةَ سأسم
وَأَسْفَلُ مِنْهُ ظَهْرُ دِعْصٍ أَصَابَهُ نجاء السماك فِي الْكَثِيبِ الْمُخَيَّمِ[٤]

وقال الأخضر بن جابر الفزاري: [الرجز]

تَلُوثُ أثْنَاءَ اللِّفَاعِ الأتْحَمِي بِمِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُدَيَّمِ[٥]

أراد الذي قد بَلّته الدِّيمة، وهي السحابة؛ وقال جَنْدَل بن المثنى الطُّهَوِيُّ: [الرجز]

لاَ بَلْ كَدَغْصَاءَ نَدَاهَا مُثْرِي عَفْرَاءُ حُفَّتْ بِرِمَالٍ عُفْرِ[٦]

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) الشطر لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. والكثيب، بفتح الكاف: التل من الرمل، سمي بذلك لأنه انكثب، أي انصبّ في مكان فاجتمع فيه، ويجمع على كثب.

(٤) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدَي. والصعدة: القناة المستوية، تنبت هكذا، ولا تحتاج إلى تثقيف، شبه عنقها في استوائه بها. والدعص، بكسر الدال وسكون العين: كثيب الرمل المجتمع، وجمعه أدعاص، ودعصة.

(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي. واللفاع: كل ما تجلل به المرأة جسدها، كساء كان أو غيره. والأتحمي: ضرب من البرود. والمديّم: الذي أصابته الديمة، وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.

(٦) الرجز لجندل بن المثنى الطهوي في لسان العرب (جأر)، وتاج العروس (جأر)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١١/١٧٩، وأساس البلاغة (جأر)، والمخصص ١٠/١٩١.

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

كَحِقْفِ النَّقَا يَمْشِي الوَلِيدَانِ فَوْقَهُ ... بِمَا ٱحْتَبَسَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ[(١)]

والحقف: المستدير من الرمل؛ لأن الريح تنخله وتجمعه، وقال «يمشي الوليدان فوقه» لأن الندى أصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعومة، وقد شبّه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الفرس بالدِّعْصِ النَّدِي فقال: [الطويل]

لَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى ... إلى كاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ المُضَبَّبِ[(٢)]

وقال عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت: [الوافر]

وَإِنْ مَالَ الضَّجِيعُ بِهَا فَدِعْصٌ ... مِنَ الكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ[(٣)]

قالوا: هذا الوصف المجوَّد، والمعنى الصحيح من معاني العرب، ولولا أن تشبيه الردف بالكثيب المُنْهَال خطأ لما قال البحتري في بيته الآخر: «والدعص غير مهيل».

وهذا المذهب الذي ذهبوا إليه لعمري صحيحٌ من مذاهبهم، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فإنما تقصد إلى تحرك أعجازهن عند المشي، كما قال رؤبة بن العجاج: [الرجز]

إذا وَصَلْنَ العَوْمَ بالهِرْكَلِّ ... رَجْرَجْنَ مِنْ أعْجَازِهِنَّ ٱلخُزْلِ

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ فِي رَمْلِ[(٤)] *

فقال «أوراك رمل والج في رمل» ووُلُوجهُ تحرُّكه ودخول بعضه في بعض، وكما قال الأعشى: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص٣٦، والعقد الثمين ص١٠١.

(٢) البيت في ديوان امرىء القيس ص٤٧، ورواية البيت في الديوان:

لـه كـفـلٌ كـالـدعـص لـبّـده الـنـدى ... إلـى حـارك مـثـل الـغـبـيـط الـمـذأبِ

وانظر أيضاً الأزهية ص٢٧٣، وديوان المعاني ١/ ١٤٥، ولسان العرب (ذأب)، (كهل).

(٣) البيت في ديوان عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت، وهو بيت منفرد. وملتبد: لاصق بعضه ببعض حتى يصير كاللبد، وذلك من أثر الماء. ومطير: ممطور، فعيل بمعنى مفعول.

(٤) الرجز لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه ص١٣١. والهركَلّ: ضرب من المشي فيه اختيال وبطء.

رَوَادِفُـهُ تَـثْـنِـي الـرِّدَاءَ تَـسَـانَـدَتْ إلـى مِـثْـلِ دِعْـصِ الـرَّمْـلَـةِ الـمُـتَـهَـيِّـلِ
نَـيَـافٌ كَـغُـصْـنِ الـبَـانِ تَـرْتَـجُّ إنْ مَـشَـتْ دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ[١]

فدلَّ بقوله «ترتج إن مشت» على أن قوله «إلى مثل دعص الرملة المتهيل» إنما أراد تحرك عجزها في حال مشيها، وكذلك قول رؤبة: [الرجز]

مَـيَّـالَـةٌ مِـثْـلُ الـكَـثِـيـبِ الـمُـنْـهَـالْ عَـزَّزَ مِـنْـهُ وَهْـوَ مُـعْـطِـي الأسْـهَـالْ
* ضَـرْبُ الـسَّـوَارِي مَـتْـنَـهُ بِـالـتَّـهْـتَـالْ[٢] *

التهتال والتهتان واحد، فقال «مثل الكثيب المنهال» لما قال «ميالة» أي: أنها تتثنَّى في مشيتها وتتحرك روادفُهَا، ثم شرط أنه «عزز منه ضرب السواري» أي شَدَّهُ ليمنع من سيلانه وذهابه، وإنما أراد حالاً بين الحالين، ألا تراه قال: «وهو معطي الإسهال ضرب السواري» أي شدَّه ضربُ السواري وهو مع ذلك يتهيل؛ وقال ابن أبي سفيان الغامدي: [الرجز]

ذَاتَ شَـوًى عَـبْـلٍ وَخَـصْـرٍ أَبْـتَـلِ وَكَـفَـلٍ مـثـلِ الـكَـثِـيـبِ الأهْـيَـلِ[٣]

فأراد بالأهيل الذي يَتَرَجْرَجُ عند المشي، وقال المقنع الكندي: [الوافر]

إذَا قَـامَـتْ تَـنُـوءُ بِـمُـرْجَـحِـنٍّ كَـدِعْـصِ الـرَّمْـلِ يَـنْـهَـالُ انْـهِـيَـالا[٤]

فحسن ذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً. وقال عبد الرحمٰن بن الحكم: [البسيط]

كَـأَنَّ مَـا بَـيْـنَ قُـصْـرَاهَـا وَخِـنْـصَـرِهَـا مِـنْـهَـا نَـقـاً دَمِـثٌ مِـنْ عَـالِـجٍ هَـارِ[٥]

---

(١) البيتان في ديوان الأعشى ص٢٦٦.

(٢) الرجز ليس في ديوان رؤبة، وهو للعجاج في ديوانه ٢/٣١٨ ـ ٣١٩، ولسان العرب (ضنك)، (هتل)، وتهذيب اللغة ٦/٢٣٦، ١٠/٤١، وتاج العروس (عزز)، (ضنك)، (هتل)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١/٨٣، ولسان العرب (عزز).

(٣) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (بهكل)، وتهذيب اللغة ٦/٥٣٥، وتاج العروس (بهكل)، (بهكن). والشوى: اليدان والرجلان وأطراف الأصابع. وعبل: ضخم. وابتل: منقطع.

(٤) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي. والمرجحنّ: اسم فاعل من قولك: ارجحنّ الشيء، إذا اهتزّ أو مال. وأراد بالمرجحنّ هنا عجزها.

(٥) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدَي. والقُصْرى، بضم فسكون: الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن، والقصيرى، مصغرة: مثله. وأراد بما بين قصراها وخنصرها بطنها. وعالج: مكان كثير الرمل. وهار: منهار.

فقُصْرَاها: آخر الأضلاع، وهي القُصْرَى والقُصَيْرَى؛ فدلَّ بقوله «هَارٍ» على أنه أراد تحرك روادفها، فكذلك قول البحتري: [الخفيف]

* وَقَضِيبٍ عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلِ *

إنما أراد تحرك أردافه، وقد دلّ على المشي بقوله: [الخفيف]

* يَا هِلالاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبِ[1] *

فالمعنيان لا يتناقضان؛ لأن الشاعر إن ذكر الانهيال فإنه أراد الحركة عند المشي، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ في الكثيب الندى وإصابة الغيث فإنما قصد أن يَنُصَّ على اجتماعه واستمساكه كما قال رؤبة: [الرجز]

* مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالْ[2] *

ثم قال: [الرجز]

عَزَّزَ مِنْهُ وَهْوَ مُعْطِي الأَسْهَالْ ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنَهُ بِالتَّهْتَالْ

فانتظم الوجهين جميعاً. والذي شَرَح هذين المعنيين أتَمَّ الشرح، وأبَرَّ في الوصف على كل محسن، تميمُ بن أُبَيّ بن مُقْبِل في قوله يصف مَشْيَ النساء: [البسيط]

يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ يَنْهَالُ حِيناً وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا[3]

إنما أراد بقوله «ينهال حيناً» تحركَ أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرَّكُ جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب أو الرمل الندي، وهذا لا شيء أوضح منه.

* * *

٤ ـ ومن ذلك قوله: [البسيط]

مَتَى أرَدْنَا وَجَدْنَا مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَسْعَاتِهِ أوْ فَقَدْنَا مَنْ يُدَانِيهِ[4]

(١) هذا صدر الشطر السابق، وقد تقدم البيت مع تخريجه.
(٢) تقدم الرجز مع تخريجه قبل قليل.
(٣) البيت في ديوان ابن مقبل ص٣٢٦، وأساس البلاغة (نهي).
(٤) البيت في ديوان البحتري ١/١٦٩، من قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابة.

وقالوا: ليس هذا بالجيد؛ لأنه وَصْفٌ يَشْرَك ممدوحَه فيه البقَّالُ والحمَّالُ والمراق وباعةُ الدواء ولُقَّاط النوى؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئنا وجَدْنا من يقصر عن مسعاتهم، وهو الحَجَّام والكناس والنباش.

والبيت عندي صحيح، وغرض البحتري فيه معروف، ومثله أو نحوُهُ قول الأعشى: [الكامل]

وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَعُدْنَ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ[1]

وهو لا يشاء ذلك، إنما أراد أنَّ ذلك سَهْلٌ موجود في النساء، وكذلك قول البحتري «متى أردنا وجدنا» أي: أن ذلك موجود سهل حاصل، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب؛ لأن تلك حَالٌ قد عُلمت منه، وقد صَحَّح المعنى ووكدَ المدحَ بقوله «أو فقدنا من يدانيه» والبقال والمَرَّاق وأمثالهما غير مفقود مَنْ يدانيهم؛ فجعل البحتريُّ أحَدَ القسمين في البيت معلقاً بالآخر: أي ذلك كله سهل موجود، ولو اقتصر على النصف الأول كان لعمري فيه متعلّق.

* * *

٥ ـ ومن ذلك قوله: [البسيط]

تَهَاجُرٌ أَمَمٌ لاَ وَصْلَ يَخْلِطُه إلاَّ تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إذَا هَجَدَا[2]

قالوا: والطيفانِ لا يهجدان، وإنما أراد إذا هجدنا، فقال «إذا هجدا».

وقد سمعت مَنْ يحتج فيه بما لا يبعد عندي من الصواب، وهو أن قال: إنه أراد إلا تزوار نفسينا إذا هجدا؛ فأقام الطيف مقام النفس وقال «هَجَدَا» ولم يقل «هجدتا» للفظ الطيف وهو مذكر، وقال: إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

فقيل له: النفس لعمري يطلق عليها النوم، فإذا نامت رأت خيالاتِ الأشياء التي ترى حَقَائقها في اليقظة؛ فالنفس غير الخيال، وقد تتمثل للنفس في حال يقظتها وإن لم ترها العين؛ فليس النفسُ من الخيال في شيء.

---

(١) البيت في ديوان الأعشى ص١٧٩، والدرر ٦/ ٢٤٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٩، والكتاب ١/ ٢٨، والبيت بلا نسبة في الإنصاف ١/ ٣٨٧، وخزانة الأدب ١/ ٢٤٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥١٩، ٧٧٢، ولسان العرب (غنا)، والمنصف ٢/ ٧٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٧.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٤٧، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان. والطيف: الخيال. والهجود: النوم.

قال: فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان في النوم، فلمَ لا أسميهما خَيَالَيْنِ ـ وإن كان أحدهما خيالاً والآخر نفساً ـ على المجاز الذي تفعله العرب؟

وهذا عندي احتجاج صحيح، ويصح عليه معنى البيت.

* * *

٦ ـ ومما نسبوا فيه البحتري إلى سوء التقسيم قوله: [الكامل]

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدُ[1]

وقالوا: إنه ليس في المصراع الثاني من الفائدة إلا ما في الأول؛ لأن مجلسه المحجّب هي خلوته الخفية، وقوله «محفل» كقوله «مشهد».

والمعنى عندي صحيح؛ لأن المجلس المحجّب قد يكون فيه الجماعة الذين يَخُصُّهم، وفي الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم، ألا ترى إلى قول مُهَلْهِل: [الكامل]

* وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ[2] *

أي: أهلُ المجلسِ، على الاستعارة، فجعل البحتريُّ مجلسَه الذي احتجَب فيه مع ما يخصه كالمحفل، والمحفِلُ: هو المجمع الكثير، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً، وقد يكون معه محبوب، فبينها وبين المجلس والمحفل فرق؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ـ ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً أو اثنين ـ والمحفل لا يكون إلا عدداً كثيراً، فهذا أيضاً فرق صحيح بين المحفل والمشهد، وإنما أراد البحتري أنه لا يفعل في مجلسه المحجّب إلا ما يفعله في المحفل، ولا يفعل في خلوته الخفية إلا ما يفعله مع مَنْ يشاهده، ينسبه إلى شدة التصوُّن وكرم السريرة.

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير.

(٢) صدره:

نُبِّئْتُ أن النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ

والبيت للمهلهل في تاج العروس (جلس)، وأمالي القالي ١/٩٥، وسمط اللآلي ص٢٩٨، والحيوان ٣/١٢٨، وديوان المعاني ١/٢٠٤، وكتاب الصناعتين ص٢٠٣.

٧ ـ ومثله قوله: [الوافر]

أَمِينَ اللّهِ، دُمْتَ لَنَا سَلِيماً وَمُلِّيتَ السَّلاَمَةَ وَالدَّوَامَا[١]

قالوا: وقوله «دُمْتَ لنا سليما» هو قوله «مُلِّيت السَّلامة والدواما» فإن هذا قبيح جداً.

وليس الأمر عندي كذلك، بل القسمة صحيحة؛ لأنه لما تقدَّم ذكر السلامة والدوام في أول البيت قال في عجزه «ومُلِّيت السَّلامة» أي: أديمت لك تلك السلامة وذلك الدوام.

وأجْوَدُ من هذا أن يكون لمَّا قال دمت لنا سليماً ـ وذلك بذكر السلامة وفيها الألف واللام؛ لأنها اسم الجنس، وكذلك الدوام ـ فكأنه قال: مُلِّيتَ السلامة كلها والدوام كله وليس بمنكر أن يقول القائل في الدعاء «دام لك الدوام» كما يقول: طال طولك، وقرّ قرارك، وضلّ ضلالك، وزال زوالك، وذلك كلام مستعمل حَسَن، ومعنى «مُلِّيت» أُطيلت لك وأُديمت، مثل تَمَلَّيت، وهو مأخوذ من الْمَلاَوَة والْمَلْوَة، وهما الدهر، والمَلَوَانِ: الليل والنهار. ومنه قولهم: وَقَفْتُ مَلِيًّا.

* * *

٨ ـ وقال البحتري: [الكامل]

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلاَفَةِ سَعْدَهَا وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ

لَبِسَتْ جَلاَلَةَ جَعْفَرٍ؛ فَكَأَنَّهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ[٢]

وقالوا: هذا معنى فاسد؛ لأن السَّحَر طُرَّة النار وأوله وبَدْءُ ضيائه، والشيء في مثل هذا لا يتجلل أوله؛ لأن التجلل هو أن يشتمل عليه ويُغَطِّيه، والسحر أمام النهار أبداً؛ فلا يجوز أن يتغشَّاه؛ لأنه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها، فهو يدور حول كرة الأرض دائماً على صورة واحدة لا يتغير.

وهذا عندي معارضة صحيحة، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوز في مثله؛ لأن البحتري إنما أراد تَجَلُّله النهار في رأي أعيننا وما نشاهده؛ لأن زُرقة السحر لما استطار الضوء صار كأنه شيء غَطَّى عليها، وإن كانت حقيقتها أنها انقلبت إلى قطر آخر من الأرض.

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٢، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

(٢) البيتان في ديوان البحتري ١/ ٢٧، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله.

٩ ـ وقال البحتري: [البسيط]

لـم أرَ كـالْـهَـجْـرِ لَـمْ يُـرْحَـمْ مُـعَـذَّبُـهُ وَالْوَصْلِ لم يَغْتَمِدْ مُغْطَاهُ بِالحسَدِ(١)

وهذا كان بعضهم يراه سهواً، ويقول: إن المعذب بالهجر مرحوم، فأما الذي يواصله حبيبه فمغبوط أبداً ومحسود، وقد قيل في ذلك من الأشعار ما هو أشهر وأكثر؛ فمنها قولُ يزيد بن الطَّثرية: [الطويل]

أَعُـوذُ بِـخَـدَّيْـكِ الْـكَـرِيـمَـيْـنِ أنْ يَـرَى لَنَا حَاسِدٌ في غُبَّرِ الْوَصْلِ مَطْمَعَا(٢)

وقول أبي صخر الهذلي: [الطويل]

فَـقَـد تَـرَكَـتْـنِـي أَحْـسُـدُ الـطَّـيْـرَ أن أَرَى أَلِـيفَـيْـنِ مِـنْـهَـا لَـمْ يُـرَوِّعْـهُـمَـا الـنَّـفْـرُ(٣)

وقول جرير: [الوافر]

وَيُــحْــسَــدُ أنْ يَــزُورَكُــم، وَيَــرْضَــى بِـدُونِ الْـبَـذْلِ لـوْ عَـلِـمَ الْـحَـسُـودُ(٤)

وقول جميل بن معمر: [الكامل]

لَـوْلاَ الْـوُشَـاةُ لَـزُرْتـكُـمْ بِـبَـلاَدِكُـمْ لـكِـنْ أخَـافُ مَـقَـالَـةَ الْـحُـسَّـادِ(٥)

وقول عتبة بن بجير الحارثي: [البسيط]

أَيَّـامَ تَـهْـجُـرُنِـي لَـيْـلَـى وَأُحْـسَـدُهَـا وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسَدِ(٦)

أي: هي تهجرني، وأنا أُحْسَدُها: أي أُحْسَد عليها.

وليس الأمر عندي في هذا البيت على ما تأوّله هذا المتأول وظَنَّه، وذلك أن البحتري لم يرد بقوله «لم أرَ كالهجر لم يرحم مُعَذَّبه» جنس الهجر، ولا جنس

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه ١/١٧٨ (الطبعة المصرية)، من قصيدة مطلعها:

عـهـد الـمـشـوق بـوصـل الأنـس الـخـردِ يـكـاد يـشـرك نـجـم الـلـيـل في الـبُـعُـدِ

(٢) البيت في ديوان يزيد بن الطثرية ص٨٩.

(٣) البيت في شرح أشعار الهذليين ص٩٥٨.

(٤) البيت في ديوان جرير ص٣١٨.

(٥) البيت ليس في ديوان جميل بن معمر (جميل بثينة)، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

الوصل، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل، كما يقال: أهْلَكَ الناسَ الدينارُ والدرهم، وإنما أراد «لم أرَ كالهجر لم يرحم معذبه» أي: كالهجر الذي هذه حالُه على طريق التعجب «والوصل لم يعتمد مُعْطاه بالحسد» أي والوصل الذي هذه حالُه، وهذا كما تقول: «لم أرَ كالرجل يُسيء فلا يُذَمُّ، ويُحسن فلا يشكر» أي كالرجل الذي هذه حالُه، ولم يرد كل الرجال، وكيف يظن مثل هذا بالبحتري وهو يقول: [الطويل]

وَنُحْسَدُ أنْ يَسْرِي إلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقابيلُ يَعْتَادُ الْهَوَى باعْتِيادِها
فَكَمْ نَافَسُوا فهي حُرْقَةٍ إثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أنْفَاسِنا وَامْتِدادِها[1]

فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَد على الْجَوَى وعلى الْحُرَقِ، فكيف على الوصل؟

* * *

١٠ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

أيُّ لَيْلٍ يبهي بِغَيْرِ نُجُومٍ وَسَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ[2]؟

عابَه بعضهم بهذا، وقالوا: قد يكون بَرْقٌ ولا غيث معه، وهو برقُ الخلّب، والرجل لم يقل لا برق إلا ومعه مطر، وإنما قال لا مطر إلا ومعه برق.

* * *

١١ ـ وسمعت مَنْ يعيب قولَه: [الكامل]

كالرَّوْضِ مُؤْتَلِفاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَياضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ[3]

ويقول: النَّور هو الأبيض، والزهر هو الأصفر لا محالة، فإذا قلت «في هذا الروض أنوار مختلفةٌ» جاز ذلك؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجري الاسم على الجميع، على سبيل المجاز، كما تقول «الْعُمَرَانِ» لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، و«الْقَمَرَان» للشمس والقمر، وما أشبه ذلك، وكذلك إذا قلت «فيها أزهار كثيرة» جاز

(١) البيتان في ديوان البحتري ١/١٠٧، من قصيدة يمدح بها المهتدي بالله.
(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٥، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي.
(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٨٦، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. والمؤتلف: اللامع.

ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما من الصفرة تَوَسُّعاً ومجازاً؛ فإذا فصلت مُعْتمداً لأن تخص كل جنس باسم، كما فعل البحتري، ولم يجز أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص؛ فتقول حينئذ: يعجبني مِنْ هذا الموضع صفرةُ زَهْرِهِ، وبياضُ نَوْرِهِ، وحُمْرة شقائقه، ولا يجوز أن تقول: يعجبني حُمْرة نَوْره، ولا بياض زهره، كما قال البحتري؛ لأن ذلك خطأ في اللغة على ما استعملته العرب.

ولعمري إن هذا هو الأشهر في كلامهم، والأغلب في المأثور عنهم، إلا أنهم قد جعلوا الزَّهَر نَوْراً، والنَّوْرَ زَهَراً، وجاء ذلك في الشعر، قال عدي بن زيد: [البسيط]

حتى تعاوَنَ مُشْتَكٌ لَهُ زَهَرٌ ... مِنَ التَّنَاوِيرِ شَكْلِ الْعِهْنِ في اللُّؤَم[1]

اللؤَم: جمع لأمة ولُؤْمَة، وهي مَتَاعُ الرحلِ من الأشِلّة والْولايا تكون مُوَشّاة بالعِهْن ـ وهو الصوفُ المصبوغُ بالحمرة ـ وغير ذلك من الألوان؛ فقال «زهر» ثم قال «من التناوير» وقال «شكل العهن». وقال زُهَير بن مسعود الضبي: [الطويل]

مُتَنَوِّرٌ غَدِقُ النَّدَى قُرْيانُهُ ... مِثْلُ الْعُهُونِ مِنَ الخواطر مُقْمِرُ[2]

وقال أبو النجم: [الرجز]

فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ في حُوَّائِهِ ... مُخْتَلِفَ الألْوَانِ في أَسْمَائِهِ
نَوْراً تحَارُ الشَّمْسُ في حَمْرَائِهِ ... مُكَلَّلاً بالنَّوْرِ مِنْ صَفْرَائِهِ[3]

فقال «بالنَّوْر من صَفْرائه». وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ: [الطويل]

كأَنَّ على أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ ... إذا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا[4]

---

(١) البيت في ديوان عدي بن زيد ص١٧١، ولسان العرب (هول)، (لأم)، وتاج العروس (هول)، (لأم)، والبيت بلا نسبة في المخصص ٧/ ١٤٥، ١٠/ ٢٢٠.

(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. ومتنور: ذو نور. وغدق الندى: كثير الماء. والقريان: جمع قرى، بفتح القاف والراء، وهو مجرى الماء إلى الروض. وأراد بالخواطر الخطر، وهو جمع خطرة، مثل سدر وسدرة، والخطرة: عشبة معروفة لها قضبة يجهدها الماء ويغزر عليها.

(٣) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي. والحوّاء: بضم الحاء وتشديد الواو: نبت يشبه لونه لون الذئب.

(٤) البيت في ديوان حميد بن ثور ص٢٤.

يصف فرخ الحمامة وصُفْرة أشداقه، ويشبهها بصفرة نَوْر الْحَنْوَةِ لا محَالةَ؛ فقال «نور حنوة»؛ ولم يقل زهر حنوة، وقال الأعشى: [الرمل]

وَشَمُول تَحْسِبُ الْعَيْنُ - إذَا صُفِّقَتْ - وُرْدَتَها نَوْرَ الذُّبَحْ(١)

والذُّبَح: نبت، ونَوْره أحمر شديد الحمرة، ويقال له «الذِّبَح» وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل في هذه الألوان كما ترى على اختلافها.

* * *

١٢ ـ وسمعت من يعيب قولَه: [الكامل]

فَمُجَدَّلٌ ومُرَمَّلٌ وَمُوَسَّدٌ وَمُضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ وَمُخَضَّبُ(٢)

ويقولون: إن قوله «مضرج ومضمخ ومخضب» بمعنى واحد، وذكر أنه إن أراد رجلاً واحداً أنه مُضَرَّج ومضمخ ومخضب جاز؛ لأن كلَّ لفظةٍ تكون مؤكدةً للأخرى، قال: ولكنه أراد فمنهم مضرَّج ومنهم مضمخ ومنهم مخضب، كما قسَّم في صدر البيت.

ولعمري إن البحتري كذلك أراد، وليس بمنكر؛ لأن المضرَّجَ من التضريج وهي الحمرة المشرقة التي ليست بقانية، والمضمَّخ يريد به غلظ الدم وأنه في متانة الطيب الذي يتضمخ به، والمخضب أراد أن الدم قد خَضّبه كما يخضب بالحناء؛ ففي كل لفظة ما ليس في الأخرى، وإن كانت الحمرة قد شَمِلت الجميع؛ لأن المضرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم: أي منهم حديثُ عهدٍ بالقتل، والمضمخ مَنْ قد خَثُرَ عليه الدم كأن قتله قد تقدم قَبل الآخر، والمخضَّب يجوز أن يكون مضى لقتله يومٌ وأكثر فقد اسودَّ عليه الدم، وهذه معانٍ كلها محتملة، وقد يجوز أن يريد بقوله «مضرج» سائر جسده، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضَه وتحت لحيته، وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب. وأراد بالمخضّب أن السيف أخذ في رأسه وفي

---

(١) البيت في ديوان الأعشى ص٢٩١، ولسان العرب (ذبح)، (صفق)، وأساس البلاغة (برد)، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٧٣، ٨/ ٣٧٩، وتاج العروس (ذبح)، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٢٧٣.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧١، من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب. ومجدّل: مطروح. ومرمّل: مطروح على الرمل. وموسّد: نائم أي صريع. ومضرّج: مصبوغ بالدم. ومثلها: مخضب وملطّخ.

يديه ورجليه. وذلك مواضع الْخِضاب. وقد يكون المضرج المقطع؛ يقال: «ضَرَّجْته» إذا قطعته. وهذه معانٍ لطيفة، وقد يجوز أن يعتدّ بها، والوجه القويُّ هو الأول.

* * *

١٣ ـ وسمعت قوماً ينكرون قوله في وصف الخمر: [الكامل]

وفواقع مِثْل الدُّمُوعِ تَرَدَّدَتْ　　فِي صَحْنِ خَدِّ الْكاعِبِ الْحَسْنَاءِ(١)

ويقولون: إن الدموع لا تتردَّد في الخد كما يتردَّد الْحَباب في الكأس، وإنما الدمع يجري ويتتابع.

والمعنى صحيح، ولا عيب فيه؛ لأن التردُّد قد يكون الْجَوَلان، وقد يكون التتابع والتواتر، يقال: قد تَتَابعت كُتُبي إليك، وتردَّدت؛ بمعنًى، وتَوَاترت رُسُلي وتتابعت، والكتابُ الأول هو غير الثاني. وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثاني، وإنما حَسُن أن يقال تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد من الكتب يقال له «كتاب» ويقال لكل واحدٍ من الرسل رسول؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حَسُن استعمالُ التتابع والتردد. وإن كانت أشخاصاً متباينة، وكل واحد غير الآخر؛ فكذلك الدمع، حَسُن أن يقال: قد تَتابعت دموعُه على خده، وتردَّدت، وإن كانت كلُّ دمعة غير الأخرى. والْحَبَابُ وإن جال في الْقَدَح دائراً فيه فإنه ربما جَرَى فيه على جِهَةٍ واحدة؛ كما يجري الدمع على جهة واحدة، وهذا من أحسن التشبيه وأَلْيَقِهِ؛ لأن الخمر قد يكون منها ما هو أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد، وخاصة إذا أُرِقَّتْ بالماء؛ كما قال الشاعر: [الطويل]

كُمَيْت إذا فُضَّتْ، وفي الكأسِ وَرْدَةٌ　　لها في عِظَامِ الشارِبِينَ دَبِيبُ(٢)

فإذا شُبِّهَت الخمرة بالخدِّ وذكر الْحَبَاب فمن أَلْيَقِ ما شبه به وأحْسَنِهِ وأصحه الدمع؛ لأن الدمع قد يقف في الخد كوقوف الحباب في صحن الكأس، وباب اختلاف حركة الحباب وحركة الدمع فليس كل شيء يُشَبَّه بشيء يقع التشبيه فيه من

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٢٩، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. والفواقع: الحباب أو الفقاقيع التي تطفو على وجه الماء. والكاعب: الفتاة التي تبرز ثدياها.

(٢) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص٥٩، ولسان العرب (طلل)، وتاج العروس (طلل)، ورواية البيت في الديوان:

أظلُّ كأني شاربٌ لمدامةٍ　　لها في عظام الشاربين دبيبُ

جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئاً، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكله.

* * *

١٤ ـ ورأيت مَنْ عاب قوله: [الكامل]

وَصَبَغْتُ أخلاقي بِرَوْنَقِ خُلْقِهِ حَتَّى عَدَلْتُ أُجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ[١]

وقالوا: إنما كان ينبغي لمَّا ذكر الأجاج والعذب أن يقول «فمزجت» لا أن يقول «وصبغت» أو لما قال «وصبغت» أن يقول «حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه».

وليست هذه المعارضَةُ بشيء، والمعنى صحيحٌ، ولذلك أنه ليس هناك صَبْغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان، ولا مشروب عذبٌ ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج، وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض، ويقوم بعضها مقام بعض؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له، ألا ترى أنك تقول: فلان قد شارك فلاناً، وخالطه، ومازجه، وانصبغ به، بمعنى واحد، وإن كان بعضها أوكد من بعض، ولا يكون هناك مُدَاخلة ولا ممازجة لجسم في جسم، ولا مخالطة على الحقيقة.

* * *

١٥ ـ ومما عيب عليه من التعسُّف والتعقيد في اللفظ قوله: [الطويل]

فَتًى لَمْ يَمِلْ بالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ العُلَى إلى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مميلُهَا[٢]

وكان بعضُ الناس يرى أنه لاحِنٌ، ويقول: إنه إنما أراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميلُ نفسٍ سواه، أي: ما يميل النفسَ عن المعاني من اللهو واللعب والدَّعَةِ وحبِّ الراحة والضَّنِّ بالمال، ونحو هذا من الأشياء الشاغلة عن السؤدد، فقدم «سِوَاه» وكَنَى عن النفس بقوله «مميلها» بعد أن حذفها، قال: وذلك غير جائز؛ لأنك إذا قلت «لن يضرب هامَةَ عمرو أحَدٌ ضارب هامَةَ غيره» فقدمْتَ «هامة غيره» فقلت: لن يضربَ

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٨٦، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. والأجاج: الماء المالح.

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية) وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، من قصيدة مطلعها:

هواها على أنّ الصدود سبيلُها مقيمٌ بأكناف الحشا ما يزولُها

هامةَ عمرو واحدٌ هامة غيره ضاربها، وجعلت الهاء في «ضاربها» كنايةً عن الهامة لتقدمها جاز؛ إلا أن البصريين من النحويين يقولون: «هامة غيره ضار بها هو» كما أنه لو قال: «شيءٌ نفسُ سِوَاهُ مميلها هو» جاز، فإن فكَكْتَ الإضافة وأسقطت هامة وقدمت «غير» فقلت: «لن يضرب هامةَ عمرو واحدٌ غير ضاربها» لم يجز؛ لإسقاطك الهامة التي كنايتها الهاء في قولك «ضاربها» ولا تجوز الكناية عن غير مذكور في مثل هذا، فكذلك لا يجوز في البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد شيء نفس سواه مميلها؛ لأن الهاء في قوله «مميلها» كناية عن النفس؛ فلا يجوز إسقاط النفس.

وهذا لعمري إن كان البحتري أراده فهو غالط، غير أنه ـ والله أعلم ـ إنما أراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شيء بخفض «شيء» على أن الممدوح هو الذي لم يمل بنفسه عن العلى إلى شيء غيرها، ثم قال «سواه مميلُهَا» على الابتداء والخبر: أي لكن سواه من الناس مميلُها، فأضمر «لكن» وهذا سائغ؛ وأنشد سيبويه: [الطويل]

عَلَى الْحَكَمِ الْمَأْتِيِّ يَوْماً إذا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لا يَجُورَ، ويَقْصِدُ[1]

قال: أراد ولكنه يقصد، فأضمر «لكن» فلذلك رفع «يقصد»، وعلى أنه مستعمل كثير فَاشٍ في الكلام أن تقول: زيد لا يقعد عن المكارم وعمر يقعد عنها، وأنا لا أجفوك إنما بكر الجافي لك؛ فيكون الكلام مستغنياً بنفسه؛ فلا يحتاج إلى إضمار.

فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف، ولست أعرف بيتاً تعسف في نظمه غير هذا.

* * *

١٦ ـ ومن رديء التجنيس وقبيحه قولُه: [الوافر]

أَمِنَّا أَنْ تُصَرَّعَ عَنْ سَمَاحٍ ولِلآمَالِ في يَدِكَ اصْطِرَاعُ[2]

---

(١) البيت لأبي اللحام التغلبي في خزانة الأدب ٨/ ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٨٢، وشرح المفصل ٧/٣٨، ٣٩، ولعبد الرحمٰن ابن أم الحكم في الكتاب ٣/٥٦، ولأبي اللحام أو لعبد الرحمٰن في لسان العرب (قصد)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٢٤٣، وجواهر الأدب ص١٦٩، وشرح شواهد المغني ٢/٧٧٨، والمحتسب ١/١٤٩، ٢/٢١، ومغني اللبيب ٢/٣٥٩.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٢١٧، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر. وتصرع: تطرح على الأرض طرحاً شديداً. والاصطراع: من اصطرع الرجلان: حاولا أيهما يصرع الآخر.

يقول: أمنا أن يغلبك غالبٌ يَضرَعُكَ عن السماح ويمنعك منه، وللآمال في يدك اصطراع: أي تنافسٌ وتغالب وازدحام، وقوله «في يدك» لأن العطاء إليها يُنسَبُ، وقد جاء بهذه اللفظة في موضع آخر فقال يصف أخلاق الممدوح: [الخفيف]:

يَتَصَرَّعْنَ لِلرَّجَاءِ دُنُوَّ ٱلْمُزْنِ، وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلاَلِهْ(١)

وهي ههنا أَقَلُّ قبحاً منها في البيت الأول، ولو قال «يتدانين للرجاء دُنُوَّ المزن» كان أَحْسَنَ في اللفظ، وأوفقَ من أجل التجنيس، ولكن «يتصرعن» أَوْكَدُ في المعنى؛ لأنه بمعنى يتساقطن ويتطرحن، يريد الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقٍّ للانحطاط والوقوع؛ ليدل على الحرص والشهوة.

وقد جاء بهذه اللفظة في موضع آخر، وأوقعها مَوْقِعَ الذم، فقال: [المنسرح]

مَنْ يَتَصَرَّعْ فِي إِثْرِ مَكْرُمَةٍ فَدَأْبُهُ فِي ٱتِّبَاعِهَا دَأَبُهْ(٢)

يريد مَنْ يتساقط في أثر مكرمة إذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوضٌ فيها فدأب الممدوح دأبه المعروف المشهور منه، أي: جِدُّه ولحاقه، وحرك الدأب الثاني وسكن الأول، ومعناهما واحد، ويجوز أن يكون أراد فَدَأْبه في اتباعها ـ أي عادته في اتباعها ـ دأبه، أي: سعيه وحركته، وهو أجود.

* * *

١٧ ـ ومن ردي التجنيس أيضاً قوله: [الكامل]

حُيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِي غَدَتْ مَهْجُورَةً مَا تُعْهَدُ(٣)

ويروى «سقيت من معمورة» يخاطب الدِّمَنَ، أي: عهدي بها معمورة معهودة، ومن روى «معهودة عهدي» أي: عهدي بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد، وقد يكون العهد من التعهُّد، ويكون قوله «ما تعهد» أي: قد نُسِيَتْ، وهذا يشبه تجنيسات أبي تمام.

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٦٤، من قصيدة يمدح بها بعض بني حميد. والودق: المطر.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٩١، من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن بسطام، ورواية عجز البيت في الديوان:

فدأبُه في ابتغائها دأَبُه

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير.

باب
في اضطراب الوزن

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلا وَجَدْتُ في شعر البحتري مثله، إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتريّ قليل: من ذلك اضطراب الأوزان في شعر أبي تمام.

١ ـ وقد جاء في شعر البحتري بيتٌ هو عندي أقْبَحُ من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب، وهو قوله: [الخفيف]

ولـمـاذا تَـتَـبَّـعُ الـنَّـفْـسُ شَـيـئـاً   جَـعَـلَ الله الـفِـرْدَوْسَ مِـنْـهُ بَـوَاءَ[1]

وكذلك وجدته في أكثر النسخ وهذا خارج عن الوزن، والبيت من العروض هو البيت الأول من الخفيف وهو سُدَاسِيٌّ وزنُهُ:

فَـاعِـلاتُـنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ فَـاعِـلاتُـنْ   فَـاعِـلاتُـنْ مُـسْـتَـفْـعِـلُـنْ فَـاعِـلاتُـنْ

وتقطيعه:

وَلِمَاذَا * تَتَبْبَعُنْ * نَفْسُشَيئاً   جَعَلْلللاهُلْ * فِرْدَوْسَمِنْ * هُبَوَاءَ
فَعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلاتُنْ   فَعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَعلاتُنْ

فحذف ألف «فاعلاتن» الأولى والثانية والأخيرة فصارت فعلاتن، وسين «مستفعلن» الأولى فصارت مَفَاعلن، وذلك كله زحاف جائز، وزاد في البيت سبباً، وهو حرفان: الهاء من اسم الله عزّ وجل، واللام من لفظ الفردوس، وهو إكفاء، ولا أعرف مثل هذا البيت، وقد رأيت في بعض النسخ «جعل الله الخلد منهُ بَوَاءَ» فإن يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت:

* جَـعَـلَـلْـلاَ * هُـلْـخُـلْـدَ مِـنْ * هُـبَـوَاءَ *

٢ ـ وقال البحتري: [الخفيف]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٤٣، من قصيدة له يعزي فيها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي عن ابنته. ورواية عجز البيت في الديوان:

يـجـعـل الله الـفـردوس مـنـه بـواء

والبواء: الكفء والنظير.

حَـلأتـنـا عَـنْ حـاجَـةٍ مَـمْـنُـوعٍ مُـبْـتَـغَـاهَـا، وحـاجَـةٍ مَـمْـطُـولَـهْ[1]

وهذا من العروض هو البيت الأول من الخفيف، وتقطيعه:

حَلَّلأتْنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغَاهَا * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَهْ

فَاعِلاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت ـ وهي مفعولن الأولى ـ فاعلاتن، ولا يجوز فيها مفعولن، بلى لو كان البيت مُصَرَّعاً لجاز في عروضه مفعولن كما جاز في ضربه ـ وهي القافية ـ وذلك قوله «ممطوله» فأمَّا جَعْله مفاعلن في موضع مستفعلن الثانية في البيت فذلك جائز من الزحاف، وقد غير قومٌ هذه اللفظة في البيت ـ وهي ممنوع ـ فقالوا «بمَنُوعٍ مبتغاها» أي: حلأتنا عن حاجة بمانعٍ منع مبتغاها من عائقٍ أو والٍ عليها، ويكون «مبتغاها» في موضع نصب بمنوع، وهو محتمل.

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشرٍ بن يحيى الآمِدِيُّ:

وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء المعانيَ التي يتفق فيها الطائيان؛ فأُوازِنُ بين معنًى ومعنًى، وأقول: أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه، فلا تطالبني أن أتعدَّى هذا إلى أن أفْصِحَ لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق، فإني غير فاعل ذلك؛ لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد، وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي من نَعْتِ مذهبيهما، وذكر مساويهما في سرقة معاني الناس وانتحالها، وغلطهما في المعاني والألفاظ، وإساءة مَنْ أساء منهما في الطِّباق والتجنيس والاستعارة، ورَدَاءة النظم واضطراب الوزن، وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته، وما سيرد ذكره في الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة، وما سنراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما؛ فإني أوقع الكلامَ على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب، وأنُصُّ على الجيد وأفضِّله على

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٧٢، من قصيدة يمدح بها حمولة. ورواية صدر البيت في الديوان:

حـلأتـنـا عـن رفـده فـي مـنـام

وحلأتنا: صدتنا ومنعتنا. ومبتغاها: ابتغاؤها وطلبها، وممطولة: قد سوِّف في قضائها.

الرديء، وأبين الرديء وأرذله، وأذكر من علل الجميعِ ما ينتهي إليه التلخيص، وتحيط به العبارة، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهي علة ما لا يُعْرَف إلا بالدُّرْبَة ودوام التجربة وطول الملابسة، وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَنْ سواهم ممن نقصت قريحته، وقَلّتْ دُرْبَتُه، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تَقَبُّلٌ لتلك الطباع وامتزاج بها، وإلا فلا يتم ذلك، ثم أكِلُكَ بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضي عليه فِطْنَتك وتمييزك؛ فينبغي أن تُنْعِمَ النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنْصَف.

ثم إن العلم بالشعر قد خُصّ بأن يَدَّعيه كلّ أحد، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله؛ فلمَ لا يدعي أحد هؤلاء المعرفَةَ بالعَيْنِ والْوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه؟ ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله أكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته؛ فلا يتَّهم نفسَه في المعرفة بالشعر تُهمَته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وتناوله، وما بالُه وقد ركب الخيلَ كثيراً لمَّا راقه من الفرس ملاحةُ سَبِيبه، واستدارةُ كفَلِه، وبريقُ شعره، وحسن إشراقه، وجَوْدة خَضْره ـ توقفَ عن ابتياعه حتى يشاور من يخبره عن عتقه، وموضع نتاجه، وصحة قوائمه، وسلامة أعضائه، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة، وكذلك السيف لَمَّا بَهَره جلاؤه، وصِقَاله وصَفاء حديدتِهِ ـ لم يُمْض فيه اختياره على غيره من السيوف، حتى شاور مَنْ يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفِرِنْدَه ومضاءَهُ، وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشي حسنُ طَرْزِه، وكثرة صوره، وبديع نقوشه، واختلاط ألوانه ـ لم يبادر إلى إعْطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجَوْدة رُقعته وصحة نساجته وخلاص إبْرَيْسَمِه. فكيف لم يفعل مثل ذلك بالشِّعْر لما راقه حسنُ وَزْنه وقوافيه، ودقيق معانيه، وما يشتمل عليه من مواعظ وآداب وحكم وأمثال؛ لم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بألفاظه، واستواء نظمه، وصحة سبكه، ووضع الكلام منه في مواضعه، وكثرة مائه ورَوْنقه؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه. ألا ترى أنه قد يكون فَرَسَان سليمين من كل عيب، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتْق والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضَلَ من الآخر بفَرْق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال، المتقاربتان في الوصف، السليمتان من كل عيب، قد يَفْرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق، حتى يجعل

بينهما في الثمن فضلاً كبيراً، فإذا قيل له وللنخّاس: من أين فَضَّلْت أنت هذه الجارية على أختها؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنما يعرفه كلُّ واحد منهما بطبعه، وكثرة دُرْبَتِه، وطول ملابسته. فكذلك الشعر: قد يتقارب البيتان الجيّدان النادران، فيعلم أهْلُ العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحداً، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلفاً.

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلاّم الْجُمَحي وأبو علي دِعْبِل بن علي الخُزَاعي في كتابيهما.

وحكى إسحاق المَوْصِلِيُّ قال: قال لي المعتصم: أخبرني عن معرفة النَّغَم وَبَيِّنْهَا لي، فقلت: إن من الأشياء أشياءَ تحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة.

قال: وسألني محمد الأمين عن شعرين متقاربين، وقال: اخْتَرْ أحدهما، فاخترت، فقال: من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان؟ فقلت: لو تَفَاوتا لأمكنني التبيين، ولكنهما تقاربا وفَضَل هذا بشيء تشهد به الطبيعة وَلا يعبر عنه اللسان.

وقد قيل لِخَلَفٍ الأحمر: إنك لا تزال تردُّ الشيء من الشعر، وتقول: هو رديء، والناس يستحسنونه! فقال: إذا قال لك الصَّيْرَفي إن هذا الدرهم زائدٌ فاجهد جَهْدَك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قولُ غيرِه: إنه جيد.

فمِنْ سبيل مَنْ عرف بكثرة النَّظَر في الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يُقْضَى له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه، وأن يسلَّم له الحكم فيه، ويُقْبل منه ما يقوله، ويعمل على ما يمثله. ولا يُنَازَعُ في شيء من ذلك؛ إذ كان من الواجب أن يُسَلَّم لأهل كلِّ صناعة صناعتهم، ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا مَنْ كان مثلهم نظراً في الخبرة وطول الدربة والملابسة؛ فإنه ليس في وُسْع كل أحدٍ أن يجعلك ـ أيها السائلُ المتعنتُ والمسترشد المتعلم ـ في العلم بصناعته كنفسه، ولا يجد إلى قَذْفِ ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومَنْ هو أخص الناس به سبيلاً، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة، ولا حجة باهرة، وإن كان ما اعترضْتَ فيه اعتراضاً صحيحاً وما سألت عنه سؤالاً مستقيماً؛ لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيطَ به في ساعةٍ من نهار.

ثم إن العلم بالذي لا يُعْلم به في أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة، وقد قيل: ليس الخبر كالمُعَاينة، وعلة ذلك بينة واضحة، ومعلومة ظاهرة، وهي أنه لا يمكن أن يشاهد بك جميع المعلومات التي احتواها وعلم علمه منها بملابستها في السنين الطويلة؛ فمن المحال أن يقدر أن يصف لك عشرة آلاف فرسٍ أو عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر والأوصاف فيجعلك مشاهداً لذلك كله في لحظة واحدة ووقت واحد، ومخبراً لك بكل علة وكل حجة وكل نَعْتٍ وصفة في كل نوع من ذلك وكل جنس في تلك الساعة، وهو إنما عَلِم ذلك على مرور الأيام وطول الزمان. وهذا مجال لا يمكن ولا يَسُوغ ولا يقدر عليه إلا خالق الخلق وبارىء النَّسَم.

وبعد؛ فلمَ لا تصدق نَفْسَك أيها المدعي، وتعرّفنا من أين طرأ عليك العلم بالشعر، أمن أجل أن عندك خزانَةَ كتب تشتمل على عدة دواوين الشعراء وأنك ربما قَلَّبْتَ ذلك أو تصفحته أو حفظت القصيدة أو الخمسين منه؟ فإن كان ذلك هو الذي قَوَّى ظنك، ومَكّن ثقتك بمعرفتك، فلمَ لا تدعي المعرفَةَ بثياب بدنك ورَحْل بيتك ونَفَقَاتك؟ فإنك دَأباً تستعمل ذلك وتستمتع به، ولا تخلو من ملابسته كما تخلو في كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته وإنشاده حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياعَ ثوبٍ أو شيءٍ من الآلة لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى مَنْ يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك؟ ولمَ لَمَّا خِفْتَ الغَبِينَةَ في مالك فأذعنت وسلّمت وأقررت بقلّة المعرفة، ولم تخشَ الغبينة والوَكْسَ في عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله؟ فإن الضرر في غَبن العقل أعظم من الضرر في غبن المال.

فإن قلت: وما العلم بالخيل والبزّ والرقيق والذهب والفضة التي لم يُطْبع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طُبع على الكلام؛ فكان كل أحد يكون متكلّماً، وليس كل أحد صيرفياً ولا بزّازاً ولا نَخَّاساً؟.

قيل: ولا كل أحد يكون شاعراً، ولا خطيباً، ولا مِنْطيقاً بليغاً، ولا بارعاً، ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم فيُسْتحسن كلامه، وآخر يتكلم فيُضْحَك منه؛ فالإنسان المتكلم يعلم معاني ألفاظ لغته، ولا يعلم جيدها من رديئها، ومُتَخَيَّرَها من مرذولها، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق، ويميز بين أجناسها، ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه، وأرْفَعَه من أدْوَنِهِ، فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة، فكذلك المعرفة بكل جنس من أجناس الكلام والشعر والخطابة صناعة، فإذا رجعت في المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً في المعرفة بهذه إلى أهلها.

وبعد؛ فإني أدُلُّكَ على ما ينتهي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعضِ الشعراء على بعض، فإنْ عَرَفت علّة ذلك فقد علمت، وإن لم تعرفها فقد جهلت، وذلك بأن تتأمل شِعْرَيْ أوْس بن حَجَر والنابغة الجعدي؛ فتنظر من أين فَضَّلوا أوساً، وتنظر في شعريْ بشر بن أبي خازم وتميم ابن أُبي بن مقبل، فتنظر من أين فَضَّلوا بشراً. وأخبَرَني بعضُ الشيوخ عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضّل أن سائلاً سأله عن الراعي وذي الرمة أيهما أشعر، فصاح عليه صَيْحَةً منكرة: أي لا يقاس ذو الرمة بالراعي، وكذلك غَيْرُ المُفَضَّل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما، فتأمل أيضاً شعرَيْ هذين فانظر من أين وقع التفضيل؛ فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك في العلم بالشعر ونقده. فإن علمت من ذلك ما علموه، ولاح لك الطريقُ التي بها قَدَّموا من قَدَّموهُ وأخَّرُوا من أخروه؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك، واحكم يُسْتَمَعْ حكمك وإن لم ينتهِ بك التأمُّلُ إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعْزِل عن الصناعة، ثم إن كنت شاعراً فلا تظهر شعرك، واكتمه كما تكتم سرك، فإن قلت إنك قد انتهى بك التأملُ إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والرديء.

ثم إني أقول بعد ذلك: لعلك - أكرمك الله - اغْتَرَرْت بأن شَارَفْتَ شيئاً من تقسيمات المنطق، وجُمَلاً من الكلام والجدال، أو علمت أبواباً من الحلال والحرام، أو حفظت صَدْراً من اللغة، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية، وأنك لما أخَذْتَ بطَرَف نوع من هذه الأنواع مُعَاناة ومزاولة ومُتَّصِل عِناية فتوحَّدْت فيه ومُيِّزْتَ - ظننت أن كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجرى، وأنك متى تعرَّضت له وأمْرَرْتَ قريحتك عليه نَفَذَت فيه، وكشفت لك عن معانيه، وهيهات! لقد ظننت باطلاً، ورُمْت عسيراً؛ لأن العلم - أيَّ نوع كان - لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه، والإكباب عليه، والجد فيه، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه، ثم قد يتأتى جنسٌ من العلوم لطالبه ويتسهل عليه، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر؛ لأن كل امرىء إنما يتيسر له ما في طبعه قبولُه، وما في طاقته تعلُّمه؛ فينبغي - أصلحك الله - أن تَقِفَ حيث وُقف بك، وتقنع بما قُسِمَ لك، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك.

* * *

باب
في فضل أبي تمام

وَجَدْتُ أهل النَّصَفَةِ من أصحاب البحتري ومَنْ يُقَدِّمُ مطبوعَ الشعر دون متكلفه لا يَدْفَعُونَ أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها، والإبداع والإغراب فيها، والاستنباط لها، ويقولون: إنه وإن اخْتَلَّ في بعض ما يورده منها فإن الذي يوجد فيها من النادر المستحسن أكْثَرُ مما يوجد من السخيف المستَرْذَل، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة، وإنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قويٍّ.

وهذا من أعدل كلام سمعته فيه، وإذا كان هذا هكذا فقد سلّموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطَلِبَتُهُمْ، وهو لطيف المعاني، وبهذه الخلة دون ما سواها فُضِّل امرؤ القيس؛ لأن الذي في شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع، ولولا لطيفُ المعاني واجتهاد امرىء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره، ولكان كسائر شعراء أهل زمانه؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احْتَجُّوا في تقديمه بأن قالوا: هو أول من شَبَّه الخيل بالعِصِيِّ، وذكر الوحش والطير، وأول من قال «قَيْدُ الأوابد» وأول من قال كذا، وقال كذا، فهل هذا التقديم له إلا لأجل معانيه؟

وقالوا: وإذا كان قد اضطرب لفظُ أبي تمام واختلَّ في بعض المواضع، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو مُحْدَث؟ هذا الأعشى يختلُّ لفظه كثيراً، ويُسَفْسِفُ دائماً، ويرقُّ ويضعف، ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة، وألفاظ النابغة في الغاية من البراعة والحسن، وعديلاً لزهير الذي صَرَف اهتمامه كُلَّه إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها، وألحقوه بامرىء القيس الذي جمع الفضيلتين؛ فجعلوهم طبقَةً، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذي فَضَلَ به صاحبه، ولو أن أبا تمام حتى يخلو من كل لفظ جيد البتة أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية: [الكامل]

وإذا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ … طُوِيَتْ أَتَاح لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ … ما كَانَ يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ[1]

---

(١) تقدم البيتان مع تخريجهما، انظر فهرس الأشعار.

أو قال: [الطويل]

هِيَ البَـدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا إِلى كلِّ مَنْ لاَقَتْ، وَإِنْ لَمْ تَوَدَّدِ[١]

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربي منثور، أما كان هذا يكون شاعراً محسناً باعثاً شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه؟ فكيف وبدائعه مشهورة، ومحاسنه متداولة، ولم يأتِ إلا بأبلغِ لفظٍ وأحسنِ سَبْكٍ؟

* * *

باب
في فضل البحتري

ووجدت أَكْثَرَ أصحاب أبي تمام لا يَدْفَعُونَ البحتريَّ عن حُلْو اللفظ، وجَوْدة الرَّصف، وحُسن الديباجة، وكثرة الماء؛ وأنه أقربُ مأخذاً، وأسلم طريقاً من أبي تمام، ويحكمون ـ مع هذا ـ بأن أبا تمام أَشْعَرُ منه، وقد شاهدتُ وخاطَبْتُ منهم على ذلك عدداً كثيراً، وهذا مذهبُ جُلِّ مَنْ يُرَاعيه مما يراعيه من أمرِ الشعرِ دقيقَ المعاني، ودقيقُ المعاني موجود في كل أمةٍ، وفي كل لغة، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْنَ التأتّي، وقُرْبَ المأخذ، واختيار الكلام، ووَضْع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه؛ فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري.

قالوا: وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر؛ لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سَهْلَة عَذْبَة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهَذَرَ الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقصُ نقصاناً يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتري: [المنسرح]

والشعر لَمْحٌ تكفي إشَارَتُهُ وَلَيْسَ بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[٢]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٩٨، من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/١٩٦، من قصيدة له يجيب فيها عبيد الله بن عبد الله (لعله ابن طاهر) عن قصيدة كان قد أرسلها إليه.

وكما قال أيضاً: [الخفيف]

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا القَوَافِي   هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ وَلَبِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكلام اخْتِيَاراً   وتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الغَرِيبَ فَأَدْرَكْـ   ـنَ بِهِ غَايَةَ المَرَامِ البَعِيدِ[1]

فإن اتفق ـ مع هذا ـ معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن؛ فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلامُ بنفسه، واستغنى عما سواه.

قالوا: وإذا كانت طريقةُ الشاعر غيرَ هذه الطريقة، وكانت عبارته مُقَصِّرة عنها، ولسانه غير مدركٍ لها حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسِّفة ونَسْج مضطرب، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم النظم قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة ومعانٍ لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيماً، أو سميناك فيلسوفاً، ولكن لا نسميك شاعراً، ولا ندعوك بليغاً؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب، ولا على مذاهبهم، فإن سَمَّيناك بذلك لم نُلْحقك بدرجة البلغاء، ولا المحسنين الفصحاء، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورديء اللفظ يذهَبُ بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه إلى طول تأمل، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره، وحُسْنُ التأليف وبراعةُ اللفظ يزيد المعنى المكشوفَ بهاءً وحسناً ورَوْنَقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادةً لم تعهد، وذلك مذهب البحتري، ولذلك قال الناس: لشعره ديباجة، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام، وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ولا سَبْك جَيِّدٍ ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطِّرَاز الجديد على الثوب الخَلَقِ، أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه.

وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء، وهي: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاء إلى نهاية الصَّنْعَة من غير نقص منها ولا زيادة عليها.

(١) الأبيات في ديوان البحتري ٢/ ٢٨٠، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات. وجرول: هو الحطيئة الشاعر. ولبيد: هو لبيد بن ربيعة الشاعر المعروف.

وهذه الخِلالُ الأربع ليست في الصناعات وحدها، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات.

ذكرتِ الأوائلُ أن كل مُحْدَث مصنوعٍ محتاجٌ إلى أربعة أشياء: علة هَيُولاَنية وهي الأصل، وعلة صورية، وعلة فاعلة، وعلة تمامية.

فأما الهَيُولىٰ فإنهم يَعْنُونَ الطينةَ التي يبتدعها الباري تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ما شاء تصويره من رجل أو فرس أو جَمَلٍ أو غيرها من الحيوان، أو بُرَّة أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات.

والعلة الفاعلة هي تأليف الباري جلّ جلاله لتلك الصورة.

والعلة التمامية هو أن يُتِمَّهَا تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاصٍ منها.

وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علّمه الله عزّ وجل إياها: لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأربعة، وهي: آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجَّار وفضة الصائغ وآجُرّ البنَّاء وألفاظ الشاعر والخطيب، وهذه هي العلة الهيولانية التي قدّموا ذكرها وجعلوها الأصل، ثم إصابة الغرض فيما يقصد الصانع صَنْعَتَه، وهي العلة الصورية التي ذكرتها، ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب، وهي العلة الفاعلة، ثم أن ينتهي الصانعُ إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها، وهي العلة التمامية.

فهذا قولٌ جامع لكل الصناعات والمخلوقات، فإن اتَّفق الآن لكل صانع بعدَ هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ في صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حُسْن صنعته وجَوْدتها، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها.

وقد ذكَر بُزُرْجَمِهْرُ فضائل الكلام ورذائله، وبعض ذلك دليل في الشعر، فقال: إن فضائل الكلام خَمْسٌ لو نَقَصَ منها فضيلة واحدة سَقَطَ فضلُ سائرها، وهي: أن يكون الكلام صدقاً، وأن يوقع موقع الانتفاع به، وأن يتكلم به في حينه، وأن يحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة. قال: ورذائله بالضد من ذلك؛ فإنه إن كان صدقاً ولم يوقع موقع الانتفاع به بَطَلَ فضلُ الصدق منه، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به ولم يتكلم به في حينه لم يُغْنه الصدق ولم ينتفع به، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به في حينه ولم يحسن تأليفه لم يستقرّ في قلب مستمعه،

وبطل فضل الخلال الثلاث منه، وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به في حينه وأحسن تأليفه، ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج إلى الهَذَر، أو نقص عن التمام صار مبتوراً وسقط منه فضل الخلال كلها.

وهذا إنما أراد به بُزُرْجَمهر الكلامَ المنثور الذي يخاطَبُ به الملوك، ويقدّمه المتكلم أمام حاجته، والشاعر لا يُطَالَبُ بأن يكون قوله صدقاً، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به؛ لأنه قد يقصد إلى أنه يوقعه موقع الضرر، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت، وبَقِيَت الخلَّتَانِ الأُخْرَيان، وهما واجبتان في شعر كل شاعر، وذلك أن يحسن تأليفه، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته؛ فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى، فكلُّ مَنْ كان أصحَّ تأليفاً كان أقْوَمَ بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه.

وقد انتهيْتُ الآن إلى الموازنة بينهما، ولله الحمدُ والمِنَّةُ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً.

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وقد انتهيت الآن إلى الْمُوَازَنَةِ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين، إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعْرَاب القافية، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي إليها المَقْصِدُ، وهي المَرْمىٰ والغرض.

وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، وتَرْك التحامل؛ فإنه جَلَّ اسمُهُ حسبي ونعم الوكيل.

وأنا أبتدىء بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول: من ذكر الوقوف على الديار والآثار، ووَصْف الدِّمن والأطلال، والسلام عليها، وتَعْفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها، والدعاء بالسُّقْيا لها، والبكاء فيها، وذكر استعجامها عن جواب سائلها، وما يَخْلُف قَطِينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوَحْشِ، وفي تعنيف الأصحاب ولومهم على الوقوف بها، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها. وأقَدّم من ذلك ذكر ابتداءات قصائدهما في هذه المعاني، إن شاء الله.

* * *

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

قال أبو تمام: [الكامل]

مَـا فِـي وُقُـوفِـكَ سَـاعَـةً مِـنْ بَـاسِ نَـقْـضِـي حُـقُـوقَ الأَرْبُـعِ الأَدْرَاسِ[1]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٢، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم. ورواية عجز البيت فيه:

تــقــضــي ذمــام الأربــع الأدارسِ

وهذا ابتداء جيد صالح، وقوله «الأدراس» جمع دارس، وقلَّما يُجمع فاعل على أفعال، ومنه: شاهد وأشهاد، وماجد وأمجاد، وصاحب وأصحاب.

وقال أيضاً: [الطويل]

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانِ نَاشِدِ[١]

أراد لنشدان الناشد الذي يقول: أين أهْلُكِ يا دَارُ؟ كما ينشد الناشد الضَّالَّةَ إذا طلبها.

وقال أيضاً: [الكامل]

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلاَثَا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا[٢]

عُلاَثَة: اسم صاحبه، أراد قف يا عُلاثَة، وهذان ابتداءان صالحان.

وقال أيضاً: [الكامل]

قِفْ نُؤَبِّنْ كِنَاسَ هٰذَا الْغَزَالِ إِنَّ فِيهِ لَمَسْرَحاً لِلْمَقَالِ[٣]

التأبين: مَدْح الهالك، والكِنَاس هنا: الرَّبْع، وإنما يريد الْخَيْمة أو البيت من بيوتهم، سماه كِناساً لأنه جَعَل المرأة غَزَالاً: أي قِفْ بنا نَنْدبه فإن المقال يَتَّسِع فيه، وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم.

وقال: [الكامل]

لَيْسَ الوُقُوفُ يَكُفُّ شَوْقَكَ فَانْزِلِ وَٱبْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلَلِ[٤]

وهذا معنى ظريف، وقد جاء مثله في الشعر، قال الأصم الباهِلِيُّ - واسمه عبد الله بن الحجاج - ولا أعرف غيره، وأظن أبا تمام عَثَرَ به واحتذى عليه؛ لأنه كان مُولَعاً بغرائب الألفاظ والمعاني: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١١١، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٦٥، مطلع قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.

(٣) البيت ليس في ديوان أبي تمام (طبعة دار الكتب العلمية)، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٢١، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. ورواية عجز البيت في الديوان:

تَبْلُلْ غَلِيلاً بِالدموعِ فَيُبْلَلِ

أَتَـنْـزِلُ الـيَـوْمَ بـالأَطْـلاَلِ أَمْ تَـقِـفُ؟ لاَ، بَلْ قِفِ العِيسَ حَتّى يَمْضِيَ السَّلَفُ(١)

السلف: المتقدمون، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المَطِيّ، ولا يكادون يذكرون نزولاً.

وأنشد منشدٌ قول كُثَيرٍ وكثيرٌ يسمع: [الطويل]

وَقَـضَّـيْـنَ مَـا قَـضَـيْـنَ ثـمَّ تَـرَكْـنَـنِـي بِـفَـيْـفَـا خُـرَيْـمٍ قَـاعِـداً أَتَـلَـدَّدُ(٢)

فقال كثير: أنا ما قلت كذا، أتراني قاعداً أصنع ماذا؟ قيل: فجالساً؟ قال: ولا هذا! أجالساً كنت أبولِ، قيل: فما قلت؟ قال: واقفاً؛ يريد واقفاً على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم.

وقد قال كثير: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ هَـذَا رَبْـعُ عَـزَّةَ فَـاعْـقِـلاَ قَلُوصَيْكُمَا ثـمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ(٣)

والقلوصُ لا يَعْقلها راكبُهَا إلا إذا نزل عنها، والعَقْل فوق الركبة.

* * *

وقال البحتري: [الخفيف]

مَـا عَـلَـى الـرَّكْـبِ مِـنْ وُقُـوفِ الـرِّكَـابِ فـي مَغَانِي الصِّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِي(٤)؟

التصابي: التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق، وإذا فَعَلَ فِعْل الصبي.

وقال أيضاً: [الخفيف]

ذاكَ وَادِي الأَراكِ فَـاحْـبِـسْ قَـلِـيـلاً مُـقْـصِـراً مِـنْ مَـلاَمَـتِـي أَوْ مُـطِـيـلاً(٥)

وهذان ابتداءان في غاية الجودة.

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) البيت في ديوان كثير عزة ص٤٣٨.
(٣) البيت في ديوان كثير عزة ص٩٦.
(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/١٥٦، مطلع قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب. والركب: اسم جمع، واحده راكب. والمغاني: المنازل يقيم فيها أهلها، واحدها مغنًى.
(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٧٣، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي، ورواية عجز البيت في الديوان:
مـــقـــصـــراً مـــن صـــبـــابـــةٍ أو مـــطـــيـــلا

وقال أيضاً: [الطويل]

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلالُهَا وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[١]

وهذا لفظ حسن، ومعنى ليس بالجيد؛ لأنه قال «أدنى خطاها كلالها» أي: قارَبَ من خطوها الكلالُ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التي تَعَرَّض لأن يشفيه، وإنما وقف لإعياء المطي.

والجيد قولُ عنترة: [الكامل]

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأقْضِيَ حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ[٢]

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبَّه ناقته بالفَدَن، وهو القَصْر؛ ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها.

وقد كشف ذو الرُمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد، فقال: [الطويل]

أَنَخْتُ بِهَا الوَجْنَاءَ لاَ مِنْ سَآمَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءٍ وَذَاهِبِ[٣]

يقول: أنختها لأن أصَلِّيَ، لا من سآمة، هكذا فسروه، وقوله «الثنتين» يعني ركعتي العَصْر اللتين يقصرهما المسافر «بين اثنين جاءٍ» يريد الليل «وذاهب» يريد النهار.

فإن قيل: إنما قال «أدْنَىٰ خطاها كلالها» ليُعْلَم أنه قصد الدار من شقة بعيدة فيكون أبْلَغَ في المعنى.

قيل: العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها، وإنما تجتاز بها، فإن كانت واقعة على سَنن الطريق قال الذي له أرَبٌ في الوقوف لصاحبه أو أصحابه: قِفْ، وقِفَا، وقِفُوا، وإن لم تكن على سنن الطريق قال: عُوجَا، وعَرِّجَا، وعُوجُوا، وعَرِّجُوا، كما قال امرؤ القيس: [الكامل]

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كما بَكَى ابْنُ حِذَامِ[٤]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٢٥٢، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، وتقدم البيت مع تخريجه.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٣) تقدم البيت مع تخريجه.

(٤) البيت في ديوان امرىء القيس ص١١٤، وجمهرة اللغة ص٥٨٠، والحيوان ٢/١٤٠ (وفيه: «حمام»، بدل: «حذام»، وخزانة الأدب ٤/٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، والدرر ٢/١٦٦، وشرح المفصل ٨/٧٩، ولسانَ العرب (خذم)، والمؤتلف والمختلف ص١١، والبيت بلا نسبة في تذكرة النحاة ص١٩، ورصف المباني ص١٢٧، وهمع اللوامع ١/١٣٤. وفي الديوان: «خذام»، بالخاء المعجمة، بدل: «حذام» بالحاء المهملة.

وإذا عَرَّجوا كان التعريج أشقَّ على الركب والركاب من الوقوف؛ لأن لها في الوقوف حيث انتهت راحة، والتعريج فيه زيادة في تَعَبها وكَلاَلها، وإن قَلَّتِ المسافة، كما قال أبو تمام: [الطويل]

ومـا بِـكَ إرْكـابِـي مِـنَ الـرُّشْـدِ مَـرْكَـباً　　أَلاَ إنَّـمَـا حَـاوَلْـتَ رُشْـدَ الـرَّكَـائِـبِ[(١)]

لأن هذا القول منه دلَّ على التعريج والتردد في الرسوم، أو أن أصحابه أرادوا أن يستمرَّ في السير ولا يَتَعَوَّقَ في الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر في العاقبة وإن أكسبها راحة ما في الوقوف، فقال له أبو تمام «إنما حاولت رشد الركائب» لا رشدي، فأما الأصمعي فإنه يرى التعريج أيضاً وقوفاً لا عدولاً، قال أبو حاتم: قلت له: ما معنى عَرِّجْ؟ قال: قِفْ، فقلت: يقال: عَرَّج إذا عَدَل؟ فقال: لا، وأنشد بيت ذي الرمة: [البسيط]

يَـا حَـادِيَـيْ بـنـت فـضـاض أمَـا لَـكُـمَـا　　ـ حَـتَّـى نُـكَـلِّـمَـهَـا ـ هَـمٌّ بِـتَـعْـرِيـجِ[(٢)]

أي هَمٌّ بوقوف، وهذا لا يمنع أن يكون هَمٌّ بعدول، ونفس الاشتقاق يَدُلُّ على العدول، والله أعلم.

وقال كثير يصف السَّيْلَ: [المتقارب]

فَـطَـوْراً يَـسِـيـلُ عَـلَـى قَـصْـدِهِ　　وطَـوْراً يُـعَـرِّج ألاّ يَـسِـيـلا[(٣)]

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده لما لاموه، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوُّمَ عليه والتوقُّفَ معه.

وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره، وتلك سبيل سائر المحَدِثينَ، وطريقة الطَّائِيَّيْنِ ما عَدَلاَ عنها، ولا خرجا إلى غيرها، ألا ترى إلى قول أبي تمام: [الكامل]

مـا فـي وُقُـوفِـكَ سَـاعَـةً مِـنْ بَـاسِ　　نَـقْـضِـي ذِمَـامَ الأَرْبُـعِ الأَدْرَاسِ[(٤)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٥، من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.
(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص٩٨١، ومقاييس اللغة ٤/٣٠٢، وبلا نسبة في كتاب العين ١/ ٢٢٤، والاشتقاق ص٢١٣.
(٣) البيت في ديوان كثير عزة ص١٩٢، والمخصص ٩/١٢٨.
(٤) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

كيف سأل صاحبه أن يقف عليه ساعةً؟ ثم قال بعد بيت آخر: [الكامل]

لا يُسْعِدُ المُشْتَاقَ وَسْنَانُ الهَوَى يَبِسُ المَدَامِعِ بَارِدُ الأَنْفَاسِ[1]

وقوله: [الكامل]

لا تَمْنَعَنِّي وَقْفَةً أَشْفِي بِهَا دَاءَ الفِرَاقِ فَإِنَّهَا مَاعُونُ[2]

وقال البحتري: [الكامل]

يَا وَهْبُ لأَخِيكَ وَقْفَةَ مُسْعِدٍ يُعْطِي الأَسَى مِنْ دَمْعِهِ المَبْذُولِ[3]

وقال أيضاً: [الخفيف]

قِفْ بِهَا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهَا أَدْمُعاً رَدَّهَا الكَرى أَنْضَاءَ[4]

وقال أيضاً: [الكامل]

مَاذا عَلَيْكَ مِنَ انْتِظَارِ مُتَيَّمٍ بَلْ مَا تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فِي مَنْزِلِ[5]

وقال أيضاً: [الخفيف]

خَلِّيَاهُ وَوَقْفَةً فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ المَكْتُومِ[6]

ثم إنا ما علمنا أحداً قصَدَ داراً عَفَتْ من شُقَّةٍ بعيدة، واحداً كان أو في جماعة، للتسليم عليها، والمسألة لها، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاؤوا، وإن هذا ما سُمِع به، ولا هو من أغراضهم؛ إذ ليس فيه جَدْوَى، ولا يؤدِّي إلى فائدة، لأن المحبوب إن كان حيًّا موجوداً فقَصْد رِبَاعه ومَوَاطنه التي هو قاطنها والإلمامُ به فيها أولى

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٠، من قصيدة يمدح بها الواثق بالله، والماعون: كل ما ينتفع به.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٠٠، من قصيدة يمدح بها الفضل بن إسماعيل الهاشمي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٨، من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. ورواية عجز البيت في الديوان:

أدمعاً ردّها الهوى أنضاءَ

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣١٦، من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١٨٤، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر. والرسوم: آثار الدار البارزة.

وأخرَى، وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض التي فيها حُفرته أولى وأحرَى، وعلى أنهم لا يكادون يَزُورُونَ القبورَ، وإنما وقفوا على الديار، وعَرّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها؛ لأنهم تذكروا عند مُشَارفتها أوطارَهم فيها، فنازعتهم نفوسهُم إلى الوقوف عليها، والتلوُّم بها، ورأوا أن ذلك من كَرَم العهد وحُسْنِ الوفاء، ألا ترى إلى قول أبي تمام: [الكامل]

أَمَـوَاطِـنَ الـفـتـيـان نَـطْـوِي لَـمْ نَـزُرْ ... شَـوْقـاً ولَـمْ نَـنْـدُبْ لَـهُـنَّ صَـعِـيـدَا[1]؟

ويروى «لم نزر شَعَفاً» أي: كيف نطوي الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة، يريد الكرام، ولم نزر حَزْناً لها ولا سهلاً، لأنه أراد بالشعَف ما ارتفع من الأرض وعلا، وأراد بالصعيد ما اطمأنَّ من الأرض وسفل، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض، لا فيما عَلاَ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوَّة والمروءة، وأن طَيَّهَا عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد.

وما أحسن ما قال أبو نُوَاس: [الكامل]

وإذا مَـرَرْتَ عـلـى الـدِّيَـارِ مُـسَـلِّـمـاً ... فَـلِـغَـيْـرِ دَارِ أُمَـيْـمَـةَ الـهِـجْـرَانُ[2]

على طريقة القوم المعتادة.

وقال البحتري يخاطب نفسه أو صاحباً معه: [الطويل]

قِفِ العِيسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلاَلُهَا ... وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا[3]

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصداً للدار وغير مجتازٍ احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه، ولا سبيل له إلى ذلك.

فإن قيل: ولِمَ لا يكون للمطية حق على من بَلَّغته منازلَ الأحباب يوجب أن يكرمها ويريحها كما قال أبو نُوَاس: [الكامل]

وإذا الـمَـطِـيُّ بِـنَـا بَـلَـغْـنَ مُـحَـمَّـداً ... فَـظُـهُـورُهُـنَّ عَـلَـى الـرِّجَـالِ حَـرَامُ

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٨٧، من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني.

(٢) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

حـيّ الـديـار إذ الـزمـان زمـان ... وإذ الـشـبـاك لـنـا خـوًى ومـعـانُ

(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الْحَصَى   فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وذِمَامُ(١)

قيل: هذا أصلٌ آخَرُ طريقُه غيرُ طريقِ الوقوف على الديار، ولا يقاس أصلٌ على أصلٍ، وإنما يقاس على الأصل فروعُه التي تتفرَّع منه، وهذا الشرط في كل علم. وقال أبو نُواس في موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً: [الوافر]

فلَمْ أجْعَلْكِ للغربان نَحْلاً   وَلَمْ أقُلِ آشْرَقِي بدَمِ الْوَتينِ(٢)

يريد قول الشماخ، والشماخ إنما قال: [الوافر]

إذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بدَمِ الْوَتينِ(٣)

لأنه رأى ناقته قد شفَّها السيرُ وهَزَلها وأنْضَاها حتى دَبِرَت، وذلك قوله: [الوافر]

إلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشَكَّى   كُلوماً بَعْدَ مَحْفِدِها السَّمِينِ(٤)

فيقول: إذا بلغتني عَرابةَ فلا أبالي أن تَهْلِكِي، وهذا ليس بدُعَاءٍ عليها، وإنما أراد أنك إذا بَلّغتنِيه فقد بلغتُ الغنى وأدركتُ العوض منك؛ فهذا معنى وقولُ أبي نواس له معنى آخر، وليس بضد لقول الشماخ، وإنما يُضَاده قولُ المرأة التي قالت: يا رسول الله، إني نَذَرْتُ إن بَلّغَتْني ناقتي هذه إليكَ أن أنْحَرَها، فقال رسول الله ﷺ: «لَبِئسَ مَا جَزَيْتِها» لأن هذه قصدَتْ أنْ جعلت جزاء التبليغ النَّحْرَ؛ فهذان المعنيان يتضادان، وقول الشماخ خارج عنهما، فإنه أصل ثالث، والوجه الذي جاء به البحتري في الوقوف على الديار وتحرَّزَ منه عنترة وذو الرمة وجه غير هذه الوجوه، وطريقة غير هذه الطرق، ولم أقل إنه خطأ، وإنما قلت: إن المعنى غير جيد، فإن التمست العذر للبحتري قلنا: إنه وصف حقيقة أمر العِيسِ عند الوصول إلى الدار، وهذا مذهبٌ من مذاهب العرب عامٌّ في أن يَصِفُوا الشيء على ما هو، وعلى ما شوهد، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع، وربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم

---

(١) البيتان في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
يا دار ما فعلت بك الأيامُ   ضامتك والأيام ليس تضامُ

(٢) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:
وبكر سلافة في قعر دنٍّ   لها درعان من قارٍ وطينِ

(٣) البيت في ديوان الشماخ ص٣٢٣.

(٤) البيت في ديوان الشماخ ص٣٢٣. والمحفد، بزنة المجلس، أو بزنة المنبر: شيء كالمكتل تعلف فيه الإبل.

أَحْسَنَ من كل معنى بديع مستغرب، وربما وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التحَرُّز، وسترى للبحتريِّ وغيره في هذا الكتاب مِنْ هذا النوع في مواضعه ما هو أجود من كل جيد، إن شاء الله.

وقال البحتري: [الكامل]

عَـرِّجْ بِـذِي سَـلَـمٍ فَـثَـمَّ الْـمَـنْـزِلُ ... فَـيَـقُـولُ صَـبٌّ مَـا أَرَادَ وَيَـفْـعَـلُ(١)

وهذا ابتداء جيد، وقد رواه قوم «ليقول صبٌّ ما أراد ويَفْعَلُ» والنصب أجود في الروايتين، والرفع له وجه، والمتأخرون لا يكادون يَسْلَمُون من اللحن، وهو في أشعارهم كثير جداً.

وقال: [البسيط]

كَمْ مِنْ وُقُوفٍ عَلَى الأَطْلاَلِ وَالدِّمَنِ ... لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشَّوْقِ ذَا شَجَنِ(٢)

وهذا أيضاً ابتداء جيد.

وقال أيضاً: [البسيط]

أَسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فِي أَطْلاَلِهِمْ وَقِفَا ... وَإِنَّ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا(٣)

يقال: أَجَدَّ في أمره من الانكماش، وجَدَّ، وهذا ابتداء صالح.

وقال: [الطويل]

قِفَا فِي مَغَانِي الدَّارِ نَسْأَلْ طُلُولَهَا ... عَنِ النَّفَرِ اللاَّئِينَ كَانُوا حُلُولَهَا(٤)

وهذا الابتداء ليس بالجيد؛ من أجل قوله «اللائين»؛ لأنها لفظة ليست بالحلوة ولا مُشْتَهَاة، وليست مشهورة.

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٢٦، برواية مختلفة عما هنا، وهي:
لولا تعنفني لقلتُ المنزلُ ... معنًى تبينُه ومعنًى مشكلُ
وبوقفةٍ يشفي غليل صبابةٍ ... ويقول صبٌّ ما أراد ويفعلُ

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٧٣، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد.

(٣) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، مطلع قصيدة، ورواية البيت في (الموسوعة الشعرية):
استقبلا الركب في أطلالهم وقفا ... وإن أمح بلى مأثورها وعفا

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/١٠٧، مطلع قصيدة يمدح بها إسماعيل بن بلبل.

فهذا ما ابتدآ به من ذكر الوقوف، وأجعلهما فيه متكافئين؛ من أجل براعة بيتي البحتري الأوّلَيْنِ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبي تمام، ولأن للبحتري في الباب التقصيرَ الذي ذكرته له، وليس لأبي تمام مثله.

* * *

التسليم على الديار

قال أبو تمام: [الكامل]

دِمَـنٌ أَلَـمَّ بِـهَـا فَـقَـالَ: سَـلاَمُ   كَـمْ حَـلَّ عُـقْـدَةَ صَـبْـرِهِ الإلْـمَـامُ[١]

هذا المصراع الأول في غاية الجَوْدة والبَرَاعة والحسن والصحة والحلاوة، وعجز البيت أيضاً جيد بالغ.

وقال: [البسيط]

سَلِّمْ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلْمىٰ بِذِي سَلَمِ   عَـلَـيْـهِ وَسْـمٌ مِـنَ الأيَّـامِ وَالـقِـدَمِ[٢]

وهذا ابتداء ليس بالجيد؛ لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ، وإنما يحسن إذا كان بلفظتين، وقد جاء مثله في أشعار الناس، والرديء لا يُؤْتَمُّ به.

وقال الأُبَيْرِد بن المعذل الرياحي: [الطويل]

جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعَا   وَكُـنْـتَ بِـذِكْـرِ الْـجَـعْـفَـرِيَّـةِ مُـولَـعَـا[٣]

وقد جعل بعض الرُّواة هذا البيت أوّل قصيدة لامرىء القيس على هذا الوزن، وذلك باطل، وما ينبغي للمتأخر أن يحتذي الأخذ إلا للجيد المختار؛ لسَعَةِ مجاله، وكثرة أمثلته.

وقال البحتري: [الكامل]

هٰـذِي الـمَـعَـاهِـدُ مِـنْ سُـعَـادَ فَـسَـلِّـمِ   وَٱسْـأَلْ وَإِنْ وَجَـمَـتْ وَلَـمْ تَـتَـكَـلَّـمِ[٤]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٣، مطلع قصيدة يمدح بها المأمون.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٥٢، من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق.
(٣) البيت بلا نسبة في لسان العرب (ربع)، وتاج العروس (ربع)، ورواية البيت فيهما:
جزعت فلم تجزع من الشيب مجزعا   وقد فات ربعيُّ الشباب فودّعا
(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٢٠، مطلع قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوي.

وقال أيضاً: [الكامل]

أَمَحَلَّتَيْ سَلْمىٰ بِكاظِمَةَ اَسْلَمَا ... وَتَعَلَّمَا أنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا[(١)]

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال أيضاً: [الطويل]

حُيِّيتُمَا مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ ... كانَا مَحَلَّيْ زَيْنَبٍ وَصَدُوفِ[(٢)]

وهذا ابتداء صالح.

وقال أيضاً: [البسيط]

مِيلُوا إلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحَيِّيهَا ... نَعَمْ، وَنَسْألُهَا عَنْ بَعْضِ أهْلِيهَا[(٣)]

وهذا البيت رديء؛ لقوله «نعم» وليس بالمعنى إليها حاجة، جاء بها حَشْواً. ومن الحشو ما لا يقبح، و«نعم» ههنا قبيحة، وقد أولع بها كُثَيِّر بن عبد الرحمٰن في ابتداءاته فقال: [الطويل]

أمِنْ أمِّ عَمْرٍو بِالْحَرِيقِ دِيَارُ ... نَعَمْ دَارِسَاتٌ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ[(٤)]

وقال: [الطويل]

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّكْب أمْ أنْتَ سَائِلُ ... نَعَمْ، وَالْمَغَانِي قَدْ دَرَسْنَ مَوَاثِلُ[(٥)]

وقال: [الطويل]

أَهَاجَتْكَ لَيْلَى إذْ أجَدَّ رَحِيلُهَا ... نَعَمْ، وَثَنَتْ لَمَّا اخْزَأَلَّتْ حُمُولُهَا[(٦)]

اخْزَألت: انتصبت وارتفعت.

وقال: [الطويل]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢١٨/١، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابنَي المدبر.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢٢٤/٢، مطلع قصيدة يمدح بها وصيفاً الكبير. ورواية صدر البيت في الديوان:

حُيِّيتَ من مُتَرَبَّعٍ ومَصِيفِ

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢٨/١، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ويصف البركة.

(٤) البيت في ديوان كثير عزة ص٤٢٧.

(٥) البيت في ديوان كثير عزة ص٢٧٢.

(٦) البيت في ديوان كثير عزة ص٢٥٩.

أَبَـائِـنَـةٌ سُـعْـدَى؟ نَـعَـمْ سَـتَـبِـيـنُ   كَـمَـا انْبَـتَّ مِـنْ حَبْلِ الْقَرِينِ قَرِينُ(١)

وهي في كل هذه الأبيات رديئة، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح؛ لأن إسقاطها من الجميع يَحْسُن، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب، إلا هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضي أن يكون «نعم» جواباً له، ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن، ولكثير استفهامات لا جواب لها على عادات الشعراء المحسنين.

ومنها قوله: [الكامل]

مِـنْ آلِ قَـيْـلَـةَ بِـالـدَّخُـولِ رُسُـومُ   وَبِـحَـوْمَـلٍ طَـلَـلٌ يَـلُـوحُ قَـدِيـمُ(٢)

وكل أبيات كُثَيِّر أجود من بيت البحتري؛ لأن «نعم» فيها جواب، وهي في بيت البحتري حَشْو، وقال البحتري في بيته «نحييها» والأجود «نحيها» جُزِمَ لأنه جواب الأمر، وقد يكون «نحييها» رفعاً على الحال، والجواب ههنا أجود من الحال.

فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار، وأبو تمام عندي في قوله «دمن ألم بهَا فقال سلام» أشعر من البحتريِّ في سائر أبياته.

وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبي نُوَاس: [الكامل]

وَإِذَا مَـرَرْتُ عَـلَـى الـدِّيَـارِ مُـسَـلِّـمـاً   فَـلِـغَـيْـرِ دَارِ أُمَـيْـمَـةَ الـهِـجْـرَانُ(٣)

* * *

ما ٱبتدآ به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام: [الطويل]

لَـقَـدْ أَخَـذَتْ مِـنْ دَارِ مَـاوِيَّـةَ الْـحُـقْـبُ   أَنُحْلُ الْمَغَانِي لِلْبِلَى هِيَ أَمْ نَهْبُ(٤)؟

أراد أَنُحْلُ المغاني لِلْبِلَى، فحذف التنوين، والْحُقْبُ: الدهر، وجمعه أحقاب، والْحِقَبُ: السِّنُون، واحدتها حِقْبة، وقال «لقد أخذت» فأنَّثَ والْحُقْبُ مذكر، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه، ويقال: الحقب ثمانون سنة؛ فعلى هذا قال «أَخَذَتْ».

---

(١) البيت في ديوان كثير عزة ص١٧٠.

(٢) البيت في ديوان كثير عزة ص٢٠٥.

(٣) البيت في ديوان أبي نواس، من قصيدة مطلعها:

حَـيِّ الـديـار إذ الـزمـان زمـانُ   وإذ الـشـبـاك لـنـا حَـوًى ومـعـانُ

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٦، مطلع قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

وقال أيضاً: [البسيط]

قَـدْ نَـابَـتِ الْـجَـزْعَ مِـنْ مَـاوِيَـةَ الـنُّـوَبُ وَاسْتَحْقَبَتْ جِدَّةَ مِنْ رَبْعهَا الْحِقَبُ(١)

«واستحقبت» أي جعلت الْحِقَبُ ـ وهي السنون ـ جِدَّةَ الربع في حقيبتها، والحقيبة: ما يحتقبه الراكب، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُخرِزُ فيه متاعه وزاده، وهذه استعارة حسنة، وإنما يريد أن الحقب سَلَبَتِ الربع جِدّته وذهبت بها.

وقال البحتريُّ: [الكامل]

أرسُـــومُ دَارٍ أمْ سُـــطُـــورُ كِـــتَـــابِ دَرَسَـتْ بَـشَـاشَـتُـهَـا عـلـى الأحْـقَـابِ(٢)

أي: على مر السنين، وهذا البيت أبرع من بيتي أبي تمام لفظاً، وأجود سَبْكاً وأكثر ماءً ورَوْنقاً، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة، والمشبهة لكلام الأوائل؛ فهو فيه أشعر من أبي تمام.

* * *

وفي إقْوَاء الديار وتَعَفّيها

قال أبو تمام: [الكامل]

طَـلَـلَ الْـجَـمِـيـعِ لَـقَـدْ عَـفَـوْتَ حَـمِـيـداً وَكَـفَـى عَـلـى رُزْئِـي بِـذَاكَ شَـهِـيـدَا(٣)

أراد «وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أني رزئت» وكان وجه الكلام أن يقول: وكفى برزئي شاهداً على أنه مضى حميداً، وقد استقصيت الكلام في هذا فيما تقدم في غلط أبي تمام. وقال أيضاً: [الطويل]

أجَـلْ أَيُّـهَـا الـرَّبْـعُ الـذِي بَـانَ آهِـلُـهْ لَقَدْ أدْرَكَتْ فيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهْ(٤)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٠، مطلع قصيدة يمدح بها أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات. ورواية البيت في الديوان:
قد نابت الجزع من أروية النوبُ واستحقبت جدّة من دارها الحقبُ
(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٣٢١، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي، وفي الديوان: «مع الأحقابِ»، بدل: «على الأحقابِ».
(٣) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٧، مطلع قصيدة يمدح بها المعتصم بالله. وفي الديوان: «خفّ آهلُه»، بدل: «بان آهِلُهْ».

وهذا أيضاً ابتداء جيد.

وقال أيضاً: [الطويل]

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُم بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ[(١)]

وهذا بيت رديء مَعِيب؛ لأن الوشيعة والوشائع هو الغَزْلُ الملفوف من اللُّحْمَة التي يُدْخلها الناسجُ بين السَّدى، والبرد الذي قد تمت نساجته ليس فيه شيء يسمى وشيعة ولا وشائع، وقد ذكرت هذا في أغاليطه.

وقال البحتري: [الكامل]

تِلْكَ الدِّيَارُ وَدَارِسَاتُ طُلُولِهَا طَوْعُ الْخُطُوبِ دَقِيقِهَا وجَلِيلِها[(٢)]

وقال أيضاً: [الخفيف]

يَا مَغَانِي الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا[(٣)]

وقال أيضاً: [الكامل]

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الرُّسُومِ بِمَنْعِجِ إمَّا سَأَلْتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرِّجِ[(٤)]

وقال أيضاً: [مجزوء الكامل]

هَلاَّ سَأَلْتَ بِجَوِّ ثَمْهَدْ طَلَلاً لِمَيَّةَ قَدْ تَأَبَّدْ[(٥)]

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى، وأبيات أبي تمام أيضاً رائعة، وَلكن فيها ما ذكرته.

* * *

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/٣٢٦، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٢٥٩، مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن سهل.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٧، مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي، ويصف فرساً وبغلاً.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/١٧٤، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد. وتأبّد: صار منزلاً للأوابد، وهي الوحوش.

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام: [الطويل]

عَفَتْ أرْبَعُ الحِلاّتِ لِلأرْبَعِ المُلْدِ   لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدّ[١]

الحلات: جمع حِلَّة، وهو الموضع الذي يَحُلُّونه، يقال: حِلَّة ومَحلة، والأربع الملد: يريد أرْبَعَ نساء مُلْدٍ، من قولهم: غُصْنٌ أُمْلُود، وهو الناعم، و«أملود» لا يجمع على «مُلْد» وإنما هو جمع أمْلد، و«هضيم الكشح» يريد ضامرة البطن وقوله «مغربة القد» يريد أغْرَبَ قدُّها: أي لها قَدٌّ غريبٌ في الحسن، وإنما أراد عَفَتْ أرْبُعُ حِلال: أي مواطن، لأربع نسوةٍ، وهذا تكلف شديد، وقد جاءت بلَفْظٍ غير حسن ولا جميل، وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين: غريبُ الحسنِ، وغريب القد، والكلمة إذا لم يؤتَ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت، وقوم يروونه «أرْبُع الحِلاَّتِ» جمع رَبْع، وذلك غلط، وإنما أراد الرجلُ العدَدَ: أي عفت أرْبَعٌ لأربَعٍ، ولا أعلم لأبي تمام ابتداءً ذكر فيه الرياح غير هذا البيت، وهو رديء اللفظ قبيح النَّسْجِ. وقال البحتري: [الكامل]

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللِّوَى والأجْرَعِ   دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّياحِ الأرْبَعِ[٢]

وهذا من ابتداءاتهِ العجيبة النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور، وقوله «بين الشقيقة فاللوى» كقول امرىء القيس «بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ»[٣] والأصمعي يرويه بالواو، وأهل العربية يقولون: الدخول مواضع متفرقة وأكثر الشعراء يستعملون الفاء في هذا الموضع. وقال البحتري: [الكامل]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٢٣، مطلع قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي. وفي الديوان: «مجدولة القدّ»، بدل: «مغربة القدّ». وعفت: ذهبت معالمها. وأربع الحلات: أراد المنازل الأربعة، أو جمع الربع. وللأربع الملْدِ: أراد التي كانت سكناً لأربع فتيات مُلْدٍ. والملد: جمع ملداء، وهي اللينة القوام الناعمة. والكشح: ما بين الخصر إلى الضلع، ويراد به البطن. وهضيمه: ضامرته.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣١٢، مطلع قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. والدمن: ما تبقى من آثار الناس والديار.

(٣) البيت بتمامه:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسقط اللّوى بين الدخول فحوملِ

والبيت من الطويل، وهو في ديوان امرىء القيس ص٨.

أَصَبَا الأَصَائِلِ إنَّ بُرْقَةَ ثَهْمَدِ   تَشْكو اخْتِلافَكِ بالْهُبُوب السَّرْمَدِ(١)

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون: إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هذا المعنى أحْسَنَ من هذا البيت، ولا أبرعَ لفظاً، ولا أكثر ماءً ولا رونقاً، ولا ألطف معنًى.

وقال البحتري: [الخفيف]

لا أرَى بِالْبِرَاقِ رَسْماً يُجِيبُ   أسكَتَتْ آيَهُ الصَّبا وَالْجَنُوبُ(٢)

وهذا ابتداء صالح.

* * *

وفي البكاء على الديار

قال أبو تمام: [الطويل]

عَلى مِثْلِهَا مِنْ أرْبُعٍ وَمَلاَعِبِ   أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ(٣)

قد أنكر «مَصُونات الدموع السواكب» بعضُهم، وقال: كيف يكون من السواكب ما هو مَصُون، وإنما أراد أبو تمام أذِيلَتْ مصونات الدموع التي هي الآن سواكب، ولفظه يحتمل ما أراده، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً.

وقال أيضاً: [البسيط]

أما الرسُومُ فَقَدْ أذْكَرْنَ مَا سَلَفَا   فَلاَ تَكُفَّنَّ مِنْ شَانِيكَ أوْ يكِفَا(٤)

هذا ابتداء حسن.

وقال أيضاً: [الكامل]

أزَعَمْتَ أنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيِّمُ   وَالدَّمْعَ في دِمَنٍ عَفَتْ لا يُسْجَمُ(٥)

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٥٦، مطلع قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد، وقيل: الخضر بن أحمد الثعلبي. وفي الديوان: «برقة منشدٍ» بدل: «برقة ثهمدٍ».

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه ١/٨١ (الطبعة المصرية)، مطلع قصيدة يمدح بها جعفر بن عبد الغفار.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٤٥، مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٨٩، مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٦٧، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي. ويتيّم: يذل ويستعبد. والدمن: جمع دمنة، وهي أثر الديار. وعفت: ذهبت وامّحت. ولا يجم: لا تقطعه العين ولا تكف عن إسالته.

وقال أيضاً: [الطويل]

قِرَى دارِهِمْ مِنّي الدُّموعُ السَّوَافِكُ وَإنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهْوَ حَالِكُ(١)

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال أيضاً: [الطويل]

تَجَرَّعْ أسًى قَدْ أقْفَرَ الْجَرَعُ الْفَرْدُ وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَهُ الْوَجْدُ(٢)

الْجَرَعُ والأجرع والجرعاء: أرض ذاتُ رملٍ وحجارة مختلطة خَشِنة، وقد قيل: رملة سهلة، والحِسْيُ: ماء المطر يغيض في الرمل قليلاً ثم يصير إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب، وجمعه أحْسَاءٌ.

وقال البحتري: [الطويل]

مَتَى لاحَ بَرْقٌ أوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ جَرَى مُسْتَهِلٌّ لا بَكِيءٌ وَلا نَزْرُ(٣)

وهذا بيت حَسْبُك به جودةً وحُسْنًا وبراعة وفصاحة.

ونحوهُ قولُه: [الطويل]

لَهَا مَنْزِلٌ بَينَ الدَّخُولِ فَتُوضِحِ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَيَّمِ تَسْفَحِ(٤)

هذا مثل قول امرىء القيس «بين الدخول فحومل» وهذا أيضاً بيت جيد، وليس كالأول.

وقال أيضاً: [الطويل]

أفِي كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقْرَقُ وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكرِ يَخْفُقُ(٥)

وهذا أيضاً غاية في جودته وبراعته وكثرة مائه.

وقال أيضاً: [الوافر]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢١٠، مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. والقرى: ما يقدم للضيف، أو هو الضيافة. والسوافك: المنسكبة. والحالك: المظلم.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٥، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٨٥، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله. وأراد بالمستهل: الدمع. والبكيء: القليل، وكذلك النزر.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٢٠، مطلع قصيدة يمدح بها المعتز بالله.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ١١٣، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن علي القمي.

أَلـمَّـا يَـكْـفِ فِـي طَـلَـلَـى زَرُودِ بُـكَـاؤُكَ دَارِسَ الـدِّمَـنِ الْـهُـمُـودِ(١)

وقال أيضاً: [الطويل]

أَعَـنْ سَـفَـهٍ يَـوْمَ الأُبَـيْـرِقِ أَمْ حِـلْـمِ وُقُـوفٌ بِـرَبْـعٍ أَوْ بُـكَـاءٌ عَـلَـى رَسْـمِ(٢)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر على نفسه البكاء، وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام في أبياته.

وقال البحتري، وهو حسن جداً: [الطويل]

وُقـوفُـكَ فِـي أَطْـلالِـهِـمْ وَسُـؤَالُـهَـا يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهِمَالُهَا(٣)

وقال: [الكامل]

عِـنْـدَ الْـعَـقِـيـقِ فَـمَـاثِـلاَتِ دِيَـارِهِ شَجَنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فِي اسْتِعْبَارِهِ(٤)

وقال: [البسيط]

يَأبَىٰ الْـخَلِيُّ بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي وَالنَّوْحَ فِـي دِمَـنٍ أَقْـوَتْ وَأَطْـلاَلِ(٥)

وقال: [الخفيف]

أَبُـكَـاءٌ فِـي الـدَّارِ بَـعْـدَ الـدَّارِ وَسُـلُـوًّا عَـنْ زَيْـنَـبٍ بِـنَـوَارِ(٦)

وهذا من البحتري تَصَرُّفٌ في البكاء على الديار حسن، ومَعَانٍ فيه مختلفة عجيبة، كلها جيد نادر، وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها، والبحتري في هذا الباب أشعر.

* * *

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٨٢، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الصقر.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢١٢، مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر، ويذكر وقعته مع الزنج.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٢٨، مطلع قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن محمد.

(٥) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٦) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٤٣، مطلع قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً، ورواية عجز البيت في الديوان:

وسُـلُـوًّا بِـزيـنـبٍ عـن نـوارِ

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

قال أبو تمام: [الكامل]

الـدَّارُ نَـاطِـقَـةٌ وَلَـيْـسَـتْ تَـنْـطِـقُ لِـدُثُـورِهَـا؛ إنَّ الْـجَـدِيـدَ سَـيَـخْـلُـقُ(١)

وقال في مثل معناه: [الكامل]

وَأَبِـي الْـمَـنَـازِلِ إنَّـهَـا لَـشُـجُـونُ وَعَـلَـى الْـعُـجُـومَـةِ إنَّـهَـا لَـتُـبِـيـنُ(٢)

وهذا معنى شائع على أَلْسُنِ العرب أن تقول لمن يعقل: وأبيك لقد أجملت، وكثرت على الألسن حتى تَعَدَّوْا بها إلى ما لا يعقل، قَسَماً وغير قسم، وكذلك قالوا: لأمك الْهَبَل، ولأمِّكَ الْوَيْلُ، ثم قالوا مثل ذلك لما لا أمَّ له، وقال محرز بن المكعبر يرثي بسطام بن قيس: [الوافر]

لأمِّ الأرْضِ وَيْـلٌ مَـا أجَـنَّـتْ بِـحَـيْـثُ أضَـرَّ بِـالْـحَـسَـنِ الـسَّـبِـيـلُ(٣)

فجعل للأرض أمًّا.

وقد قال البحتري: [الطويل]

لَـعَـمْـرُ أبـي الأيَّـامِ مَـا جَـارَ حُـكْـمُـهَـا عَـلَـيَّ، وَلاَ أعْـطَـيْـتُـهَـا ثِـنْـيَ مِـقْـوَدِي(٤)

فجعل للأيام أباً، وقوله «شجون» جمع شَجَن، وما أقَلَّ ما يجمع فَعَلٌ على فُعُول، قالوا: أسد وأسود، وليس هو بابه، والشجن: الحاجة، والشجن: الهم والحزن.

وقال أبو تمام: [الخفيف]

مِـنْ سَـجَـايَـا الـطُّـلُـولِ أنْ لاَ تُـجِـيـبَـا فَـصَـوَابٌ مِـنْ مُـقْـلَـتِـي أنْ تَـصُـوبَـا(٥)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٥٢٥، مطلع قصيدة قالها في هجاء عتبة بن أبي عاصم.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٠، مطلع قصيدة يمدح بها الواثق بالله.

(٣) البيت لعبد الله بن عنمة الضبّي في لسان العرب (ضرر)، (حسن)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٥٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣١٦، ١١/ ٤٦٠، وجمهرة اللغة ص٥٣٥، ولعنمة بن عبد الله الضبي في تاج العروس (حسن)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٢٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٥٨، ومجمل اللغة ٢/ ٦٢، وأساس البلاغة (سلف).

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٢٠، من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر.

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٢، مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، وقد تقدم البيت مع تخريجه.

هذا البيت صَدْرُه جيد، وقوله «فصواب» ليست بالجيدة في هذا الموضع، وإنما أراد التجنيس.

وقال البحتري: [البسيط]

لاَ دِمْنَةٌ بِلِوَى خَبْتٍ وَلاَ طَلَلُ تَرُدُّ قَوْلاً عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُ[١]

وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه.

وقال البحتري: [الكامل]

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئُولِ[٢]

أراد أنه باكٍ والطلول باكية، وهذا ابتداء صالح.

وقال: [الوافر]

عَزَمْتُ عَلَى المَنَازِلَ أَنْ تُبِينَا وَإِنْ دِمَنٌ بَلِينَ كَمَا بُلِينَا[٣]

أي: عزمت عليها أن توضح لنا، ويكون «تبين» بمعنى تُفْصِح هي في نفسها، يقال: بَانَ الشيءُ وأبَانَ، وقوله «وإن دِمَن بلين كما بلينا» أي: عزمت عليها أن تُبين لنا القولَ وإن كانت قد بَلِيَتْ كما بلينا نحن، وهذا بيت رديء العجز.

وقال البحتري: [الطويل]

أقِمْ عَلَّهَا أَنْ تَرْجِعَ الْقَوْلَ أَوْ عَلِّي أُخَلِّفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بِي مِنَ الْخَبْلِ[٤]

وهذا أيضاً بيت رديء الصَّدْرِ لفظُه ومعناه؛ لأنه أراد أن يقول: قف لعلها أن تَرْجع القولَ أو لعلّي، فقال «أقم» مكان قِفْ، وليست هذه اللفظة نائبةً عن تلك؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف في شيء، والدليل على أنه أراد أن يقول قف قولُه بعد هذا: [الطويل]

فَإنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً فَقِفْهَا عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِي[٥]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٠١، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. وفي الديوان: «يردُّ قولاً»، بدل: «تردُّ قولاً».

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٩٩، مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن إسماعيل الهاشمي.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/١٤٧، مطلع قصيدة يمدح بها أذكوتكين.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٣٤١، مطلع قصيدة يمدح بها أبا صالح بن عمار.

(٥) هو البيت الثالث من القصيدة المتقدمة في الحاشية السابقة.

وقال «عَلَّها أو عَلِّي» وهما وإن كانتا لفظتين عربيتين فلعل أحسن من عَلَّ وأبرع، وزاد في تهجينها أنه كررها في مصراع، وقوله «أخلف فيها بعض ما بي من الخبل» عجز حسن، أي: أطرحه عني، أي: لعلِّي أبكي فأخفف بعض ما بي من البكاء، وإلى هذا المعنى ذهب، وإن لم يكن البكاء في البيت فقد ذكره من بعد.

وقال: [البسيط]

بِـالـلّـهِ يَـا رَبْـعُ لَـمَّـا زِدْتَ تِـبْـيَـانَـا فَـقُـلْـتَ لِي الْـحَـيُّ لَـمَّـا بَـانَ لِـمْ بَـانَـا[1]

وقال أيضاً: [الطويل]

هـبِ الـدَّارَ رَدَّتْ رَجْـعَ مَـا أَنْـتَ سَـائِـلُـهْ وَأَبْـدَى الْـجَـوَابَ الـرَّبْـعُ عَـمَّـا تُـسَـائِـلُـهْ[2]

وهذا بيت غير جيد؛ لأن عجز البيت مثل صدره سواء في المعنى، وكأنه بنى الأمر على أن الدار غير الربع، وأن السؤال إن وقع وقع في محلين اثنين، والبيت أيضاً لا يقوم بنفسه؛ ونه جعله معلقاً بالبيت الثاني وهو قوله: [الطويل]

أَفِـي ذَاكَ بُـرْءٌ مِـنْ جَـوًى أَلْـهَـبَ الْـحَـشَـا تَـوَقُّـدُهُ وَاسْـتَـغْـزَرَ الـدَّمْـعَ جَـائِـلُـهْ[3]

وقال أيضاً: [الطويل]

هَـلِ الـرَّبْـعُ قَـدْ أَمْـسَـتْ خَـلاَءً مَـنَـازِلُـهْ مُـجِـيـبٌ صَـدَاه أَوْ يُـخَـبِّـرُ سَـائِـلُـهْ[4]؟

وهذا ابتداء صالح.

وقال أيضاً: [الطويل]

عَـسَـتْ دِمَـنٌ بِـالأَبْـرَقَـيْـنِ خَـوَالِـي تَـرُدُّ سَـلاَمِـي أَوْ تُـجِـيـبُ سُـؤَالِـي[5]

وهذا ابتداء حسن.

---

(١) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٥٢، مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويصف دخوله إليه وسلامه عليه، ورواية صدر البيت في الديوان:

هـبِ الـدار ردَّتْ رَجْـعَ مـا أنـت قـائـلُـهْ

(٣) هو البيت الثاني من القصيدة المتقدمة في الحاشية السابقة.

(٤) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٦٥، مطلع قصيدة يمدح بها أبا طلحة منصور بن مسلم، وفي نسخة يمدح بها محمد بن عمر بن علي بن مر. وعَسَتْ: من أفعال الرجاء «عسى» وألحقت بها تاء التأنيث.

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات في الباب، وليس لهما فيه بيت بارع، والجيد للبحتري قوله: [البسيط]

* لاَ دِمْـنَـةٌ بِـلِـوَى خَـبْـتٍ وَلاَ طَـلَـلُ[١] *

وقوله: [الطويل]

* عَـسَـتْ دِمَـنٌ بِـالأَبْـرَقَـيْـنِ خَـوَالِـي[٢] *

والجيد لأبي تمام بيتاه الأولان، ومعناهما غير معنى هذين البيتين، وبيتا البحتريِّ أجود لفظاً، وأصح سَبْكاً، وهما في هذا الباب متكافئان.

* * *

ما يَخْلُفُ الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معناه

قال أبو تمام: [الكامل]

أَطْـلاَلُـهُـمْ سُـلِـبَـتْ دُمَـاهَـا الْـهِـيـفَـا ... وَاسْـتُـبْـدِلَـتْ وَحْـشـاً بِـهِـنَّ عُـكُـوفَـا[٣]

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه.

وقال أيضاً: [الطويل]

أَأَطْلاَلَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضْتِ مِنْ هِنْدِ ... أَقَايَضْتِ حُورَ الْعِيْنِ بِالْعِينِ وَالرُّبْدِ[٤]

---

(١) عجزه:

تَـرُدُّ قَـولاً عَـلَـى ذِي لَـوعَـةٍ يَـسَـلُ

وتقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

(٢) انظر الحاشية ما قبل السابقة.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٤، مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف، ويعرض بوالٍ ولي الثغر من بعده. وفي الديوان: «الهيوفا»، بدل: «الهيفا».

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٠٩، مطلع قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام. وفي الديوان: «بالعور والربدِ»، بدل: «بالعين والربدِ». واعتضت: استبدلت، من العوض وهو البدل. وقايضت: بادلت، من المقايضة، وهي المبادلة على شيءٍ بشيءٍ آخر. والحور: جمع حوراء، وهي الشديدة سواد العين مع شدّة بياض بياضها، وأراد بها النساء الجميلات العيون. والعِين، بكسر العين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين، وأراد بها هنا بقر الوحش، وقيل لبقر الوحش: عِين، لسعة عيونها. والرُّبْد، بضم الراء وسكون الباء: جمع ربداء، وهي التي لونها بين السواد والكدرة، وأراد بها النعام. يريد: استبدلت من النساء الجميلات العيون بقر الوحش والنعام.

العِينُ: بقر الوحش والظباء، والرُّبد: النعام، وقايضت: أبدلت، وهذا البيت ليس بالجيد ولا بالرديء.

وقال أيضاً: [الوافر]

أَرَامَـةُ كُـنْـتِ مَـأْلَـفَ كُـلِّ رِيـمِ لَـو اسْتَمْتَعْتِ بِـالأنَسِ الـقَـدِيـمِ(١)

وهذا بيت جيد.

وقال البحتري: [الكامل]

رَبْـعٌ خَـلاَ مِـنْ بَـدْرِهِ مَـغْـنَـاهُ وَرَعَـتْ بِـهِ عِـيـنُ الـمَـهَـا الأشْـبَـاهُ(٢)

وهذا بيت حسن حلو.

وقال البحتري أيضاً: [البسيط]

عَـهْـدِي بِـرَبْـعِـكَ مَـأْنُـوساً مَـلاَعِـبُـهُ أشْـبَـاهُ آرَامِـهِ حُـسْـنـاً كَـوَاعِـبُـهُ(٣)

وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظُه ومعناه.

وقال أيضاً: [الكامل]

عَـهْـدِي بِـرَبْـعِـكَ مُـثَّـلاً آرَامُـهُ يُـجْـلَـى بِـضَـوْءِ خُـدُودِهِـنَّ ظَـلامُـهُ(٤)

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى، ولفظ الأول أحلى وأبرع، وقوله «يجلي بضوء خدودهن ظلامهُ» حسن جداً.

وقال أيضاً: [الطويل]

أَرَى بَـيـنَ مُـلْـتَـفِّ الأرَاكِ مَـنَـازِلاَ مَـوَاثِـلَ لـو كـانَـتْ مَـهَـاهَـا مَـوَاثِـلا(٥)

---

(١) تقدم البيت مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٣٦٧، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن بدر. والأرآم: الظباء الخالصة البياض. والكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي كعب ثديها واستدار.

(٤) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٩٤، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف. والمها: بقر الوحش تشبه به الحسان لسواد عيونها. والمواثل: جمع ماثل، وهو الشاخص. والأراك: الشجر الكثير الملتف.

وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته.

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو، والبحتري في أبياته أشعر من أبي تمام في أبياته.

* * *

وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جَوَى الواقفين بها

قال أبو تمام: [الكامل]

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسَا ... تَقْرِي ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[١]

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها.

وقال البحتري: [الطويل]

مَغَانِي سُلَيْمَىٰ بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا ... أَجَدَّ الشَّجَى أخلاقُهَا ودُثُورُهَا[٢]

وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته.

وقال: [الطويل]

لَعَمْرُ المَغَانِي يَوْمَ صَحْراءِ أَزْبَدِ ... لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً على ذِي تَوَجُّدِ[٣]

وقال أيضاً: [المنسرح]

مَا جَوُّ خَبْتٍ وإنْ نَأَتْ ظُعُنُهْ ... تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمَنُهْ[٤]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص١٦٤، مطلع قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي. ورواية عجز البيت في الديوان:

وترى ضيوفك لوعةً ورسيسا

والقشيب: الجديد. والدريس: البالي. وتقري: تقدم القرى، والقرى، بكسر القاف: الضيافة أو ما يقدم للضيفان. والرسيس: الحب الثابت.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/١٩٤، مطلع قصيدة يمدح بها ابن بسطام. والعقيق: اسم وادٍ. وأجدَّ: جعلها جديدة. والشجى: الحزن. والأخلاق: جمع خلق، وهو البلى. والدثور: التي ذهب أثرها وامحت.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٢٢٠، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر. وفي الديوان: «أزْنَدِ»، بدل: «أزْبَدِ».

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/٣١٥، مطلع قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدي. وخَبْتٌ: اسم مكان. ونأت: بعدت. والظُّعُن، بضم الظاء والعين: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج، وتشوقنا: تبعث الشوق في أنفسنا. والدمن، بكسر الدال وفتح الميم: جمع دمنة، وهي أثر الديار.

وقال أيضاً: [الخفيف]

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ المُحِيلَهْ ... هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقِ صَدْرٍ غَلِيلَهْ[١]

وهذه كلها ابتداءات جِياد، وهي مع بيت أبي تمام متكافئة.

* * *

الدعاء للدار بالسقيا

قال أبو تمام: [الكامل]

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ ... وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ[٢]

وقال أيضاً: [الوافر]

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى صَوْبُ الْعِهَادِ ... وَرَوَّى حَاضِرٌ مِنْهُمْ وَبَادِي[٣]

وهذان ابتداءان جيدان.

وقال أيضاً: [الكامل]

يَا بَرْقُ طَالِعْ مَنْزِلاً بِالأَبْرَقِ ... وَاْحْدُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الأَيْنُقِ[٤]

قوله «طالع» لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة، وقوله «واْحْدُ السحاب له حداء الأينق» لفظه ومعناه جيدان فصيحان، وإنما خص البرق لأنه دليل الغيث.

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٧٢، مطلع قصيدة يمدح بها حمولة. ورواية عجز البيت فيه:
هيَّجت من مشوقِ قلب غليلة
والمُحيلة، بضم الميم: التي أتى عليها الحول، وأراد هنا: المتغيرة. والغليل: أصله العطش، وأراد به هنا: حرارة الحب وتحرّق الوجد.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨١، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة. والأجش: الخشن الصوت، وأراد به هنا الرعد. والهزيم: صوت الرعد. والنضرة، بفتح النون وسكون الضاد: الحسن.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٧٩، مطلع قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد. وفي الديوان: «سبل العهادِ»، بدل: «صوب العهادِ». والعهاد: مطر الربيع. والحاضر: الذي يسكن الحضر. والبادي: الذي يسكن البادية.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٨، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، ويصف فرساً حمله عليه. والحُداء: سوق الإبل بالغناء. والأينق: جمع ناقة.

وقال أيضاً: [الخفيف]

أيُّهَا البَرْقُ بِتْ بِأَعْلَى البِرَاقِ وَٱغْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقِ[1]

البِرَاق: جمعُ بُرْقة، مثل بُرْمَة وبِرَام، وهي الأرض ذات الطين والْحَصَى تكون ذات ألوان مختلفة، وهذا بيت جيد، ووَصَلَه ببيت هو غاية في الحسن والحلاوة نأتي به إن شاء الله تعالى في بابه.

وقال: [الكامل]

يـا دَارُ دَارَ عَلَيْكِ أَرْهَامُ النَّدَى وَٱهْتَزَّ رَوْضُكِ في الثَّرَى فَتَرَأَّدَا[2]

يقال: أرهمت السماء، إذا أتت بالرِّهَمة، وهو المطر اللين، يقال: رَهَمة وأرهام، كأكَمَة وآكام، فإن قلت «أرهام الندى» كان ذلك سائغاً، فترأد: تَثَنَّى لكثرة مائه وغَضَاضته، ومنه «امرأة رُودُ الشباب» أي: غَضَّته، وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسْج.

وقال البحتري: [البسيط]

نَشَدْتُكَ اللّهَ مِنْ بَرْقٍ على أضَمِ لَمَّا سَقَيْتَ جُنُوبَ الْحَزْنِ فَالْعَلَمِ[3]

وهذا بيت بارع اللفظ، جيد المعنى، وزاد في جَودته قوله «نشدتك الله».

وقال أيضاً: [الطويل]

سُقِيتِ الغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعِ وَحُيِّيتِ مِنْ دَارٍ لأَسْمَاءَ بَلْقَعِ[4]

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى، ويدخل في باب التسليم على الديار لقوله «وحييت من دار».

وقال أيضاً: [البسيط]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٧، مطلع قصيدة يمدح بها إسماعيل بن شهاب ويشكره. والوابل: المطر الغزير. والغيداق: المنسكب.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١١٨، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الكريم. والأرهام: الأمطار الضعيفة الدائمة. والثرى، بفتح الثاء، بزنة العصى: التراب، وأراد الأرض.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٤١، مطلع قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان. والحزن: ما ارتفع من الأرض، وضد السهل.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ٨٧، مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان. والطلول: ما شخص من آثار الديار. والأربع: الربوع. والبلقع: الخراب.

أناشد الغَيْثَ هَلْ تَهْمِي غَوَادِيهِ عَلى العَقِيقِ وَإنْ أَقْوَتْ مَغَانِيهِ[(١)]

وهذا بيت جيد.

وقال أيضاً: [البسيط]

أَقَامَ كُلُّ مُلِثِّ الوَدْقِ رَجَّاسِ عَلى دِيَارٍ بِعُلْوِ الشَّامِ أَدْرَاسِ[(٢)]

ملثّ: دائم كثير، ورَجَّاس: مُصَوِّت، يريد الرعد، وهذا بيت كثير الماء والرَّوْنَق.

وقال أيضاً: [الخفيف]

لا يَرِمْ رَبْعَكَ السَّحَابُ يَجُودُهْ تَبْتَدِي سَوْقَهُ الصَّبَا أوْ تَقُودُهْ[(٣)]

وقال أيضاً: [الطويل]

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا عِهَادٌ مِنَ الوَسْمِيِّ وُطْفٌ غُيُومُهَا[(٤)]

وهذان ابتداءان جيدان، وليسا مثل ما تقدم.

وقال أيضاً: [الطويل]

سَقَى رَبْعَهَا سَحُّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهْ وإنْ لَمْ يُخَبِّرْ آنِفاً مَنْ يُسَائِلُهْ[(٥)]

وهذا البيت رديء العجز من أجل قوله «آنفاً» لأنه حَشْوٌ لا حاجة للمعنى به؛ فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا، وهما عندي متكافئان.

* * *

(١) البيت في ديوان البحتري ١/١٦٨، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابة، وفي الديوان: «كي تهمي هواديهِ»، بدل: «هل تهمي هواديهِ». وأقوت الدار: خلت من ساكنيها. والمغاني: المنازل.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٧٣، مطلع قصيدة يعزي بها موسى بن عبد الملك عن ابنة له توفيت. والملثّ: المطر الذي يدوم أياماً. والودق: المطر. والرجّاس: السحاب الشديد الصوت. وأدراس: ممحوات، أي لا آثار لها.

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/١٨١، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الصقر. ولا يرمْ: بمعنى لا يبرح. ويجوده: يسقيه. والصبا: ريح.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/١٠٥، مطلع قصيدة يمدح بها المهتدي بالله. والوسمي: أول المطر في الربيع. والوطف: المتدلية الذيول، الواحدة وطفاء.

(٥) البيت في ديوان البحتري ١/٢١٤، مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر.

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

قال أبو تمام: [البسيط]

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِدْمَانِي عَلَى الدِّمَنِ وَحَمْلِيَ الشَّوْقَ مِنَ بَادٍ ومُكْتَتِمِ[(١)]

وهذا ابتداء صالح.

وقال أيضاً: [الخفيف]

مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ كَيْفَ والدَّمْعُ آيَةُ المَغْشُوقِ[(٢)]

هذا بيت رديء جدًّا، وقد ذكرتُ ما فيه في باب ما ذكرناه له في وسط الكلام في تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار، وهذا البيت ابتداء، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التي بعده؛ فجعلته في ذلك الباب.

وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الأصحاب غير هذين البيتين.

فأما البحتري فإنه تصرف في ابتداءاتٍ جيادٍ حسانٍ بارعةٍ حلوةٍ؛ فمن ذلك قولُه: [الكامل]

فِيمَ ابْتِدَارُكُمَا المَلاَمَ وَلُوعَا أَبَكَيْتُ إلاَّ دِمْنَةً وَرُبُوعَا[(٣)]

وهذا بيت حسن، وفيه سؤال، وهو أن يقال: إنما لاموه على بكائه على الدِّمْنَةِ والربوعِ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبكِ إلا دمنة وربوعاً؟ والجواب أنه أراد أبكيت إلا ما مِثْلُهُ يُبْكي؟ وقد تَقَدَّمني الناسُ فيه ولم يُنْكَرْ ذلك على أحد.

وقوله: [الطويل]

خُذَا مِنْ بُكَائِي فِي المَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْمِي بِهِنَّ أَوِ ارْبَعَا[(٤)]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٥، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسن علي بن مرّة. وأكبرت الأمر: عددته كبيراً واستعظمته. والإدمان: المداومة على الشيء. والدمن: أثار الديار. والبادي: الظاهر. والمكتمن: المختفي المستتر.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٠٢، مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف. ورواية صدر البيت في الديوان:

مـا عـهـدنـا كـذا بـكـاء الـمـشـوق

(٣) البيت في ديوان البحتري ١/٢٤٤، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف، وفيه: «فيما ابتداركم»، بدل: «فيم ابتداركما».

(٤) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٨٨، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. وأَرْبِعا: كفا عن لومي، وتوقفا عن الاستمرار عليه.

وهذا بيت جيد.

وقوله أيضاً: [الخفيف]

ذَاكَ وَادِي الأَرَاكِ فَاخْبِسْ قَلِيلاَ ... مُقْصِراً مِن مَلاَمَتِي أوْ مُطِيلاَ[١]

وهذا بيت جيد حسن، بارع اللفظ والمعنى، وقد ذكرته أيضاً في باب الوقوف على الديار.

وقوله: [الكامل]

أحْرَى الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيمَا ... قَوْلُ الْجَهُولِ: ألاَ تَكُونُ حَلِيمَا[٢]

وقوله: [الكامل]

مَا أنْتَ لِلكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبِ ... فَاذْهَبْ عَلَى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبِ[٣]

وقوله: [الكامل]

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأَصِيلِي ... وَسِوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُوِّ سَبِيلِي[٤]

وقوله: [الخفيف]

بَعْضَ هٰذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ ... لَيْسَ ذَمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ[٥]

ولهما في تأنيب العُذَّال في غير الوقوف على الديار ابتداءاتٌ ليس بضائرٍ ذِكْرُهَا ههنا.

فمن ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي ... وَلَيْسَ حَبِيبِي إنْ عَذَلْتُ بِمُضْجِبي[٦]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧٣، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي، ورواية عجز البيت فيه:

مقصراً من صبابةٍ أو مطيلا

(٢) البيت في ديوان البحتري ١/ ٢٧٠، مطلع قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل. وأحرى الخطوب: أحق الأمور وأجدرها.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٨٢، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب. والكَلِفُ: المحب الشديد الحب.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/ ١٧١، مطلع قصيدة يمدح بها إسماعيل بن نيبخت.

(٥) البيت في ديوان البحتري ٢/ ٢٧٨، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات.

(٦) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٠، مطلع قصيدة يمدح بها عياش بن لهيعة الحضرمي.

وقوله أيضاً: [الخفيف]

دَأَبُ عَيْنِي الْبُكَاءُ، وَالْحُزْنُ دَابِي ... فَاتْرُكِينِي - وُقِيتِ مَا بِي - لِمَا بِي[(١)]

وقوله أيضاً: [الكامل]

كُفِّي وغاكِ؛ فَإِنَّنِي لَكِ قَالِي ... لَيْسَتْ هَوَادِي عَزْمَتِي بِتَوَالِي[(٢)]

وقوله أيضاً: [الكامل]

لاَمَتْهُ لاَمَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا ... مِنْهَا خَلاَئِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا[(٣)]

وقوله أيضاً: [الطويل]

مَتَى كَانَ سَمْعِي خِلْسَةً لِلَّوَائِمِ ... وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلِينَ عَزَائِمِي[(٤)]

وقوله أيضاً: [الكامل]

قَدْكَ اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلَوَاءِ ... كَمْ تَعْذِلُونَ وَأَنْتُمُ سُجَرَائِي[(٥)]

وهذه كلها ابتداءَاتٌ صالحة، إلا هذا البيت الأخير؛ فإن الناس عابوه، وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه أن مما عيب من ابتداءات الطائي قوله: [الطويل]

* كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ[(٦)] *

وقوله: [الوافر]

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣٤٠، مطلع قصيدة يرثي بها أحمد بن هارون القرشي.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٣١، مطلع قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٩١، مطلع قصيدة يمدح بها جماعة من كتاب عبد الله بن طاهر.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٧٣، مطلع قصيدة يمدح بها أبا سعيد. وفي الديوان: «للعاذلات عزائمي»، بدل: «للعاذلين عزائمي».

(٥) البيت في ديوان أبي تمام ص١٤، مطلع قصيدة يمدح بها يحيى بن ثابت، وتقدم البيت مع تخريجه.

(٦) عجزه:

فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٥٥، مطلع قصيدة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي.

* خَشُنْتِ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ[(١)] *

فأما قوله «خشنت عليه» فهو لعمري من تجنيساته القبيحة، وعهدت مُجَّانَ البغداديين يقولون: قليل نورة يذهب بالخشونة، وأما قوله «كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر» فليس بمعيب عندي، وقد ذكرته في ابتداءات المراثي، وأخبرت بمعناه، وأما قوله «قدك اتئب أربيت في الغلواء» فإنها ألفاظ صحيحة فصيحة من ألفاظ العرب، مستعملة في نظمهم ونثرهم، وليست من متعسف ألفاظهم، ولا وحشيّ كلامهم، ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أنْ جَمعها في مصراع واحد، وجعلها ابتداء قصيدة، ولم يفرق بينها بفواصل فقال: «قَدْكَ اتَّئِبْ أربيت في الغلواء»؛ فصار قوله «قدك اتئب» كأنهما كلمة واحدة على وزن مُسْتَفعلن، وضَمَّ إليه «أربيت في الغُلَوَاء» فاسْتُهْجنت، ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكروه؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامَه المنثورَ الذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا حَسْبُك اسْتَحِ زِدْتَ وَغَلَوْتَ، وهذا كلام حسن بارع.

قال: فمن شأن الشاعر الْحَضَرِي أن يأتي في شعره بالألفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة؛ فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهلُ الحضرِ فمن سبيله أن يَحْمله من المستعمل في كلام أهل البَدْوِ دون الوَحْشِيّ الذي يقلّ استعمالهم إياه، وأن يجعله متفرقاً في تضاعيف ألفاظه، ويضعه في مواضعه؛ فيكون قد اتسع مَجَالُه بالاستعانة به، ودلَّ على فصاحته وعلمه، وتخلّص من الهُجْنة، كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشيّ الذي يقل استعماله إياه في منثور كلامه وما يَجْرِي دائماً في عادته هَجَّنه وقَبَّحه، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين، ويقلل، ولا يستكثر؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه بَايَنَه ونَافَرَه وأظهر قبحه.

وقد تَصَرّف البحتري في هذا الباب أَحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه؛ فمن ذلك قوله: [البسيط]

---

(١) عجزه:

وأنجحُ فيكِ قولُ العاذلينِ

والبيت في ديوان أبي تمام ص٣٠٣، مطلع قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم ويذكر إيقاعه بالمحمرة وأصحاب بابك، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكل من جاء قتل وجزت أذنه حتى وجه إلى المعتصم بستين ألف أذن.

أتَـارِكِـي أنْـتَ أمْ مُـغْـرًى بِـتَـعْـذِيـبِـي وَلاَئِـمِـي فِـي هَـوًى إنْ كـانَ يُـزْرِي بِـي[١]

وقوله أيضاً: [البسيط]

يُـفَـنِّـدُونَ وَهُـمْ أدْنَـى إلَـى الـفَـنَـدِ وَيُـرْشِـدُونَ وَمَـا الـعُـذَّالُ فِـي رَشَـدِ[٢]

وقوله أيضاً: [الخفيف]

إنـمَـا الـغَـيُّ أنْ يـكُـونَ رَشِـيـدَا فَـانْـقُـصَـا مِـنْ مَـلامِـهِ أوْ فَـزِيـدَا[٣]

وقوله أيضاً: [الطويل]

أَلَـمْ يَـكُ فـي وَجْـدِي وَبَـرْحِ تَـلَـدُّدِي نِـهَـايَـةُ نَـهْـيٍ لِـلْـعَـذُولِ الْـمُـفَـنِّـدِ[٤]

وقوله أيضاً: [الكامل]

مَـرَنَـتْ مَـسَـامِـعُـهُ عَـلـى الـتَّـفْـنِـيـدِ فَـعَـصَـى الْـمَـلاَمَ لأعْـيُـنٍ وَخُـدُودِ[٥]

وقوله أيضاً: [الكامل]

شُـغْـلاَنِ مِـنْ عَـذْلٍ وَمِـنْ تَـفْـنِـيـدِ وَرَسِـيـس حُـبٍّ طـارِفٍ وَتَـلِـيـدِ[٦]

وقوله أيضاً: [الخفيف]

أَقْـصِـرَا لَـيْـسَ شَـأْنِـيَ الإكْـثَـارُ وَأَقِـلاَّ لَـنْ يُـغْـنِـيَ الإكْـثَـارُ[٧]

وقوله أيضاً: [الرمل]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٣٠٨، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي.
(٢) البيت في ديوان البحتري ١/١١٠، مطلع قصيدة يمدح بها أبا صالح. ورواية عجز البيت في الديوان:

ويـرشـدون مـا الـتـعـذال مـن رشـدي

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٤٩، مطلع قصيدة في الفخر.
(٤) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.
(٥) انظر الحاشية السابقة.
(٦) البيت في ديوان البحتري ١/١٠، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله. والعذل: الملامة. ورسيس حب: أثره الباقي. والطارف: الحديث من المال. والتليد: القديم من المال.
(٧) البيت في ديوان البحتري ١/١٠٢، مطلع قصيدة يمدح بها المهتدي بالله، ورواية البيت في الديوان:

أقـصـرا إنّ شـأنـي الإقـصـارُ وأقـلاً لَـن يـغـنـي الإكـثـارُ

قُـلْـتُ لِـلاّئِـم فِـي الْـحُـبِّ أَفِـقْ　　　لا تُـهَـوِّنْ طَـعْـمَ شـيءٍ لَـمْ تَـذُقْ[١]

وقوله أيضاً: [الطويل]

أَمَا كـانَ فـي تـلـكَ الـدُّمُـوعِ الـسـوائـل　　　بَـيَـانٌ لِـنَـاءٍ أوْ جَـوابٌ لِـسَـائـلِ[٢]

وقوله أيضاً: [الكامل]

أكْـثَـرْتَ فـي لَـوْمِ الْـمُـحِـبِّ فـأَقْـلِـلِ　　　وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ[٣]

وقوله أيضاً: [الوافر]

رُوَيْـدَكَ إنَّ شَـأْنَـكَ غـيـرُ شَـانِـي　　　وَقَـصْـرَكَ لَـسْـتُ طـاعَـةَ مَـنْ نَـهَـانِـي[٤]

وقوله أيضاً: [البسيط]

يَـكـادُ عـاذِلُـنَـا فـي الْـحُـبِّ يُـغْـرِيـنَـا　　　فـمَـا لَـجَـاجُـكَ فـي لَـوْمِ الْـمُـحِـبِّـينـا[٥]

وقوله أيضاً: [الوافر]

عَـذِيـرِي فِـيـكِ مِـنْ لاَحٍ إذا مَـا　　　شـكَـوْتُ الْـحُـبَّ قَـطَّـعَـنِـي مـلامَـا[٦]

وقوله أيضاً: [الكامل]

طَـفِـقَـتْ تَـلُـومُ وَلاتَ حِـيـنَ مَـلامِـه　　　لا عِـنْـدَ كَـرَّتِـه وَلا إحْـجَـامِـهِ[٧]

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١/٣٠٣، مطلع قصيدة يمدح بها صاعداً، ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح.

(٢) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية)، مطلع قصيدة.

(٣) البيت في ديوان البحتري ٢/٣٦٢، مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن صالح الهاشمي.

(٤) البيت في ديوان البحتري ١/١٣٩، مطلع قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوي. ورويدك: اسم فعل بمعنى أمهل. وقصرك: معناه أقصر.

(٥) البيت ليس في ديوان البحتري (طبعة دار الكتب العلمية)، وهو في ديوانه (الموسوعة الشعرية) مطلع قصيدة.

(٦) البيت في ديوان البحتري ١/٣١، مطلع قصيدة يمدح بها المتوكل على الله. وفي الديوان: «حرّقني ملاما»، بدل: «قطّعني ملاما». واللاحي: اللائم.

(٧) البيت في ديوان البحتري ٢/٣١، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الرحمٰن الحراني، ويصف فرساً. ولات حين ملامه: أي ليس الوقت وقت لومك إياه. والكرّة: الإقدام. والإحجام: التأخر عن الشيء والنكوص عنه.

ولا خفاء بفضل البحتري أيضاً على أبي تمام في هذا الباب، وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار، وأنا الآن أذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام.

* * *

ما قالاهُ في أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام: [الكامل]

طَلَلَ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا ... وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدَا
دِمَنٌ كَأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً ... دَيْناً لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا
قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى ... وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدَا
خَضِلاً إذا الْعَبَرَاتُ لَمْ تَبرحْ لَهَا ... وَطناً سَرَى قَلِقَ الْمَحَلِّ طَرِيدا[(١)]

وقوله «وكفى على رزئي بذاك شهيدا» ليس بالجيد، وقد ذكرت معناه فيما تقدم من ذكر معانيه في باب الابتداءات عند ذكر البيت، وقوله «قربت نازحة القلوب من الجوى» يريد القلوب التي بَعُد عهدها بمرض الحب فأدْنَيْتَهَا من ذلك عند الوقوف عليك، يخاطب الطلل والدمن، وقوله «وتركت شأو الدمع فيك بعيداً» أي: دائماً طويلاً، وقوله «خضلا إذا العبرات لم تبرح لها وطناً سَرَى قلق المحل طريداً» أي: مَنْ كان إنما يبكي في وطنه على الحوادث التي تحدُث عليه فيه سَرَى هذا الدمعُ قلق المحل طريداً، أي أعتسف المسير لطوله حتى يحل بهذه المدن، وهذا نحو من قوله: [البسيط]

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ ... دَمْعٍ عَلَى وَطَنٍ لي في سِوَى وَطَنِي[(٢)]

فقوله «على وطن» يعني الرسوم والطلول التي يقف عليها، وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه، وغرضُه فيما وصف من الدمع غرضٌ حسن، وأحسن منه وألطف وأغرب قولُه: [البسيط]

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص٨٧، أوائل قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني. وتقدم البيت الأول مع تخريجه.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٥، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسن علي بن مرّة. وفي الديوان: «أوقد من دمعٍ»، بدل: «أبرد من دمع».

أَمَّـا الـرسُـومُ فَـقَـدْ أذكَـرْنَ مـا سـلَـفـا   فَـلاَ تـكُـفَّـنَّ عـنْ شـانـيـكَ أوْ يـكِـفَـا
لا عُـذْرَ لـلـصَّـبِّ أَنْ يَـقْـنِـي الـسلـوَّ وَلا   لِـلـدَّمْـعِ بَـعْـدَ مُـضـيِّ الـحَـيِّ أَنْ يَـقِـفَـا
حَـتـى يَـظَـلَّ بِـمَـاءٍ سَـافِـحٍ وَدَمٍ   في الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَذْرُ عِفَا[(١)]

وهذا المعنى ليس له، وإنما أخذه من قول أبي وَجْزَة السعديّ: [الطويل]

عُـيُـونٌ تَـرَامَـى بـالـرِّعَـافِ كـأنـهـا   مِـنَ الـشـوْقِ صِـرْدَانٌ تَـدِبُّ وَتَـلْـمَـعُ[(٢)]

قيل في تفسيره: شبه الدمع وقد عَصْفَره الدمُ بالرعاف، وشَبَّه العيون ـ وهي تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى ـ بالصردان تَنْتفض تارة وتظهر قريباً من الأرض تارة، وبيت أبي تمام أجود لفظاً ونظماً، ولا أظن البحتري ذهب إلى مثل هذا المعنى، ولا للمعنى الذي قبله في وصف الدمع، ولكنه يعتذرُ مرةً بقِلَّة دمعه، ومرة يذكر كثرته ويفتخر بغزره، وفي كل ذلك يُحْسِنُ ويجيد؛ فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها: [الكامل]

فِـيـمَ ابْـتِـدَارُكُـمـا الْـمَـلاَمَ وَلُـوعَـا   أَبَـكَـيْـتُ إلاّ دِمْـنَـةً وَرُبُـوعَـا
يَـا دَارُ غَـيَّـرَهـا الـزَّمَـانُ وَفَـرَّقَـتْ   أَيْـدِي الْـحَـوَادِثِ شَـمْـلَـهـا الـمـجـمُـوعَـا
لَـوْ كـانَ لـي دَمْـعٌ يـحـسـن لـوْعَـتِـي   خَـلَّـيْـتُـهُ فـي عَـرْصَـتَـيْـكِ خَـلِـيـعَـا
لا تَـخْـطُـبِـي دَمْـعِـي إلـيَّ؛ فَـلَـمْ يَـدَعْ   فـي مُـقْـلَـتَـيَّ جَـوَى الْـفِـرَاقِ دُمُـوعـا[(٣)]

قوله في ابتداء القصيدة «أَبَكَيْتُ إلا دمنةً وربوعا» قد أخبر أنه بكى ثم قال «لو كان لي دمع يحسن لوعتي» أي: لو كان لي دمع غزير يليق بلوعتي ويُنبىء عنها، وكذلك قوله «فلم يدع في مقلتيّ جوى الفراق دموعا» أي: دموعاً كافية أرضاها، أو دموعاً تشفيني؛ لأنه استقلّ دَمعه واستَنزَره، أو أن يكون انقطع دمعه وفَنِيَ، ولله در كُثَيِّر إذ يقول: [الطويل]

وَقَـضَّـيْـنَ مَـا قَـضَّـيْـنَ ثـمَّ تَـرَكْـنَـنِـي   بِـفَـيْـفـا خُـرَيْـم وَاقِـفـاً أَتَـلَـدَّدُ
وَلَـمْ أَرَ مِـثْـلَ الْـعَـيْـنِ ضَـنَّـتْ بـمـائِـهـا   عَـليَّ، ولا مِثْلي عَلى الدَّمْعِ يُحْسَدُ[(٤)]

---

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص١٨٩، أوائل قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، وتقدم البيت الأول مع تخريجه.
(٢) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٣) الأبيات في ديوان البحتري ١/ ٢٤٤، وتقدم البيت الأول مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.
(٤) البيتان في ديوان كثير عزة ص٤٣٨، وتقدم البيت الأول مع تخريجه، انظر فهرس الأشعار.

وقال أبو تمام: [الكامل]

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيساً ... تَقْرِي ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا
وَلئن حُبِسْتَ عَلى الْبِلَى لقدِ اغْتَدَى ... دَمْعِي عَلَيْكَ إلى المَماتِ حَبِيسَا
وأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشاتٍ بَعْدَما ... قَدْ كُنْتَ مألوفَ المَحَلِّ أنيسا
وَبَلاقِعاً حَتى كأنَّ قَطِينَهَا ... حَلَفُوا يَمِيناً أخلفتكَ غَمُوسا[1]

وهذا كلام رَصِينٌ، وقوله «حلفوا يميناً أخلفتك» أي: كأنهم حلفوا يميناً ألاَّ يعودوا إليك، فأخلفتك هذه اليمين.

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه في البكاء على الديار قولُه: [الكامل]

دِمَنٌ لَوَتْ عَزْمَ الْفُؤادِ وَمُزِّقَتْ ... فيها دُمُوعُ الْعَينِ كلَّ مُمَزَّقِ[2]

وقال أيضاً: [الوافر]

سَقَى عَهْدَ الْحِمىٰ سَبَلُ الْعِهَادِ ... وَرَوَّضَ حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِي
نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ إني ... رَأيتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ[3]

وهذا البيت في غاية الجودة لفظُه ومعناه إلا أنه وَصَله بكلام غليظ، فقال: [الوافر]

فَيَا حُسْنَ الرسُوم وَمَا تَمَشَّى ... إلَيْهَا الدَّهْرُ في صُوَرِ البِعَادِ[4]

وهذا بيت في غاية الرداءة والسخافة لفظه ومعناه، يريد فيا حسن السوم ولم يمشِ إليها الدهر: أي لم يُصِبها الدهرُ ببعد أهلها عنها، فأخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن.

ومن إحسان أبي عُبادة المشهور في هذا قولُه: [الكامل]

أَمَحِلَّتَيْ سَلْمَى بِكاظِمةَ اسْلَما ... وَتَعَلَّما أنَّ الهَوَى مَا هِجْتُمَا
هَلْ تُرْوِيَانِ مِنَ الأحِبَّةِ هَائِماً ... أوْ تُسْعِدَانِ عَلى الصَّبابةِ مُغْرَمَا

---

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص١٦٤، وتقدم البيت الأول مع تخريجه. انظر فهرس الأشعار.
(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص١٩٨، ثاني بيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب؛ ويصف فرساً حمله عليه.
(٣) البيتان في ديوان أبي تمام ص٧٩، وتقدم البيت الأول مع تخريجه.
(٤) انظر الحاشية السابقة.

أبكيكما دمعاً ولو أني على ... قدر الجوى أبكي بكيتكما دما[1]

ومن جيد شعر أبي تمام أيضاً في هذا الباب قوله: [الوافر]

أَرَامَةُ كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمِ ... لَوِ اسْتَمْتَعْتِ بِالأُنْسِ الْقَدِيمِ
أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصَابِي ... إِلَيَّ فَصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ
لَئِنْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ السَّوَافِي ... لَقَدْ أَصْبَحْتِ مَيْدَانَ الْهُمُومِ
ومِمَّا ضَرَّمَ الْبُرَحَاءَ أَنِّي ... شَكَوْتُ وَمَا شَكَوْتُ إِلى رَحِيمِ
أظُنُّ الدَّمْعَ فِي خَدِّي سَيُبْقِي ... رُسُوماً مِنْ بُكَائي فِي الرُّسُومِ[2]

وهذا من أسهل كلامه وأسلس نظمه، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة، وقوله «فصرتِ جنات النعيم» معنًى حسنٌ، ولكن فيه إسراف أن يجعل داراً خلَتْ من أهلها وسماها دارَ بؤس وهو بَاكٍ فيها جناتِ النعيم.

وقد أتى البحتريُّ بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام، ولكنه جاء به على سبيل اقتصادٍ واعتدالٍ، واجتنب إفراطه، فقال: [الخفيف]

يَا مَغَانِي الأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومَا ... وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُومَا
أَلِفَ الْبُؤْسِ عَرْصَتَيْكِ وَقَدْ كُنْـ ... ـتِ بِعَيْنَيَّ جَنَّةً وَنَعِيمَا[3]

فقال «ألف البؤسُ عرصتيك» ثم قال «وقد كنت بعيني جنة ونعيما» فجعلها جنة ونعيماً فيما مضى، ومع هذا فإني أقول: إن بيت أبي تمام أحسن، وهو في سائر أبياته أشعر.

وقال البحتري: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ ... بِرَيَّا سُعَادٍ وَهْيَ طَيِّبَةُ الْعَرْفِ
بَكَيْنَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَازِجُهُ دَمٌ ... هُنَاكَ، وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفِ[4]

---

(١) الأبيات في ديوان البحتري ٢١٨/١، وتقدم البيت الأول مع تخريجه.

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ص٢٧١، وتقدم البيت الأول مع تخريجه. وفي الديوان: «بالأنس المقيم»، بدل: «بالأنس القديم».

(٣) البيتان في ديوان البحتري ٢٥٩/١، أول قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل. والمغاني: المنازل. والرسوم: البقية من الأثر.

(٤) البيتان في ديوان البحتري ٤٠/٢، من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي، ويعاتبه. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

لعمر الرسوم الدارسات لقد غدت

وهذا حسَنٌ جداً، وإنما أخذ قوله «بريًّا سعاد وهي طيبة العَرْفِ» من قول الآخر، أنشده الأخفش عن المبرد: [المنسرح]

وَٱسْتُودِعَتْ نَشْرَهَا الدِّيَارُ؛ فَمَا ... تَزْدَادُ إلاَّ طِيباً على القِدَمِ(١)

وهذا أجْوَدُ من بيت البحتري؛ لما فيه من الزيادة الحسنة، وهي قوله «فما تزداد إلا طيباً على القدم».

وقال البحتري: [الطويل]

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِي عُقْبَةً مِنْ هَزِيعِهِ ... أو الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِن صَدِيعِهِ

أو المَنْزِلَ العَافي يَرُدُّ أَنِيسَهُ ... بُكَاءٌ على أطْلاَلِهِ وَرُبُوعِهِ

إذا ٱرْتَفَقَ المُشْتَاقُ كانَ سُهَادُهُ ... أَحَقَّ بِجَفْنَيْ عَينِهِ مِنْ هُجُوعِهِ(٢)

وهذا لفظ فَحْلٌ، ومعان في غاية الصحة والاستقامة.

وللبحتري في وصف الديار والبكاء عليها مذهب آخر، وهو حسنٌ جداً، ومن ذلك قوله: [الخفيف]

أَبُكَاءً في الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ؟ ... وَسُلُواً بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ؟

لا هنَاكَ الشُّغْلُ الجديدُ بِحَزْوَى ... عَنْ رُسُومٍ بِرَامَتَيْنِ قِفَارِ

ما ظَنَنْتُ الأهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى ... منص دورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ

نَظْرَةٌ رَدَّتِ الهَوى الشَّرْقَ غَرْباً ... وَأَمَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الجَوَارِي(٣)

وهذا غرض حُلْو، ومعنى لطيف، ومثله قوله، ولكن ليس فيه ذكر البكاء: [الطويل]

أَبِيتُ بِأَعْلَى الحَزْنِ والرَّمْلُ دُونَهُ ... مَغَانٍ لها مَجْفُوَّةٌ وَطُلُولُ

وقد كُنْتُ أرْجُو الرِّيحَ غَرْباً مَهَبُّها ... فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهْيَ قَبُولُ(٤)

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) الأبيات في ديوان البحتري ١/ ٣٥١، أوائل قصيدة يمدح بها محمد بن طاهر.

(٣) الأبيات في ديوان البحتري ٢/ ٤٣، أوائل قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً، وتقدم البيت الأول مع تخريجه.

(٤) البيتان في ديوان البحتري ١/ ٣٢٤، ثاني وثالث قصيدة يمدح بها حمولة. ورواية صدر البيت الأول في الديوان:

أبيت بأعلى الحزن والرمل عنده

ورواية صدر البيت الثاني في الديوان:

وقد كنت أهوى الريح غرباً مآبها

وذلك لأن القَبول هي الصَّبَا، ومهبها من مطلع الشمس، ونحوُه قولُه: [الرمل]

كَلفَتْنِي أرْيَحِيَّاتُ الصِّبَا طَلَقاً في الحبِّ مُمْتَدَّ الرَّسَنْ
نَقَلَتْنِي في هَوًى بَعْدَ هَوًى وَابْتَغَتْ لِي سَكَناً بعدَ سَكَنْ[1]

وقولُه: [الخفيف]

ما ظَنَنْتُ الأهْوَاءَ بَعْدَكَ تُمْحَى من صُدُورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيَارِ[2]

معنًى حسنٌ، وإنما أخذه من قول أبي تمام: [الكامل]

زَعَمَتْ هَوَاكَ عَفَا الغَدَاةَ كما عَفَتْ منها طُلُولٌ باللِّوَى وَرُسُومُ[3]

وبيت البحتري أحلى وأبرع.

وقال البحتري في وجه آخر، وهو أيضاً حسن لطيف: [الكامل]

في كلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقْوِي، وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَأَبَّدُ
أَوَمَا كَفَانَا أنْ بَكَيْنَا غربا حَتَّى شَجَتْنَا بالمَنَازِلِ تَهْمَدُ[4]

ومثله قولُه: [الطويل]

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفاً على كلِّ دِمْنَةٍ تُعَرِّجُ فيها أو خَلِيطٍ تُزَايِلُهْ
تَرَادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمانِ وَلِينُهُ وَجَادَهُمُ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهْ[5]

وإنما حذا البحتريُّ هذا المعنى على حَذْوِ قول كثير: [الطويل]

وكُنْتُ امرأً بالغَوْر مني صريمة وأُخْرَى بنَجْدٍ، ما تُعيدُ وما تُبْدِي
فَطَوْراً أكر الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ وطَوْراً أكر الطَّرْفَ كَرًّا إلى نَجْدِ

---

(١) البيتان في ديوان البحتري ٢/٢٠٢، من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي. وفي الديوان: «ممتدّ السنن»، بدل: «ممتدّ الرسن».

(٢) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص٢٨٢، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة.

(٤) البيتان في ديوان البحتري ٢/٢٧٦، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب ابن أخت أبي الوزير.

(٥) البيتان في ديوان البحتري ١/٥٢، من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، وفي الديوان: «هو الدمع موقوفٌ»، بدل: «هو الدمع موقوفاً» ورواية صدر البيت الثاني في الديوان:

ترادفهم خفض النعيم ولينُهُ

وأبـكـي إذا فَـارَقْـتُ هِـنْـداً صَـبَـابَـةً   وأبـكـي إذا فـارَقْـتُ دَعْـداً عـلـى دَعْـدِ(١)

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته، ومثله قول جرير: [الوافر]

أخَـالِـدَ قـد عَـلِـقْـتُـكِ بَـعْـدَ هِـنْـدٍ   فَـشَـيَّـبَـنِـي الْـخَـوَالِـدُ والـهُـنُـودُ
هَـوًى بِـتِـهَـامَـةٍ وَهَـوًى بِـنَـجْـدٍ   فَـقَـتَّـلْـنِـي الـتَّـهَـائِـمُ وَالـنُّـجُـودُ(٢)

وقال جرير في نحو هذا: [الطويل]

إلـى الـلّـهِ أَشْـكُـو أنَّ بـالْـغَـوْرِ حَـاجَـةً   وأُخْـرَى إذا أبْـصَـرْتُ نَـجْـداً بَـدَا لِـيَـا(٣)

ومثله قوله أيضاً: [الطويل]

أُحِـبُّ ثَـرَى نَـجْـدٍ، وَبـالْـغَـوْرِ حَـاجـةٌ   فَـغَـارَ الـهـوَى يـا عَـبْـدَ قَـيْـسٍ وَأَنْـجَـدَا(٤)

* * *

وهذا باب في وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام: [الوافر]

قِـفُـوا نُـعْـطِـي الـمَـنَـازِلَ مِـنْ عُـيُـونٍ   لَـهَـا فِـي الـشَّـوْقِ أَحْـسَـاءٌ غِـزَارُ
عَـفَـتْ آيَـاتُـهُـنَّ، وأيُّ رَبْـعٍ   يَـكُـونُ لَـهُ عَـلَـى الـزَّمَـنِ الـخِـيَـارُ؟
أثَـافٍ كـالـخُـدُودِ لُـطِـمْـنَ حُـزْنـاً   ونُـؤْيٌ مِـثْـلُ مـا انْـفَـصَـمَ الـسِّـوَارُ(٥)

قوله «أحساء» جمع حِسْي، وهو الماء يغيض في الرمل، فإذا وصل إلى الصلابة وقف؛ فيحفر عنه ويشرب، وقد قال في موضع آخر: [الطويل]

* وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ ماءَهُ الوَجْدُ(٦) *

---

(١) البيت الأول بلا نسبة في لسان العرب (عود)، وتاج العروس (عود).

(٢) البيتان في ديوان جرير ص٣١٨، والبيت الأول في شرح شواهد الإيضاح ص٢٩٣، والكتاب ٣/٣٩٨، ولسان العرب (هند)، وبلا نسبة في المقتضب ٢/٢٢٣، والمنصف ٢/٣١٤.

(٣) البيت في ديوان جرير ص٧٧.

(٤) البيت في ديوان جرير ص٨٤٨.

(٥) الأبيات في ديوان أبي تمام ص١٣٣، من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة، وفي الديوان: «أنواءٌ غزارُ»، بدل: «أحساءٌ غزارُ»، وتقدم البيت الثالث مع تخريجه.

(٦) صدره:

تـجـرّع أسًـى قـد أقـفـر الـجَـرَعُ الـفـردُ

والبيت في ديوان أبي تمام ص١١٤، مطلع قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة.

وقوله «أثافٍ كالخدود لطمن حزناً» من قول المرار الفقعسيّ: [أحذّ الكامل]

أَثَـرُ الـوَقُـودِ عـلـى جَـوَانِـبِـهَـا بِـخُـدُودِهِـنَّ كَـأَنَّـهُ لَـطْـمُ[١]

وقال البحتري: [الخفيف]

عِـوَضٌ مِـنـهُـمُ خَـسِـيـسٌ ـ وَقَـدْ حَلّـوا اللِّوَى ـ مَـنْـزِلٌ بِـوَجْـرَةَ عَـافِـي
لَـمْ تَـدَعْ مِـنْـهُ مُـبْـلِـيَـاتُ الـلـيـالـي غـيـرَ نُـؤْيٍ تَـسْـفِـي عـلـيـهِ السَّـوَافِـي
وَأَثَـافٍ أَتَـتْ لَـهَـا حِـجَـجٌ دُو نَ لَـظَـى الـنَّـارِ مُـثَّـلٌ كـالأَثَـافِـي[٢]

وقوله «مُثل» أي قائمة ثابتة «كالأثافي» يريد الكواكبَ التي عند الفرقدين وهي ثلاثة، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافي، فشبّه البحتري الأثافيّ بها لثبوتها وأنها مُثلٌ على مرّ الدهر؛ قال أبو حنيفة الدينوري في كتابه في الأنواء: إن في تثليثها طُولاً، ولو شبهها البحتري بالنّسر الواقع ـ لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً ـ لكان ذلك أحْسَنَ وألْيَقَ وأكْشَفَ للمعنى من أن يشبهها بشيء إنما استعير له اسمها، وليس يعرفه كل أحد، ولكنه جاء به من أجل القافية، وقال البحتري: [الطويل]

لَـهَـا مـنـزِلٌ بـيـنَ الـدَّخـولِ فَـتُـوضِـحِ مَـتَـى تَـرَهُ عَـيْـنُ الـمُـتَـيَّـمِ تَـسْـفَـحِ
عَـفَـا غَـيْـرَ نُـؤْيٍ دَارِسٍ فـي فِـنَـائِـهِ ثَـلاَثُ أَثَـافٍ كَـالـحَـمَـائـمِ جُـنَّـحِ[٣]

وهذا جيد حسن وعلى منهج الشعراء، وأظنه أخذه من قول عدي بن زيد: [الرمل]

وَثَـلاَثٌ كَـالْـحَـمَـامَـاتِ بِـهَـا بَـيْـنَ مَـجْـثَـاهُـنَّ تَـوْشِـيـعُ الْـحُـمَـمْ[٤]

قال ابن الأعرابي: لا يكون «مجثاهن»، إنما هو «مجراهن».

أو من قول أبي نُوَاس: [الطويل]

كـمـا اقْـتَـرَنـت عـنـد الـمَـبِـيـتِ حـمـائـم بَـعِـيـدَاتُ مُـمْـسَـى مَـا لَـهُـنَّ وُكُـونُ[٥]

---

(١) البيت في ديوان المرار بن سعيد الفقعسي ص٤٨١، وكتاب الجيم ٣/ ١٩٩، ورواية البيت في الديوان:
أثـر الـوقـودِ عـلـى تـقـادم عَـهْـدِهِ بـخـدودهـنّ كـأنّـه الـلَّـطْـمُ
(٢) الأبيات في ديوان البحتري ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧، من قصيدة يمدح بها أحمد بن علي الإسكافي.
(٣) البيتان في ديوان البحتري ٢/ ٢٢٠، أول قصيدة يمدح بها المعتز بالله.
(٤) البيت في ديوان عدي بن زيد ص٧٥.
(٥) البيت في ديوان أبي نواس، ثاني بيت من قصيدة مطلعها:
لـمـن طـلـلٌ عـاري الـمـحـلّ دفـيـنُ عـفـا آيـه إلاّ خـوالـد جـونُ

وهذا أجود من بيت عدي ومن بيت البحتري.

وقد شبَّه الأثافيَّ بالحمائم غيرُ واحدٍ من الشعراء، والبديعُ النادر في وصف الأثافي قولُ كُثَيِّر: [الكامل]

أَمِنَ آلِ قَيْلَةَ بالدَّخُولِ رُسُومُ ... وبِحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ؟
لَعِبَ الزَّمانُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَّهُ ... جُونٌ عَوَاكِفُ في الرَّمَادِ جُثُومُ
سُفْعُ الخُدُودِ كأنهُنَّ ـ وقد مَضَتْ ... حِجَجٌ ـ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ[1]

قوله «فأجدَّه جُونٌ عَوَاكف» يعني الأثافي؛ لأن الريح لما كشفت عنها فظهرت سوداء، شبَّهها بالعوائد، والجَوْن: الأسود، والجوْن: الأبيض، وهو من الأسماء المتضادة، قال الأصمعي: يقال: غابَتِ الجونة، وطلعت الغزالة، يعني مغيب الشمس وطلوعها، وهما اسمان من أسماء الشمس، وإنما سميت الشمس جونة عند الغروب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد.

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ: [الطويل]

عَلَى أَنَّ سَخْقاً مِنْ رَمَادٍ كأَنَّهُ ... حَصَى إثْمِدٍ بَيْنَ الصَّلاَء سَحِيقُ[2]

وقال أبو سعيد المخزومي: [الرجز]

يَبْكِي ثَلاَثاً كالحَمَامِ رُكَّدَا ... تَسْفِي بِهَا الرِّيحُ رَمَاداً أَرْمَدَا
* كأَنَّمَا يَطْحَنُ فِيهَا إثْمِدَا[3] *

وقال بشار بن برد: [الطويل]

ومَسْجِدِ شَيْخٍ كُنْتُ في زَمَنِ الصِّبَا ... أُحَيِّيهِ أَحْيَاناً وفيهِ نُكُوبُ
غَدَا بِثَلاَثٍ ما يَنَامُ رَقِيبُهَا ... وَأَبْقَى ثَلاثاً ما لَهُنَّ رَقِيبُ[4]

---

(١) الأبيات في ديوان كثير عزة ص٢٠٥. وأمالي المرتضى ٣/ ١٢٢.

(٢) البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي ص٤١، ولسان العرب (رجع)، وكتاب العين ١/ ٢٢٦، ورواية صدر البيت في الديوان:

ردذنَ رجيع الفرث حتى كأنه

(٣) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيتان في ديوان بشار بن برد ص٢٢ (طبعة دار الثقافة).

«غدا» يريد الشيخ «غدا بثلاث» أي بثلاث نسوة «ما ينام رقيبها» يعني الشيخ أنه ما ينام عن رقبتها «وأبقى ثلاثاً» يعني الأثافيَّ.

وأخذ أبو تمام قوله «ونؤي مثل ما انْفَصَمَ السِّوَارُ» من قول آخر: [الكامل]

نُـؤي كـمـا نَـقَـصَ الـهِـلاَلَ مـحـاقُـهُ أَوْ مِـثْـلُ مـا فَـصَـمَ الـسِّـوَارَ الـمِـعْـصَـمُ(١)

وهذا العجز ما لحسنه نهاية. وقال كُثَيِّر: [الطويل]

عَـرَفْـتُ لِـسُـعْـدَى بَـعْـدَ عِـشْـرِيـنَ حِـجَّـةً بِـمَـا دَرَسَ نُـؤْيٌ فـي الـمـحـلَّـةِ مُـنْـحَـنِ(٢)

قَـدِيـمٌ كَـوَقْـفِ الـعَـاجِ، ثَـبْـتٌ جِـوَاؤُهُ مُـغَـادِرُ أَوْتَـادٍ بِـرَضْـمٍ مُـوَضَّـنِ

قوله «منحن» مستدير. والوقفُ: السِّوَار من الذبل ومن العاج. والرضم: صخور عظام. والرضم ـ أيضاً ـ هضاب صغار. والموضن: هو الذي بعضه فوق بعض. يقول: ضربت الأوتاد بحجارة الرضمة.

وما أحسن قول بشار: [الطويل]

ونـؤى كـخَـلْـخَـالِ الـفَـتَـاةِ وَصَـائـم أَشَـجُّ عَـلَـى رَيْـبِ الـزَّمَـانِ رَقُـوبُ(٣)

الصائم الأشجُّ يعني الوَتِدَ، والصائم القائم... قال النابغة: [البسيط]

خَـيْـلٌ صِـيَـامٌ، وَخَـيْـلٌ غَـيْـرُ صَـائِـمَـةٍ تَحْتَ العَجَاجِ، وَخَيْلٌ تَعْلُك اللُّجُمَا(٤)

فجعله رقوباً لانفراده، على الاستعارة. والمرأة الرقوبُ والشيخ الرقوبُ: الذي لا يعيش له ولد، والذي لا وَلَدَ له فهو ينتظره. والمستعمل في الرقبة أن يقال: رَقِيبٌ، ورَاقِبٌ. وأظنه ذهب إلى توكيد الفعل، مثل قولهم «ضارب» فإذا وَكَّدُوا قالوا «ضَرُوبٌ». وكذلك «شارِبٌ وشَرُوبٌ، وآكِلٌ وأَكُولٌ» أي كثير الأكل والشرب. وقال أبو تمام: [الكامل]

---

(١) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) البيتان في ديوان كثير عزة ص٢٤٩.

(٣) البيت في ديوان بشار بن برد ص٢٠ (طبعة دار الثقافة).

(٤) البيت في ملحق ديوان النابغة الذبياني ص٢٤٠، ولسان العرب (علك)، (صوم)، وتهذيب اللغة ١/٣١٣، ١٢/٢٥٩، وجمهرة اللغة ص٨٩٩، وكتاب العين ١/٢٠٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٢٣، ٤/١٣٢، ومجمل اللغة ٣/٢٥١، والمخصص ١٣/٩٠، والمعاني الكبير ص٩١٥، والكامل ص٩٩٢، وتاج العروس (علك)، (صوم).

وَالنُّؤْيُ أُهْمِدَ شَطْرُهُ فَكَأَنَّهُ ... تَحْتَ الحَوَادِثِ حَاجِبٌ مَقْرُونُ(١)

وهذا أيضاً في وصف النؤى حَسَنٌ، ولست أعرف للبحتري في مثل هذا شيئاً إلا ما لا يشتبه فيه، وهو قوله: [الكامل]

آثَارُ نُؤْيٍ بِالْفِنَاءِ مُثَلَّمٍ ... وَرِمَامُ أَشْعَثَ بِالْعَرَاءِ مُشَجَّجِ(٢)

وهذا على مذاهب الناس. وقال النابغة: [الطويل]

رَمَادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ مَا إنْ تُبِينُهُ ... وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خاشِعُ(٣)

ووصل البحتري بيته بأن قال: [الكامل]

دِمَنٌ كَمِثْلِ طَرَائِقِ ٱلْوَشْيِ ٱنْجَلَتْ ... لَمَعَاتُهُنَّ مِنَ الرِّدَاءِ المُنْهَجِ
يَضْعُفْنَ عَنْ إذْكَارِنَا عَهْدَ الصِّبَا ... أَوْ أَنْ يُهِجْنَ صَبَابَةً لم تَهْتَجِ
وَلَرُبَّ عَيْشٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... عَنْ طُرَّتَيْ زَمَنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ(٤)

وهذا كله على مذاهب الناس، ونحوُ قوله «كمثل طرائق الوَشي» قولُ النابغة: [الطويل]

على الغصن الحالي كأنَّ رُسُومَهَا ... ... الركنين وَشْيٌ مُرَجَّعُ(٥)

«مرجع» بعضه على بعض في النساجة، وقال كثير: [الطويل]

مَغَانِي دِيَارٍ لا تَزَالُ كأنها ... بأفنية الشَّطْآنِ رَيْطٌ مُضَلَّعُ(٦)

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص٣١٠، من قصيدة يمدح بها الواثق بالله. والنؤي: حفير حول الخباء. وأهمد: سكن. والشطر: نصف الشيء.

(٢) البيت في ديوان البحتري ٢/٢٧، ثاني بيت من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي.

(٣) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص٣٠، ولسان العرب (خشع)، (نأي)، وأساس البلاغة (ثلم)، وتهذيب اللغة ١/١٥٢، ١٥/٥٤٣، وتاج العروس (خشع)، والبيت بلا نسبة في المخصص ٥/٣٤.

(٤) انظر الحاشية ما قبل السابقة.

(٥) البيت ليس في ديوان النابغة الذبياني، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٦) البيت في ديوان كثير عزّة ص٤٠٢، ولسان العرب (شطط)، وتاج العروس (شطط)، ومعجم البلدان (الشطآن)، ورواية البيت في الديوان:

وباقي رسومٍ ما تزال كأنّها ... بأصعدةِ الشطّان ريطٌ مضلَّعُ

وقال كثير أيضاً: [الخفيف]

غشى الركب رَبْعها فَعَجِبْنَا ... مِنْ بِلاَهُ، وَمَا المَدَى بِقَدِيم

كَحَوَاشِي الرِّدَاءِ قَدْ مُحَّ مِنْهُ ... بَعْدَ حُسْنٍ عَصَائِبُ التَّشْهِيمِ[(١)]

وهذا حسن جداً. وقول البحتري «يضعفن عن إذكارنا عهد الصِّبىٰ» يعني لطول عَهْدِهن ودروسهن.

وقد تصَرَّف شعراء الجاهلية والإسلام في وصف آثار الديار أحسنَ تصرُّفٍ، وأتَوْا فيه بكل تشبيه مستحسن ومعنى مُسْتَغرب؛ فمنه قولُ طَرَفَة: [الطويل]

* تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ[(٢)] *

الوشم: أثرُ الحناء. وخصَّ ظاهرَ اليد لأن دُرُوسه أسرع. وقال لَبِيد: [الكامل]

وَجَلاَ السُّيُولَ عَنِ الطُّلُولِ كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَهَا أقلامُهَا[(٣)]

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه، وكان الفرزدقَ إذا أنشده يسجد ويقول: إنا نعرف مكان السجود في الشعر كما تعرفونه في القرآن. وقال آخر، وأنشده إسحاق بن إبراهيم: [الطويل]

تَمَتَّعْ بِكَرِّ الطَّرْفِ في رَسْمِ مَنْزِلٍ ... تَحَمَّلَ عَنْهُ قَاطِنُوهُ فَأَقْفَرَا

تَرَى فِيهِ آثاراً، وإنْ كَانَ دَاثِراً ... تُذَكِّرُكَ الشَّوْقَ القَدِيمَ فَتَذْكُرَا[(٤)]

قوله «فتذكرا» ليس بالجيد، ووجهه الرفع، ولكنه جاء به على إرادة التوكيد، وقد جاء مثله في أشعارهم، قال جَذِيمةُ الأبْرَشُ: [المديد]

رُبَّمَا أوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالاَتُ[(٥)]

---

(١) البيتان في ديوان كثير عزة ص٤٧٥.

(٢) صدره:

لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمدِ

والبيت في ديوان طرفة بن العبد ص١٩، ولسان العرب (ثهمد)، وتاج العروس (ثهمد)، (برق).

(٣) البيت في ديوان لبيد ص٢٩٩، ولسان العرب (زبر)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٥٧٦، وتاج العروس (زبر).

(٤) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت لجذيمة الأبرش في الأزهية ص٩٤، ٢٦٥، والأغاني ١٥/٢٥٧، وخزانة الأدب ١١/ ٤٠٤، والدرر ٤/ ٢٠٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٨١، وشرح التصريح ٢/ ٢٢، وشرح شواهد الإيضاح ص٢١٩، وشرح شواهد المغني ص٣٩٣، والكتاب ٣/ ٥١٨.

وقال الجعدي: [الطويل]

وَأَقْبِلْ عَلَى مَجْدِي وَمَجْدِكَ نَبْتَحِثْ مَسَاعِينَا حتى نَرَى كَيْفَ نَفْعَلا[١]

ومثله قليلٌ. وأحسنُ من هذا ومن كل حَسَنٍ قولُ محمد بن عبيد الأزدي: [الطويل]

فَلَمْ تَدَعِ الأَرْوَاحُ والمَاءُ وَالْبِلَى مِنَ الدَّارِ إلا ما يَشُوقُ وَيَشْغَفُ[٢]

وأنشد إسحاق، ووجدته في التعليقات ليعلى الطائي: [الطويل]

لَبِسْنَ الْبِلَى حَتَّى كَأَنَّ رُسُومَهَا طَعِمْنَ الهَوَى أَوْ ذُقْنَ هَجْرَ الْحَبَائِبِ[٣]

وقال ابن وُهَيْب في مثله يذكر منزلين: [أحذّ الكامل]

لَبِسَا الحِلَى فكأنما وَجِدَا بَعْدَ الأَحِبَّةِ مِثْلَ ما أَجِدُ[٤]

وقال البحتري في مثل هذا: [الكامل]

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفْحَمَاتِ طُلُولِ مِنْ سَائِلٍ بَاكٍ وَمِنْ مَسْئُولِ
حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبِلَى حتى كأَنَّ نُحُولَهُنَّ نُحُولِي[٥]

وأنشدني غير واحد من الشيوخ: [المنسرح]

ما غَيَّرَ الدَّارَ بَعْدَ بَيْنِهِمُ رِيحٌ عَفَتْ آيَهَا وَلاَ مَطَرُ
كَأَنَّمَا جَزْعَةٌ يمانِيَةٌ قد نُشِرَتْ في عِرَاصِهَا الحِبَرُ[٦]

---

(١) يروى البيت بلفظ:
فأقبل على رهطي ورهطك نبتحث مساعينا حتى ترى كيف نفعلا
والبيت للنابغة الجعدي في شرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٥١، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الدرر ٥/ ١٥٣، وشرح الأشموني ٢/ ٤٩٥، والكتاب ٣/ ٥١٣، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٢٥، وهمع الهوامع ٢/ ٧٨.

(٢) البيت في نقد الشعر ص٤٣.

(٣) البيت لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) البيت في ديوان محمد بن وهيب الحميري، ثاني بيت من قصيدة مطلعها:
طللان طال عليهما الأمدُ دثرا فلا علمٌ ولا نضدُ

(٥) البيتان في ديوان البحتري ٢/ ١٩٩، مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن إسماعيل الهاشمي.
والمفحم: العاجز عن الجواب.

(٦) البيتان لم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

وقال آخر، وأنشده حماد: [مجزوء الخفيف]

قَــــد وَقَـــفْـــنَـــا..... بِـــطُـــلُـــولٍ وَأَرْسُـــمِ
لاَئِـــحَـــاتٌ كَـــأَنَّـــهَـــا بُـــرْدُ وَشْـــيٍ مُـــنَـــمْـــنَـــمِ
وَسَـــأَلْـــنَـــا فَـــأَفْـــحِـــمَـــتْ عَـــنْ جَـــوَابِ الـــمُـــكَـــلِّـــمِ[1]

وهذا كله أحْلَى وألطفُ مَعَاني، وألْوَطُ بالنفس من كل ما قال الطائيان.

* * *

(١) الأبيات لم أجدها في المصادر والمراجع التي بين يدي.

فهرس القوافي

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		قافية الألف المقصورة			
واستبقت	الحصَى	الرجز	-	١	٢٠١
هجرتنا	وسَنَى	الخفيف	البحتري	١	٢٨٠
وما	غنًّى	الهزج	الخليع	٢	٧٤
		قافية الهمزة			
		الهمزة المفتوحة			
تتدانى	الهيجاءَ	الخفيف	البحتري	١	١٨٦
قِفْ	أنضاءَ	الخفيف	البحتري	١	٣٢٠
من	ليلاءَ	الرجز	أبو تمام	٢	٢٥٧
فلوْ	ماءَ	الرجز	أبو تمام	١	٢٥٧
أقودُ	الدماءَ	المتقارب	أنس بن الريان	١	١٨٧
كيف	الثناءَ	الخفيف	البحتري	١	١٦٣
ولماذا	بواءَ	الخفيف	البحتري	١	٣٠٣
ما	إرواءَ	الطويل	-	٢	٨٠
		الهمزة المضمومة			
ومهمهٍ	أرجاؤُهْ	الرجز	رؤبة	٢	١٧١
يعفُّ	اللحاءُ	الوافر	النظار بن هاشم	٢	٨٤
يعيشُ	اللحاءُ	الوافر	أبو تمام	٢	٨٤
تلجلج	داءُ	الوافر	زهير بن أبي سلمى	١	٧٩، ٢٠٧
كأنَّ	سماؤُهْ	الرجز	رؤبة	٢	١٧١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		الهمزة المكسورة			
قدك	سجرائي	الكامل	أبو تمام	١	٣٢، ٣٤٤
مكللاً	صفرائِه	الرجز	أبو النجم	٤	٢٩٧
أوْ	حمراءِ	الكامل	أبو تمام	١	٦٠
أخليت	بسامرّاءِ	الكامل	البحتري	١	٣٣
نوراً	حمرائِه	الرجز	أبو النجم	٤	٢٩٧
قبل	جوزائِهِ	الرجز	أبو النجم	١	١٧١
ليس	العطاءِ	الخفيف	بشار	١	١٠٨
ترى	بغطاءِ	الطويل	أبو نواس	١	٦٥
وضعيفة	الضعفاءِ	الكامل	أبو تمام	١	٦٦
لا	بكائي	الكامل	أبو تمام	١	٢٠٧
مختلف	أسمائِه	الرجز	أبو النجم	٤	٢٩٧
يخفي	إناءِ	الكامل	البحتري	١	٣٣، ٣٦، ٢٣٠، ٢٨٥
وفواقع	الحسناءِ	الكامل	البحتري	١	٢٩٩
فالروض	حوَّائِه	الرجز	أبو النجم	٤	٢٩٧
		قافية الباء			
		الباء المفتوحة			
شهدْتُ	غائبا	الطويل	أبو تمام	١	٢٦٧
نغدو	آدابا	البسيط	البحتري	١	٢٥٢
إذا	غضابا	الوافر	-	١	٣٨
وقد	كعابا	الوافر	جرير	١	١٣٥
فكاد	غربا	الوافر	أبو تمام	١	٢٣٩
غداة	وكُعَّبا	الطويل	قدامة بن ضرار	١	١٣٥
قد	وعقَبَه	الرجز	أبو نواس	١	٢٣٢
وقد	والقلبا	الطويل	تميم بن مقبل	١	١٢٥
مِنْ	تصوبا	الخفيف	أبو تمام	١	٢٢، ٣٣٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الجدُّ	والطربُ	البسيط	أبو تمام	١	١٥٢
والقرطُ	يضطربُ	البسيط	ذو الرمة	١	١٢٨
حمْدٌ	مُغْربُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٤٦
مِنَ	الأقربُ	المتقارب	المسيب بن علس	١	١٤٨
حتَّى	الهربُ	البسيط	ذو الرمة	١	٤٤
كمثل	عوازبُ	الطويل	قيس بن عمير	١	١٢١
فكأنَّ	ينسبُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٣
عجزاءُ	والقصبُ	البسيط	ذو الرمة	١	١٢٣
فمجدّلٌ	ومخضّبُ	الكامل	البحتري	١	٢٩٨
أقول	أحطبُ	الطويل	أوس بن حجر	١	٨٨
والشعر	خُطَبُهْ	المنسرح	البحتري	١	٣١٠
لا	القُطُبُ	البسيط	أبو تمام	١	٢٦٦
أغرُّ	لاعبُ	الطويل	أبو صخر الهذلي	١	٢٣٦
عهدي	كواعبُهْ	البسيط	البحتري	١	٣٣٧
قد	الحقبُ	البسيط	أبو تمام	١	٣٢٧
قذْ	المركبُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٥١
وأزرق	ينسكبُ	البسيط	البحتري	١	٢٨٣
هنَّ	طالبُهْ	الطويل	أبو تمام	١	٢٩
وراحتْ	لبلبُ	الطويل	طارق بن شهاب	٢	١٦١
لا	تُستلبُ	البسيط	أبو تمام	١	٢٤٢
سُلبوا	يُسلبُوا	الكامل	البحتري	١	٢٣٧
لا	الطلبُ	البسيط	أبو تمام	١	٢٥٣
فكم	مذانبُهْ	الطويل	أبو تمام	١	٩٣
لمياءُ	شَنَبُ	البسيط	ذو الرمة	١	٤٨
وقد	والشنبُ	البسيط	الكميت	١	٤٨
وركبٍ	غياهبُهْ	الطويل	أبو تمام	١	١٠١
وركْبٍ	غياهبُهْ	الطويل	أبو تمام	٢	٢٩، ٥٥

الباء المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ونازعني	الغرابِ	الوافر	كثير عزة	١	٨٩
ما	التصابي	الخفيف	البحتري	١	٣١٧
وليست	الكعابِ	الوافر	أبو تمام	١	٨١، ١٣٦
ليس	المتغابِي	الكامل	أبو تمام	١	٩١
أرسومُ	الأحقابِ	الكامل	البحتري	١	٣٢٧
ومصلتاتٍ	والرقابِ	مخلع البسيط	منصور النمري	١	١٠١
وإذا	والألقابِ	الخفيف	البحتري	١	٢٣٢
أنزلته	الركابِ	الخفيف	أبو تمام	١	١٩٩
وإذا	والجنابِ	الخفيف	البحتري	١	١٣٢
تبكي	بعنابِ	السريع	أبو نواس	١	٨٥
بذلّة	الجوابِ	الوافر	هشام الحلو	١	٥٦
له	المضبَّبِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٢٨٩
فعجبتُ	تحجبِ	الكامل	أبو تمام	١	٦٥
ضوءٌ	شحبِ	البسيط	أبو تمام	٢	٥٣
تقي	بمصحبي	الطويل	أبو تمام	١	٣٤٣
إذا	الأدبِ	البسيط	أبو تمام	١	١٠٧
نرمي	أدبِهْ	المنسرح	أبو تمام	١	٦٦، ٢٥٢
وقد	جَذْبِ	الطويل	الأخطل	١	٤٦
وصبغتُ	بعذْبِهِ	الكامل	البحتري	١	٣٠٠
فعلام	معذّبِ	الكامل	البحتري	١	١٦٦
ولم	الأقاربِ	الطويل	كثير عزة	٤	١٤٧
بدأتُ	الغواربِ	الطويل	ابن هرمة	١	٩٢
وترى	الربربِ	الكامل	أبو الهندي	١	٧٧
ملكٌ	مجرّبِ	الكامل	البحتري	١	٢٤١
وسعّروا	الحَرَبِ	الطويل	إبراهيم بن المهدي	١	٦٢
لما	الحَرَبِ	البسيط	أبو تمام	١	٦٢
كأنّ	مغربِ	الطويل	أبو تمام	١	٨١

الدال المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
في	يتأبّدُ	الكامل	البحتري	٢	٣٥٣
نشوان	معبدُ	الكامل	البحتري	١	٢٤١
به	مرتدُّ	الطويل	أبو تمام	٢	١٩٧
لبسا	أجدُ	الكامل الأحذّ	ابن وهيب	١	٣٦٠
كأنها	تجدُ	البسيط	أبو تمام	١	١٠٠
إذا	وزبرجدُ	الطويل	الحطيئة	١	٥٧
تجرَّعَ	الوجْدُ	الطويل	أبو تمام	١	٣٣١، ٣٥٤
وليلٍ	واحدُ	الطويلُ	ذو الرمة	٢	٧٢
فإنَّ	جُدُدُ	البسيط	سعد بن ناشب	١	١١٢
تمدُّ	مجدّدُ	الطويل	مسافر بن أبي عمرو	٢	١٤٨
وقضّين	أتلدّدُ	الطويل	كثير عزة	١	٣١٧
وقضّين	أتلدّدُ	الطويل	كثير عزة	٢	٣٤٩
أقسّمُ	باردُ	الطويل	عروة بن الورد	١	١٤٦
رقيقُ	بُرْدُ	الطويل	أبو تمام	١	١١٩
لدى	بَرْدُ	الطويل	أبو تمام	١	١٩٧
يكاد	يردُ	البسيط	أبو تمام	١	٩٠
على	ويقصدُ	الطويل	-	١	٣٠١
لا	يصدُّهْ	مجزوء الكامل	البحتري	١	٢٨١
وأنت	رواعدُها	المنسرح	الكميت	١	٣٨، ٢٨٧
فإنْ	الرواعدُ	الطويل	-	١	٢٨٧
لو	قعدُوا	البسيط	أبو الجويرية	١	١٢٧
لو	قعدُوا	البسيط	-	١	١٨٥
أبلّهم	الوغْدُ	الطويل	أبو تمام	١	١٧٩
ضافي	يعدُ	البسيط	الراعي النميري	١	١٥٥
فأتبعتُها	والحقْدُ	الطويل	البحتري	١	٢٣٣
ورحبَ	بلدُ	البسيط	أبو تمام	١	١٦٠، ٢٩٦

الدال المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
سقى	وبادي	الوافر	أبو تمام	٢	٣٥٠
وأخو	ودادِ	الكامل	الأعشى	١	٢٩٢
تنصّلَ	والودادِ	الوافر	أبو تمام	١	٢٥٥
وما	وزادي	الوافر	أبو تمام	٢	٦٠
لولا	الحسّادِ	الكامل	جميل بن معمر	١	٢٩٥
وأسمرٌ	الصادي	السريع	دعبل الخزاعي	١	٨٢
فيا	البعادِ	الوافر	أبو تمام	١	٣٥٠
كنيّة	فادِ	البسيط	القطامي	١	٢٦
كنية	فادي	البسيط	**القطامي**	١	٢١١
وعنْ	سوادِ	الوافر	كثير عزّة	١	١١٠
ونحسدُ	باعتيادِها	الطويل	البحتري	٢	٢٩٦
وكنتُ	تبدي	الطويل	كثير عزّة	٣	٣٥٣
أأطلال	والرُّبْدِ	الطويل	أبو تمام	١	٣٣٦
يومٌ	المزبدِ	الكامل	أبو تمام	١	٢١٩
في	كبدِهْ	المنسرح	أبو تمام	١	١٩٧
جارى	الأكبدِ	الكامل	أبو تمام	١	٢٠٩
بقاعيةٌ	نبدِي	الطويل	أبو تمام	١	١٩١
فوفّرْتُ	النجدِ	الطويل	أبو تمام	١	٢٤٥
لعمر	توجُدِ	الطويل	البحتري	١	٣٣٨
كريمٌ	وحدي	الطويل	أبو تمام	١	٢٤٢
جِلّةُ	أُددِهْ	المنسرح	أبو تمام	١	٢٢٧
فحيّوا	التودُّدِ	الطويل	مسلم بن الوليد	١	٩٥
هي	تودُّدِ	الطويل	أبو تمام	١	٣١٠
شهدتُ	بُرْدِ	الطويل	أبو تمام	١	١٥٢، ٣٢٨
لعمري	يبرُدِ	الطويل	أبو تمام	١	٢١٦
عطفوا	خُرَّدِ	الكامل	أبو تمام	٢	١٩٠
تخفقُ	طَرَدِهْ	المنسرح	أبو تمام	١	٧٣

قافية الراء

الراء الساكنة

الراء المفتوحة

الراء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
شمسُ	قدرُوا	البسيط	الأخطل	١	١١٩
ينالُ	يحاذرُ	الطويل	البحتري	١	٢٣١
كذا	عذرُ	الطويل	أبو تمام	١	٣٤٤
أبَعْدَ	عُذْرُ	الطويل	أبو سلمى المزني	٧	٦٣
فإنْ	العذرُ	الطويل	أبو تمام	١	٨٤
قد	الشَّرَرُ	البسيط	الأخطل	١	٤٦
متى	نَزْرُ	الطويل	البحتري	١	٣٣١
لئنْ	والنَّسْرُ	الطويل	أبو تمام	١	١١٤
طوى	ناشرُ	الطويل	أبو نواس	١	١٠٦
أمِنْ	نَشْرُ	الطويل	أبو تمام	١	١٠٦
وكلما	خَطَرُ	البسيط	أبو تمام	٢	١٦١
سقى	قَطْرُ	الطويل	أبو تمام	١	١٠٥
ما	مَطَرُ	المنسرح	-	٢	٣٦٠
ألحَّ	المطرُ	البسيط	البحتري	١	٦٤
لا	ينتظرُ	البسيط	أعشى باهلة	١	٧٥
سكن	تُذْعرُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٠٣
فأذرتَ	الشُّعْرُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٧٧
فلما	حافرُهْ	الطويل	الحطيئة	١	١٧١
قروا	مشافرُهْ	الطويل	الحطيئة	١	٤٥
فجاءَ	أظافرُهْ	الطويل	البحتري	١	٢٦٠
توفيت	السَّفْرُ	الطويل	أبو تمام	١	٦٩، ١٠١
تحلُّ	مغفرُ	الطويل	أبو تمام	٢	١٩٦
أكافرٌ	كُفْرُ	مجزوء البسيط	البحتري	١	٢٦٧
فقد	النَّفْرُ	الطويل	أبو صخر الهذلي	١	٢٩٥
فتًى	غضنفرُ	الطويل	أبو تمام	١	٧٧
لا	بَقَرُ	البسيط	أبو تمام	١	٢٧٣
عليَّ	البقرُ	البسيط	البحتري	١	٢٣٨، ٢٧٣

الراء المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بيضُ	الأخصارِ	البسيط	المرار	١	١٢٦
رمقوا	الإفطارِ	الكامل	أبو تمام	١	٩٤
وعيرتني	عارِ	البسيط	النابغة الذبياني	١	٧٣
ثانيهِ	الغارِ	الكامل	أبو تمام	١	٣٤
لا	الأسفارِ	الكامل	أبو تمام	١	٧٢
أبِنْ	بقارِ	الوافر	أبو نواس	١	٨٥
وأطعم	بضمارِ	الطويل	أبو نواس	١	٨٢
كأنّ	هارِ	البسيط	عبدالرحمٰن بن الحكم	١	٢٩٠
أبكاءً	نوارِ	الخفيف	البحتري	٤	٣٥٢
أبكاءً	بنوارِ	الخفيف	البحتري	١	٣٣٢
ما	الديارِ	الخفيف	البحتري	١	٣٥٣
يصبرني	الصَّبْرِ	الطويل	أبو الشيص	١	١١٣
كانوا	أقبرِ	الكامل	البحتري	١	٢٧٤
يعِزُّ	الكِبْرِ	الطويل	ذو الرمة	١	٢٠٤
الستر	سِتْرِ	الكامل	زهير بن أبي سلمى	١	٢٢١
فبعثن	المستهترِ	الكامل	البحتري	١	٢٥٤
وغدُ	أثرِهْ	الكامل الأحذ	بشار	١	٢٨٦
لا	مثري	الرجز	جندل بن المثنى	٢	٢٨٨
صبغة	فَجْرِ	الخفيف	البحتري	١	٢٨٣
أبا	الحرِّ	الطويل	محمد بن حازم	٣	١٤٠
ذا	يحري	الرجز	-	٢	٢٠٥
وحذرتُ	أحذرِ	الكامل	-	١	٢٣٢
تتأيّا	جَزَرِهْ	المديد	أبو نواس	١	٥٨
قصُرْ	أنسُرِ	الكامل	أبو تمام	١	٢٥٦
ردَتْ	العُشَرِ	الطويل	-	١	٩٣
سأجعل	وأعصُرِ	الطويل	-	١	١٥٦
هم	الناضرِ	السريع	الأعشى	١	١٠٦

قافية السين

السين الساكنة

السين المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لقد	تلبّسا	الطويل	امرؤ القيس	١	٢٦، ٢٠٩
ألا	وملبسا	الطويل	امرؤ القيس	١	٢٢١
مِنْ	محبوسا	الكامل	أبو تمام	١	٢٤٩
شامتْ	الطوسا	البسيط	أبو تمام	١	٣٥
ومَنْ	المزمريسا	الرجز	ابن مناذر	١	٢٢٥
أقشيب	ورسيسا	الكامل	أبو تمام	١	٣٣٨
أقشيب	ورسيسا	الكامل	أبو تمام	٤	٣٥٠
أهْلسُ	اللّيسا	البسيط	أبو تمام	١	٢٢٢

السين المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولك	حبائسُ	الكامل	البحتري	١	٢٤٩
كأنّ	كأسُ	الوافر	علي بن جبلة	١	٣٧، ٢٣٠، ٢٨٥
وما	حابسُ	الطويل	جرير	١	٢٦
فما	حابسُ	الطويل	جرير	١	٢١١
نهْدٍ	جرسُ	المنسرح	غيلان بن سلمة	١	٩٤
هاديه	جَلْسُ	المنسرح	أبو تمام	١	١١٧
نُبئت	المجلسُ	الكامل	المهلهل	١	٢٩٣
شكَّ	خَلْسُ	المنسرح	أبو تمام	١	٢٥٥
نغار	جامسُ	الطويل	ذو الرمة	١	٤٤
ضمّخ	الشمسُ	المنسرح	أبو تمام	١	٢٨٣
وهو	الإنسُ	المنسرح	أبو تمام	١	٩٦

السين المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لو	والباسِ	الطويل	البحتري	١	١٦٣
ما	الأدراسِ	الكامل	أبو تمام	١	٣١٥، ٣١٩
أقام	أدراسِ	البسيط	البحتري	١	٣٤١
الآن	أساسِ	الكامل	أبو تمام	١	٢٤٨
غُفْلُ	أساسِ	الطويل	البحتري	١	٢٤٩
لا	الأنفاسِ	الكامل	أبو تمام	١	٣٢٠

قافية الصاد

الصاد الساكنة

الصاد المكسورة

قافية الضاد

الضاد المفتوحة

الضاد المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لم	ينتقضُ	البسيط	أبو تمام	١	٢٢٦
مهامه	رحيضُ	الطويل	العديل بن الفرخ	١	٧٨
وبساطٌ	الرحيضُ	الخفيف	أبو تمام	١	٧٨
وأقلُّ	مريضُ	الخفيف	أبو تمام	١	٢٦٧
همّةٌ	حضيضُ	الخفيف	أبو تمام	١	١٠٩، ٢٦٢
فاشمألّوا	أنيضُ	الخفيف	أبو تمام	١	٧٨

الضاد المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
صلتانٌ	مستفاضِ	الخفيف	أبو تمام	١	٧٥
نظرتْ	بياضِ	الخفيف	أبو تمام	١	١١٠
وما	محضِ	الطويل	مسلم بن الوليد	١	٨٤
ونوّهتَ	بعضِ	الطويل	أبو نخيلة	١	٨٧
وسناً	نهوضِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٢١٣
ولولا	العرِيضِ	الطويل	ضرار بن الخطاب	١	١٥٨

قافية الطاء

الطاء الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
شرطي	قَسَطْ	الرمل	البحتري	١	٢٨٢

الطاء المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
سما	أطيطا	الطويل	الأسود بن يعفر	١	١٠٤

الطاء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وخاثرٌ	عكالطُ	الرجز	-	٢	٢٢٤
وآخذٌ	سامطُ	الرجز	-	٢	٢٢٤

قافية العين

العين الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
حتى	كرِغْ	مجزوء الرجز	السلمي	١	٢٣٥

العين المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ولما	لفاعا	الوافر	القطامي	١	٢٦، ٢١٠

العين المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
مَنْ	سبُعُ	البسيط	أبو تمام	١	٨٦
صلاةٌ	إصبعُ	الطويل	كنانة بن عبد ياليل	١	١٤٧
قَصَرَ	الإصبعُ	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	٢	٤٣
أمنزلتيْ	رواجعُ	الطويل	ذو الرمة	١	١٦٨
على	مرجّعُ	الطويل	النابغة الذبياني	١	٣٥٨
يقول	فيوجعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٢٦
وكنا	الأخادعُ	الطويل	الفرزدق	١	٢٠٣
وتلبسُ	أذرُعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٤٧
تروح	يُصرعُ	الطويل	أبو تمام	١	١٩٦
كأنَّ	يكرعُ	الطويل	البحتري	١	٢٣٥
فلو	أوسعُ	الطويل	منصور النمري	١	١٢٣
رمادٌ	خاشعُ	الطويل	النابغة الذبياني	١	٣٥٨
كساك	ساطعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٢٦
دموعٌ	تقطّعُ	الطويل	أبو تمام	٢	٩٦
وإنا	وتقطّعُ	الطويل	البعيث	١	٥٤
وإنْ	مِقْطعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢١٦
وإذا	تنفعُ	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	١	٢٠١
كساكَ	فاقعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٧٥
وهل	البلاقعُ	الطويل	ذو الرمة	١	١٦٧
لو	يقعُ	البسيط	أبو تمام	١	٧٣
فترى	يقعُهُ	الكامل الأحذ	البحتري	١	٢٣٨
ولنْ	متالعُ	الطويل	البحتري	١	٢٦٤
وضع	هبلعُ	الكامل	جرير	١	٢٢٤
مغاني	مضلّعُ	الطويل	كثير عزة	١	٣٥٨
وقفنا	تقلعُ	الطويل	أبو تمام	١	٦٤
لقد	مولعُ	الطويل	أبو تمام	١	٨٦
كأنَّ	مدامعُ	الطويل	أبو تمام	١	٨٠

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ثنى	مطامعُ	الطويل	البحتري	١	٢٤٠
إذا	جوامعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٥٦
رأيتُ	مطمعُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٤٠
عيونٌ	وتلمعُ	الطويل	أبو وجزة السعدي	١	٣٤٩
إذا	صانعُ	الطويل	حميد بن ثور	١	٥٨
إذا	خضوعُ	الطويل	الفرزدق	١	٤٧

العين المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
به	بالوشائعِ	الطويل	ذو الرمة	١	١٥٢
ابنٌ	السباعِ	الوافر	أبو تمام	١	٨٤
ترد	السباعِ	مجزوء الكامل	-	١	٨٤
حُشدتْ	السباعِ	الخفيف	البحتري	١	٢٥٠
وليستْ	الوداعِ	الوافر	أبو تمام	١	٢٦٢
وكأنّ	بشراعِ	الكامل	المسيب بن علس	١	٣٨
سعى	المساعي	الوافر	أبو تمام	١	١٨٤
إنَّ	القعقاعِ	الكامل	أبو سلمى المزني	١	٦٣
آألفة	اجتماعِ	الوافر	أبو تمام	١	٦٤
ونغمة	السماعِ	الوافر	أبو تمام	١	٢٤١
بين	الأربعِ	الكامل	البحتري	١	٣٢٩
حراجيج	الشراجعِ	الطويل	جرير	١	١٠٢
وإني	أخدعي	ألطويل	البحتري	١	٢٠٣
سوداءُ	الأكرعِ	السريع	-	١	١٦٢
تيممن	القواطعِ	الطويل	ذو الرمة	١	٢٠٤
سُقيتِ	بلقعِ	الطويل	البحتري	١	٣٤٠
ولم	مُلْتمعِهْ	المنسرح	أبو تمام	١	٢٢٧
ترى	صديعِهِ	الطويل	البحتري	٣	٣٥٢

قافية الغين

الغين المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
بليغٌ	بليغِ	الطويل	قيس بن ذريح	١	٥٧

القاف المكسورة

قافية الكاف

الكاف الساكنة

اللام المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أنت	والطولُ	البسيط	الراعي النميري	١	١٥٦
وعليكِ	معوَّلُ	الكامل	البحتري	١	٢٧٨
وهلْ	معوَّلُ	الطويل	أبو تمام	١	٢٧٧
سقياً	مشغولُ	البسيط	جران العود	١	٥٥
وكفّك	تقولُ	الوافر	عدي بن الرقاع	١	٤٧
أهاجتك	حمولُها	الطويل	كثير عزة	١	٣٢٥
أبيتُ	وطلولُ	الطويل	البحتري	٢	٣٥٢
هو	تزايلُهْ	الطويل	البحتري	٢	٣٥٣
لأمٌ	السبيلُ	الوافر	محرز بن المكعبر	١	٣٣٣
عقيلية	فبتيلُ	الطويل	يزيد بن الطثرية	١	١٢٦
ستّين	الأراجيلُ	البسيط	أبو تمام	١	٣٦
ضخمٌ	تفضيلُ	البسيط	كعب بن زهر	١	٤١
قزمٌ	ثقيلُ	الكامل	عدي بن الرقاع	١	١٢٠
فلو	ثقيلُها	الطويل	البحتري	١	١٢٢
ويحسن	الصقيلُ	الوافر	البحتري	١	٢٥١
أما	جليلُ	الكامل	أبو تمام	٢	٥٦
هل	الغليلُ	الخفيف	-	٢	٣٠
لا	تهليلُ	البسيط	كعب بن زهير	١	٧٣
فتًى	مميلُها	الطويل	البحتري	١	٣٠٠
تدبُّ	يتهيّلُ	الطويل	الأخطل	١	٧٦
فكمْ	عويلُها	الطويل	البحتري	١	٢٣٧

اللام المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لعمرك	قبائلِ	الطويل	أبو تمام	١	٢٧٤
ذاك	حائلِ	الكامل	أبو تمام	١	١٠٣
ملقوحة	حائلِ	الرجز	-	٤	١٠٣
إنْ	السائلِ	السريع	دعبل الخزاعي	١	٨٢

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إني	لوّامِ	الكامل	جرير	١	١٨٩
بأبيض	وحاتمِ	الطويل	البحتري	١	٢٧٤
وما	وحاتمِ	الطويل	أبو تمام	١	٢٧٤
لو	تأثمِ	الرجز	حكيم بن معية	٢	١٥١
فلا	والجماجمِ	الطويل	أبو تمام	١	٩٩
كانت	الرُّجُمِ	الكامل	النابغة الجعدي	١	١٧٢
خاض	باللجمِ	البسيط	أبو حزابة التميمي	١	١٨٨
إنّ	الأنجمِ	الكامل	أبو تمام	١	١٥٨
تلوثُ	الأتحمي	الرجز	الأخضر بن جابر	٢	٢٨٨
يفقهن	ومتتحمِ	البسيط	الكميت	١	٩٥
ما	والرحمِ	البسيط	البحتري	١	١٥٠
لم	فَحَمِ	البسيط	أبو تمام	١	١٠٨
واستودعتْ	القدمِ	المنسرح	-	١	٣٥٢
سلْمْ	والقِدَمِ	البسيط	أبو تمام	١	٣٢٤
وقد	مكدمِ	الطويل	المسيب بن علس	١	٤٢
حامى	ودمِهْ	المنسرح	البحتري	١	٢٥٥
وإني	المكارمِ	الطويل	أبو تمام	١	٩٠، ٢٧٠
إذا	ترمي	الطويل	أبو دؤاد الإيادي	١	١٤٦
بنو	وللمتحرّمِ	الطويل	كعب بن الأجذم	١	٨٧
فشككتُ	بمحرّمِ	الكامل	عنترة	١	٧٠
وصنيعةٍ	مُضرمِ	الكامل	أبو تمام	٢	١٣٤
نثرت	المغرمِ	الكامل	أبو تمام	١	١٦٥
ألذُّ	الكرمِ	الطويل	أبو تمام	١	٧٧
مجْدٌ	الهرمِ	البسيط	أبو تمام	١	٢٤٢
صحبوا	يهرمِ	الكامل	البحتري	١	٢٤٢
الجامعُ	حازمِ	الكامل	عدي بن الرقاع	١	١٢٠
إذا	سأسمِ	الطويل	مرداس بن أبي عامر	٢	٢٨٨

قافية النون

النون الساكنة

النون المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يمشين	حينا	البسيط	ابن مقبل	١	٢٩١
وإنا	يبتدينا	المتقارب	أبو العتاهية	٢	٨٣
يهززن	يبرينا	البسيط	ابن مقبل	٢	١٢٩
يُضحي	الصينا	البسيط	البحتري	١	٢٦١
كأنّ	أجمعينا	الوافر	قد بن مالك	١	١٢١
عزمْتُ	بلينا	الوافر	البحتري	١	٣٣٤

النون المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ألا	الحدثانُ	الطويل	عصام الجرجاني	١	١٠١
وإذا	الهجرانُ	الكامل	أبو نواس	١	٣٢١، ٣٢٦
لم	إحسانُ	الكامل	أبو العتاهية	١	٩٩
حتى	خفقانُ	الكامل	أبو نواس	١	٩٣
وإذا	وعيانُهْ	الخفيف	البحتري	١	٢٦٦
ما	دِمَنُهْ	المنسرح	البحتري	١	٣٣٨
غلامُ	الخؤونُ	الوافر	-	٢	٢٩، ٥٥
أطافتْ	صُحُونُها	الطويل	البعيث	١	٢٩، ٥٥
ترى	قرونُها	الطويل	نصر بن حجاج	١	٢٣١
والنؤي	مقرونُ	الكامل	أبو تمام	١	٣٥٨
لا	ماعونُ	الكامل	أبو تمام	١	٣٢٠
كما	وكونُ	الطويل	أبو نواس	١	٣٥٥
ولذاك	عيونُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٦٦
مستحيلٌ	العيونُ	الخفيف	أبو تمام	٢	٧٩
وأبي	لتبينُ	الكامل	أبو تمام	١	٣٣٣
أبائنة	قرينُ	الطويل	كثير عزة	١	٣٢٦
عطاؤك	يزينُ	الطويل	أمية بن أبي الصلت	١	٨٩
إذا	يزينُها	الطويل	كثير عزة	١	٥٧
هيهات	الصينُ	الكامل	أبو تمام	١	٢٦١

النون المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
واعلمْ	إبّانِهِ	الكامل	البحتري	١	٢٤٣، ٢٥٢

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ووالله	أتاني	الطويل	عامر بن جوين	١	١٣٧
وأطلس	فأتاني	الطويل	الفرزدق	١	١٧٢
قومٌ	الأقرانِ	الكامل	البحتري	١	٢٣٥
ما	وأحزاني	البسيط	أبو تمام	٢	٨١
ويغدو	فرسانِهِ	المتقارب	البحتري	١	٢٤٥
والضاربين	الأضغانِ	الكامل	عمرو بن معديكرب	١	٢٣٣
وكلُّ	طرفانِ	الطويل	ابن مقبل	١	١٥٧
مِنْ	قاني	الكامل	البحتري	١	٢٧٥
قومٌ	الكتمانِ	الكامل	البحتري	١	٢٣٣
حلفتَ	عثمانِ	البسيط	أبو تمام	١	١٠٧
جرى	جمانِ	الوافر	البحتري	١	٢٧٧
قفا	أزمانِ	الطويل	امرؤ القيس	١	١٧٠
خُلقوا	السنانِ	الخفيف	بشار	١	٢٣٠
رويدك	نهاني	الوافر	البحتري	١	٣٤٧
وما	أوانِه	الطويل	أبو تمام	١	٢٥٢
تجدْ	الخسرواني	الوافر	البحتري	١	٢٣٥
قمرٌ	الخسرواني	مجزوء الرمل	الخليع	١	٢٣٥
شتانْ	أحياني	الكامل	المجثم الراسبي	٢	٢٣٨
كمْ	شَجَنِ	البسيط	البحتري	١	٣٢٣
عرفتُ	منحنِ	الطويل	كثير عزة	٢	٣٥٧
غدتْ	الدنٌ	الطويل	أبو تمام	١	٧٦
البيدُ	قَرَنِ	البسيط	أبو تمام	١	٧٢، ٢٤٢
فما	وطني	البسيط	أبو تمام	١	٣٤٨
بكلٍّ	رفنٌ	الوافر	النابغة الذبياني	١	٢٨٠
همّته	الكفنِ	المنسرح	-	١	١٠٩
سنٌّ	يكنِ	المديد	أبو نواس	١	٧٩
أراك	ومكتمنِ	البسيط	أبو تمام	١	٣٤٢

قافية الهاء

الهاء الساكنة

الهاء المفتوحة

الهاء المضمومة

الهاء المكسورة

فهرس أجزاء وأنصاف الأبيات

باب الياء

فهرس المحتويات